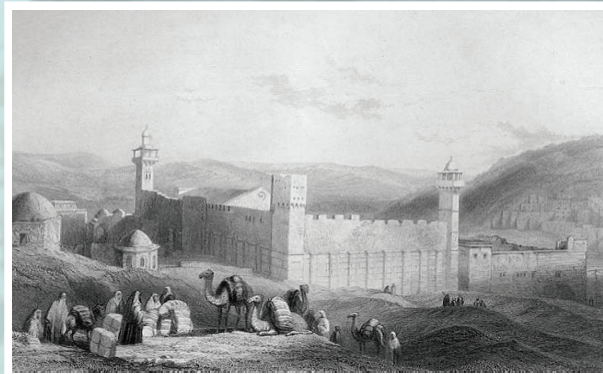


# التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل

الإشراف العام والتحرير  
أ.د. حسن عبد الرحمن سلوادي



جامعة القدس المفتوحة  
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

التراث الشعبي الفلسطيني  
في محافظة الخليل

موسوعة التراث الفلسطيني  
العدد الثالث



[www.qou.edu](http://www.qou.edu)

جامعة القدس المفتوحة  
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

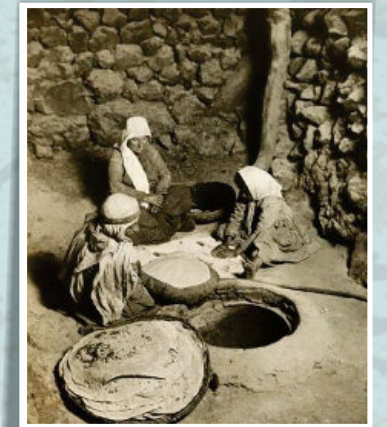
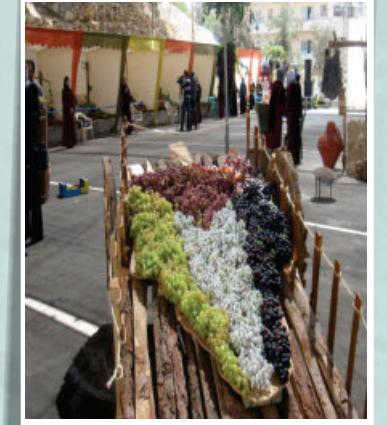
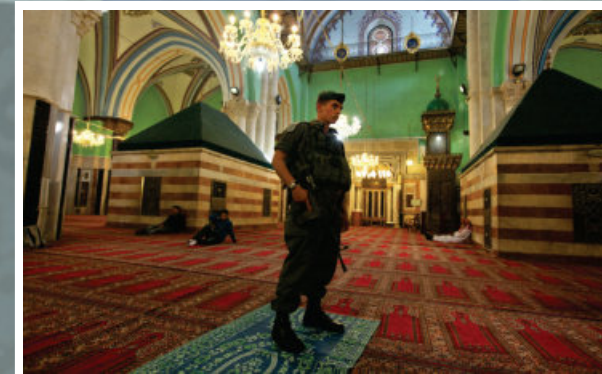
موسوعة التراث الفلسطيني  
العدد الثالث

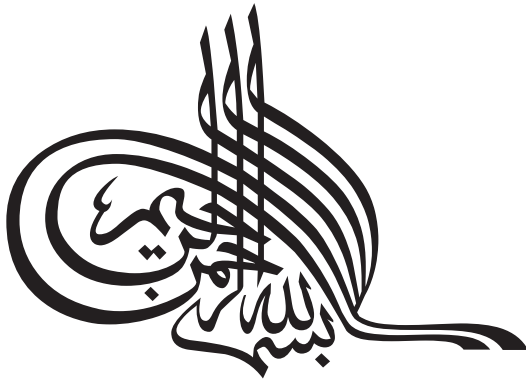
الممول الحصري



مجموعة الاتصالات الفلسطينية  
معكم

رام الله - فلسطين  
١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م





حقوق التأليف والتصميم والطبع والنشر محفوظة لـ:

**جامعة القدس المفتوحة**  
**عمادة البحث العلمي والدراسات العليا**

فلسطين/ رام الله - الماصيون

ص.ب. 1804

ت: 02\2984491 - 02\2952508

ف: 02\2984492

البريد الإلكتروني: [sprgs@qou.edu](mailto:sprgs@qou.edu)

©2013



# التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل

أبحاث المؤتمر الثالث للتراث الشعبي الفلسطيني  
في محافظة خليل الرحمن- هوية وانتماء  
يومي ٢٨-٢٩ / ١١ / ٢٠١١ م

الإشراف العام والتحرير  
أ. د. حسن عبد الرحمن سلوادي  
عميد البحث العلمي والدراسات العليا

# المحتويات

كلمات افتتاح المؤتمر:		عريف المؤتمر: أ.د. يوسف ذياب
الصفحة	اسم المتحدث	الكلمة
٣	د. حسين الأعرج	كلمة سيادة الرئيس محمود عباس- أبو مازن، راعي المؤتمر ألقاها نيابة عنه معالي رئيس ديوان الرئاسة
٧	أ.د. يونس عمرو	كلمة رئيس جامعة القدس المفتوحة
١١	أ. علاء حجازي	كلمة ممثل مجموعة الاتصالات الفلسطينية
١٥	أ.د. حسن السلواوي	كلمة رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر
١٩	د. نعمان عمرو	كلمة مدير فرع الخليل / جامعة القدس المفتوحة
الجلسة الافتتاحية:		
٢٣	أ.د. يونس عمرو	الجدور التاريخية للتراث الشعبي في الخليل

أبحاث المؤتمر:

الصفحة	اسم الباحث	اسم البحث	الجلسة/ المحور
٣٧	د. رجاء العسيلي، د. تيسير أبو ساكور	القيم التربوية في المثل الشعبي في محافظة خليل الرحمن	الجلسة الأولى التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة خليل الرحمن (قيم وأصالة وانتماء)
٦٩	د. حسين أحمد الدراويش	من القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل من خلال استقراء الأقايص الشعبية	
٩١	أ. محمد ذياب أبو صالح	أثر المسجد الإبراهيمي الشريف في التراث الشعبي في الخليل	
١٠٧	د. طالب الصوافي	الزيتون في الميثولوجيا الشعبية الفلسطينية "منطقة الخليل نموذجاً"	
١٣٥	د. شامخ علاونة	طرق حماية التراث الثقافي في محافظة الخليل (من خلال المواثيق الدولية والمؤسسات المجتمعية)	
١٥٧	أ. مصطفى الجبور	المخاطر التي تهدد التراث الشعبي في محافظة خليل الرحمن وسبل المحافظة عليه	
١٩٥	أ. د. ياسر الملاح	لوحات من التراث والأدب الشعبيين في قرية المجد	الجلسة الثانية التراث الشعبي الفلسطيني وتجلياته في محافظة خليل الرحمن
٢٤٩	د. ناهدة الكسواني	الملابس الشعبية للمرأة في الخليل	
٢٧٩	أ. إبراهيم مخارزة	الزّي وعادات الأفراح والأتراح في رحلة القساطلي	
٢٩٥	د. سميرة ستوم	الأغنية الشعبية في مدينة الخليل	
٣١٩	د. إدريس جرادات	ثوب المرأة الريفية في منطقة الخليل	
٣٥٣	الشيخ/ عباس نمر	من القرى المدمرة قرية بيت نتيف (السماعنة) قضاء الخليل. صفحات من تاريخها وتراثها الشعبي	
٣٧٩	د. شاهر حجة	دور الصناعات التقليدية في محافظة الخليل في تعزيز الاقتصاد الأسري قديماً وحديثاً	
٣٩٨			توصيات المؤتمر
٤٠٥			الملاحق



# كلمات افتتاح المؤتمر

- ◆ كلمة سيادة الرئيس محمود عباس / أبو مازن  
راعي المؤتمر، ألقاها نيابة عنه معالي د. حسين الأعرج  
رئيس ديوان الرئاسة.
- ◆ كلمة رئيس جامعة القدس المفتوحة.
- ◆ كلمة ممثل مجموعة الاتصالات الفلسطينية.
- ◆ كلمة رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر.
- ◆ كلمة مدير فرع الخليل / جامعة القدس المفتوحة.





## كلمة

سيادة الرئيس محمود عباس - أبو مازن، راعي المؤتمر  
ألقاها نيابة عنه معالي رئيس ديوان الرئاسة

د. حسين الأعرج



## بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أفضل الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

أخي محافظ محافظة الخليل كامل حميد.

الأخ المهندس عدنان سمارة رئيس مجلس أمناء جامعة القدس المفتوحة.

الصديق أ. د. يونس عمرو رئيس الجامعة.

السيد علاء حجازي ممثل الاتصالات.

أ. د. حسن السلواوي رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر.

يسعدني يا أصحاب العطفة والمعالي وقبل ذاك يا أهلي في الخليل أن أكون بينكم اليوم في هذا المؤتمر، لأحبي من خالكم أيضاً أهلنا في قطاع غزة، هذا القطاع الحبيب الذي بدأت البوادر والإشارات الإيجابية تصل لنهني حبة سوداء في تاريخنا، وهو الانقسام والانفصال، هذا المؤتمر اليوم الذي تحتضنه مدينة الخليل جاءتنا دعوة من الأخ السيد رئيس الجامعة إلى الأخ الرئيس أبو مازن، والذي ما إن أطلع على فحواها حتى كلفني وشرفني أن أحضر شخصياً إلى هذا المؤتمر، وإنني أنقل إليكم تحياته وتقديره واحترامه سواء لهذه المحافظة أو جامعة القدس المفتوحة، هذا الرجل الذي يصل الليل بالنهار، ويجوب العالم من أجل الدفاع عن أقدس قضية، لينهي آخر احتلال في العالم.

وبهذه المناسبة - ليس فقط كعضو في مجلس الأمناء بل كرئاسة - أتوجه بالشكر لهذه الجامعة التي تطل علينا في كل شهر وفي كل أسبوع وفي كل يوم بنشاط يربط هذه الجامعة بالمجتمع المحلي، حتى ولو كان موضوع المؤتمر أو الورشة بعيداً، فكم كنت مسروراً عندما شاهدت الجامعة تعمل على تشجيع زراعة الزيتون والاستثمار بهذه الشجرة المباركة في هذه المحافظة المباركة، لأن شجرة الزيتون هي العنوان لهذا الشعب، وبالتالي هذا التواصل ما بين الجامعة وهذا المجتمع من خلال هذه المؤتمرات واللقاءات يجعلنا نتأكد بأن هذه الجامعة تصل إلى كل بيت، ليس فقط من خلال الدارسين بل من خلال النشاطات اللامنهجية والمؤتمرات واللقاءات، وهذا هو الدور الذي نريده من جامعتنا بالإضافة إلى ما عرج إليه الزملاء، ليس كثيراً أن موازنة البحث العلمي تكون ٧٠٠٠٠٠٠ دينار، لأن العالم اليوم يتجه نحو التكنولوجيا، والبحث العلمي أصبح معياراً أساسياً لقياس التقدم في المجتمع، ولكن أن ترفع ميزانية البحث العلمي من ٣٠٠٠٠٠٠ - ٧٠٠٠٠٠٠ هذه هو بيت القصيد، فهذا مؤشراً على سلامة المنهج الذي تنتهجه هذه الجامعة الفتية، ودليل ساطع على اهتمامها بالبحث العلمي الذي يشكل مفصلاً رئيساً ومرتكزاً مهماً من المرتكزات التي تستند إليها

مؤسسات التعليم العالي. وإنني لأمل من زملائي في مجلس الأمناء أن يقدموا مزيداً من الدعم لهذا الجانب الحيوي، بالمزيد لأن البحث العلمي هو الأساس وهذا هو الدور الذي يجب أن تضطلع به جامعة القدس المفتوحة لأن كثيراً من الناس، وكثيراً من الفلسطينيين يفكرون بأن هذه الجامعة جامعة انتساب، بل إن كثيراً من المسؤولين لا يدركون أهمية هذه الجامعة ودورها في البحث العلمي ودورها في الدراسات العليا التي نحن نصر من هنا بأننا سنطبقها بإذن الله في القريب العاجل.

أيضا يسعدني أن هذا المؤتمر يعقد وأهميته تأتي من شقين الأول: أنه يعقد في الخليل، والثاني أنه يعالج موضوع التراث والثقافة والحضارة التي نقول للعالم من خلالها إننا أصحاب حق، ولنا تراث وجذور على هذه الأرض، وأن ما يدعونه ليس لهم، رغم كل ما يملكونه من قوة، وما يقومون به من تدمير لآثارها ومعالمها خلال الحفريات التي يقومون بها في القدس الشريف.

أما نحن فعلى هذه الأرض لنا جذور، ولنا تاريخ، وهذه النقطة التي وقف العالم فيها معنا مشكوراً عندما قبلت فلسطين عضواً في اليونسكو، وحين حصلنا على أصوات ١٠٧ دول، فهذا رقم ممتاز، وحين حصلنا على موافقة اثنتي عشرة دولة أوروبية، ولم يعارض طلبنا سوى ثلاث دول، مع امتناع (١٢) دولة عن التصويت. فهذا كله لم يكن ليأتي لولا الدبلوماسية الواضحة والدبلوماسية الهادئة لهذا الرجل الذي يقودنا، ويقود السفينة بكل ثقة، وبكل وضوح، وعنده من الرؤيا الواضحة، ويعرف إلى أين هو يسير.

وعلى هذا الأساس عندما ذهبنا إلى الأمم المتحدة، وعندما ذهبنا إلى مجلس الأمن لنيل العضوية الكاملة، لم نذهب ترفاً فكرياً ولا لعبة سياسية، بل ذهبنا بعد أن سدّت أمامنا كل المفاوضات بأشكالها كافة، ونحن ذهبنا لنقول للعالم ماذا علينا أن نعمل؟ وماذا علينا أن نفعل؟ لننهي آخر احتلال موجود في العالم، وقد لا نوفق هذه المرة، ولكن بتماسكنا وبوحدتنا التي بدأت تظهر وتلوح في الأفق، وخاصة في الاجتماع الأخير في القاهرة من أن المصالحة قريبة جداً بإذن الله. لننهي هذه الحقبة السوداء ولنذهب سوية إلى العالم، إما إلى الأمم المتحدة، وإما إلى المقاومة السلمية صفاً واحداً لا صفين، هذه هي رسالتنا، وهذا هو المطلوب منا في الوقت الحاضر، أن نلتف حول قيادتنا، وأن نكون صفاً واحداً، وأن نذهب يداً واحدة، من أجل نيل حقوقنا، وإقامة دولتنا وعاصمتها القدس الشريف.

في الوقت الحاضر نحن نتوجه إلى بناء المزيد من الأمن والأمان والاستقرار، وإن كان هذا من متطلبات خارطة الطريق والتزاماً علينا، فإننا عندما فرضنا الأمن والأمان والاستقرار، فرضناه كمتطلب لشعبنا، لم نكن لنجلس في هذا المكان، ولم نستطع أن نلتقي

ونتجمع من كل المحافظات لولا ما حققنا من أمن وأمان في السنوات الماضية، وهذا سينعكس على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والصحية والتعليمية والنفسية.

لا نقول هذا من باب الالتزام، بل هذا متطلب أساس لمجتمعنا الفلسطيني.

أيضا، نحن مستمرين في بناء القضاء والأنظمة والقوانين، وقد تلاحظون أن هناك الآن رزمة من القوانين والأنظمة الاقتصادية والمالية التي قد لا يتشجع لها كثير من رجال الأعمال والمال، ولكنها على المدى الطويل هي التي ستبني الاقتصاد الفلسطيني، وستجعل من الاقتصاد الفلسطيني مستقلاً عن الاقتصاد والتبعية الاقتصادية الإسرائيلية، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم، لا، صحيح أن أوضاعنا الاقتصادية صعبة، ومتى كانت أوضاعنا غير صعبة سياسياً واقتصادياً، الآن التوجه نحو الاستقرار الاقتصادي والمؤسساتي أيضاً، وإلى الاستثمار في العنصر البشري، والجامعات الفلسطينية والمعاهد والدوائر الحكومية، الآن تعمل بكل طاقتها من أجل رفع كفاءة الفرد الفلسطيني في أدائه، لأن هذا العنصر هو العنصر الأساس الذي نملكه، وهذا المصدر الوحيد من أجل بناء اقتصادنا ودولتنا، وكما سنحت لي الفرصة بعد أن غادرت الخليل أن أكون رئيساً لديوان الموظفين، وضعنا رؤية تقوم على كيفية الاستثمار في العنصر البشري، وليس فقط كيف ندير العنصر البشري. والآن زملائي في ديوان الموظفين يطبقون هذه الرؤية، لأننا إذا أحسنا في هذا المجال، وخاصة في ظل ندرة الموارد الاقتصادية، فنكون قد سدنا ثغرة موجودة لدينا.

هذه هي المعطيات التي تعمل عليها قيادتكم الفلسطينية المنتخبة، سواء في المجال الاقتصادي، أم السياسي، أم الاجتماعي، أم التعليمي، أم الصحي، من أجل أن نقول عندما نذهب لنطالب بعضوية كاملة في مجلس الأمن أو الأمم المتحدة أو لأي جهة، بأننا جاهزون للدولة ومقومات الدولة موجودة لدينا، وبالتالي ما على الشرعية الدولية إلا أن تقدم لنا فقط الاعتراف والقبول بهذه العضوية، وكثير من الدول المانحة نقول لهم بأننا سنكفيكم همنا إذا حصلنا على الاستقلال، ولن نكون عالية على أي اقتصاد عالمي آخر لأن عندنا من المقومات البشرية والسياحية وبعض المصادر الطبيعية الأخرى، وهي كفيلة بأن تبني اقتصاداً قادراً على الحياة وتقديم الخدمات لمواطنينا، هذا هو ما نصبو إليه وهي ليست أماني، بل إن الكأس مليء أكثر من نصفه وهناك كثير من الحقائق التي وضعناها على هذه الأرض، وكثير من الحقائق الأمنية والمؤسساتية والاقتصادية التي وضعت في السنوات الأربع أو الخمس الماضية وما زلنا نبني عليها، هذه هي الدولة، وهذا هو المطلوب، وفي الختام أشكر جامعة القدس المفتوحة وأتمنى لمؤتمركم هذا أن يحقق كل غاياته ومرة ثانية تحيات السيد الرئيس أبو مازن لكم جميعاً.

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

# كلمة رئيس جامعة القدس المفتوحة

أ.د. يونس عمرو



## بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد الأمين  
وعلى آله وصحبه أجمعين.

معالي الصديق الكريم الدكتور حسين الأعرج ممثل فخامة الرئيس أبو مازن حفظه الله.

الأخ والصديق الكريم المهندس عدنان سمارة رئيس مجلس أمناء الجامعة.

الأخ والصديق كامل حميد محافظ محافظة الخليل.

الأخ علاء حجازي ممثل شبكة جوال راعي الحفل.

الأخ والصديق أ. د. حسن السلوادي / عميد البحث العلمي والدراسات العليا رئيس  
اللجنة التحضيرية للمؤتمر.

الأخوة الحضور جميعاً أصدقاء أعزاء كل منكم باسمه ولقبه حياكم الله.

الأخوة نواب الرئيس،

الأخوة مديري المناطق،

الأخوة مديري الدوائر، مديري البرامج،

الأخوة الأكاديميين في الجامعة،

الأخوة الطلبة ممثلين بمجالسهم وعلى رأسهم الأخ زياد الوادي رئيس مجلس  
الطلبة القطري.

الأخوة في قطاع غزة في قطاعات الجامعة المختلفة وعلى رأسهم الأخ الدكتور جهاد  
البطش أعانه الله.

أرحب بكم جميعاً في هذا الصباح الجميل، ونحن في رحاب مدينة خليل الرحمن مدينة  
جد الأنبياء، مدينة إبراهيم الخليل، نفتتح هذا المؤتمر الثالث للتراث الشعبي الفلسطيني/  
هوية وانتماء، هذا الذي دأبت عليه جامعة القدس المفتوحة التي ننتهز مناسبة تأسيسها  
باستنزال الرحمة على من أسسوها، ممن قضاوا وممن ينتظرون من قيادتنا الفلسطينية

وعلى رأسهم الشهيد الخالد ياسر عرفات، فاستذكر اليوم كل من أسهم بجهد في تأسيس هذه الجامعة التي فضلاً عن أنها تنقل العلم إلى كل بيت فلسطيني متحدية إجراءات الاحتلال الإسرائيلي في إغلاق الجامعات، واعتقال الأساتذة، وإصدار القوانين التي تمنعهم من تأدية رسالتهم، ومن منع الطلبة واعتقالهم، فإنها تمارس مسؤولياتها المجتمعية في خدمة المجتمع الفلسطيني والدفاع عن قضاياه وترسيخ مقومات صموده وتشبته بهويته وانتمائه الوطني.

كان هدف جامعة القدس المفتوحة بالدرجة الأولى إبراز الشخصية الفلسطينية، وتكريس الثقافة الوطنية في شعبنا الفلسطيني التي هو ليس بحاجة لتكريسها، بل هو يفهمها ويحملها في قلبه وعلى كاهله.

أما التراث فتأتي أهميته بالدرجة الأولى من شقين، الشق الأول يتمثل باعتداءات اليهود عامة وإسرائيل خاصة والمستوطنين بشكل أخص من الخصوص على كل ما هو فلسطيني إما بادعائه وإما بتسفيبه ومسخه بدءاً بالاسم فلسطين وانتهاءً بقرص الفلافل، وذلك يسير ضمن منهج مخطط يقوم عليه خبراء التراث وخبراء في الثقافة من أهل الأدب العبري، وذلك بادعاء كل ما هو لنا وكل ما هو على هذه الأرض بأنه لهم، أو نزع الأصالة عن هذا أو ذاك مما يستحيل عليهم ادعاؤه.

وأما الشق الآخر فهو شعبنا الفلسطيني، فقد نشأ جيل جديد، هذا الجيل يحفظ اسم فلسطين ويؤمن به إيماناً مطلقاً بعد الله، ويناضل من أجل تحرير فلسطين ومن أجل ثوابت الشعب الفلسطيني، نضالاً لا هوادة فيه، حاملاً روحه على كفه، ماضياً في سبيل النضال حتى النهاية فإما نصر وإما شهادة، هذا الجيل الذي نحترمه ونكبره ونجلّه استشهد منه، ومن يقبع في غياهب السجون، ومن يعاني من إعاقات من جراء ظلم الاحتلال وقهره وممارساته. هذا الجيل - لانشغاله بفلسطين وبنضال فلسطين - لم يقف بعد على جذور ثقافته وتراثه الفلسطيني، وإن كان يعلم شيئاً، فهو يعلم ممن تبقى من الجيل القديم الذي ربما - نظراً لتطور الحياة ومظاهرها في عصرنا الحاضر - نسي أو تناسى تلك المظاهر فمات كثيرون من الجيل السابق، وقد نسوا كثيراً من أدواتنا ولغتنا ومن تراثنا ومن مظاهر ثقافتنا الحضارية.



نهدف في هذا الشق إلى تذكير أولئك الذين نسوا، وإلى تثقيف الجيل الجديد لندعم عودة أهله ولاجئيه في أن يكون مدعماً بسلاح، ويحمل شهادة وجود، فالأرض تعرفنا، ونحن نعرفها، بل إن الأرض تقاتل مع أصحابها، فكل منا يحمل هذه اللغة في قلبه وعقله فيعبر ويستنطق كل موجود على هذه الأرض فيستجيب له ويحاوره ويناقشه.

لذلك دأبت هذه الجامعة على عقد هذه المؤتمرات وتشجيع البحث العلمي، وهنا لا يفوتني أن أسجل شكراً خاصاً لمجلس أمناء الجامعة وعلى رأسه الأخ المهندس عدنان سماره عندما أصرّوا على أن يرفعوا موازنة البحث العلمي في جامعة القدس المفتوحة من ٣٠٠٠٠٠ - ٧٠٠٠٠٠٠ دينار، ذلك لإدراك هذا المجلس رئيساً وأعضاء أن البحث العلمي مهم، وفي رأس مهمات وجود الجامعة ورسالتها.

لا أريد التطرق في هذه العجالة إلى ما يعانیه شعبنا المناضل من هذا الاحتلال الغاشم وما يتعرض له من انتهاكات، لأن لي محاضرة علمية خاصة بعد الافتتاح ستفاجأون من اعتداء إسرائيل بمستوطنيتها وصهيونيتها على تراثنا، ستفاجأون - حقيقة - بما هو أخطر من القتل والهدم والتهجير سأحدثكم عن ممارسات لهم أخطر بكثير مما يمارسونه ضد شعبنا، فهم يمارسون ضد تراثنا ما هو أخطر.

**أرحب بكم وإلى الأمام.. والسلام عليكم.**

كلمة  
مجموعة الاتصالات الفلسطينية  
الممول الحصري للمؤتمر

أ. علاء حجازي



مجموعة الاتصالات الفلسطينية  
معكم

## بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة أ.د. يونس عمرو المحترم رئيس جامعة القدس المفتوحة.

السادة الحضور مع حفظ الألقاب والمسميات.

أسعد الله صباحكم جميعاً بكل خير،،،

يشكل الفن والتراث الشعبي الركائز الأساسية للثقافة وعماده الرئيسي في المجتمعات، وفي العناصر الرئيسية التي تساهم في اعتزاز الشعوب بنفسها ودفعها للرقى والتحضر، ولذلك تعمل المجتمعات على الحفاظ على ثقافتها من الاندثار، لأنها تعبر عن هوية هذه الشعوب.

ولا بد من التأكيد على أهمية الحفاظ على التراث والفن الفلسطيني، وذلك لأهمية هذا الموضوع وما تتعرض له ثقافتنا وتراثنا من تحريف ومصادرة من قبل الاحتلال الإسرائيلي وبخاصة في محافظة الخليل.

حيث تعدّ الخليل من المدن العربية الإسلامية القليلة التي حافظت على نسيجها العمراني التاريخي، والتي ما زالت لمسات الماضي بكل جمالها ماثلة في كل ركن من أركانها، وتعدّ مصدراً مهماً لدراسة التاريخ الحضاري الفلسطيني بشكل خاص، والحضارة الإسلامية بشكل عام.

كما يجب على الجميع تكثيف العمل على حماية المعالم التراثية الفلسطينية، والحفاظ عليها وبخاصة مع اقتراب ضم البلدة القديمة في مدينة الخليل لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) لوضعها على قائمة مواقع التراث الثقافي العالمي.

وذلك للوقوف في وجهة سياسة الاحتلال الإسرائيلي وسعيه لنسبة الثقافة والفن والتراث الفلسطيني لنفسه، ليكون عنصراً أساسياً في الدفاع عن حقه في الوجود على الأراضي الفلسطينية، على أنها مجتمعه القديم، وله حق الوجود فيه.

وإننا نوّكد على أهمية تنظيم مثل هذه المؤتمرات المهمة على الساحة الفلسطينية، وذلك لتعريف العالم بثقافتنا الفلسطينية، وأهميتها في الدفاع عن الحق الفلسطيني في الوجود؛ لأن نسبة عالية وما زالوا يفتقرون لمعرفة أبعاد هذه الثقافة وأهميتها في بلورة هويتنا الوطنية التي يشكل التراث ركناً أساسياً من مقوماتها.

وهنا أجد لزاماً علينا التنويه والإشادة بدور جامعة القدس المفتوحة وعلى رأسها الأستاذ الدكتور يونس عمرو، والتي تساهم في الحفاظ على التراث والفن الفلسطيني، وذلك لتبنيها لمثل هذه المؤتمرات، ودورها في الحفاظ على الفن والتراث، وتنمية حسن الانتماء لدى أبنائنا.

وفي الختام لا يسعدنا إلا أن نتقدم بالشكر للدكتور حسين الأعرج ممثل سيادة الرئيس محمود عباس وإدارة الجامعة والقائمين على إعداد هذا المؤتمر وتنظيمه.

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**



# كلمة رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر

أ.د. حسن عبد الرحمن سلوادي



## بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الأخ الدكتور حسين الأعرج ممثل سيادة الرئيس محمود عباس أبو مازن  
حفظهما الله

سعادة الأستاذ الدكتور يونس عمرو رئيس الجامعة حفظه الله

الأخ الأستاذ علاء حجازي ممثل شركة جوال المحترم

الأخ الدكتور نعمان عمرو مدير منطقة الخليل التعليمية المحترم

الأخوة الحضور مع حفظ الألقاب والمسميات

فيطيب لي بالأصالة عن نفسي، وبالنيابة عن زملائي أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وباسم جامعتكم، جامعة الوطن والمواطن التي جعلت من خدمة مجتمعها الفلسطيني هدفاً وغاية لرسالتها وفلسفة وجودها، وتحقق لها بفضل إدارتها الرشيدة الواعية، وعلى رأسها الأستاذ الدكتور يونس عمرو فضل الريادة في الحفاظ على ثقافتنا الموروثة الأصيلة، وإخراجها من دائرة التحنيط والتهميش، وزيادة توهجها على الخريطة الثقافية العالمية رغم كل محاولات الطمس والتشويه والإلغاء التي تتعرض لها على أيدي الغزاة المغتصبين.

باسم من ذكرت جمعياً أرحب بكم أجمل ترحيب، وأثمن حضوركم ومشاركتم لنا في مؤتمرنا التراثي الثالث الذي إن دلَّ على شيء فعلى حرصكم واهتمامكم بتراثنا الشعبي: عنوان هويتنا، ورمز وجودنا ووحدتنا في أرضنا الطيبة المباركة، وقد خصص هذا المؤتمر لبحث التراث الشعبي في محافظة الخليل، وسبق أن خصصنا المؤتمر الثاني لبحث أنماط التراث في القدس الشريف والمخاطر التي تهدده وسبل الحفاظ عليه. ويندرج هذا كله ضمن سعي الجامعة لإصدار موسوعة تراثية متكاملة أنجز منها بفضل الله وبدعم مشكور من إدارة الجامعة ثلاثة مجلدات، وسنمضي بعون الله لكشف معالم تراثنا الشعبي في أرجاء الوطن الفلسطيني، ولا سيما في القرى المدمرة التي دمَّرها الاحتلال، كيما تبقى حية نابضة في ذاكرة الأبناء والأحفاد جيلاً بعد جيل.

## أيها الحضور الكرام:

وها نحن اليوم نلتقي في ربوع محافظة الخليل، المدينة التي تلي القدس الشريف مكانةً وقداًسة، لنستجلي تراثها الأصيل المتجذّر في تربة هذا الوطن منذ فجر التاريخ...  
أجل أيها الأخوة الأعزاء.

هنا.. نلتقي في ربوع الخليل  
في حضرة التاريخ والمجد الأثيل  
نستنطق الأجداد والأحفاد والجذات والحارات  
عن سفر من الأمجاد والصبر الجميل  
سفر توشى بالنضارة والقداسة  
في دروب مسيرة تمتد نحو الشمس  
جيلاً بعد جيل  
فيها حكايات وأحلام ونبض عروبة  
تسري دماها في عروق مدينة  
نقشت على الأجواء والأنواء  
والجدران والغدران  
نغمًا توحد في المكان  
أملاً يعانقه الزمان  
روحاً من الإصرار تأبى المستحيل  
هذي العراقة.. كيف يطويها  
وكيف يمحوها زنيماً أو دخيل

## أجل أيها الأحياء:

إن تاريخ هذه المحافظة وتراثها الوضيء المتألق عبر آلاف السنين لن يمحوه غاز أو دخيل، ولن تطوي صفحاته الناصعة عنصريةً مقيتةً لا ترى في المرأة غير ذاتها المشروخة بالوهم والأراجيف والأساطير والادعاءات الزائفة؛ لأن شواهد هذا التراث الأصيل حيّة نابضة ينطق بها الشجر والحجر والدار والمقام والمزار، وتشدو بها روابي الخليل مدينة الشموخ والإبء، المدينة التي نسكن فيها وتسكن فينا أبد الدهر، رغم كل محاولات الطمس والإلغاء والتشويه.



نلتقي اليوم في أحضان هذه المدينة الصابرة المرابطة، (مدينة المواليد والحلم والرؤى والمعابد) لنعيش مع تراثها التليد، ونعايشه ونستلهمه روحاً دافعة لتأكيد حاضرننا، وبناء مستقبلنا على الأوجه الأجل والأجود والأبدع، ونتمثله في حياتنا نهجاً وسلوكاً، بل زاداً نتزود به في مسيرة نضالنا وصمودنا وتضحياتنا لتحقيق أهدافنا، وانتزاع حريتنا المسلوقة من مخالب الغزاة العابرين عبور من سَبَقَهُمْ من الدخلاء المغتصبين الذين غابوا، بل غُيِّبوا عن مشهدها الفلسطيني مرغمين، لم يَخْلَفُوا وراءهم غير العار والخيبة والفشل، الذي هو مآل كل معتدٍ أثيم، ومصير كل مغتصب ذميم.

### الأخوة والأخوات الأعزاء:

أستميحكم العذر إن أطلت عليكم، ولا يسعني في ختام كلمتي إلى أن أتوجه بالشكر والتقدير والثناء لكل من أسهم في إنجاح هذا المؤتمر، وبذل جهد المستطيع في الإعداد والتحضير والمتابعة، وأخص بالذكر إدارة الجامعة، وعلى رأسها الأستاذ الدكتور يونس عمرو الذي واكب فكرة المؤتمر منذ بدايته، وكذلك أشكر الأخوة في فرع الخليل إدارة وعاملين وطلبة، على حسن استقبالهم وجهودهم لإنجاح هذا المؤتمر، كما أتوجه بالشكر إلى الأخوة في قطاع غزة الحبيب على تواصلهم معنا وحرصهم على متابعة أعمال هذا المؤتمر، ولا يفوتني أن أشكر كذلك الأخوة الباحثين الذين قدموا عصارة أفكارهم وخلاصة تجاربهم، آملاً أن يكون لأبحاثهم صدى إيجابي يسهم في تحقيق الأهداف المرجوة للمؤتمر. وأثمن باسمكم جميعاً الدعم الذي قدمته شركة جوال التي نذرت نفسها لخدمة مجتمعنا الفلسطيني وتنميته ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً، وجعلت من صلب رسالتها التواصل مع قطاعات هذا المجتمع والتفاعل معها ومساعدتها على تحقيق أهدافها وطموحاتها.

### أيها الحفل الكريم:

أشكركم مرة أخرى على حضوركم، وآمل أن يظل التواصل معقوداً فيما بيننا، داعياً الله أن يوفقنا ويسد خطانا على درب الحرية والكرامة والاستقلال.

ولنجسد معاً شعار هذا المؤتمر وعنوانه: تراث عريق لدولة قادمة بعون الله ورعايته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

**كلمة**

**مدير فرع الخليل / جامعة القدس المفتوحة**

**د. نعمان عمرو**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقائد الغر المحيامين،  
محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد:

السيد الأستاذ الدكتور يونس عمرو، رئيس جامعة القدس المفتوحة  
حفظه الله ورعاه،،،،

اسمحو لي، شخصكم الكريم مُتَفَضِّلاً، أصالةً عن نفسي، وإنابةً عنكم  
رئيس الجامعة، وعن أسرة جامعة القدس المفتوحة في هذا الوطن الفسيح، وعن زملائي  
في فرع الخليل، أن أرحب بالضيوف الكرام الذين حلوا علينا في مدينة الخليل في هذا اليوم  
الأغرّ لحضور فعاليات مؤتمر: (التراث الشعبي الفلسطيني الثالث في محافظة الخليل -  
هوية وانتماء).

اسمحو لي أن أرحب بالأخ الكريم، الدكتور حسين الأعرج، رئيس ديوان الرئاسة  
الفلسطينية، ممثلاً عن فخامة الرئيس محمود عباس، رئيس دولة فلسطين،،،،

اسمحو لي أن أرحب بالسيد الأستاذ كامل حميد، محافظ محافظة الخليل،،،،

وبالأخوة في مجموعة الاتصالات الفلسطينية (جوال) راعي هذا المؤتمر،،،، وممثلها  
أ.علاء حجازي.

كما يسعدني أن أرحب بالأخوة الأكارم، أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر، الذي  
نتحدث اليوم في مهرجان افتتاحه، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور حسن السلواي، عميد  
البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة القدس المفتوحة.

كما أرحب -متشرفاً- بالأخوة رؤساء الجامعات الفلسطينية، ومندوبيها، جامعة  
الخليل، وجامعة بوليتكنك فلسطين،،،، وكذا بالأخوة نواب رئيس جامعة القدس المفتوحة،  
وعمداء الكليات، ومديري الفروع والمراكز الدراسية، وممثلي المؤسسات المختلفة، مع حفظ  
الأسماء والألقاب والمقامات، أهلاً وسهلاً بكم ضيوف شرف على جامعة القدس المفتوحة،،،،  
في مؤتمرها العلمي هذا.

كلّ الترحيب بالأخوة الباحثين، شاكرين لهم جهدهم الطيب، الذي به سيسهمون في  
إنجاح هذا المؤتمر،،،، في جلساته العلمية،،،،

## الحفل الكريم:

لقد دأبت جامعة القدس المفتوحة، ومنذ تأسيسها، على أن تولي قضايا المجتمع المختلفة عناية خاصة، فهي تتلمس تلك القضايا، وتسهم باذلة أقصى طاقتها في وضع الحلول لها، من خلال عقد المؤتمرات، والندوات، وورش العمل، والمهرجانات واحتضانها، لتكون دائماً في قلب المجتمع، تعيش معه، وتحيا واقعه، وتضع كل ما تملك من إمكانات تحت تصرفه، إيماناً منها بأن للجامعة الدور الأبرز في النهوض بالمجتمع والارتقاء به.

## الحفل الكريم:

إن الأمة المتقدمة تعيش أبداً مع الماضي، والحاضر، والمستقبل، مُدركة أن من لا ماضي له، لا حاضر له ولا مستقبل، وسيعيش مُنبتاً في أرض الحياة. وعناصر الماضي ستظل نبراس القيم، بكل ألوانها، وأطيافها، الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية،،،

## الحفل الكريم:

إن التراث الراقي يعكس بالضرورة ثقافة الشعوب، وهو مرآة حقيقية لأصالتها عبر الأزمنة الغابرة، لذا كان لزاماً علينا، الاعتزاز والانبهار بكل ما يُنتجه العقل البشري من قيم راقية متراكمة، لتظل الأساس للمنطلق، والقاعدة لمسيرة الحياة المعطاءة.

## الحفل الكريم:

لقد ظل فرع الخليل التعليمي في غاية الانسجام مع رسالة الجامعة الأم، في كل المجالات، ومما يؤكد ذلك، ما كان لهذه المنطقة من بصمات جليلة، وإسهامات واضحة، في بلورة مرافق هذا المؤتمر، من بدايته الميمونة، إلى نهايته المشرفة بإذن الله.

## الحفل الكريم:

كلنا أمل أن نخلص بهذا المؤتمر إلى مخرجات علمية وثقافية، تسهم في دعم التراث الشعبي في محافظة الخليل خاصة، لنسلك به الطريق إلى تراث فلسطيني شعبي عريق، يحمل حصانة خلاقة أمام تيارات الهدم، ومعاول التهديد والتهويد، ليبقى التراث فعلاً، (هوية وانتماء).

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**



# الجلسة الافتتاحية

محاضرة

الأستاذ الدكتور / يونس عمرو  
رئيس الجامعة

الجزور التاريخية للتراث الشعبي  
في الخليل

## الجذور التاريخية للتراث الشعبي في الخليل

أ.د. يونس عمرو

لا أنسى في بداية كلمتي أبداً أن أشيد بالمرأة الفلسطينية عامة، والمرأة الخليلية خاصة، لإسهامها البارز في الحفاظ على تراثنا وعاداتنا وتقاليدينا، ولا أنسى ما حييت (الدُّراعه)<sup>(١)</sup> و(اليمنية)<sup>(٢)</sup> عند أمي، ولا أنسى الثوب الفلاحي الذي يعدُّ من صميم تراثنا المعتدى عليه.

إن من أهم مظاهر تراثنا الوطني التطريز الفلاحي الذي يشكل سمة بارزة من سمات الثوب الفلسطيني بأنماطه وتشكيلاته المختلفة، والذي لبسته أمهاتنا وجداتنا، والذي يُستهدف اليوم بشكل مباشر، واعتداء سافر من قبل الإسرائيليين، فأهلاً بكن سيداتي وأخواتي النساء الخليليات خاصة، والنساء الفلسطينيات عامة.

وإذا كنا في صدد الحديث عن تراثنا الشعبي وعراقته مكاناً وزماناً، فإن المسألة برمتها مسألة صراع، وهذا الصراع حضاري بمعنى الكلمة بيننا وبين هؤلاء القوم، فهم يزعمون، دون أن يكون لهم أي سند تاريخي أو شاهد أثري، أن لهم جذوراً وحضوراً متواصلاً منذ الآف السنين، ولكي يثبتوا هذه المقولة المطعون في صحتها، فإن علماءهم ومن يشايعهم ويمالؤهم من الغربيين، سعوا جاهدين إلى تزوير تاريخ هذه المنطقة وثقافتها، وقد بدأ هذا التزوير -في الواقع- في اللغة العبرية، فهذه اللغة ما هي إلا لهجة أرض كنعان الفلسطينية القديمة، وأخذها اليهود من خلال رحلة موسى عليه السلام حينما خرج من أرض مصر لاجئاً إلى أرض كنعان عند (يثرور)<sup>(٣)</sup>، حيث كان يقيم في منطقة أدوم في جنوب فلسطين، هذا الرجل الذي عاش في القصر الفرعوني لم يكن يعرف اللغة الكنعانية التي واكبت أبناء يعقوب في مصر كلغة دينية، وتعلم الهيروغليفية.

وعندما جاء موسى عليه السلام إلى بلادنا هارباً من مصر بعد قتله المصري، ومكوته عشر سنين في أرض كنعان أدى ذلك إلى نسيانه اللغة الهيروغليفية المصرية، وإتقانه اللغة الكنعانية التي تمثّلها بشكل كامل، ثم عاد إلى مصر وكلف بالرسالة، وقد خاطبه الله باللغة التي يتقنها وهي اللغة الكنعانية، وبعدها حمل الرسالة وبشر بها وكلف بها، عزم على الذهاب إلى فرعون الذي ادعى الألوهية ليقول له: أنت لست إلهاً بل إنك عبد، والإله شيء آخر وعنصر آخر، وهذا أمر جلل يحتاج إلى من يتقن اللغة، ويستطيع أن يتحكم في مداركها ومشاربها ليعبّر لهذا الإله المزعوم بهذه التعابير العظيمة، ساعتها طلب وزيراً مترجماً،

فطلب هارون أخاه ليكون وزيراً مساعداً يترجم أقواله إلى الهيروغلويفية، ليقول للمصريين ما يريد قوله باللغة الكنعانية التي تعلمها وتمكن منها، وهنا دخلت اللغة الكنعانية القديمة التي عرفت بالعبرية اليوم لتصبح اللغة المقدسة عند اليهود، وكل ما يدعونه بأنها لغتهم، وأنها لغة الله، وأنها لغة السماء، وأنها لغة الآخرة فهو محض افتراء تماماً، وتعجبني فتوى شرعية من الإمام ابن حزم في تفسير قوله تعالى: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات: ١٣) حينما يقول الله سبحانه وتعالى إنه جعل الأمم متفرقة لأصولها وألسنتها لكي تتعارف، فهذا يعني أن اللغات مقدسة عند أهلها والناطقين بها، وليس عند الله سبحانه، والله له لغته والسماء لها لغتها، والله تعالى أعلى وأعلم.

من هنا نعلم أن القداسة ليست حكراً على لغة بعينها، وأنه لا فضل للغة على أخرى، ولكن اليهود زعموا غير ذلك، فهم يقولون إن اللغة العبرية هي لغتهم وليست لغة أحد، وقد ثبت في الدراسات والبحوث أن اللغة العبرية هي لغة كنعان أرض فلسطين التي تخاطب بها أجدادنا الكنعانيون الفلسطينيون، وتعلمها موسى عليه السلام منهم من خلال ترده عليهم وإقامته بينهم، ثم عودته بعد ذلك إلى مصر، وأن هارون لم يكن أخاً شقيقاً لموسى، بل كان مساعداً، وكلمة أخي لا تدل على الشقيق أصلاً، وإنما تدل على المساعد، أو على القريب المستنجد به.

أريد هنا أن أتطرق قليلاً إلى مدلول كلمة أخ فكلمة أخ في اللغات السامية عامة ذات أصلين: الأول مكون من الهمزة والكاف الرخوة وهي (خ)، وهي صوت زجر للجمل عندما نقول له إخ لكي يبرخ، والخاء هنا هي الكاف الرخوة في علم الصوتيات (الفونيتيكس) العربي، والكلمة عن الكاف وليس عن ح، أما الأصل الثاني أو الصوت الثاني فينقلب عن ح التي هي أخ، وأصلها أح وهو صوت التوجع وطلب المساعدة، فحينما يستنجد الشخص حال تعرضه لألم ما، يقول: أح أو أخ فينجده من هو أقرب إليه. ولما كان الشقيق من أقرب الناس إلى الإنسان، أطلقت مجازاً على الأخ الشقيق. فحينما قال موسى: هارون أخي، إنما أراد أن يقول: هارون مساعدي، ولم يقصد أخاه الشقيق، لأنه لو كان شقيقاً لذبح من قبل فرعون حسب القاصين والمفسرين.

إذاً اللغة العبرية اليوم هي اللغة الكنعانية أصلاً، وجذورها ماثلة وموجودة في لهجتنا الفلسطينية الدارجة حتى أيامنا هذه، فهناك كلمات تستخدم في لهجتنا الفلسطينية، كلمات تستغربون أنها توجد في اللغة العبرية، فالفلاح الفلسطيني حين يقلع الشوك من حقول القمح يقول: (القوص)، القوص هو الشوك، وبالعبرية كلمة شوك معناها (قوتس) بالصاد العبرية، وكلمة العتود التي تعني في لهجتنا الدارجة تيس الغنم، هي بالعبرية عتود، وهناك أمثلة كثيرة جداً من الألفاظ التي ترجع جذورها إلى لغة أجدادنا الكنعانيين التي



أعتدي عليها، ونسبت إليهم فصارت اللغة العبرية حسب ادعائهم موقوفة عليهم، بينما هي في الواقع لغتنا نحن وليست لغتهم، وجاءت إليهم من هذا الطريق، ألا وهو دعوة موسى عليه السلام وتكليفه بالرسالة.

وهناك شاهد آخر يتعلق باسم كنعان نفسه فقد جاء في التوراة أن كنعان واحد من أبناء حام، وقسمت التوراة أبناء آدم أو سلالات آدم إلى ثلاث: سام وحام ويافث، وأبناء يافث هم من سكنوا آسيا، أما سام الذي ننتمي إليه كما ينتمون إليه، فقد حاولوا احتكاره وقصره عليهم، واستغلوا من أجل ذلك اللغة، واستغلوا شعار معاداة السامية أسوأ ما يكون الاستغلال، وجلدوا الناس بها وجيروا المسألة برمتها لصالحهم، لكتم أي صوت يجهر بإظهار سوءاتهم وعيوبهم وجرائمهم المتواصلة منذ بداية احتلالهم لأرضنا الفلسطينية، ولذلك حاولت التوراة أن تجرد كنعان من نسبه السامي، فقالت: (إنه من أبناء حام)، وأبناء حام كما هو معروف هم المصريون والنوبيون، وسكان شمال أفريقيا، فإذا كان كنعان من أبناء حام فكيف يكون أبناؤه وأحفاده موجودين في بلاد الساميين؟! ولتسويغ هذا الخطأ حاول علماءهم وباحثوهم مثل إسرائيل ولفنستون، الذي كان قبل قيام دولة إسرائيل أستاذاً للغويات في جامعة القاهرة، وكان له بعد الإعلان عن دولتهم برنامج إذاعي بالعربية تحت اسم (أبو ذؤيب)، وجاء في تسويغه لهذا الخطأ بأن كاتب التوراة نسي فجعل كنعان من أبناء حام، بينما هو من أبناء سام، وهذا اعتراف يشكك في مصداقية شجرة الأنساب المثبتة في التوراة، كما يدحضها البحث اللغوي نفسه.

فنحن حينما نبحث في أصول اللغة نجد أن كنعان ليس اسماً لأحد أو شخص ما من سلالة أبناء نوح، ولم يكن ابناً لسام ولا لحام، إنما هو اسم لأرض، أرض فلسطين أطلق عليها أرض كنعان لماذا؟ لأن الساميين حينما جاءوا مهاجرين إلى بلاد الشام والهلال الخصيب من أرض الجزيرة، تبين أن هذه المنطقة أكثر المناطق انخفاضاً ليس في بلاد الشام فحسب، بل في العالم كله (الغور)، فسموها الأرض الكانعة أو الأرض الخانعة، بمعنى الأرض المنخفضة، وحينما نأتي لعلم الصوتيات نجد أن الخاء أيضاً هنا منقلبة عن الكاف الرخوة، وفي أصول اللغة أيضاً الأرض الكانعة هي الأرض المنخفضة، والمادة كنع وخنع تدل على الانخفاض، وحين نقول: خضع فلان يعني تسفل، وكان ضعيفاً لدرجة أنه كان مع الأرض، فكنعان إذاً ليست اسماً لشخص كما ادعوا، وللأسف فإن كثيراً من العلماء الغربيين يأخذون وينشرون ويتكلمون ويعتمدون على التوراة وأصول التوراة والعهد القديم في كتبهم ومؤلفاتهم على أنها مسلمت لا يعترها خطأ أو خلل، والواقع أن كنعان هي صيغة فعلاان التي أطلقت على أرضنا، وانتسبنا إلى هذه الأرض بهذه الصفة، فعرفنا بالكنعانيين.

أما الفينيقيون فهم فرع من الكنعانيين، ولكنهم أخذوا اسم الفينيقيين وصار علماء عليهم بعدما أطلقه عليهم الاغريق حينما اكتشفوا اللون الأرجواني فعرفهم اليونانيون به، فسموا فينيقيوس؛ نسبة إلى اللون الأرجواني، وهو اللون الذي اكتشفه الكنعانيون.

وهكذا اعتدى أولئك الغزاة على لغتنا، واعتدوا كذلك على اسمنا الذي نسبت إليه أرض آبائنا وأجدادنا، بل انهم اعتدوا على اسم فلسطين نفسه، فروّجوا على الملأ أن اسم فلسطين يرتد إلى أصول يونانية على أنه علم على قبائل يونانية هاجرت من جزيرة كريت، وسكنت القطاع الجنوبي من ساحل فلسطين على البحر الأبيض المتوسط، مما لا يقوم عليه دليل علمي سليم، ذلك لأن هذا الاسم - كما ورد في نصوص العهد القديم - بصيغة فيلشتيم بلفظ الفاء لفظاً ثقیلاً مثل نطق حرف (P) باللغة الإنجليزية، وصيغة جمع المذكر السالم هذه تعدّ امتداداً للغة الكنعانية، لغة أجدادنا الكنعانيين سكان فلسطين الأصليين، ومفرد هذا الجمع هو (فلشت) المشتق من المادة الكنعانية (فلش) التي ترتبط دلالاتها في اللغات السامية بعامة بما فيها اللغة العربية بالتراب والأرض من حيث عزقها وحرثها والتمرغ فيها، ولهذا تكون دلالة المفرد (فلشت) بمعنى فلاح، أو من يعمل في الأرض بشكل عام.

ونظراً لحروب الغزاة الإسرائيليين القدامى مع الفلسطينيين وصراعاتهم معهم في أنحاء مختلفة من أرض فلسطين، وغالبيتها في الشمال، بل على حدود المثلث الزراعي الأوسط في فلسطين نقول: إن الاسم (فلسطين) اسم كنعاني بمعنى فلاحين عُرف به الكنعانيون الزراع الذين عاشوا على الفلاحة في هذا المثلث الزراعي الذي يمتد بين بحيرة طبريا فجلب الكرمل شمالاً وأطراف صحراء النقب عند جنوب اللد والرملة جنوباً، وكان الصراع مستمراً بينهم وبين الإسرائيليين للسيطرة عليه وقتاً طويلاً من الزمن.

ونظراً لارتباط الفلاح بالأرض وارتباطها به، فقد عمم هذا الاسم ليس على الشعب فحسب، بل أطلق على الأرض، حيث أوقف عليها، وأضحى أهلها ينتسبون إليها به. فهي أرض فلسطين كجزء من أرض كنعان كما سلفت الإشارة.

وهكذا يتضح أن اسم فلسطين هو جمع مذكر سالم من الكلمة السامية القديمة (بليشت) التي توجد في سائر اللغات السامية بما فيها العبرية والكنعانية، ومعناها فلاح والجمع في اللغة الكنعانية القديمة والكنعانية اليهودية، كما اصطلحنا على تسميتها ذات مرة هو صيغة جمع المذكر السالم، (بالشتيم) فاللغة العبرية أو الكنعانية أو الكنعانية اليهودية كسائر الساميات فيها جمع مذكر سالم وفيها جمع مؤنث سالم، وجمع المذكر السالم في اللغة الكنعانية وفي العبرية هو بالياء والميم، ولكنه عندنا بالياء والنون أو بالواو والنون كما تقرره قواعد اللغة العربية.

أما جمع المؤنث السالم، فهو عندنا بالألف والتاء، وعندهم بالواو والتاء، فجمع كلمة (بات) التي تعني بالعبرية بنت هو بنوت، وعندنا (بنات)، وهذا ينطبق على اسم فلسطين أو باليشثيم الذي هو جمع كلمة بلاش بالعبرية والتي تقابلها في العربية كلمة فلس، ومنها جاءت كلمة فلسطين.

فالكلمة إذا أصولها الأولى كنعانية وليست يونانية كما يزعم المروجون. والدليل على ذلك أنها ذكرت مرات عدة في نصوص الأسفار الخمسة من التوراة باعتبارها جمع مذكر سالمًا لكلمة فلاح ( باليشث ) الكنعانية، وهذا يتسق مع نمط الحياة الذي عاشه الكنعانيون العرب في بلدهم فلسطين الذي وطنوه وعمره منذ آلاف السنين، فمعلوم أن الكنعانيين عملوا في الزراعة في المثلث الفلسطيني الأوسط الذي يمتد من طبريا إلى الكرمل في خط أفقي ينحدر برأس مثلث حتى اللد والرملة، وتمكنوا كزراع أقوياء من التصدي للهجمات العبرية ومنع اليهود من أن يصلوا إلى الساحل فبقيت دولتهم التي يدعون ويزعمون في الجبال، لم تصل إلى الساحل مطلقاً، نظراً لقوة أولئك الأجداد الفلسطينيين الذين كانوا عظماء وأقوياء، ومنهم الملك ( جالوت أو جوليات )، ونحن كمسلمين لا نكن له شيئاً من القداسة لأنه حارب نبياً من أنبياء الله هو النبي داود وفق عقيدتنا، ولكن داود عند اليهود ليس نبياً، وإنما هو ملك من ملوكهم، وقد شنعوا عليه كثيراً في سفر الملوك من التوراة وعددوا مثالبه وأخطائه، ونسبوا إليه صفات يتنزه عنها الأنبياء.

ويبدو أن الهدف الذي سعى إليه من نسب فلسطين إلى بعض القبائل اليونانية المهاجرة إلى الساحل الفلسطيني هو نزع الأصالة عن هذا اللفظ، لأن هذه القبائل بقضها وقضيضها ليست من هذه الأرض ولا تنتمي إلى أهلها، وليس لهم أدنى صلة بالوطن الفلسطيني سوى أنهم مهاجرون طارئون جاءوا إلى هذه الأرض وسكنوها رداً من الزمن.

والحقيقة أن هذه من جملة الادعاءات التي يحسنون صنعها وترويجها بشكل خطير، وإلى أبعد الحدود، ويسعفهم في ذلك مراكز أبحاث يتوافر لديها من الإمكانيات ما يجعلها قادرة على اختراق الدوائر البحثية والمعرفية على الصعيد العالمي، وتعمل هذه المراكز جاهدة لترويج المزاعم والادعاءات الصهيونية والدفاع عنها بوسائل وأساليب منافية لأبسط القواعد الأخلاقية المعمول بها على النطاق العالمي، فيلجأون تارة للتزييف وقلب الحقائق، وتارة أخرى للسطو على تراث الآخرين ونسبته إليهم، وقد كان لي في هذا الصدد تجربة مع الباحث (نحميا آلوني) أستاذ الأدب العبري في العصور الوسطى في جامعة بن غوريون، وكان يعد بحثاً عن نزعة التمرد في الأدب العبري في العصور الوسطى ضد الشعور بالعربية.

فقد سألني مرة عن قول منسوب خطأ للنبي صلى الله عليه وسلم مؤداه: (أن دين محمد قام بالسيف) وطلب توثيقه وبيان درجته باعتباره حديثاً نبوياً، فقلت له: هذه العبارة لا تمتُّ بصلّة إلى الحديث النبوي، ولكنه أصر على رأيه، وبدأ أنه متمسك بنسبة العبارة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) على سبيل التشويه، والإيحاء بأن الإسلام قام وانتشر بالإكراه والبطش والقوة المسلحة، فقلت له: أمامك معجم تصنيف ألفاظ للحديث النبوي، كما وردت في مجاميع الحديث السبعة، وقد ألفه رجل فرنسي لا تيني متعصب إلى أبعد الحدود ضد الإسلام، اسمه (فنسك)، فإذا ما بحثت فيه عن هذا القول فلن تجد له ذكراً في مجاميع الحديث المعتمدة، فقال: لقد سألت بعض الشيوخ فأفادوا بأنه حديث نبوي، فقلت له: إن من يقول لك ذلك فإنما يخدعك، وأنت أستاذ وباحث لا ينبغي أن تعول على الأقوال، وتغفل المصادر الدينية المعتبرة، أما إذا أردت أن تفهم أصل هذا القول ومناسبته، فإنه يعود إلى فترة الحروب الصليبية حين راح المسلمون يعاتبون إخوانهم المسيحيين في مدن مصر والشام قائلين: إن أهل دينكم من الصليبيين يذبحوننا، ويستولون على بلادنا، فما كان منهم إلى أن روجوا لهذا القول وسوغوا ما قام به الصليبيون زاعمين أن الإسلام كذلك إنما قام وانتشر بالسيف، فهو قول منسوب لهم وليس حديثاً نبوياً. ولا تجوز نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وظننت أن الرجل قد اقتنع بما قلت له، ولكنه اتصل بي بعد فترة، وأخبرني أنه قد أنهى بحثه، وقد نشره باللغة الإنجليزية في بريطانيا، ونشر باللغة العبرية في إسرائيل، وحصلت على نسخة من البحث باللغة العبرية وعكفت على مراجعتها، فإذا به حين وصل إلى العبارة السابقة: «دين محمد قام بالسيف» لم ينسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم باعتبارها حديثاً، وإنما نسبها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فاتصلت به على الفور، وقلت له: لماذا عدلت عن نسبة العبارة إلى سيدنا محمد وأصقتها بالخليفة عمر بن الخطاب، وهو الذي قال له أبو بكر الصديق: «شجاع في الجاهلية خوار في الإسلام؟»، كيف تنسب له قولاً لم يصدر عنه؟ وأين مرجعك في ذلك؟ فقال: لقد عدلت عن نسبتها إلى محمد، لأن كلامه مدونٌ وموثق، وذهبت إلى عمر لأن كلامه غير موثق، ومن السهل الادعاء عليه. فلم يرد.

هذا مثال بسيط من جملة أمثلة لا حصر لها على ما تقوم به الدوائر ومراكز البحوث الصهيونية من محاولات ممنهجة لاستلاب تاريخنا وتشويهه وتزوير حقائقه، فحين يقرأ شخص ما، ولو كان من المسلمين بأن هذا القول منسوب إلى عمر بن الخطاب فربما لا يراوده شك في صحته، وربما ينطلي عليه، لأنه ليس لديه متسع من الوقت للتحقق منه والطعن في صحته، وهذا هو أسلوب القوم ومنهجهم في تشويه تاريخنا، وتزوير معطياته الحضارية الثابتة، بما يخدم أهدافهم ويحقق مزاعمهم وادعاءاتهم التي لا سند لها ولا

شاهد على صحتها سوى أوهام وخيالات وأساطير تجانب المنطق، وتتجنى على الحقيقة التاريخية وتسقطها من حسابها لصالح مشروع استعماري قام من أساسه على القهر والغلبة والاعتصاب.

أما إذا عدنا إلى مدينة خليل الرحمن التي تعقدون مؤتمركم حول تراثها وحضارتها العريقة، فسنجد أنها اقترنت كما يظهر من اسمها بالحرم الإبراهيمي المنسوب إلى سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، ويحدثنا التاريخ أن اليهود ليس لهم أدنى علاقة بالحرم، ولم يكونوا بناته، بل إن الذي بناه هو هيرودوت الأدومي الذي حكم حوالي ٣٢ قبل الميلاد، والذي ولد في عهده سيدنا المسيح عليه السلام، والذي كان يحكم المنطقة الجنوبية من فلسطين بما فيها القدس والخليل حتى النقب لحساب الرومان. وكان مقر حكمه في تل الهيروديوم أو الفرديس في الطريق المحاذية لمنطقة التعامرة، واليهود الآن يجرون فيه حفريات أثرية، هذا الرجل قامت في عهده ثورة لليهود ضد الرومان الذي سموها ثورة حشمانوئيم وتطورت هذه الثورة واستمرت فترة طويلة. هذا الرجل حاول أن يرضي اليهود ليسكتوا عنه، ليحظى بالتالي برضا الرومان، وليضمن استمراره في حكم المنطقة فاعتنق اليهودية وهو أدومي أمه عربية و أبوه من الأدوميين، لكن اليهود لم يسكتوا عنه رغم اعتناقه اليهودية، وأقدم على بناء هذا الحير أو السور حول المقبرة بناء على أنها قبور إبراهيم وأبنائه وزوجته، وطبعاً الحجارة التي ترونها هي من خلة النجاسة من الخليل، وبني الحرم بأسلوب البناء المضغوط كما بنيت الأهرام، بصقل للحجارة بدون (مونة)، وقال لهم: هؤلاء أجدادكم وأنا مهتم بهم، ولكنهم لم يفتنوا بذلك، واستمر الوضع على هذا المنوال إلى أن جاءت هيلانة في مطلع فترة الميلاد بعد ٣٥٠ سنة تقريباً من الميلاد، واعتنقت المسيحية بعد أن كشفت عن موقع الصليب في كنيسة القيامة التي يسمونها الجلجلة أي الجمجمة باللغة العربية، وسميت بذلك: لأن الموقع كان خارج السور، وكان الصلْب فيه دائماً، ولذلك كانت الجماجم كثيرة في هذا الموقع، فسموه موقع الجلجلة لهذا السبب، كما هو الحال في لغتنا الكنعانية، والذين يؤنثون هذه الكلمة يقولون: (جُلجِلث) أو (جُلجيثا) حسب اللهجة الآرامية، وسمي بموقع القيامة بعد أن أعلنت هيلانة أنها عثرت على الصليب، ودخلت في المسيحية، ومن هذا الموقع قام المسيح على رأيهم طبعاً، فسمي بموقع القيامة.

هنا هذا الملك طبعاً لم يستطع أن يخضع اليهود، وتولى الحكم من بعده ابنه بلاتيوس، لكن الرومان ما لبثوا أن أنهوا حكمه وقضوا على اليهود سنة ٧٠ ميلادي في عهد (تيطس) القائد الروماني الذي غير اسم القدس من أورشليم إلى إيليا كابوتيلينا نسبة إلى الامبراطور ايلبيوس هدربان ومعبد الكابتول، هذه الحقائق التاريخية يقفزون عنها ولا يعترفون بها، فالقدس هي أورشليم وهذا الاسم في نظرهم عبري ذكرته التوراة عشرات المرات، والواقع

أنه مثلما وقع الاعتداء على اسم فلسطين اعتدي على أورشليم، وأورشليم اسم - في الحقيقة - أطلق تخليداً لذكرى ابن لألهة الكنعانيين (عشتار) وإله الكنعانيين الأب (بعل)، وقد ولدت عشتار توأماً سُمياً شالمً وشاحار ( سحر)، شاليم يتعلق بالنهار، وشاحار يتعلق بالليل.

فالاسم شاليم كنعاني في أصله اللغوي وتطوره، إذاً كان اسماً للإله الكنعاني شالم، إله السلام والأمن عند الكنعانيين، أما المقطع أور الذي يدل في جميع اللغات السامية على النور والضياء، فقد أضافه اليبوسيون العرب ليصبح مع المقطع الثاني شالم علماً على المدينة بمعنى نور السلام، تعبيراً عن مكانة هذه المدينة التي بدأت تاريخها بالنور القدسي، وذلك لقاء إله الرعب الكنعاني إله النار (مولك) الذي كان له رأس عجل، وكان الكنعانيون يقدمون له أطفالهم قربانين، إذ كان الطفل الذكر خاصة يربط على ذراعي هذا الصنم النحاسي، وتوقد فيه النيران حتى يحترق الطفل البكر، ولا يسمع له صوت من جرأ الطبول التي كانت تقرع بضجيج عال جداً، وهذا كله كان يجري في وادي جهنم شرقي المدينة. وقد سُم اليبوسيون من عبادة هذا الإله المرعب، وعبدوا مكانه الإله شالم كما سبقت الإشارة، ثم أضافوا إليه كلمة (أور) بمعنى النور والأمن، ليصبح اسم المدينة نور الإله سالم، وقد عثر على حفائر لهذا الإله في رأس شمرة في شمال اللاذقية في سوريا في مملكة أوغريت الكنعانية كما هو معروف.

ولم تسلم خليل الرحمن بدورها من هذا الافتئات على الحقيقة التاريخية، فقد ثبت أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يحتضن ثرى الخليل ضريحه، كان يعيش في بئر السبع، وأقام في هذه المنطقة المتقدمة في الصحراء وحفر فيها آباراً، وكانت بئر البئر السابعة، وأنشأ فيها مستعمرات لمقاومة الآشوريين وصد هجماتهم ضد مصر الفرعونية، وكان يقضي وقته فيها إلى أن يأتي الصيف.

وكان له صاحب أموري يدعى (مره) أو (ممر)، كان يزوره ويقضي الصيف عنده، ويسوي له عريشه مثلما يفعل سكان الخليل، وفي إحدى هذه الزيارات بشر إبراهيم عليه السلام بإسحق ويعقوب، وابلغ بانخساف قوم لوط، وفجع في إحدى زيارته للخليل بموت زوجته سارة التي كانت عزيزة على قلبه، فأراد أن يدفنها في الخليل فعرض الأمر على صديقه (مره) الأموري الذي رفض إعطائه قبراً، فلجأ إلى الحثيين الذين كانوا يسكنون الربع الجنوبي من الخليل فقال لهم: ماتت سارة وأريد دفنها، فأعطوه المغارة، فقال لهم إبراهيم: أريد أن أشتريها شراءً، فاشتراها ب ٤٠ شاقلاً من الفضة وهي عملة كنعانية وليست عبرية، ولكنها تعرضت هي الأخرى للاستلاب لمجرد ذكرها في التوراة، حيث قام رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن باعتمادها بدل الليرة الإسرائيلية بعد بضع سنوات من احتلالهم للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م، ودُفنت سارة في هذه المغارة، وبعدها لم يطق إبراهيم الإقامة في بئر السبع في البئر السابعة، بل أقام في الخليل، واتخذ منها موقعاً له حتى مات فيها، ودفن فيها، وكذلك دفن أبناؤه فيها.

في هذه الفترة كان اسم المدينة كريات أربعة، لأنه سكنتها أربع قبائل أو أربعة أرباع؛ لأن نظام التقسيم المدني الآشوري كان يقوم على تقسيم المدن إلى أرباع وأنصاف، والملاحظ أن هذا التقسيم ما زال معتمداً في مدننا وقرانا، حيث نقول الربع الفلاني والنصف الفلاني.

وأمام الهجمات الآشورية والفرعونية والحروب المستمرة في بلادنا توحدت الأرباع الأربعة، وبدل أن يكون اسمها قرية الأربع أصبح اسمها المملكة المتحدة، فكلمة حبرا معناها اتحاد، وهناك من يسميها بالصديقة ( حاببر أو حبرا )، ولكن حبرا اليوم في العبرية الحديثة تعني (شركة)، وكلها تدل على التوحد والاتحاد فسميت الخليل المملكة المتحدة، وكان مقر حكمها في جبل الرميده، وبقي هذا الجبل بهذا الاسم حتى جاءت فترة صلاح الدين الأيوبي وأقام حامية على رأسه لتحمي المدينة مقابل الحرم، وعيّن للمدينة أول حاكم كردي اسمه الأمير شرف الدين عيسى القيمري، وكان مقر الحكم في جبل الرميده، لذا نشر أحد علماء اليهود المحدثين ورقة علمية بعنوان: الاسم العربي لحبرون، ومعلوم أن الاسم العربي لمدينتنا هو الخليل أو خليل الرحمن، وذلك تيمناً بقول الله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (النساء: ١٢٥)، أي جعله صفوة له وخصّه بكراماته، والخليل لغة: أقرب الأحباب إليك الذي تخصه بألفتك ويخصك بمثلها، ويفضي إليك بأسراره، ولأن إبراهيم عليه السلام مدفون في المدينة، فقد تحرّج المسلمون عند فتحها من اسم حبرون، فقالوا: لا هذه مدينة الخليل، مدينة خليل الرحمن وهكذا كانت، مع أن العرب والمسلمين أيضاً استخدموا الاسم حبرون، وقد وردت بلفظها في نص الإقطاع النبوي للصحابي لتميم الداري رضي الله عنه، المرطوم وحبرا وبيت عينون، أي أن الاسم كان معروفاً قبل الإسلام، وبعد الإسلام ثم نأتي إلى هذا الباحث لنرى الاعتداء والتزوير فماذا يقول الباحث اليهودي؟: «حينما جاء العرب المحتلون (الفتح الإسلامي) إلى هذه البلاد، واحتلوا مدينة حبرون، كان في المدينة جالية يهودية معتبرة». فسأل الجيش العربي المحتل ما اسم هذه المدينة؟ فقالوا: حبرا، فقالوا: ما معنى حبرا؟ ف قيل لهم: معناها صديق، فقالوا: إذا نسّميا الخليل والخليل هو الصديق. لكن هذا الباحث نسي المدرك التاريخي الزمني في الأحداث، فعندما اعتنقت هيلانة المسيحية اتخذت من الحير (السور) كنيسة فبنت عليها ثلاث كور (قباب)، واتخذت من هذا الموقع كنيسة مسيحية، وبقي هذا الأمر إلى ٦١٤ م حينما هاجم الفرس بلادنا ضد الرومان، وانتصروا عليهم ودمروا كل المدن الرئيسية والمقدسات المسيحية الرومانية في بلادنا، وفي سنة ٦١٨ م، أي بعد أربع سنين، قام هرقل بطرد الفرس من بلادنا، وتغلب عليهم في معركة ( نينوى ) شمال العراق، وطرد الفرس كلياً من هذه البلاد، وبدأ الرومان يعمرون المدن الخربة التي دمرها الفرس، بدأوا في الشام، في إنطاكية وحلب والقدس وقيسارية وطبريا.

ولكن الفتح الإسلامي أدرکهم سنة ٦٢٤ م، فلم يكن هناك متسع لتعمير مدينة الخليل، فالسنوات الخمس التي أعقبت هزيمتهم للفرس، وعودتهم إلى المدينة لم تكن كافية، فبقيت الخليل قبل الفتح الإسلامي خربة خالية ليس فيها أحد، وكان هذا مبرراً لتميم الداري الذي كان يعرفها جيداً لأن يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطعها له، لأنها كانت مشاعاً لا يملكها أحد، ولم يكن لها أصحاب، بعدما تركها أهلها، وكانت الكنيسة التي تقع في الحير الإبراهيمي مدمرة، وهذه قصة حقيقية لأن القرآن الكريم خلدها في قوله تعالى في سورة الروم: «غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين» (الروم: ٣٠٢)، بضع سنين من ٦١٤-٦١٨ م، فكان التعبير القرآني دقيقاً لأن مشركي مكة عيروا أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام قائلين لهم: إنكم تقولون بأن الله معكم وكتابكم من السماء، فما هم الفرس، وهم كفار قد غلبوا الروم وهم من أهل الكتاب، الكفرة غلبوكم، فحزن المسلمون لذلك، فأنزل الله هذه السورة ليطيب خاطرهم. وفيها وعد إلهي بأن الروم سيغلبون بعدما غلبوا في بضع سنين، وهذا ما حصل فعلاً.

وغاب عن ذهن هذا الباحث اليهودي المدرك التاريخي بأن الخليل كانت خربة خالية لا يوجد فيها يهود ولا عرب ولا مسيحيون، وغاب عن ذهنه أيضاً أن العرب والمسلمين فيما بعد استخدموا اسم حبرون لأنه ليس اسماً عبرانياً كما يدعون، وإنما هو اسم عربي كنعاني، وتميم الداري كان يعرف حبرون أيضاً عندما طلبها كإقطاع من سيدنا محمد عليه السلام، وغاب عن ذهنه أيضاً أن المسلمين سموها الخليل تيمناً باسم خليل الله تعالى ألا وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام، كل ما يدعون به تجده للأسف الشديد افتراء وكذباً لا يتحرجون من الاعتداء على أي لون من ألوان التراث، ونسبته إليهم زوراً وبهتاناً، وامتد عدوانهم فضلاً عن الافتراء على الحقائق التاريخية وتغييبها ليشمل العديد من مظاهر الحياة والحضارة عند الشعب الفلسطيني كالعادات والمأكولات، والملابس والآثار وغيرها.

وبالتالي لا يستطيعون أن يثبتوا شيئاً إلا بالكذب والافتراء وهذا ما سيثبته مؤتمر عن التراث؛ وأتمنى على الأخوة الباحثين الذين سيعرضون أوراقهم العلمية أن يركزوا على قضايا ملموسة، مثلاً عندنا النقوش الحجرية التي اعتدى عليها المستوطنون، وحاولوا طمسها وتغييرها أو تحريفها لأنها وثائق تاريخية تنقض أساطيرهم ورواياتهم المشروخة. أتمنى على الباحثين أن يركزوا في بحوثهم على هذه المواضيع. متمنياً لهذا المؤتمر أن يحقق أهدافه في تأصيل تراثنا العريق؛ والحفاظ عليه مكوناً أساسياً من مكونات هويتنا الوطنية التي تمتد بجذورها إلى أعماق التاريخ.

## والسلام عليكم



## الهوامش:

١. الدُّرَاعَة : ثوب للمرأة في الخليل ولونه أزرق.
٢. اليَمَنِيَّة : هو غطاء الرأس والوجه، وهو من قماش شفاف معرق بألوان الزهر والأوراق.
٣. يثرون : كاهن مدين أيام موسى عليه السلام حسب العهد القديم.

# الجلسة الأولى

## جذور التراث الشعبي الفلسطيني وتجلياته في محافظة خليل الرحمن

◆ القيم التربوية في المثل الشعبي في محافظة خليل الرحمن

د. رجاء العسيلي، د. تيسير أبو ساكور

◆ من القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل من خلال استقراء  
الأقاصيص الشعبية

د. حسين أحمد الدراويش

◆ أثر المسجد الإبراهيمي الشريف في التراث الشعبي في الخليل

أ. محمد ذياب أبو صالح

◆ الزيتون في الميثولوجيا الشعبية الفلسطينية "منطقة الخليل نموذجاً"

د. طالب الصوافي

◆ طرق حماية التراث الثقافي في محافظة الخليل (من خلال المواثيق الدولية  
والمؤسسات المجتمعية)

د. شامخ علاونة

◆ المخاطر التي تهدد التراث الشعبي في محافظة خليل الرحمن وسبل  
المحافظة عليه

أ. مصطفى الجبور



# القيم التربوية في المثل الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل

د. رجاء العسيلي  
د. تيسير ابو ساكور

## ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى القيم التربوية في المثل الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل، والتي تعدُّ -بحق- سجلاً لحياة شعبنا العربي الفلسطيني، ولنمط تفكيره بمختلف طبقاته واتجاهاته. وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وتحليل المضمون، وتكون مجتمع الدراسة من (٦٥٠) مثلاً شعبياً، من محافظة الخليل في فلسطين، وتكونت عينة الدراسة من (٢٠٠) مثل شعبي، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١. قدمت الأمثال صوراً عديدة من القيم الاجتماعية والأخلاقية، والاقتصادية، والدينية، والسياسية التربوية، التي ساهمت في تشكيل الفكر والثقافة الفلسطينية على مر الزمان.

٢. تبين من تحليل الأمثال أنها تلخص تجارب الناس وحياتهم ومشاعرهم النفسية والروحية بجملة مختصره.

٣. هناك العديد من الأمثال التي ركزت على القيم الإيجابية، وأخرى على القيم السلبية.

٤. تختلف رواية الأمثال من مكان لمكان، أو من شخص لآخر، ولكن المعنى واحد. وخلصت الدراسة إلى عدد من التوصيات من أهمها: الاهتمام بالمأثورات الشعبية وتدوينها للحفاظ عليها، وإدخال بعض عناصر التراث الفلسطيني خاصة في المناهج التعليمية، واستخدام الأمثال الشعبية في التربية لتأصيل القيم والثقافة الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: الأمثال الشعبية، القيم التربوية، محافظة الخليل / فلسطين.

## **Abstract:**

*This study aims at identifying the educational values in the Palestinian popular proverbs in the Govenorate of Hebron, as they are considered a record for the Palestinian Arab people's lives, and patterns of their thinking on various social levels and trends. This study uses analytical descriptive method, and content analysis. The population of the study consists of (650) proverbs collected from the Governorate of Hebron in Palestine, and the study sample consists of (200) proverbs.*

### **The study came up with the following results:**

- 1. Proverbs have many pictures of social and moral, economic, religious, and political educational values, which contributed to the formation of the Palestinian culture and thought over time.*
- 2. Analysis of proverbs shows the experiences of people and their lives and feelings (psychological and spiritual) in shortcuts.*
- 3. There are many proverbs that focused on positive values, and others on negative values.*
- 4. There are different sayings from place to place or from person to person in telling the proverb, but the meaning is the same.*

*The study came up with a number of recommendations.*

**Key Words:** *Proverbs, Educational values.*

## مقدمة:

يعد المثل الشعبي فرعاً من أهم فروع الفولكلور أي (علم الشعب)، لأنه - أي المثل - لم يترك في حياة الناس ميداناً من الميادين إلا وله فيه قول، ويؤيد ذلك المثل لأنه ذاته عندما يقول «ما خلى المثل قول إلا وقاله». أما الفولكلور الذي يعد المثل أحد فروعها فهو: علم يبحث في الاعتقادات المأثورة، والعادات، والقصص، والأغاني، والأمثلة الشائعة بين الأمم، ويدل هذا العلم على عقلية الإنسان في الفلسفة، والعلم، والدين، والطب، والنظام الاجتماعي، تبعاً لما يتناقله السلف عن الخلف في ذلك (مجموعة من الكتاب، ٢٠٠٧).

وتعد الأمثال الشعبية من أبرز عناصر الثقافة الشعبية، فهي مرآة لطبيعة الناس ومعتقداتهم، وثقافتهم، وهي الهوية الواضحة للقيم، والمبادئ، والأخلاق التربوية التي يؤمن بها، ويعمل على نشرها بين أبنائها، ومحاولة جعلها فلسفة اجتماعية له، وذلك لتغلغلها في معظم جوانب حياتهم اليومية، وتعكس المواقف المختلفة، بل تتجاوز ذلك أحياناً لتقدم لهم أنموذجاً يقتدى به في مواقف عديدة، وتسهم الأمثال في تشكيل أنماط اتجاهات المجتمع وقيمه، الأمر الذي جعلها محوراً أساسياً لاهتمام كثير من العلماء، والباحثين، المعنيين بدراسة الثقافة الشعبية. وبداية الأمثال الشعبية ونشأتها ليست وليدة الساعة، بل لكل مثل شعبي حكاية تشكل أنموذج عيش، وتماثلاً مع التجربة التي أحاطت بمن ضرب به المثل. ويعد المثل فناً قديماً موغلاً في القدم، وهو نتيجة تجارب وخبرات عميقة لأجيال ماضية تناقلها الناس، وعملت على توحيد الوجدان، والطباع، والعادات، والمثل العليا. وتعد الأمثال الشعبية حكمة الشعوب، وينبوعها الذي لا ينضب عندما نسعى جادين لاستخلاص الأمثال ذات الحكم والنصائح الإيجابية، والتي تقوم بدور بناء وفعال في دفع عجلة المجتمع إلى الأمام، باتجاه التطور والبناء. لذلك؛ تعد الأمثال الشعبية وثيقة تاريخية واجتماعية (محمد، ٢٠٠٧).

وقد اتفق المثل مع الحكمة في هدفهما التعليمي المبني على أساس الوعظ وتقرير قضايا السلوك، وقواعد المعرفة، والمعتقدات، والمبادئ الفنية، والذوق إلى آخر هذه المناحي المختلفة من النشاط الشعبي الخلاق. فالأمثال معين لا ينضب للتربية الاجتماعية، لما ينطوي عليه من دعوة خالصة لفضائل الأخلاق، ومكارمها، والاستقامة، والعدل. فهي نداء إلى التواضع والإيثارة، وهي حرب على الرذيلة بشتى صنوفها، وتوصي بالاستشارة، وتشيد بدورها في الحياة، وتشير إلى وجوب الرعاية بالنسل والجيل الصاعد، كما توصي بالتربية الصحيحة. فهذه الأمثال أحكام تتناول جميع الشؤون الحياتية، وتحل بعض الخلافات،

وتفض بعض المنازعات «كل سكره ولها مفتاح»، و«كل عقدة ولها ساعة تنحل فيها»، أو قولهم «كل عقدة ولها ميت حلال»، (مجموعة من الكتاب، ٢٠٠٧).

أما فيما يتعلق بنشوء الأمثال، فقد أكد المتخصصون على أنه يمكن القول إنها كانت عبر مصدرين هما: الإنسان العادي الذي كان كلامه يعكس تفكيره الواقعي، والإنسان المفكر، الفيلسوف الذي حاول تحليل الظواهر، وشرحها، وتفسيرها، وهو ما نجده في كتب الآداب. وأن كثيراً من هذه الأمثال مبني حول قصة واقعية، أو حادثة معروفة في التاريخ، وهناك أمثال كثيرة - كما قيل - بنيت على خرافة، أو أسطورة، أو حكاية من الحكايات العامة، وهناك من يصنف الأمثال وفق اللغة التي وصلت إلينا بها فصيحة، أو عامية، أو وفق الغرض الذي قيلت من أجله، علمياً، أو دينياً، أو سياسياً، أو اجتماعياً، أو اقتصادياً، أو مبنياً على أخلاقيات وضرابط اجتماعية تدفع بأفراد المجتمع لاتباعها؛ لأن فيها الحكمة، والنجاة، والربح. وهي أحد أعظم الأساليب التربوية المتبعة في التعليم، التي ترسم بمجموعها صورة في الوجدان الشعبي، ويرى بعضهم أن الأمثال لم تكن وليدة نظام فكري وسلوكي، بل هي رؤية للحضارة، والماضي، والمستقبل، وقد نسج هذه الصورة أكثر من طرف بحيث ساهم فيها العلماء، والحكماء، والإنسان البسيط. وهذه الصورة بقيت مهيمنة رغم مرور الوقت (محمد، ٢٠٠٧).

ولما كان المثل الشعبي يمتلك من إيجاز للفظ، ودقة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، وتركيز الفكرة، وسهولة الحفظ، فقد استعمل في نشر المفاهيم التربوية السائدة. وأمثالنا الشعبية الفلسطينية هي الأخرى مستقاة من ثقافة الشعب الفلسطيني الذي يمتلك إراثاً تاريخياً وحضارياً عميقاً، ومع ما امتلكه من خبرة نشأت من تنوعه الديني والثقافي، جعل مبتكر المثل الشعبي مدرسة تربوية تعمل جنباً إلى جنب مع قيم المجتمع وتوجهاته، لترسيخ المفاهيم الإنسانية التي يريدها، حتى تحولت هذه الأمثال - سواء أردنا أم لم نرد - إلى رديف للكتاب المدرسي، ويد قوية للمعلم، ولسان بينٍ للحقيقة، فاستعملت في المناسبات والأحداث فأدت الغرض المطلوب منها، في حين عجز الآخرون عن تحقيق المطلوب. ولما كانت الأمثال تعتمد اعتماداً كلياً على الجوانب البلاغية من (كناية، وإيجاز، وتجانس، وطباق، وتشبيه)، فقد كانت صورة مثلى للبلاغة العربية التي تؤكد في مجملها على أن «خير الكلام ما قل ودل»، وربما إشارة أبلغ من عبارة، لهذا كان المثل سريعاً في الوصول، دالاً على المعنى المقصود، ومفهوماً من الجميع، قابلاً للسهولة، والحفظ، والاستدلال (صالح، ٢٠١١).

ومما لا شك فيه، أن للمثل أهمية كبرى في إفهام الناس، حيث إنه أكثر ألوان الأدب تأثيراً في الشعوب، لأنه يبعث من تجاربها، فكان له التأثير الكبير في توجيه سلوكها، وهذا



ما نلاحظه في الأغلبية العظمى من الناس، إذ غالباً ما يستشهدون بالمثل، تبريراً لسلوكهم، وبرهاناً على صحة مذهبهم، حيث تعكس الأمثال الشعبية فلسفة الشعب وحضارته، وشعبنا العربي الفلسطيني الممتدة جذوره في أعماق التاريخ عاش المعاناة، وسلك دروب المقاومة، والنضال عبر سنين طويلة، وما زال، يدافع عن الهوية والكيان والوجود. ولما كان المثل الفلسطيني قد عبر عن خصائص المجتمع الفلسطيني بما فيه من عادات وتقاليد، وأفراح، وأتراح، وسلوكيات في جميع مناحي الحياة، وامتلك ناحية التعبير بجلاء، ووضوح عن طبيعة الأحوال المناخية، والنباتية والحيوانية، وزادها بالقدرة المبدعة لربط ما فيها جميعاً بإنسان هذه الأرض، فكان خير معبر عن طبيعة هذه البيئة الجغرافية الفلسطينية بشكل أوضح سماتها وقسماتها الخاصة ذات الملامح الواضحة التي أسبغتها عبر السنين الطويلة، فإنه بذلك عكس البيئة الفلسطينية في شتى صورها، وأشكالها. فقد أدّى الموقع الجغرافي لضرب المثل دوراً بارزاً في صياغة المثل شكلاً ومضموناً ليعبر عن خصائص المجتمع الذي ضرب فيه، ولهذا فإن البيئة الفلسطينية كانت مكاناً خصباً للمثل الفلسطيني، لاتصاف أبنائها بفكر صاف، وإلهام تميز في الحفظ والنقل (الصياصنه، ١٩٩٢).

واعتبرت الأمثال الدارجة في فلسطين عامة وفي الخليل خاصة، تراثاً أصيلاً لم يتأثر بثقافات أخرى وافدة أو مستقرة، ودون أن يغير من طابعها حسن الحضارة وزخرفها المصطنع المتمثل في التقليد الأعمى والزائف للحضارة الغربية، ولذلك فإن هناك خشية من الانصراف عن تلك المأثورات الشعبية (ومنها المثل)، والركض وراء بريق الحضارة اللامع (مجموعة من الكتاب، ٢٠٠٧).

فالأمثال ضرورة تاريخية، عاشت في ضمير الشعب الفلسطيني مئات السنين متوارثة، وستستمر إلى ما شاء الله، فهي عصارة تجارب الشعب الفلسطيني وخبراته في مسيرته الحياتية الطويلة عبر الأجيال السحيقة، بل هي زبدة تاريخ طويل، ومرآة صافية تسجل آثاره تسجيلاً صادقاً لمسيرته، وانعكاساً حياً لروحه وضميره. ولها أهمية بالغة في تكوين التراث الاجتماعي، وفي تثبيت سلوك الناس في طريق الحياة أفراداً وجماعات، فهي قاموس تاريخ الشعب الفلسطيني بكل طبقاته وقطاعاته، لذلك يمكن اعتبارها مصدراً مهماً للمؤرخ الأخلاقي والاجتماعي، يستطيع كل منهما أن يعرف كثيراً من أخلاقيات هذا الشعب، وعاداته، وعقليته، ونظرته إلى الحياة. لأن الأمثال عادة وليدة البيئة التي نشأت عنها، وهي نتيجة منطقية للحياة في المجتمعات الزراعية، ولا يخفي ما لفلسطين من تاريخ زراعي عميق الجذور، فهي الأرض التي وصفت قديماً بأنها تدر لبناً وعسلاً. لذلك كله اعتبر المثل الدارج في فلسطين سجلاً صادقاً لعصور خلت بأحداثها، ومفاهيمها، وتجاربها،

وأخلاقها، وعاداتها، وله أهميته التاريخية، والاجتماعية، والثقافية، والبيئية، كونه تأثر بالحياة ولغة التخاطب، وبالمعنى وعبر عنها بأوجز عبارة، وأدق دلالة، وأصدق تعبير، متخطياً النظم السياسية أحياناً، والمعتقدات الدينية أحياناً أخرى من غير خوف ولا وجل. ولما كان المثل سائراً عبر عصور التاريخ مطبوعاً بلغة العصر وعاداته، وكان له دور في التعرف إلى خصائص البيئة الفلسطينية، ومقومات المجتمع الفلسطيني ومواقفه، من خلال المثل الدارج الذي يكشف عن المناخ الفكري والشعوري الذي تنمو فيه المواهب والملكات، وتؤصل مفهوم الحرية، وتقوي الشعور بالمسئولية، وتجعل لكل مواطن إرادة تدفع بحملة التاريخ نحو التقدم، لأنها البضاعة المحلية الخالية من كل غريب مستورد تم توارثه عن السلف دون أن تبعث بها ظروف الأحداث وتقلبات الأيام (شكارنه، ب، ت).

وإذا صحت المقولة التي تؤكد أن الأمثال في مضمونها تمثل توجهات المجتمع الموجودة فيه، فإن أمثالنا الشعبية عكست القيم التربوية للمجتمع الفلسطيني قولاً، وفعلاً، وكنايةً، وتطبيقاً. إن الثقافة التربوية في فلسطين غزيرة في التأكيد على الأخلاق قولاً وفعلاً كوسيلة لبناء الإنسان الجيد (صالح، ٢٠١١).

لقد اعتمدت الأمثال الدارجة في فلسطين عامة، والخليل خاصة، على اللغة المنطوقة (اللهجة العامية)؛ لأنها صيغت بلغة التخاطب اليومي، وحديث الشعب في حله وترحاله، ولذلك فإن من الصعوبة بمكان كتابتها باللغة الفصيحة، لأنها قيلت باللغة المنطوقة غير المكتوبة، فهي شكل، ووعاء، ومضمون في آن واحد، ولا يستطيع أحد أن يرويها بغير ما سمعت به، فإذا سمعته يقولون: «على قد فراشك مد إجريك»، فلا تملك أن تغير هذه الجملة بالذات، وذلك احتراماً لشكلها وحجمها وقائلها، وللأمانة العلمية التي تقتضي النقل الأمين في التراث من السلف إلى الخلف، ليطلعوا على مآثر آبائهم وأجدادهم كما هي دون تحريف، أو تغيير، أو تبديل. ولكن من راحوا يجتهدون في تدوين النصوص الشعبية على ضوء معرفتهم بطرق تدوين النصوص الفصيحة بأبجديتها وقواعدها في الإملاء والخط، فقد أضاعوا معظم خصائصها الجوهرية، لأنهم أحالوها إلى نصوص فصيحة مما أفقدها سماتها المميزة لها. وكان أولى بهم أن يتنازلوا عن قواعد اللغة الفصيحة في النحو، والصرف، وقواعد الإملاء، والخط في عملية تدوينهم لها، للإبقاء على جوهر النص الدارج، لأن اللغة العربية الفصيحة لا تدون بطريقة صوتية خالصة كالدارجة. فهناك حروف تكتب ولا تلفظ «كأل الشمسية» وغيرها، وحروف تكتب على صورة، وتلفظ بصوت صورة أخرى «كالألف المقصورة». وهناك أصوات تلفظ ولا تسجل على هيئة حروف، بل يكفي بالدلالة عليها بالحركات المعروفة، وتلك هي «أصوات التنوين والألف في بعض أسماء الإشارة وكلمة لكن وغيرها» (شكارنه، ب، ت).

وتعد دراسة القطاعات الشعبية من خلال أمثالها الدارجة خطوة جديدة في مجال الدراسات الإنسانية. وهي شاهد على حالة اللغة الدارجة في فلسطين، فمن خلال الجزئيات الصغيرة التي تعرضها في تواضع وهدوء فيما يتعلق بالنشاط، والسلوك، والأخلاق تعطي صورة حية لطبيعة تلك اللغة، وهي صورة صادقة كل الصدق، لأنها تصدر عن فطرة وطبيعة غير خادعة، توضح بجلاء طبيعة اللهجات المتعددة في فلسطين، ومقدار قربها أو بعدها عن الفصيحة، وما يعترى الألفاظ من تغيير وتبديل من بيئته إلى بيئة أخرى، ومن تجمع سكاني إلى آخر، كما توضح دلالات الألفاظ ومعانيها. لذلك كله؛ يمكن أن تكون خير شاهد عند جمع معجم الألفاظ الدارجة في فلسطين. فالكلمة الحلوة، والصورة المشرقة، والعاطفة الصادقة هي الجسر الذي يربط الماضي بالحاضر ويعد العدة للمستقبل. وكذلك تمثل لونا من ألوان الفن الأدبي الشعبي الذي ظل بعيداً عن سيطرة الحاكم وسطوته، بل أنه يحس به ولا يستطيع أن يفعل معه شيئاً، لما فيه من بعد عن المجابهة الظاهرة المباشرة للسلطة. فهي تلمح ولا تصرح، ويمكن أن تنسحب على أشياء لا تضر القائل من قريب أو بعيد مثل قولهم، «بوس الكلب من تمه لتأخذ غرضك منه»، وهو تشبيه يليق بالحاكم الذي يخرج عن إطار أماني شعبه وآماله. ومثل قولهم للغاية التي تبرر الوساطة «الكذب ملح الرجال» وقولهم في النفاق والرياء «حب وداري وابغض وداري» وهي تمثل تفكير الشعب الواقعي الساذج الذي يعتمد التجربة اليومية الآنية، ويعالج المشكلات الحياتية في صورتها الأولية (مؤسسة القدس للثقافة والتراث، ٢٠١٠).

ومن خلال المثل الدارج يتم التعرف على خصائص البيئة الفلسطينية، ومقومات المجتمع الفلسطيني ومواقفه، فهو الذي يكشف عن المناخ الفكري والشعوري الذي تنمو فيه المواهب والملكات، وتوصل مفهوم الحرية، وتقوي الشعور بالمسؤولية، وتجعل لكل مواطن إرادة تدفع بحملة التاريخ نحو التقدم، لأنها البضاعة المحلية الخالية من كل غريب مستورد توارثه عن السلف دون أن تعبت بها ظروف الأحداث وتقلبات الأيام. وتعد الأمثال الدارجة أسهل سبيل، وخير وسيط لنقل تعاليم الآباء والأجداد، وإبلاغها بصورة فعالة لجميع طبقات الشعب، لبناء أخلاق قديمة منها، تنطوي على الصدق والإحسان، والمعروف وحسن السلوك، والاقتصاد، والكرم والضيافة، والحزم، والعزم، والثبات، والتأني والصبر، والاحتراس من الأعداء، والاعتماد على النفس، فهي والحالة تلك قاعدة السلوك، وناموس الأدب عند عامة الشعب مثل قولهم: «صوم شهر تشبع دهر» وقولهم: «الصبر مفتاح الفرج» «والحركة فيها بركة». إضافة إلى ما يلاحظ في تلك الأمثال من الروعة والجمال، وإصابة الهدف، والدقة في التعبير، والأصالة في التفكير بما لا يقل عن الأمثال العربية القديمة الفصيحة. ومن هنا نبعت فكرة الدراسة الحالية لتتناول القيم التربوية في المثل الشعبي الفلسطيني.

## مشكلة الدراسة:

إن المشكلة التي تواجه التربية المعاصرة، هي تلك الاتهامات المتمثلة في فشلها في الحفاظ على الهوية، واتجاهها نحو التغريب، وتوسيع هوة الصراع بين الأجيال، والتمايز الطبقي في التربية بين طبقة الميسورين، وتربية طبقة المقهورين، ومع زوال الحدود الثقافية بين الشعوب والأمم في عصر العولمة، برزت أهمية العودة من جديد لهذا التراث لتأكيد الوجود الحضاري للأمة الإسلامية والعربية، والفلسطينية خاصة، لما تتعرض له من نهب، وسلب، وتغيير للأرض والثقافة، والتاريخ، والتراث. ومن خلال معايشة الباحثين لواقع المجتمع الفلسطيني التعليمي، لاحظنا أن استخدامات الحياة الجديدة وتطورات العلم، والفكر، والتكنولوجيا تقلل من استخدام المثل عند فئة كبيرة من المتعلمين، الأمر الذي شجع على دراسة المثل الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل، كونه يوضح معالم الشخصية الفلسطينية من خلال التطرق إلى ثقافتها الشعبية من خلال المثل الشعبي الذي يعدّ جانباً واحداً من جوانبها. ولتوضيح دلالات المثل التربوية، كون المثل قادراً على صياغة الموضوع الكبير بجملة أو جملتين مختصرتين، تعبر عن تجارب الناس وحياتهم ومشاعرهم النفسية والروحية، وحفظه من الاندثار أو التلاعب.

## أسئلة البحث:

- ما الدلالات القيمية التربوية في المثل الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل؟
- ما المقترحات والتوصيات لنشر الدلالات القيمية الموجودة في المثل الفلسطيني بين أطياف المجتمع الفلسطيني كافة؟

## أهداف الدراسة:

- التعرف إلى الجانب التربوي في المثل الشعبي، ودوره في تعزيز القيم من خلال توضيح دلالات المثل القيمية.
- الحاجة إلى تدوين الأمثال كونها شاهداً تاريخياً على الأحداث التي مر بها الشعب الفلسطيني.
- الوصول إلى توصيات ومقترحات مناسبة.

## أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال الموضوع الذي تتناوله وهو «القيم التربوية

في المثل الشعبي الفلسطيني» حيث إنه من خلال دراسة الأمثال الشعبية الفلسطينية في محافظة الخليل، نستطيع أن نعرف كثيراً عن أخلاق المجتمع الفلسطيني، وعاداته، وتقاليده، ونفسيته، ومعتقداته، كون الأمثال هي الصوت المعبر عن واقع المجتمع الحقيقي وثقافته. وأن هذه هي الدراسة الأولى - حسب علم الباحثين - تدور حول القيم التربوية في المثل الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل، في وقت تشهد فيه المدينة معاناة حقيقية في المجال الديمغرافي الذي يحاول اليهود فرضه بما ينعكس على مجمل حياة الناس في المدينة.

### منهج الدراسة:

استخدم المنهج الوصفي بأسلوب تحليل المضمون، وذلك من خلال قيام الباحثين بإجراء مقابلات على عينة قصدية، لتوثيق الأمثال، وتوضيح دلالاتها، واستخدام المنهج التاريخي في جمع بعض الأمثال الشعبية.

### أدوات الدراسة:

المقابلة لتسجيل الأمثال الشعبية من أفواه كبار السن، وذوي الخبرة.

### حدود الدراسة:

١. الحدود الجغرافية للعينة: محافظة الخليل / فلسطين.
٢. الحدود الفنية: يعتمد هذا البحث على المثل الشعبي الفلسطيني فقط.

### تعريف مصطلحات الدراسة:

◀ **التربية: التعريف اللغوي:** لقد عرّف اللغويون وأصحاب المعاجم لفظة التربية بأنها: «إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام»، و «ربّ الولد ربّاً: وليّه وتعهّده بما يُغذّيه ويُنمّيه ويؤدّبه..». أما التعريف الاصطلاحي: فهي مجموعة العمليات التي بها يستطيع المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه، وتعني في الوقت نفسه التجدد المستمر لهذا التراث وللأفراد الذين يحملونه. فهي عملية نمو وليست لها غاية إلا المزيد من النمو، إنها الحياة نفسها بنموها وتجدها (موقع ويكي الكتب، ٢٠١١).

◀ **القيم:** تكوين فرضي يستدل عليه من خلال التعبير اللفظي، والسلوك الشخصي، والاجتماعي، وهي عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص، والأشياء، والمعاني، وأوجه النشاط، وهي مفهوم مجرد ضمني، غالباً ما يعبر عن درجة التفضيل الذي يرتبط بالأشخاص، والمعاني، وأوجه النشاط (زهرا، ١٩٨٤).

◀ دلالة المثل: تعني القيمة للمثل، سواء أكانت دينية، أم أخلاقية، أم معرفية، أم نفسية، أم اجتماعية، أم اقتصادية.... الخ.

◀ المثل: اختلف مفهوم المثل في الكتابات القديمة، ويبدو أن ذلك راجع للتأثر بالرؤى والمرجعيات التي انطلق منها أصحاب هذه التعريفات من لغويين، وفقهاء، ومؤرخين وغيرهم، فقد عرّف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٤٢هـ) في كتابه الأمثال، فيقول: «هذا كتاب الأمثال، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجتها في المنطق، بكناية غير تصريح، فيبلغ لها بذلك ثلاثة: إيجاز لفظ، وإصابة معنى، وحسن تشبيه»، ويرى إبراهيم النظام (ت ٢٣١هـ) أنه يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، وهي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة، وقال الماوردي (ت ٤٥٠هـ) في كتابه أدب الدنيا والدين، للأمثال من الكلام موقع الإسماع، والتأثير في القلوب، فلا يكاد المرسل يبلغ مبلغها، ولا يؤثر تأثيرها، لأن المعاني بها لائحة، والشواهد بها واضحة، والنفوس بها وامقة، والقلوب بها واثقة، والعقول لها موافقة، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه، لأنها في العقول معقولة، وفي القلوب مقبولة (طه، ٢٠٠٢).

والمثل من المنظور اللغوي: هو الشيء الذي يضرب لشيء مثلاً فيجعل مثله (ابن منظور، ١٩٩٧). ومن منظور الأدباء هو وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني التي تخيرتها العرب، ونطق بها كل زمان، وعلى كل لسان؛ فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عم عمومها. (ابن عبد ربه، ١٩٨٦). وهي قصارى فصاحة القوم وجوامع كلمها، ونوادير حكمها وبلاغتها التي عبرت بها عن نفسها، فأوجزت اللفظ، وأشبعت المعنى (الزمخشري، ١٩٨٤). كما أن الأمثال توصف بأنها الأنغام الصغيرة للشعوب، ينعكس فيها الشعور، والتفكير، والعادات والتقاليد (زولهايم، ٢٠٠٩). ويذهب بعضهم إلى أنها خلاصة خبرة الشعوب وتجاربها، وهي حكم بليغة بجمل قصيرة تحمل معاني كثيرة (هاشم، ٢٠١٠). وبعضهم جمع ذلك فيقول: الأمثال هي خلاصة خبرات وتجارب الشعوب عبر الزمان، تستخدم للتعبير عن الواقع، أو لحض الناس على فعل أو ترك فعل. والعرب من أكثر الشعوب، وأقدمها استخداماً للمثل للتعبير عن واقعها الاجتماعي، والاقتصادي، والنفسي، والسياسي، أو لتعليم أبنائهم.

## الفرق بين المثل والحكمة:

الحكمة ناتجة عن خبرة ودراية، وتكون ذات مضمون أعمق، ونابعة من فلسفة ورؤية ثابتة للأمر، ينطق بها شخص عارف أو عالم، وهي في المجمل حادثة نابع من صميم

المجتمع وتجاربه، وليس وليد الساعة، بينما المثل حادث معين يقال فيه قول نتيجة تكرر يحدث مع أحد الأفراد (السموري، ٢٠٠٦).

## مصادر المثل الشعبي:

يستمد المثل الشعبي الفلسطيني من مصادر عدة وهي:

١. **حادثة واقعية:** «برضه راكب» - الشيخ حامد كان قائد فصيل ثورة سنة ١٩٣٦ في منطقة الناصرة، وكان ضريراً، كان مختبئاً في قرية معلول حين طوق الجيش البريطاني القرية. وفي التمشيط الذي أجراه الجنود وجدوه في عليّة أحد البيوت فاعتقلوه، ولما رفض أن يمشي اضطر أحد الجنود أن يحمله على ظهره وينزل به الدرج. وعلق الشيخ على ذلك قائلاً: «برضه راكب»، فذهب قوله مثلاً يستعمل حينما يراد التأكيد على عدم استسلام الإرادة في أشد الأوقات حرجاً.

٢. **حكاية أو نكتة شعبية:** «مثل مسمار جحا»، «بين حانا ومانا ضاعت لحانا». وقد يستعمل المثل بين الناس، ولا يعرف كل من يستعمله تفاصيل الحكاية أو الحادثة التي وراءه، وإنما يتعاملون مع الإيحاء العام لعبارة. مثل: «اللي بعرف بعرف واللي ما بعرف بقول كف عدس».

٣. **اقتبس عن الفصحى بنصه أو بشيء من التغيير الطفيف:** «وافق شن طبقة»، «ودوام الحال من المحال»، «والساكت عن الحق ناطق بالباطل»، أو «الموت ولا الذليّة» عن «المنية ولا الدنية».

٤. **وما استمد من التراث الأدبي الشعبي مثل:** «سيرة عنتره» أو «تغريبة بني هلال» وغيرهما: «عنتر أسود وصيته أبيض».

٥. **الأغاني الشعبية:** «عيشة بالذل ما نرضى بها»، «وكلمة يا ريت عمرها ما بتعمر بيت».

٦. **ملاحظة الطبيعة، والمعرفة الجغرافية، المناخية، والزراعية** «آذار أبو الزلازل والأمطار»، «آذار أبو سبع ثلجات كبار»، «وفي آب اقطع القطف ولا تهاب»، «وظل الحجر ولا ظل الشجر»، «وإن غيمت باكر احمل عصاتك وسافر، وإن غيمت عشية شوف لك مغارة دفية».

٧. **معتقدات قديمة جداً، مما يشير إلى قدم هذا التراث الذي وصلنا، مثل** «خطية القط ما بتنط»، أو «كل بالدين ولا تشتغل يوم الاثنين».

٨. **أو التجربة الإنسانية العامة:** «ما شجرة إلا هزتها رياح ولا سكرة إلا قلقها مفتاح»، «وأوله دلع وآخره ولع»، «والقرد بعين أمه غزال».

٩. ومما يلحق بالأمثال تعابير أعجب الناس بجماليتها، بالصورة الكاريكاتيرية الساخرة فيها: «زي اللي بخيّط بالبنية»، «ولا إلو ولا عليه»، «وأعور ويغامز القمر»، «ولباس ماله ودكته بألفين»، «وخزقنا الدف وطلنا الغنا».

١٠. أمثالاً مستمدة من خلال التعامل مع شعوب وثقافات أخرى، ومنها كتب الديانات الثلاثة، ومصادر أخرى: «الحق مثل الفلين ما يغرق»، «لا تكون راس لأنه الراس كثير الأوجاع»، «مؤسسة القدس للثقافة والتراث، ٢٠١٠».

ومن مصادر الأمثال الشعبية أيضاً ما يفرز من حكاية، أو نكتة شعبية، ومنها ما اقتبس عن اللغة الفصيحة بنصه، أو بشيء من التعديل ليناسب اللهجة العامية، ومنها ما استمد من كتب التراث، أو الأغاني الشعبية، أو من الطب الشعبي، أو من المعتقدات القديمة، ومنها ما استخدمه الناس ولا يعرف قائله وهي كثيرة جداً (السموري، ٢٠٠٦، والشلقاني، ١٩٧٧).

### خصائص الأمثال الشعبية:

جمع بعض الباحثين صفات المثل في قوله: يجتمع في المثل أربع ميزات لا تجتمع في غيره من الكلام؛ ففيه الإيجاز في اللفظ، والإصابة في المعنى، وحسن التشبيه، وجودة البلاغة (أبو دف ٢٠٠٣). ويتحدث الجميع عن إحدى الخصائص المميزة للأمثال: وهي سهولة الانتشار، وسير المثل، وسرعة التداول، معللاً ذلك بميل الناس كما هو طريق مختصر لا طویل وممل، كما امتازت بالأصالة وعمق الجذور؛ لأنها نابعة من تجارب الناس العميقة، كما أن الموسيقى من أهم خصائص الأمثال، وتتمثل في تقسيم الجملة، أو السجع، أو غير ذلك. وتشير الدراسات إلى أن الواقعية سمة مهمّة من سمات الأمثال الشعبية؛ لأنها نابعة من واقع الشعب. ولأن المثل قصير وموجز فهو سهل الحفظ، كونه يركز بشدة على المعنى (صالح، ٢٠٠٤).

### ارتباط الأمثال الفلسطينية بالأمثال في البيئة العربية:

للأمثال الفلسطينية خصوصية مرتبطة بالبيئة الثقافية المحلية، وهذا يتضح في الخصائص الصوتية، والصرفية، والتركيبية، ولكنها على الرغم من ذلك مرتبطة من حيث الدلالة بالتراث العربي من جهة، ومرتبطة بنظائرها من الأمثال في البيئات العربية الأخرى، ومن أمثلة ذلك المثل «آخر العنقود سكر معقود» فهذا مطابق للمثل المصري مبنى ومعنى. أما المثل «آخر الدوا الكي» فهو يكاد يطابق مبنى المثل النجدي «آخر الطب الكي»،



وأما قولهم «إبعد عن الشر وغني له» فهو مطابق للمثل المصري، ومثله قولهم «إبن الوز عوام»، فهذا ما تسمعه في مصر وهو مثل مصري انتشر حتى أدخله الجهيمان في أمثال نجد الشعبية. وكذا قولهم في فلسطين: «إبن الحرام ما خلاش لإبن الحلال حاجة»، فهذا ما يسمع مثله في القاهرة، ولكن الخلاف قد يكون في نطق الجيم، فهي احتكاكية غارية في فلسطين، طبقية شديدة في القاهرة خاصة، أما قولهم «اتغدى واتمدى ولو دقيقتين واتعشى واتمشى ولو خطوتين» فيكاد يشرح دلالة المثل النجدي «مَنْ تَغَدَى فَيَتِمِدَى وَمَنْ تَعَشَى فَيَتَمَشَى»، ويقولون «أجار المعروف عشر كفوف»، وهو كالمثل النجدي «جزا المعروف سبعة اكفوف»، وهو كالمثل الفلسطيني «الي بقول الحق بيدفع النص». وأما قولهم «أجت الحزينة تفرح ما لقتلهاش مطرح» كأنه الصيغة الفلسطينية للمثل المصري «جت الحزينة تفرح ما لأتلهاش مطرح» مع ما تقتضيه القواعد اللهجية من تغيير ظهر في إقحام الهمزة في الفعل «أجت»، ونطق القاف طبقية لا حنجرية كما تسمع في القاهرة. وأما المثل المصري «الرجل تدب مطرح ما تحب»، فجرى عليه شيء من التغيير في التركيب والأصوات، «الإجر ما بتدب إلا مطرح ما تحب»، فنلاحظ أن الرجل نطقت وفاقاً للهجة الفلسطينية «الإجر» وجعل الخبر محصوراً باستعمال أداة الحصر (ما..إلا..). (الشمسان، ٢٠١٠).

واختلف المثل المصري «لو تجري جري الوحوش غير رزقك ما تحوش» فهذه الصيغة الشرطية المعبرة عن امتناع الحدث لامتناع غيره، تحولت في المثل الفلسطيني إلى صيغة طلبية «إجر جري الوحوش غير رزقك ما تحوش»، ولكنها لا تختلف في دلالتها عن المثل السابق، فهي تبين أن الرزق بيد الله، وليس بجهد الإنسان نفسه، وهذا بعد ديني أصيل يمتد إلى الثقافة العقديّة التي ترسخ الإيمان بالله وبالقدر خيره وشره، وهي بهذا ترفع عن كاهل الإنسان همّ التفكير في لقمة العيش قبل الأوان. ونسمع في نجد المثل «اضرب العير يستأدب الفهد» أو «اضرب الكلب يستادب الفهد» وهو أقرب، ويقولون في فلسطين «اضرب الكلب تايستعب الأسد»، وهو يكاد يطابق الصيغة المصرية «اضرب الكلب يتعب الأسد»، غير أن المثل الفلسطيني أضيفت عليه أداة التعليل (تا)، وهي صورة متأكلة من الحرف (حتّى)، وأما (يتعب) أي يعدّ، فجعل منها المزيد بالسين والتاء (يستعب) للدلالة على بلوغ الغاية في العبرة، فالألفاظ في المثل مختلفة، ولكن بنية المثل ودلالته متفقة فهو طلب لعقاب من هان أمره وسهل عقابه لعل هذا يردع من هو أقوى منه فيغني عن تكلف عقابه، وهو أمر ربما يتعذر أو يكون فوق الطاقة، وهذه الأمثال بصيغها المتقاربة تحاكي دلالة المثل العربي «اضرب البريء حتى يعترف السقيم»، ومما يطابق في الغرض، ويختلف بالألفاظ المثل التونسي «اضرب القوسة تتأدب العروسة» (الشمسان، ٢٠١٠).

## أهمية التربية الشعبية:

في الوقت الذي تتكئ فيه التربية على النظريات الحديثة ومنجزات العلم، ربما تبدو الدعوة إلى تربية تستند على التراث الشعبي، دعوة لا تسير الاهتمامات والتوجهات التربوية الحديثة، بتفحص الأمور بدقة سوف نجد أن الدراسات التربوية المتصلة بالقيم والأخلاق هي دراسة في التربية الشعبية، لأن القيم والمعايير الخلقية تعد موروثاً شعبياً. وإن استخدام المورثات الشعبية في التربية لا يتعارض بالضرورة مع مقومات العلم والمستحدثات الثقافية بل يكملها، لأن دراسة التراث بوصفه حقيقة اجتماعية موضوعية، إنما هي دراسة في أبعاد الماضي، وإفرازاته، وترسيباته في الحاضر الذي نعيشه، وليس لأي مجتمع كيان أو تجسيد إلا من خلال تراث الماضي بخبراته، ومؤسساته، وتواصل أجياله عبر الزمن (مكي، ٢٠٠٠). وحيث إن التراث الشعبي هو الأكثر انتشاراً بين فئات الشعب، وأكثر تغلغلاً في ثقافته الفرعية، تصبح التربية الشعبية المرتكزة على التراث إحدى الوسائل الفعالة في دعم عمليات التنمية الشاملة، فالتربية الشعبية ليست معوقاً للمدنية الحديثة، بل تهدف إلى تقديم الخبرات في إطار حديث، مع الحرص على القيم في الثقافة السائدة سعياً للتوفيق بينها وبين المدنية الحديثة بتغييراتها السريعة (رضا، ١٩٩٣). وتستمد التربية الشعبية أهميتها من حاجة المجتمع للحفاظ على هويته، فالمجتمع في حاجة إلى أصول خاصة للتربية السائدة بعد وقت طال، استوردت فيه المؤثرات الثقافية في عصر الانفتاح، الأمر الذي يشكل خطراً داهماً على الخصوصية الحضارية (رجب، ١٩٨٧). وتحقق التربية الشعبية الأمن الثقافي للمجتمع، ففي ضوء مخاطر الهيمنة الثقافية وبرامجها، تغدو الضرورة ملحة على أجهزة الثقافة العربية وقنواتها المختلفة للاهتمام ببرامج الحفاظ على الهوية الثقافية للحضارة العربية الإسلامية، وإبراز قواعدها الأصيلة، وقيمها الروحية، والاجتماعية، والعمل على تجديدها لكي تتفاعل بثقة وإيجابية مع قيم الثقافات الأخرى (عمار، ١٩٩٥).

## الأهمية التربوية للأمثال الشعبية:

تحمل الأمثال الشعبية - رغم بساطتها - عمقاً تربوياً كونها تلخص خبرات الأجيال، وتقدم مضمون هذه الخبرات للممارسة الفعلية لأنماط الفعل الاجتماعي بصورة ميسرة، وتشتمل هذه المضمون على مضامين سياسية، واجتماعية، وأخلاقية، واقتصادية، تسهم في العملية التربوية، ومما يزيد من الأهمية التربوية للأمثال الشعبية عن غيرها من المأثورات الشعبية كونها الصق أنواع الأدب الشعبي بالناس وأقربها إلى عقولهم، لأنها بالدرجة الأولى عطاء شعبي، وإنتاج شعبي، يتصل بالممارسة اليومية، ويصدر عن الفطرة

الطبيعية والبداية، ويجمع بين المألوف والمتعارف عليه، ويتحاشى الغموض، ويعرض الحقائق والأحكام بكل وضوح وواقعية (ناصر، ١٩٩٦)، عدا عن كونها تتميز بأنها تنبع من كل طبقات الشعب، من خلالها يستطيعون أن يتعرفوا على كثير من أخلاق الأمة وعاداتها، وعقليتها، ونظرتها إلى الحياة، وهي أيضاً مصدر للتربوي يصوغ منها مادته، وفي ضوئها يخطط للتربية، ومنها يستقي بعض أهدافه التربوية، وهي مصدر من مصادر الفلسفة التربوية للمجتمع (المقدم، ١٩٩٥).

وتعلمنا الأمثال الشعبية الحياة تعليماً مباشراً، لأنها تختصر فصولاً من الفلسفة في كلمة واحدة، ألهمت تجربة، أو ترجمتها حكمة من صوت الحياة وأحداثها، وتزيد عملية تبسيطها للخبرة الإنسانية من أهميتها التربوية، مما يجعل استخدامها في التعليم والتربية أمراً ميسوراً (البردوني، ١٩٩٣). وتعدّ الحكم والأمثال حقائق اجتماعية أخلاقية قائمة في المجتمعات البشرية يأخذ بها الأفراد، ويخضعون لها في معاملاتهم بعضهم مع بعض. فهي نوع من السلطة الأدبية التي لها تأثيرها في عقلية الناس وتصرفاتهم، ومن ثم تمثل إحدى وسائل الضبط الاجتماعي التي تحتاج إليها التربية (المقدم، ١٩٩٥). كما يزيد من أهمية الأمثال الشعبية في المجتمع، أن الإنسان الفلسطيني حاضِر الفكر، وسريع الخاطر يرتجل الأمثال بفطرة بديهية. فهي بالنسبة لحياة الناس كالمح للطمع تدخل في معظم أحاديثهم، وللأمثال دور في شؤون التربية وتوضيح الأمور للإنسان وتحذيره من كثير من الأشياء (با صديق، ١٩٩٣).

وبرزت أهمية الأمثال كدليل يكشف بسهولة عن طبيعة الشعب وذكائه، على اعتبار أنها جهد مشترك لعامة الشعب على اختلاف نشاطاتهم، وسلوكهم في تعاملهم، وأخلاقهم، وعاداتهم، وكيف تولدت تلك العلاقات؟ ومداهما ودورها في تكوين أخلاقيات الناس. وكذلك تعدّ وثيقة اجتماعية مهمة لرصد الجانب الاجتماعي لحياة السكان الفلسطينيين في حلهم وترحالهم، وفي مدنهم وأريافهم وبواديهم. كما أنها تعدّ قوانين غير مكتوبة يدينون بها ويلتزمون بمضمونها نصاً وروحاً في الغالب عن طيب خاطر، وذلك لما لها من تأثير فعال يترجم عن نزعاتهم العامة، ويكشف عن ملامح شخصيتهم من حيث التقاليد، والقيم، والعادات التي حرصوا ويحرصون على التقيد بها. ومن الأهمية بمكان أنها تشير إلى مختلف الصناعات، والمهن، والأحوال المعيشية التي يحيونها. مثل السخرية من الحرفي الذي يهمل وضعه الشخصي «باب النجار مخلص، والسكافي حافي، والخياط عريان، وبيت البنا ملبان فيران» (مجموعة من الكتاب، ٢٠٠٧).

## الدراسات السابقة:

اهتمت العديد من الدراسات العربية والفلسطينية السابقة في التربية الشعبية، ودراسة المثل خاصة ومنها:

دراسة أبي مصطفى وزملائه (٢٠٠٩) ، التي هدفت إلى التعرف إلى الدلالات القيمية للأمثال البدوية، والتعرف إلى مضارب الأمثال البدوية الفلسطينية، واشتملت عينة الدراسة التي تشكل مجموعة الأمثال البالغ عددها (١٢٤) مثلاً، اختيرت من (٣٠٠) مثل. أما الطريقة التي اتبعها الباحث في جمع الأمثال، فقد كانت الأخذ المباشر عن أسنة الناس ذوي الخبرة والتجربة. وقد صُنِّفَت أمثال عينة الدراسة على ضوء القيم المتضمنة للقيم الدينية والأخلاقية، والذكائية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية. وتوصلت الدراسة إلى أن الدلالات القيمية للأمثال تمثلت في أهم القيم الأخلاقية الآتية: الحياء، والاستقامة، والصراحة، والصدق، وقول الحق والالتزام، والرجولة والجرأة، والكرم، والتوضيح، وكرتمان السر، والاحترام، والترفع عن الصغائر، والصدقة، والصبر على أذى الآخرين، وحسن الجوار.

أما دراسة العجمي (٢٠٠٩)، فقد تناولت دور المثل الشعبي في صناعة القيم «قيم التخلي عن المسؤولية نموذجاً»، حيث يدرس هذا البحث المثل الشعبي في السعودية، وما يماثله في الوظيفة من التعبيرات الشعبية والأقوال السائرة، في منطقتي ثقافية شبه متجانسة بشكل عام. ويستعرض قيماً محددة تتعلق بالشعور بالمسؤولية السياسية، والاجتماعية، والأدبية، والتربوية في جانبها الإيجابي والسلبي. وترتكز على محورين: أحدهما متعلق بالخلقية النظرية عن صناعة القيم من خلال العلامات اللغوية، وما تسهم به في حشد القدرات الفكرية نحو الاتجاهات الحضارية والأخلاقية المختلفة. ويتناول هذا المحور آليات تكوين الموروث وبناء القيم، عن طريق دراسة العلاقة بين التجربة الإنسانية والتصورات الذهنية للنماذج الإنسانية التي تشكل مصادر التمثل عند تكوين معايير القيم في المجتمع. ويستعرض البحث عوامل الهيمنة في المجتمع التي تقود إلى صناعة الأفكار ذات الأثر البارز على الرأي العام، سواء أكانت وسائل نشر عامة، أم توجهات شعبية في مجالس السمر ذات الطبيعة الخاصة. أما المحور الآخر في هذه الدراسة فيتعلق بالجانب التطبيقي المرتبط بقيم المسؤولية. ويركز هذا المحور على تصنيف المادة المدونة، ودراسة جوانبها الأنثروبولوجية والنفسية والاجتماعية، وما يتعلق بصيغ الأقوال وتوظيفها، دون إغفال الأبعاد الأخلاقية والفلسفية لتلك العبارات المؤثرة في حياة الفرد والمجتمع.

وهدف دراسة نمر (ب، ت) ، إلى جمع أكبر عدد من الأمثال الشعبية التي لها صلة في منطقة جنين، والتي يمكن اعتبارها ممثلة لكافة مناطق فلسطين الجغرافية بمختلف ممارسات الإنسان الفلسطيني في مواقعه كافة وتنوعها، حيث تناول هذا البحث ستة عناوين، هي في الأصل حلقات تتوسع حول مرمى حجر واحد في مياه العلائق الاجتماعية، وممارساتها الواقعية، واسقاطاتها في حالات الهروب من المواقف أو السياقات، وهذه العناوين تندرج كالآتي: الاتجاه للحركة والعمل وعلاقة ذلك بالصحة: «صاحب العيال مش لازم إنام» و «الزيت مسامير الركب»، و «الجمال ما بقيمها الخرفيش»، و «أكل الرجال على قد أفعالها»، واللي بوكل لمقمر لازم يتشم». والإفرازات الاقتصادية: «بوكل لوز وسكر»، و «العدس ولا الفلس»، والرايب للنسايب والزبدة للحبايب»، و «العز للرز والعدس شنق حاله». والقيم الاجتماعية: «كبير البطن برضيه الطعام، وقليل العقل برضيه الكلام» و «نص البطن بغني عن ملاته»، و «إذا كان حبيبك عسل تلحسوش كله». والآداب، والسلوك: «لاقيني ولا تغديني. وقدسية الطعام: «وحياة هالعيش»، أو «وحياة هالنعمة»، «اللقم ترد النقم». وصورة البيئة: «الدفا عفا»، و «النار فاكهة الشتاء»، و «في آب اقطع القطف ولا تهاب»، و «في تشرين بغبر العنب والتين»، و «بيت السبع ما بخلى من العظام» و «في المشمش». ومنحى الأوصاف والنعوت: «اللي بوكل ع ضرسه بنفع نفسه»، «حلوه من حلاوتها، ومالحة من عفانتها»، «ضرب الحبيب زبيب، وحجارته قطين»، و

ما شفت يوم تا أبكي ع أيامه

إلا خبز الشعير وقلة إدامه

وأوضحت دراسة نجم وعلي (٢٠٠٦) صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية، حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على الصورة المقدمة عن المرأة من خلال الأمثال الشعبية الفلسطينية، والكشف عن مدى توافق الصورة المقدمة عن المرأة مع المنظور الإسلامي. وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وتحليل المضمون، وتكون مجتمع الدراسة من (٢٠٠) مثل شعبي متداول على السنة كبار السن، وتكونت عينة الدراسة من (١٠٠) مثل شعبي، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك إشادة بالأمثال بالصورة المتميزة التي احتلتها المرأة من خلال علاقتها بالأبناء، والزوج، والمجتمع، وقدمت الأمثال صوراً متعددة للمرأة منها (الثقافية، والاجتماعية والاقتصادية، والتربوية) التي ساهمت في تشكيل جوانب الصورة العامة للمرأة في المجتمع الفلسطيني. كما احتلت المرأة مركزاً إيجابياً في علاقتها بزوجها من خلال الأمثال الشعبية، كما أشارت النتائج إلى أن المرأة أدت دوراً سلبياً في عدم مشاركتها في صنع القرار، والتقليل من شأنها، ومخالفة رأيها.

دراسة مكي (٢٠٠٠) التي تهدف إلى التعرف على التربية الشعبية في اليمن، دراسة

للمثل الشعبي في محافظة «إب»، إحدى محافظات الجمهورية اليمنية. بعد تحليل بعض الأمثال الشعبية اليمنية في محافظة «إب» توصلت الدراسة إلى أن التربية الشعبية للمجتمع اليمني ضرورية لتحافظ على قيم المجتمع وتقاليد وعاداته، وتسهم في الحفاظ على الهوية اليمنية المميزة للشعب اليمني في مواجهة العولمة، حيث يمتلك المجتمع اليمني أمثالا شعبية، يمكن استخدامها في التربية الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والأخلاقية. وتمتاز الأمثال الشعبية اليمنية بالوفرة والتنوع، وتسهم التربية الشعبية باستخدام المأثورات الشعبية ومن بينها الأمثال في إيجاد ثقافة مشتركة بين الثقافات الفرعية، والحد من الصراع بين الأجيال، وتحقيق المشاركة الفعالة من كل أبناء المجتمع في التنمية الشاملة، وأوصت الدراسة بالاهتمام بالمأثورات الشعبية وتدوينها للحفاظ عليها.

وأعد أبو دف (١٩٩٩) دراسة استهدفت الكشف عن أبرز القيم المتضمنة في الأمثال الشعبية من منظور إسلامي. وأظهرت الدراسة غنى الأمثال الشعبية الفلسطينية بالعديد من القيم الإيجابية التي استوعبت مجالات عديدة في حياة الانسان، وتوافقت مع ما جاء في الكتاب والسنة، واحتواء الأمثال على مجموعة من القيم السلبية المتعارضة مع ما جاء في الكتاب والسنة.

ويتضح لنا من عرضنا السابق للدراسات السابقة ما يأتي:

- أنها أكدت على أن الأمثال الشعبية جزء لا يتجزأ من الأدب الشعبي.
- أن المثل الشعبي يعد مرآة صادقة لثقافة الشعوب، وعاداتها، وتقاليدها.
- أن هناك اهتماماً من بعض الباحثين بجمع الأمثال الشعبية.
- قلة الدراسات التي تناولت الأمثال ودلالاتها القيمة في الوطن العربي بوجهة عام، وفي محافظة الخليل في فلسطين بوجه خاص، وهنا تكمن أهمية الدراسة الحالية.

## إجراءات الدراسة الميدانية:

### مجتمع الدراسة وعينتها:

تشكل مجموعة الأمثال البالغ عددها (٦٥٠) مثلاً مجتمع الدراسة، اختير منها (٢٠٠) مثل كعينة، تم جمعها من أفواه كبار السن وذوي الخبرة والتجربة، في قرى ومدن محافظة الخليل في فلسطين، وهذه الطريقة لجمع المأثورات الشعبية، تحقق ميزة الشمول والإتساع، كما تتميز بخاصية الانضباط والتوحيد في مواصفات المادة المجموعة، حيث سُجِّلت هذه الأمثال من شهر نيسان حتى شهر آب من عام ٢٠١١، وسُجِّلت الأمثال باللهجة نفسها التي أُلقيت بها. واعتمد في اختيار الأمثال على الأمثال الأكثر تردداً.

## نتائج الدراسة الميدانية:

◀ سؤال الدراسة الأول: ما الدلالات القيمية التربوية في المثل الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل؟

قام الباحثان بتحليل قائمة الأمثال التي اختارها، لأن التحليل هو الطريقة العملية للملائمة لتحقيق ما ترمي إليه الدراسة، وتوصلاً إلى أن الأمثال الشعبية يمكن تقسيمها حسب الدور الذي يمكن أن تؤديه في العملية التربوية إلى الآتي:

- الأمثال المتضمنة للقيم الاجتماعية: وتتضمن المفاهيم والقيم الاجتماعية والأخلاقية، وتنظيم العلاقات بين الأفراد، والإعداد الخلقى للأفراد.. الخ وتبلغ (٨٨) مثلاً شعبياً.

- الأمثال المتضمنة للقيم الاقتصادية: وتتضمن المفاهيم والقيم الاقتصادية، التي تسهم في إعداد الأفراد للمشاركة الفعالة في التنمية الاقتصادية، وتبلغ (٢٣) مثلاً شعبياً.

- الأمثال المتضمنة للقيم الدينية: وتتضمن المفاهيم التي تسهم في تربية الفرد تربية دينية، مع الحرص على المحافظة على عدد من القيم ومنها: الصدق، والتسامح، والتوكل على الله، والإيمان بالقدر.. الخ، وتبلغ (٥٥) مثلاً شعبياً.

- الأمثال المتضمنة للقيم السياسية والوطنية: وتتضمن المفاهيم والقيم السياسية، مثل الولاء، والانتماء، والوطنية، والاعتزاز بالكرامة، وتعمق هذه القيم لدى الأفراد.. الخ، وتبلغ (٤٣) مثلاً شعبياً.

### ◆ أولاً- الأمثال الاجتماعية والأخلاقية ودلالاتها التربوية:

بتحليل الأمثال الشعبية الأكثر اتصالاً بالحياة الاجتماعية للمجتمع، وجد أنه يمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات، كل مجموعة منها تمثل محوراً من محاور الحياة الاجتماعية للمجتمع في محافظة الخليل، وتشمل الأمثال التي تتعلق بالصدقة وهي:

■ «الصديق وقت الضيق»، «ومن لاقى صحابة نسي أحبابه»، و «الصاحب صاحب»، «ورب أخ لك لم تلده أمك»، تهدف إلى التأكيد على أهمية الصداقة، وأن كل قرين بالمقارن يقتدي، وينوّه بأهمية الصديق في الأفراح والأتراح.

■ «اتق شر من أحسنت إليه»، و «كثر الواجب بقل القيمه»، «الزائد أخو الناقص»، و «محل ما تأمن خاف» و «إذا صاحبك بدك تبقيه لا توخذ منه ولا تعطيه»، «ورافق السعيد تسعد»، «ورافق السبع ولو بياكلك». تهدف هذه الأمثال إلى التحذير من الصحبة السيئة، والمحافظة على الصديق الصدوق، مع ضرورة انتقاء الأصدقاء.

## الدلالات التربوية:

يتضح من هذه المجموعة للأمثال الشعبية الاجماعية أنها تهدف إلى تحقيق ما يأتي:

- تحديد معنى الصداقة وأهميتها في حياة الإنسان.
- توجيه الفرد نحو الاختيار الصحيح للأصدقاء والجلساء). تحذير الفرد من مصاحبة أهل السوء).
- عدم المغالاة في احترام الصديق، ووجوب الحذر بشكل عام.

## الأمثال التي تتعلق بالزواج والأعراس، والعلاقة بين أفراد الأسرة:

- «سمرة ونغشة، ولا بيضة ودفشة»، و «خود الحلو واقعد قبالة، وإن جعت شاهد جماله»، و «البشع بشع لو تغسل كل يوم، والحلو حلو لو فاق من النوم»، و «الطويلة طالت التينة والقصيرة ظلت حزينة». و «يا ماخذ القرد على ماله، بروح المال ويبقى القرد على حاله»، و «بخت الرمايم قايم»، و «بدلت غزلانها بقرودها»، و «خدها بيضة ولو مجنونة» - (أمثال سلبية) - و «لبس البوصة بتصير عروسة»، و «سلاح البنت مراية ومشط»، و «يا ميخذ الصغار يا غالب التجار»، و «عمر الزين ما يكمل»، و «البنت الحلوة نصف مصيبة». وتهدف هذه الأمثال إلى التأكيد على الجانب الجمالي للمرأة، وأن الخاطب يهتم في الغالب بالجانب الجمالي للمرأة، وصغر السن، وأن كل امرأة تستطيع أن تكون جميلة إن اهتمت بنفسها من الداخل والخارج.

- و «اللي بحط فلوسه بنت السلطان عروسه»، و «العروسة للعريس والجري للمتاعيس»، و «بدهم جنازة بيشبعوا فيها لطم، وبدهم عرس بيشبعوا فيه رقص»، و «يا ميخذ القرد على ماله بروح المال ويبضل القرد على حاله» وتهدف هذه الأمثال إلى توضيح أهمية الجانب المالي في الزواج، والمغالاة في الاحتفالات.

- و «يا بخت من وفق راسين بالحلال»، أو «نيال من وفق راسين على مخدة»، و «امشي في جنازة ولا تمشي في جوازة»، و «من طين بلادك لط خدادك»، و «زوان بلدنا ولا قمح الغريب»، و «بيعطى الحلق للي مالهاش ودان وبيعطى الفول للي مالوش أسنان»، و «أعزب دهر ولا أرمل شهر»، و «ايش دخلك بيت عدوك، قال حبيبي فيه»، و «خذي نوري ولا تبوري» (مثل سلبي). تهدف هذه الأمثال إلى أهمية الحث على الزواج، وأهمية المساعدة



في البحث عن عروس ولكن مع الحذر الشديد، والمعرفة التامة قبل الإقدام على هذه الخطوة المهمة في الحياة.

- «اخطب لبنتك قبل ما تخطب لأبنك»، و «قبل ما تدور على مرة دور لابنك على خال»، و «خذ الأصيله ونام على الحصيرة»، و «بنت الرجال عانت واستعانت، وبنت الأندال حطت راسها ونامت»، و «اللي ما بدوا يزوج بنته بيغلي مهرها»، و «بنت العم عورة»، و «الأصل بونس»، و «إللي بدو الملاح ببيع السلاح»، «عليك بخال الخال يا طالب العلا». تهدف هذ الأمثال إلى الانتقاء والبحث عن الأصول، فالدين حث على الاختيار الجيد.

- «جيبوا بنات ولا تقعدوا بطالات» (مثل سلبي) ، و «هم البنات للممات»، و «الولد البكر بيحيي الذكر»، و «اللي بسعدها زمانها بتجيب بناتها قبل صبيانها»، و «الصفار زينه الدار»، و «قبل ما تحبل حظرت الكمون وقبل ما تولد سمثوا مأمون»، «سبع عقارب على الحيط ولا ثلاث بنات في البيت» (مثل سلبي) ، و «ابني ما بطلقني وهمه ما بفارقني». تهدف هذه الأمثال إلى الحث على الإنجاب، وأن هناك فرق بين إنجاب الإناث والذكور (أمثال سلبية) ، وتوضح أن للأهل مسؤولية دائمة بعد زواج الأبناء.

- «إللي ما رضعش من درة إمي لا هو أخوي ولا ابن عمي»، و «إذا طلعت ذقن ابنك ربي لحيتك»، و «إطعم ابنك وأكرمه أبصر مين وراك يحرمه»، و «ما أعز من الولد غير ولد الولد»، إن كبر ابنك خاويه، ويقال إن طلعت ذقن ابنك احلق ذقنك»، و «الخلف خلف بنت ولا ولد»، و «الولد مرآة أبيه»، و «سر البنات أمها وسر الولد أبوه»، و «الأم بتعشش والأب بيطفش»، أو ريحة الأم بتلم». تهدف جميعها إلى توضيح علاقة الأسرة ببعضها وخاصة الأم، التي تتأثر العملية التربوية لبناء الأسرة بها، لأنها هي التي تنشأ الأطفال، ولذا نرى الأم تستأثر بهذا الإعجاب.

### الدلالات التربوية:

يشير تحليل هذه الأمثال إلى أنها تهدف إلى:

- الحث على تقدير قيمة الجمال، وأن على كل بنت الاهتمام في الجانب الجمالي سواء الداخلي (جمال الروح) ، أو الخارجي (جمال المظهر) .
- بيان قيمة المال، واهتمام الناس بالمال أكثر من الدين والأخلاق.. الخ.
- الحث على تسهيل أمور الزواج، والزواج من بنت البلد الأصيله، وعدم المغالاة في الاحتفال والصرف.
- الحث على اهتمام الأب بزواج الإبنة، وتغريب النكاح.

- الحث على إنجاب الأطفال، وإظهار شعور الناس السلبي من إنجاب الإناث في الأمثال السلبية.

- علاقة الوالدين والأبناء.

### الأمثال التي تتعلق بعلاقة الجار بالجار وهي:

كثرت الأمثال التي تحث على العناية بالجار، أو اختيار الجار، أو ذم الجار السيء، أو الصبر على أذى الجار، ومن ذلك:

- «أسرارك مع جارك»، و «مين أدري بحالك غير ريك و جارك»، و «مين يشهد للعروس غير أمها وأختها وسبعة من حارتها»، و «الجار للجار ولو جار»، و «دور على الجار قبل الدار»، و «دار بلا جار ما بتسوى حمار». تهدف إلى بيان أهمية اختيار الجار، والعلاقة الإيجابية معهم.

- «اللي بتتمناه لجارك بطب في دارك»، أو «تمنى الخير لجارك تشوفه في ديارك»، و «الجار جار لو رماك بحجار»، و «كوم حجار ولا هالجار»، و «جارك القريب أحسن من أخوك البعيد»، و «البغض في الأهل والحسد في الجيران» أو «الحسد في الجيران والبغض في القريب»، و «النبي وصّى على سابع جار»، و «وجه تصابحه كيف تقابحه»، و «إذا بغضك جارك حول باب دارك»، و «جارك معلمك يا رب تسلمك». تهدف إلى الحث على العلاقات الجيدة مع الجيران، والنصح بعدم خصام الجار، والصبر عليه.

### الدلالات التربوية:

يشير تحليل هذه الأمثال إلى أنها تهدف إلى:

- صياغة شكل العلاقة مع الجار.
- مراعاة حقوق الجار.
- عدم الإساءة للجار وتقوية العلاقة معه.
- تصوير مدى ارتباط مصالح الجيران مع بعضهم.

### الأمثال التي تتعلق بكرم وأدب الضيافة:

عبرت الأمثال الشعبية في فلسطين عامة، وفي محافظة الخليل خاصة عن الاهتمام بالضيف من لحظة وصوله وحتى مغادرته، ومنها:

♦ «لاقيني ولا تغديني»، و «ما جود إلا من الموجود»، و «الضيف بيجي رزقه معاه»،

و «الضيف ضيف الله»، و «من شاور ضيف عنده ما عزم»، و «الضيف أسير المحلي». تهدف إلى واجب الضيف وحسن استقباله، وإكرامه على أحسن وجه.

♦ «طمع الضيف ومد ايده أجا المحلي وكسرهما» (مثل سلبي)، و «ضيف وحامل سيف». تهدف إلى وجوب الانتباه إلى أن هناك من لا يقدر قيمة الضيافة، ولا يراعي حرمان البيوت.

♦ «إذا ضربت أوجع وإذا أطعمت أشبع»، و «الضيف فرج للمحلي»، و «لقمه هنية بتكفي ميه»، و «بيت الضيق بسع مية صديق»، و «كبير القوم خادمهم»، و «عز نفسك تجدها». تحت هذه الأمثال على وجوب إكرام الضيف وخدمته، وهي من القيم الاجتماعية والدينية التي ورثتها مدينة خليل الرحمن عن أبي الأنبياء إبراهيم «عليه السلام»، فتكية الخليل ما زالت قائمة حتى يومنا هذا.

### الدلالات التربوية:

هذه المجموعة من الأمثال تعتمد على توضيح أهمية الأساليب الاجتماعية للتعامل مع الآخرين، والتحذير من بعض التصرفات التي يرفضها المجتمع، وتشدّد على ما يأتي:

- ♦ إكرام الضيف، وحسن استقباله وخدمته.
- ♦ عدم المغالاة في الضيافة.
- ♦ على الضيف أن يقدر حسن الضيافة، وعدم تجاوز حدوده.

### الخلاصة:

تهدف هذه الأمثال إلى تربية الفرد تربية اجتماعية، حيث يلاحظ أنها:

1. اعتمدت بشكل رئيس على البعد الديني، فالمأثورات الشعبية في الغالب تعتمد على المعرفة الدينية، لأنها تشكل مصدراً مهماً يستلهم منه الشعب مأثوراته الشعبية لتوجيه الأفراد.
2. اعتمدت على الأمثال في المجتمع الفلسطيني كأحد أساليب التربية والتوجيه، والإرشاد التي يعتمد عليها الفرد في غرس القيم، والأخلاق الحميدة، والصفات النبيلة والطيبة.
3. استخدمت الأمثال أسلوب التحذير لإبراز خطر المساوئ الاجتماعية، وأن هناك الجانب الإيجابي والسلبي، ووجوب الحذر من المغالاة في أي أمر.
4. تشكل هذه الأمثال معاً نموذجاً يمكن أن يسهم في تربية الفرد تربية اجتماعية، ويحقق له علاقة طيبة مع الآخرين، مما يؤدي إلى التماسك الاجتماعي.

## ◆ ثانياً. الأمثال المتضمنة للقيم الاقتصادية ودلالاتها التربوية:

من أهداف الأمثال الشعبية تربية الفرد تربية اقتصادية لترسيخ عدد من المفاهيم الاقتصادية لدى الأفراد كالعمل، والادخار، والاستثمار، والبعد عن سؤال الناس، والبخل، والتبذير.. الخ ومنها ما يأتي:

■ «خبي قرشك الأبيض ليومك الأسود»، و «بيت السبع ما بيخلا من العظام»، و «خزين الصيف بينفع للشتاء»، و «نص البطن يغني عن ملاته»، و «الطمع ضر وما نفع»، و «لقمة هنية بتكفي مية»، و «الطايح رايح»، و «اللي برضى بقليله بعيش»، و «يوم غسل ويوم بصل». تحت هذه الأمثال الفرد على الادخار وعدم الإسراف، والرضا والقناعة بالرزق، والبعد عن الطمع، والحث على العمل الدؤوب.

■ و «التجاره شطاره»، و «الزلمة جنّا والمرة بنّا»، و «أعطي الخبز لخبازه ولو أكل نصفه»، و «مال بجر مال وقمل بجر سيبان»، و «هين فلوسك ولا تهين نفوسك»، و «اصرف التسعة تجي العشره». وتهدف هذه الأمثال إلى حث الفرد على العمل، وبخاصة التخصص في مجالات العمل المختلفة، وإلى إرشاد الفرد إلى الاستثمار، والحث على الصرف الإيجابي.

■ «تاجرنا بالكفان بطلت الناس تموت» (مثل سلبي)، و «درهم حظ ولا خزائن مال»، و «باع كرمه واشترى معصرة». يهدف إلى البعد عن التشاؤم، والخيبة بالعمل التجاري.

■ «على قد فراشك مد رجليك»، و «الراس على قد الطاقية»، و «لو تجري جري الوحوش غير نصيبك (أو غير رزقك) ما بتحوش». وتهدف إلى الحث على القناعة والاكتفاء الذاتي.

ويتضح لنا من السابق أن الدلالات القيمية للأمثال تمثلت في أهم القيم الاقتصادية الآتية: الواقعية، الادخار، والاقتصاد في المعيشة، والقناعة، والاكتفاء الذاتي، واحترام العمل، والسعي الدائم لطلب الرزق بدون كلل.

### الدلالات التربوية:

- تظهر أهمية العمل للفرد والمجتمع، واحترام قيمة العمل.
- تظهر أهمية الاستثمار من أجل التنمية.
- تحث الفرد على الاجتهاد والتخصص في مجال العمل.
- تحذير الفرد من الاتكال على الآخرين وتدعوه إلى العمل.
- حث الفرد على القناعة، والصرف الإيجابي.

## الخلاصة:

يتضح من تحليل هذه الأمثال الشعبية أنها تؤدي دوراً مؤثراً في التربية الاقتصادية للفرد، من خلال المشاركة الفعالة في عملية التنمية الاقتصادية التي يحتاج إليها الشعب الفلسطيني في هذه الفترة الحرجة من تاريخه وتسهم في:

- تربية روح العمل لدى الفرد.
- تظهر أهمية العمل وأهمية إتقانه.
- تحذر الفرد من التكاسل والتواكل.

## ◆ ثالثاً. الأمثال المتضمنة للقيم الدينية ودلالاتها التربوية:

تشكل المعرفة الدينية مصدراً يستلهم منه الأفراد أمثالهم الشعبية، والأقوال المأثورة لتوجيههم الوجهة الصحيحة نحو القيم الدينية ومنها: طاعة الله، والتوكل على الله، الإيمان بالقضاء والقدر، والتسامح، والصبر على الشدائد، والتعاون، والتفكير.. الخ، ومنها:

■ «من توكل على الله ما خاب، ولا تسكرت بوجهه الأبواب»، و«اسعى يا عبدي وأنا اسعى معك»، و«كن مع الله ولا تبالي»، و«ما بعد الضيق الا الفرج»، و«إللي من الله حياه الله»، و«إللي نيته السترة الله بستره»، و«إللي الله معاه لا تخاف عليه»، و«لو تجري جري الوحوش غير رزقك ما بتحوش»، و«يا عالم بحالي عليك اتكالي»، و«ويا غافل إلك الله». تهدف إلى الحث على التوكل على الله بعد السعي الدؤوب لطلب الرزق الحلال، والإيمان بالقضاء والقدر.

■ «العبد في التفكير والرب في التدبير»، و«الشكوى لغير الله مذلة»، و«لا تقول همي كبير، قول ربي كبير»، و«إن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه». وتهدف إلى الحث على التفكير، والتعاون، والاعتماد على النفس.

■ «إللي ما بياخذ من ملته بموت بعلته»، و«السخي حبيب الرحمن والبخيل حبيب الشيطان»، و«اللقم تدفع النقم». وتهدف جميع هذه الأمثال إلى حث الإنسان على التزوج من نفس البيئة والديانة، وتشجيع الافراد على الكرم، والبعد عن البخل الذي ذمه الله في كتابه العزيز، والحث على الصدقات.

■ «أهل السماح ملاح»، و«الصلح سيد الأحكام»، و«العفو عند المقدرة»، و«المعروف صيد»، و«الطمع في الأجويد»، و«إذا كان صاحبك طماع كون قليل حساب»، و«من اعترف بذنبه غفر له ربه»، و«اعمل المعروف وارمي في البحر»، و«نام مغلوب ولا تنام غالب»، و

«الباني طالع والباحش نازل». تهدف إلى بيان حسنات وفوائد التسامح، والبعد عن الطمع.

■ «إذا كان الكذب ينجي الصدق أنجي»، و«صادق الناس بتشاركها في أموالها»، و«مثل اللي بيحكي الحق تنخزق طاقيته»، و«قالوا يا جحا مال راسك مطبوش قال من قول الحق»، و«عين شافت وما شهدت ويك من الله»، و«قلنا هيك قالوا اطلع من البلد»، و«قول للأعور أعور في عينه»، و«الكذب حبله قصير»، و«الكذب يبعد شاهده»، و«ما أكذب من شب تغرب إلا شايب ماتت اجياله»، و«ما أكذب من الخال إلا ابن أخته»، و«من أمنك لا تخونه لو كنت خاين»، و«قول الحق ولو على قطع رقبتك». وتهدف هذه الأمثال للحث على قول الحق «الصدق»، ونبذ الكذب.

■ «في التآني السلامة وفي العجلة الندامة»، و«طول البال بهد جبال»، و«يوم الطحان يوم»، و«اللي بصبر بنول»، «صبرك على حالك ولا صبر الناس عليك»، و«الصبر مفتاح الفرج»، و«الصبر طيب»، و«المكتوب على الجبين بتشوفه العين»، و«من صبر على جاره ورثوا الله دياره»، و«ابطي ولا تخطي»، و«الصباح رياح»، و«خلي السمن في اجارة لما تيجي اسعاره»، و«صبر ساعة ولا كل ساعة»، و«اصبر على الحصرم بتاكله عنب»، أو «اللي بصبر على العنب بوكل زبيب». وتهدف هذه الأمثال إلى الحث على التآني، والتحلي بالصبر، وعدم التسرع.

### الدلالات التربوية:

- التوكل على الله.
- الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.
- السعي لطلب الرزق، والحث على الكرم والبعد عن البخل.
- الحث على التسامح، والابتعاد عن الحقد والضغينة.
- الحث على قول الصدق، والابتعاد عن قول الكذب.
- التحذير من عواقب الكذب.
- الحث على التآني والصبر على الشدائد، والتحذير من الاستعجال.

### الخلاصة:

يتضح من تحليل الأمثال السابقة، أنها تدور في فلك التربية الدينية، وتحث الفرد على التمسك بالدين، وتشدد على الآتي:

- أن التوكل على الله طريق النجاة.

- الايمان بالقضاء والقدر، والبعد عن التواكل.

- أن الصدق منجاة، والصبر مفتاح الفرج.

#### ◆ رابعاً الأمثال السياسية الوطنية ودلالاتها التربوية:

تهدف هذه الأمثال الشعبية إلى بناء المواطن سياسياً، فهي تسعى إلى غرس بعض القيم الوطنية ومفاهيم الحكم لدى الفرد، والولاء والانتماء عن طريق هذه الأمثال المتصلة بالحياة السياسية والوطنية وهي:

■ «الأرض زي العرض»، و «عمر الدم ما صار ميّ»، و «ما حك جلدك مثل ظفرك»، و «ما مات حق وراه مطالب»، وتهدف هذه الأمثال إلى حث الأفراد على التمسك بالأرض، وعدم الثقة بالأعداء، والسعي وراء الحق.

■ «الصلح سيد الأحكام»، و «خلي للصلح مطرح»، و «اللي مالو كبير مالو تدبير»، «من استشار ما خاب»، و «ما في شدة إلا وراها فرج»، و «دوام الحال من المحال»، و «إيد سيدك بوسها وادعي عليها بالقطع» (مثل سلبي)، و «الأرض طلبت أهلها»، و «الحيط الواطي كل الناس بتنطه»، و «صدور الأحرار صدور الأسرار»، و «الصبر يورث الظفر». وتهدف تلك الأمثال إلى الحث على قيمة الإصلاح، والشورى، والمناورة، والمحافظة على الحدود، وحفظ الأسرار، وأن الأرض بحاجة إلى الرجال الأقوياء للدفاع عنها.

■ «عدو جدك ما بودك»، و «أهلك ولا تهلك»، و «عمر الحية ما صارت خية»، و «الدار دار أبونا وأجو الغُربا يطحونا»، و «عمر العدو ما صار حبيب»، و «م طرح ما تأمن خاف»، و «اللي ما بخاف ما بخوف» و «العدو عدو لو أطعميه حلوة» و «الكف ما بلاطم المخزن» (مثل سلبي). وتهدف هذه الأمثال إلى عدم الثقة بالأعداء، والتعاون مع الأهل والمجتمع، ودوام الحرص.

■ «من طلع من داره قل مقداره»، و «الغريب يكون أديب»، و «المنية ولا الدنية»، و «يا معمر بغير بلدك ما هو إلك ولا لولدك»، و «الغربة كربة وهم للركبة»، و «ما بحرث الأرض الا عجولها»، و «الهزيمة بتحل العزيمة»، و «الهريبه تلتين المراحل»، و «ميت جبان ولا الله يرحمة»، و «الجبان بخاف من خياله». وتهدف هذه الأمثال إلى الحفاظ على الأرض، والتركيز على الولاء والانتماء، وذم الغربة والعمل بعيداً عن الوطن، وأن كرامة المرء داخل وطنه، والتحلي بالشجاعة، والبعد عن الجبن.

## الدلالات التربوية:

- غرس الولاء والانتماء في نفوس الأفراد.
- الحث على الشورى، والصلح، والحرص.
- غرس حب الوطن، وذم الهجرة خارج الوطن.
- الحث على الشجاعة وذم الجبن.

## الخلاصة:

- بعد تحليل مجموعة الأمثال السابقة، يلاحظ أنها ركزت على عدد من القيم التي تهتم المجتمع الفلسطيني كونه يعاني من التشتت بسبب الاحتلال الإسرائيلي، فالأمثال غنية بتوجهاتها السياسية والوطنية التي تحتم علينا أن ننهل منها كل ما هو مفيد، ومنها:
- تشجيع الفرد على إعمار بلاده، والتشبث بأرضه مهما كانت الظروف.
  - ذم الغربة والهجرة، وتفريغ الأرض من الكفاءات.
  - توجيه الفرد إلى حب الوطن والدفاع عنه والتمسك بتربيته وهي من أعظم دلائل التربية الوطنية.

## ◀ سؤال الدراسة الثاني: ما التوصيات لنشر الدلالات القيمية الموجودة في المثل الفلسطيني بين أطراف المجتمع الفلسطيني كافة؟

- الاهتمام بالمأثورات الشعبية وتدوينها للحفاظ عليها.
- إدخال بعض عناصر التراث الفلسطيني خاصة في المناهج التعليمية.
- استخدام الأمثال الشعبية في التربية لتأصيل القيم والثقافة الفلسطينية.
- توظيف الأمثال الشعبية في دعم عملية التنمية الشاملة.
- أن تولي أجهزة الإعلام اهتماماً كافياً بالمأثورات الشعبية.
- إنشاء مركز متخصص في المأثورات الشعبية والتراث الشعبي بصفة عامة يعمل على تنقية التراث والحفاظ عليه ونشره.



## المصادر والمراجع:

١. ابن عبد ربه الاندلسي (١٩٨٦) ، العقد الفريد، ط ٥، بيروت، دار صادر.
٢. ابن منظور (١٩٩٧) ، لسان العرب، ط ٦، دار صادر، بيروت.
٣. ابو دف، محمود (٢٠٠٣) ، القيم في الامثال الشعبية الفلسطينية، مؤسسة فلسطين للثقافة.
٤. C:\Documents and Settings\raja. CERAMIC- 6845FA3\Desktop
٥. الزمخشري (١٩٨٤) ، الكشاف، ط ٤، بيروت، دار إحياء التراث.
٦. أبو مصطفى، نظمي، وعزیز، عبد الله، أبو جراد، سليمان (٢٠٠٩) ، بعض الأمثال البدوية الفلسطينية ودلالاتها القيمية، [http:// palestineonly. net/ vb/ archive/ index. php/ t- 73639. html](http://palestineonly.net/vb/archive/index.php/t-73639.html)
٧. با صديق، حسين (١٩٩٣) ، في التراث الشعبي اليمني، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمن.
٨. العجمي، فالح (٢٠٠٩) دور المثل الشعبي في صناعة القيم «قيم التخلي عن المسؤولية نموذجاً»، مجلة الخطاب الثقافي، دراسات، العدد الثاني،
٩. WWW. repository. ksu. edu. sa/ jspui/ bitstream/ 123456789/ .../ Prov- erb\_file. d
١٠. منال، محمد (٢٠٠٧) ، الأمثال الشعبية وأثرها في سلوكنا، [http:// www. umabdu. lah. com/ vb](http://www.umabdu.lah.com/vb)
١١. الصياصنه، مصطفى عيد (١٩٩٢) ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وكلام العرب واثارها في تربية الجيل المسلم. دار المعرج الدولية للنشر الرياض.
١٢. رضا، محمد جواد (١٩٩٣) ، العرب والتربية والحضارة (الاختيار الصعب) ، ط ٣، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص، ٢١٣.
١٣. رجب، مصطفى (١٩٨٧) ، التربية الشعبية في المجتمع الريفي، دراسة حالة في سوهاج، جمهورية مصر العربية، دار محسن للطباعة.

١٤. زهران، حامد (١٩٨٤)، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ص ١٣٢.
١٥. شكارنه، عمر (ب، ت)، المثل الدراج في فلسطين مصدره وروافده، <http://www.fat-hforums.com/showthread.php?t=109337>
١٦. المستشرق زولهائم (٢٠٠٩)، الأمثال العربية القديمة، دار صادر، بيروت.
١٧. مكي، أحمد (٢٠٠٠)، التربية الشعبية في اليمن، دراسة للمثل الشعبي في محافظة إب، اليمن، <http://www.yemen-nic.info/files/cultr/studies/1.pdf>
١٨. مجموعة من الكتاب (٢٠٠٧)، أهمية الأمثال الدارجة في فلسطين، موقع مجموعة 194 <http://www.group194.net/index.php?mode=article&id=95>
١٩. صالح، جاسم محمد (٢٠١١)، القيم التربوية في الأمثال الشعبية العراقية، شبكة ومنتديات قبيلة الحيريات الرسمية، <http://www.alharere.net/vb/showthread.php?t=12620>
٢٠. عوض مسعود عوض (١٩٨٣)، دراسات في الفولكلور الفلسطيني، رائدة الإعلام والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية، دمشق.
٢١. طه، جمانة (٢٠٠٢)، موسوعة الروائع في الحكم والأمثال، دار الخيال للنشر والتوزيع، بيروت، ص ١٥.
٢٢. مجموعة باحثين (١٩٧٣)، دراسة في المجتمع والتراث الشعبي الفلسطيني، ترمسعياء، إصدار مركز الأبحاث الفلسطيني وجمعية الهلال الأحمر في الكويت.
٢٣. ناصر، زاهي (١٩٩٦)، أمثالنا العامية، مدخل على دراسة الذهنية الشعبية، بيروت، دار الحداثة.
٢٤. المقدم، مهى (١٩٩٥)، المجتمع القومي بين التقليدية والتحديث. دراسة نظرية ميدانية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
٢٥. البردوني، عبد الله (١٩٩٣)، فنون الأدب الشعبي في اليمن، بيروت، ط ٥، دار البارودي للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٦. الشمسان، ابو أوس (٢٠١٠)، المشترك بين الأمثال الفلسطينية والعربية، موقع الركن الأخضر [http://www.grenc.com/show\\_article\\_main.cfm?id=19224](http://www.grenc.com/show_article_main.cfm?id=19224)

٢٧. الشلقاني، عبد المجيد (١٩٧٧) ، مصادر اللغة، ط ٢، المنشأة العربية للنشر والتوزيع، طرابلس ليبيا.

٢٨. موقع ويكي الكتب (٢٠١١) ، <http://ar.wikibooks.org/wiki>

٢٩. محمد السموري، محمد (٢٠٠٦) ، الحقائق البنيوية للمثل الشعبي، دمشق، ديوان العرب.

٣٠. عمار، حامد (١٩٩٥) ، همونا التربوية والثقافية، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ص: ١٩٢، ١٩٣.

٣١. نجم، منور وعلي، عزيزة (٢٠٠٦) ، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية، منشورة دراسة مقدمة إلى المؤتمر العلمي «التاريخ الشفوي الواقع والطموح»، في الفترة بين ١٥، ١٦ / ٥ / ٢٠٠٦، الجامعة الإسلامية/ غزة.

٣٢. هاشم، علي (٢٠١٠) ثقافة القيم وهوية الثقافة، مقابلة تلفزيونية، تلفزيون المنار، ٢١ / ٦ / ٢٠١٠.

**من القيم الإنسانية المتأصلة  
في مدينة الخليل  
من خلال استقراء الأقاليم الشعبية**

**د. حسين أحمد علي أبو كتة الدراويش**

## ملخص:

إنَّ القيم الإنسانية الإيمانية لها أسمى ما يحمله الإنسان المسلم، ويضحي من أجله بالنفس والنفيس، من هنا كانت هذه الدراسة تعالج سبع قيم من القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل من خلال استقراء الأقاويص الشعبية التي يتحدث فيها الناس عن هذه القيم.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة. تعرض الباحث في التمهيد إلى تعريف القيم، وبين خصائصها، وعرف بمدينة الخليل، وعرف كذلك بالأقاويص. وفي الفصل الأول: تقصَّى الباحث سبع قيم من القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل من خلال الأقاويص الشعبية، وهي: «الأمانة، وبر الوالدين، والصبر، والصدقة، والصدق، والعدل، والكرم».

وفي الفصل الثاني: أقام الباحث الدليل على القيم الإنسانية السابقة من الشريعة الإسلامية. وفي الفصل الثالث: كشف الباحث عن الدلالة التربوية للقيم الإنسانية في نفوس الناشئين، في مدينة الخليل.

وقد توصلت الدراسة إلى أن هذه القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل هي أعز ما يملكه أهل الخليل، وأنفس ما يتمسكون به، وهذه القيم وغيرها تجري في دماء الناس، وتُشكّل عقولهم، وهي الوجه الحضاري، الدائم الإشراف في مدينة خليل الرحمن.

## مقدمة:

الحمد لله وكفى، وأتم الصلاة والتسليم على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فالقيم الإنسانية الدينية النابعة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والمتأصلة في نفوس الناس هي أساس حياتنا، في بيت المقدس بعامة، وفي مدينة الخليل بخاصة، ولا يستطيع أحد الاستغناء عنها، وهي ذات أهمية بالغة الخطورة في حياة الفرد والمجتمع، وتمتاز هذه القيم بالثبات والديمومة، والتأثير البالغ في نفوس الناس. وهي تعمل كموجهات للعقل إلى عمل الخير، وتجنب الشر، من هنا كانت هذه الدراسة.

## دوافع الدراسة:

وهناك دوافع أخرى لهذه الدراسة، غير الدافع السابق منها:

- محاولة اكتشاف شيء من هذه القيم.
- معرفة أدلتها من الشريعة الإسلامية.
- توضيح دلالتها التربوية.

## حدود الدراسة:

ولما كانت القيم الإنسانية المستوحاة من الشريعة الإسلامية كثيرة ومتنوعة، وبيت المقدس ممتد من النهر إلى البحر، قام الباحث بتحديد موضوع الدراسة، وحصرها في سبع قيم، كما سبق، وفي مدينة الخليل فقط، وقد قام باستقراء هذه القيم من الأقاليم الشائعة في مدينة الخليل.

## مناهج البحث في الدراسة:

وقد سلك الباحث في هذه الدراسة مناهج عدة منها:

- منهج الرواية الشفوية عن السنة المواطنين في مدينة الخليل، من خلال المقابلات، والمشاهدات، والمحاورات، مع الناس في هذه المدينة، وجمع الأقاليم التي وردت فيها القيم الإنسانية المدروسة.

• والمنهج البرهاني في إقامة الأدلة على هذه القيم من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

• والمنهج التحليلي، في تحليل دلالات هذه القيم التربوية، وأثرها في المجتمع، في مدينة الخليل.

## فصول الدراسة:

وهكذا جاءت الدراسة كما سبق في تلخيص، وفي مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة. ومسردين الأول: للمصادر والمراجع، والثاني: للموضوعات.

وقد توصلت الدراسة إلى أن هذه القيم الإنسانية لها أهمية عظمى في مدينة الخليل، فهي تحقق للمجتمع في هذه المدينة أمناً وأماناً وطمأنينة، يتوارثها الأبناء عن الآباء والأجداد، جيلاً بعد جيل.

## التمهيد:

- التعريف بالقيم.
- من خصائص القيم.
- التعريف بمدينة الخليل.
- التعريف بالأقاصيص.

### ١. التعريف بالقيم:

القيم هي: «كل الصفات ذات الأهمية البالغة للنواحي النفسية، أو الأخلاقية، أو الجمالية، وتتصف بالصبغة الجماعية، وتعمل موجّهات للعقل، شأنها في ذلك شأن الاتجاهات.»<sup>(١)</sup>

مما سبق يستنتج الباحث أن القيم هي القواعد والصفات والأسس النفسية التي ترتبط بنفوس البشر، وفي الوقت ذاته الأخلاقية التي تردع الناس عن الشر، وتحضهم على الخير. والقيم والحالة هذه تصبح موجّهة للناس في تصرفاتهم، وتتخذ صفة الإلزام والعمومية، والثبات، وأي خروج عليها، يعتبر خروجاً على قوانين الجماعة وأهدافها، ومثلها العليا.

### ٢. من خصائص القيم:

للقيم خصائص عدة منها:

♦ أنها نابعة من الشريعة الإسلامية الحنيفة.

- ◆ الثبات: فهي دائمة الحضور في نفوس أصحابها.
  - ◆ الإلزام: ، فلا يستطيع أحد الخروج عليها.
  - ◆ لها دور فعّال ورئيس في حفظ توازن المجتمع، وبقائه، واستمراره.
  - ◆ أنها تشكل ثقافة المجتمع، وعقله الجمعي، ووحدته الفكرية.
٣. التعريف بمدينة الخليل:

المؤسس الأول لمدينة الخليل هو: سيدنا إبراهيم الخليل، عليه السّلام؛ وذلك بشراؤه ذلك الموضوع الذي دُفن فيه هو وذريته؛ ليكون لمن بعده مكاناً مقدساً، وموقعاً تاريخياً وحضارياً للدين الحنيف، ولتحمل المدينة اسمه عليه السلام، وذكره الطيبة إلى يوم الدين. وتقع مدينة الخليل على الطريق التجاري المهم المتجه من مصر إلى فلسطين، وبالعكس، حيث كانت القوافل التجارية تمر في رحلاتها التجارية بمدينة الخليل، إلى غزة، فسيناء، فمصر، وكانت تلك القوافل تتخذ من مدينة الخليل محطة استراحة لها، الأمر الذي أعطى المدينة أهمية اقتصادية زيادة على أهميتها الدينية والتاريخية والجغرافية. (٢)

#### ٤. التعريف بالأقاصيص:

الأقاصيص جمع أقصوصة، وهي «القصة القصيرة» (٣). وهي كذلك الأحاديث، ومفردتها: «الأحدوثة» (٤). وتسمّى في لغة أهل مدينة الخليل: «الحدوثة»، وهي حكاية شعبية قصيرة ذات مغزى خاص ترمي إليه.

وجميع الأقاصيص الواردة في هذه الدراسة تتصل اتصالاً مباشراً بالقيم الإنسانية الواردة في مدينة الخليل، وتعززها، وتساعد في حفظها وصيانتها من الاندثار، وهنا تصبح الأقصوصة التي تتضمن قيمة إنسانية كالصدفة النفيسة، والقيمة التي فيها كالجوهرة الثمينة المكونة داخل هذه الصدفة.

### الفصل الأول- من القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل، من خلال استقراء الأقاصيص الشعبية:

- ◆ قيمة الأمانة.
- ◆ قيمة بر الوالدين.
- ◆ قيمة الصبر.
- ◆ قيمة الصداقة.



◆ قيمة الصدق.

◆ قيمة العدل.

◆ قيمة الكرم.

### أولاً- قيمة الأمانة:

للأمانة قيمة عظيمة عند أهل مدينة الخليل، وتظهر هذه الأمانة جلية من خلال استقراء الأقاليم والأمثال الشعبية الذائعة على ألسنة الناس في هذه المدينة المباركة.

وتروي الأقاليم أن تاجراً في مدينة الخليل كان يُداين الناس بالأمانة. وقد داين رجلاً محتالاً، فمضت سنوات دون أن يعيد المال للتاجر، فأرسل التاجر ابنه لاستعادة المال من المحتال، وأوصى ابنه ثلاث وصايا، ألا يجلس في الطريق تحت شجرة تحتها نبعة ماء، وألا ينام عند المحتال، وإذا لقي شيخاً طاعناً في السن أن يحمله معه وألا يعصي له أمراً. فمضى الشاب لاستعادة مال أبيه، وكان المحتال يسكن على شاطئ البحر، فإذا جاءه من يطالب بحقه، يقول له: نم وفي الصباح أعطيك حَقك، فينام صاحب الحق، فيأتي الموج فيأخذه، ويغرق المطالب، وينجو المحتال. وكان المحتال ينام في الطابق الثاني من بيته حتى لا يغرق.

فمضى الشاب، وفي الطريق لقي شيخاً كبيراً في السن، فقال له: يا عماء أسمح أن أرافقك في سفرك، فتذكر الشاب كلام أبيه، وقال للشيخ: على الرحب والسعة، وأركبه معه ومضيا.

وفي الطريق تعب الشاب، فوجدا الشجرة التي حذره أبوه منها، فنزل الشاب وشرب وأسقى فرسه من نبع تحتها، وأراد أن ينام من شدة التعب، فاستشار الشيخ فقال له الشاب: إن أبي قد أمرني ألا أنام تحت هذه الشجرة. فقال له الشيخ: نم ولا تخف. فنام الشاب، وبقي الشيخ مستيقظاً، فجاءت أفعى لتلدغ الشاب، فقام الشيخ وقتلها. فلما قام الشاب، ونظر إلى الأفعى حمد الله كثيراً، وأثنى على الشيخ خيراً.

وانطلقا حتى وصلا المحتال على شاطئ البحر، فقال لهما: ناما، وقال للشاب في الصباح سوف أعطيك مال أبيك، فاستشار الشاب الشيخ، فقال له الشيخ: نم ولا تخف ولا تخش شيئاً.

فنام الشاب، وبقي الشيخ مستيقظاً، فجاء موج البحر ليغرق الشاب، فأسرع الشيخ وحمل الشاب إلى الطابق العلوي، ووضع مكانه ابن التاجر المحتال. فلما أصبح الصباح، ولوحظ غرق ابن التاجر، ونجاة الشاب الذي أرسله أبوه لأخذ المال من التاجر المحتال.

عند ذلك ندم التاجر المحتال على ما عمل وقال: هذا بما جنته يداي. وأعطى الشاب والشيخ المال، فرجعا من حيثما انطلقا.

وقبل الوصول إلى الرجل الأمين الذي كان يعطي الأمانة استأذن الشيخ من الشاب للانصراف، فقال له الشاب: بالله عليك من أنت يا عماه. فوالله لولاك ما عاد لنا فلس واحد من المال، فقال الشيخ: أنا الأمانة التي كان أبوك يُعطي الناس المال بها، أرسلني الله - تعالى - لحراستك ذهاباً وإياباً. ومضى الشيخ وهو يقول للشاب، بارك الله فيك، وفي أبيك الأمين، وفي ماله. وهذه الأقصوصة وغيرها تدل على قيمة الأمانة في مدينة الخليل، والحرص عليها، والمحافظة عليها.

وفي مقابل الأقاويص الإيجابية حول الأمانة هنالك الأقاويص السلبية، ومنها ما قيل: إن رجلاً كان مسافراً في طريق بعيد، فلقيه رجل، وطلب منه العون وحمله، فنزل الرجل عن حصانه، وحمل الرجل المقطوع على حصانه، وكان مع صاحب الحصان بندقية، فشد الثاني على الأول، وقال له: لا حصان لك، ولا زاد، هذه لي، واذهب من هنا وإلا أطلقت النار عليك: فذهب الأمين وهو يقول للخائن: أطلب منك طلباً واحداً، وهو ألا تحدث أحداً بما حدث.

فقال له الخائن: ولم؟ .

فقال له الأمين: حتى لا ينقطع الخير بين الناس.

## ٢- قيمة برّ الوالدين:

ومن القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل قيمة برّ الوالدين واحترامهما، فهي قيمة وعبادة في الوقت ذاته، وواجب مقدس. ومن الأقاويص حول ذلك: مارواه لي أحدهم قائلاً: كان هناك رجل في مدينة الخليل قد كبر، وماتت زوجته وله ثلاثة أولاد، وكانوا يؤذونه أذى شديداً. وكان أولاده ثلاثة: واحد أعزب والاثنتان متزوجان، أحدهما بأجنبية، والثاني بعربية، وكان أبوهم لا يتوقف عن الدعاء عليهم. فمات الأعزب الأول في حادث غامض. أما زوج الأجنبية فقد عاد إلى البيت مخموراً، وأراد الاعتداء على زوجته الأجنبية، فأطلقت النار عليه وقتلته. وأما المتزوج من العربية فقد ذهب هو وزوجته وأولاده في نزهة، فلقبتهم سيارة فاصطدمت بسيارتهم وماتوا جميعاً شرميتة بسبب غضب والدهم عليهم.

## ٣- قيمة الصبر:

وتظهر قيمة الصبر في الأقاويص الشعبية، وفي الواقع في مدينة الخليل في أظهر معانيها وأسمائها؛ إذ هي متأصلة في قلوب الناس. ومما يُروى حول هذه القيمة ما رواه

لي أحدهم قال: كان هنالك شيخ صبور وقور، وله تلميذ عجول متسرع، وكان لهذا التلميذ قطعة أرض، فاعتدى عليه جار له، وأخذ من أرضه، فذهب التلميذ إلى الشيخ يشكو المعتدي على أرضه. فقال له الشيخ: اصبر واحتسب، فصبر التلميذ، واشتد طمع الجار حتى أخذ قطعة أرضه، والشيخ يأمره بالصبر والهدوء.

ولم يتوقف جاره الطماع عن اغتصاب قطعة أرضه فحسب، بل لجأ هذا الطماع إلى جار آخر واغتصب أرضه. فاقتتل الاثنان، فقتل الرجل الطماع الذي اغتصب القطعتين من الأرض. وعندئذ ما كان من الشيخ إلا أن قال لتلميذه: اذهب وخذ أرضك سالمة مسلمة، فهذه يا بني ثمرة الصبر وعاقبته الطيبة.

ومن الأمثال التي تروي عند الناس في مدينة الخليل، حول الصبر، قولهم: «الصبر طيب» و «الصبر زين» و «عاقبة الصابرين على خير» و «الصبر لا يأتي إلا بالخير» وغير ذلك من الأمثال الشعبية السائدة على ألسنة الناس في مدينة الخليل، والتي تحض على الصبر، والتحمل.

#### ٤- قيمة الصداقة:

ومن القيم الإنسانية المتجذرة في مدينة الخليل والتي يقدرها أهل الخليل أعظم تقدير، ويحافظون عليها أشد محافظة قيمة الصداقة والصديق. ومن الأقاويص التي تروي حول الصداقة والصديق ما قيل: بأن رجلاً حكيماً أراد أن يبرهن لولده أن أصدقاءه الكثير هم أصدقاء منفعة، وليسوا بأصدقاء أوفياء، ولا يفيدونه في الضراء شيئاً. فقام هذا الرجل بذبح شاة، وأخفاها، وقال لابنه: اذهب ونادي أصدقاءك حتى يساعدوني في دفن القتيل، فذهب الولد إلى أصدقائه، وقال لهم: إن أبي قتل رجلاً، فهلتموا معي لدفنه. فهربوا عنه، وتركوه وأباه وحدهما، لا بل أخبروا الناس بعمله، فوصل الخبر إلى الحاكم. عندئذ قال الرجل الحكيم لابنه. اذهب واحضر لي صديقي فلان، فجاء هذا الصديق مسرعاً، وقال للرجل الحكيم: أين القتيل؟، قال الحكيم: ها هو. قال صديقه: ضعه على ظهري. وأخذه، وواراه في التراب. فجاء أعوان الحاكم يطلبون الرجل، ويتهمونه بالقتل، فعندئذ قال الرجل الحكيم: ما قتلت أحداً، وما هي إلا شاة؛ ذبحتها لأبرهن لولدي عدم نفع أصدقائه له.

ويقولون في الخليل: «إن الصديق هو من ينصرك في الشدة والضيقة، لا في الرخاء والسعة».

ويقولون: «أحب من يبكيني لا من يضحكني»: أي أحب الذي ينصحتني، ولو كان في النصيحة بكائي، ولا أحب من يسعدني على أخطائي ويضحك علي. فالأول: ناصح أمين. والثاني: غشاش لئيم.

## ٥- قيمة الصدق:

يقولون في الخليل: "الصدق في أقوالنا أقوى لنا، والكذب في أفعالنا أفعى لنا". ومن الأقاليص التي تُروى حول الصدق في مدينة الخليل: أن رجلاً قد كان مطلوباً للحكومة، وهارباً منها، وكانت الشرطة تلاحقه؛ للقبض عليه. فاقترب وهو هارب من رجل يصنع البرازع للحيوانات، فقال له: يا عماه أدركني فإن الشرطة يريدون القبض علي. فقال له البرازعي: اختبئ تحت البرذعة. فنزل واختبأ تحتها. فجاءت الشرطة تسأل البرازعي أين الرجل الهارب؟ فقال البرازعي: ها هو تحت البرذعة؟! فضحك منه رجال الشرطة، ومضوا مبتعدين عنه. أما الرجل المختبئ فقد ارتعدت فرائصه من شدة الخوف، وظن أنه مأخوذ لا محالة. وبعد أن ابتعد رجال الشرطة: خرج من مخبئه قائلاً: يا شيخ والله لقد كادوا أن يأخذوني. فقال له الشيخ: يا بني والله ما أنجأك إلا الصدق. وهنا يعقب راوي هذه الأصوصة قائلاً: الصدق إن قتلك فهو وحده الذي يُحييك. أي أن الصدق منجاة. والكذب مهلكة.

## ٦- قيمة العدل:

أن قيمة العدل في مدينة الخليل من القيم العظمي. ويعتقد أهل الخليل أن الله عز وجل عادل عدلاً مطلقاً ولا يظلم أحداً.

حدثني أحدهم قائلاً: دخلت السجن في الشام، فإذا برجل محكوم عليه بالإعدام، حيث كان متهماً بقتل رجل، وهذا الرجل الذي اتهم فيه لم يقتله. يقول راوي الأصوصة: فخلوت يوماً مع هذا المتهم بالقتل، فقلت له: إن ربك لا يظلم أحداً، فقل لي بربك: لم الحكم عليك بالإعدام، وأنت بريء؟. فقال لي: أقول لك، وأرجوك أن لا تحدث بهذا الكلام أحداً، إني لم أقتل هذا الرجل، لكنني قبل عشر سنوات قتلت رجلاً غيره، ولم يعرف أحد بذلك، فاقترض الله - تعالى - مني بهذا الرجل.

ومن أحاديث العدل أن أحد الناس قال لي: لقد سألت الله عز وجل: لم كانت هزيمة العرب سنة ١٩٦٧م، فال: فجاءتني الإشارة أن سبب ذلك الظلم، وعدم وجود العدل عندنا.

وتكثر على لسان أهل الخليل هذه العبارة: هذه بلادنا مقدسة لا يعمر فيها الظالم، ولا الظلمة. ويروون قصة وينسبوننها إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي أنه لما جاء الجراد إلى المدينة المنورة، دعا الله سيدنا عمر أن يذهب الجراد إلى بيت المقدس: فقيل له: لماذا؟. فقال: لأنها لا يعمر فيها الظالم!. فذهب الجراد إلى بيت المقدس، وهلك هناك.

## ٧- قيمة الكرم:

ومن القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل قيمة الكرم، ومن الأمثلة الدالة على

الكرم عندهم قولهم: «الكريم حبيب الله» «والكرم يغطي مساوئ الرجل» وقولهم: «من يطعم يطعمه الله». ويكرهون البخل والبخلاء، فيقولون: فلان «فاطس»، أي ميت شر ميتة، كناية عن البخل الشديد، وفلان «جلدة» كناية عن شدة البخل.

وقد حدثني صديق لي في مدينة الخليل، قائلاً كان أبي كريماً، وحدثت حرب سنة ١٩٤٨م، وكان الناس في مجاعة شديدة، فكان يطعم الناس لوجه الله تعالى، وكانت أمي كريمة وليست في درجة أبي، إذ كانت تحب أن تطعم أولادها أولاً، ثم بعد ذلك تكرم الناس، ومات أبي، فرأيت في الجنة فوق جبال من قمح، ويقول لأمي: «غربلي وأطعمي الناس» أي: نقي القمح مما فيه وقدميه للناس نظيفاً. ويقول أهل الخليل إن كرمهم ممتد إلى كرم سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام. ومما اشتهرت به مدينة الخليل ما يسمى: «بضيافة الخليل، أو سماط الخليل، وترجع هذه الظاهرة إلى أيام سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عندما كان يكرم ضيفه حتى إنه كان لا يأكل إلا إذا شاركه في طعامه الفقراء والمساكين، ويحتم على الضيف أن يقيم في ضيافته خمسة عشر يوماً»<sup>(٥)</sup>. ويسمى هذا الطعام اليوم «بالدشيشة أو شوربة سيدنا إبراهيم الخليل».

وللبركة والكرم في مدينة الخليل، يقولون: «من أراد أن يقنع بالقليل فليعش في مدينة الخليل».

## الفصل الثاني - الأدلة الشرعية على القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل، من خلال استقراء الأفايص الشعبية:

- ◆ الأدلة الشرعية على قيمة الأمانة.
- ◆ الأدلة الشرعية على قيمة بر الوالدين.
- ◆ الأدلة الشرعية على قيمة الصبر.
- ◆ الأدلة الشرعية على قيمة الصداقة.
- ◆ الأدلة الشرعية على قيمة الصدق.
- ◆ الأدلة الشرعية على قيمة العدل.
- ◆ الأدلة الشرعية على قيمة الكرم.

### تمهيد:

القيم الإنسانية السابقة في مدينة الخليل، مستوحاة من الشريعة الإسلامية الحنيفة، وتستند في أدلتها إلى القرآن الكريم، والسنة المطهرة على النحو الآتي:

## الأدلة الشرعية على قيمة الأمانة:

الأمانة ميزان الله في الأرض وفي السماء، وقد أمر الله تعالى بتأدية الأمانات إلى أهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»<sup>(٧)</sup>.

وقد عدّ صلى الله عليه وسلم صفة الخيانة من صفات المنافق، قال صلى الله عليه وسلم: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»<sup>(٨)</sup>.

ومن هنا فإن الأمانة في مدينة الخليل قيمة إنسانية، وفي الوقت نفسه خلق إسلامي نبيل.

## الأدلة الشرعية على قيمة برّ الوالدين:

ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، إِمَّا يَبُلُغْنِ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾<sup>(٩)</sup>. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>.

فبر الوالدين قيمة إنسانية فطرية مغروسة في نفس الإنسان، وفي الوقت نفسه فريضة إلهية مقدسة، كما مرّ في أي الذكر الحكيم.

## الأدلة الشرعية على قيمة الصبر:

الصبر: هو مقاومة النفس للهوى، لئلا تنقاد إلى قبائح الأشياء، أو إثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهو ثلاثة أقسام: صبر على الطاعة، وصبر على ترك المعصية، وصبر على الابتلاءات. والصبر من أعظم القيم الدينية والفضائل، فقد وردت كلمة الصبر في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، وجعله الله سبباً لدخول الجنة بلا حساب قال تعالى: ﴿أَمَّا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾<sup>(١١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١٢)</sup>. فالصبر من القيم الإنسانية النبيلة، ومن الأخلاق الإسلامية الجليلة، والتي تحقق الفوز لصاحبها في الدنيا، وفي الآخرة.

### الأدلة الشرعية على قيمة الصداقة:

قال تعالى مخاطباً النبي عليه الصلاة والسلام: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً» (١٣). وفي سورة الفرقان يصور لنا القرآن تصويراً بديعاً لحالة الظالم الذي يعرض على يده يوم القيامة، لأنه لم يتبع طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتبع صديق السوء الذي أضله عن الذكر، قال تعالى: ﴿ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتنا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ (١٤).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (١٥).

فالصداقة قيمة إنسانية إيمانية، وثمره طيبة من ثمار الأخوة في الله، وعلامة خير في المجتمع.

### الأدلة الشرعية على قيمة الصدق:

الصدق هو الإخبار عن الشيء بما هو عليه والصدق يعطي صاحبه طمأنينة وبارك الله للصادق في نفسه وماله وقوله، وقد ورد الحث على الصدق في القرآن الكريم، في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿طاعةٌ وقولٌ معروفٌ فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾ (١٦).

وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» (١٧).

فجعل صلى الله عليه وسلم الصدق مفتاح الصديقية أما الكذب الذي يخالف فيه الخبر الواقع، والظاهر الباطن، والقول العمل، فهو من أقبح شيم الإنسان، ويخرجه من الدين. من هنا كانت قيمة الصدق من القيم العزيزة في المجتمع.

### ٦- الأدلة الشرعية على قيمة العدل:

العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، من غير تحيز، أو محاباة، أو تدخل لهوى النفس، أو تفرقة بين المستحقين، قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴿١٨﴾. وقال صلى الله عليه وسلم: «لا قدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير مضطهد» (١٩).

ومن الأدلة العقلية على عظيم قيمة العدل ما رواه لي رجل في مدينة الخليل، قال: في فترة حكم الإنجليز أطلت العصبية النتنة بين الفلاح والمدني في مدينة الخليل. وفي يوم اعتدى قوم على رجل من الفلاحين، فذهب يشكو إلى العمارة، وكان فيها موظفون من المدينة، فلما وصل طردوه فعاد باكياً. وصادف مرور القاضي الإنجليزي في المحكمة فاستدعى الرجل، وأمر بإلقاء القبض على من اعتدى عليه. وتوجه إلى الموظفين العرب قائلاً: «والله لو كان عندهم عدل يساوي واحداً في المائة من عدل عمر بن الخطاب لما جئنا إلى دياركم».

## ٧- الأدلة الشرعية على قيمة الكرم:

الكرم هو بذل العبد ماله لمن يحتاجه حسبة لوجه الله، وورد في الحديث القدسي: «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك» (٢٠). ومن الكرم الإيثار وهو أن تجود بالمال مع حاجتك إليه قال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (٢١).

وقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، من أكرم الخلق، وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر. كيف لا؟، وهو المنزل عليه قوله - تعالى - : ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٢٢).

## الفصل الثالث - الدلالات التربوية لقيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل من خلال الأقاليم الشعبية:

◆ الدلالة التربوية لقيمة الأمانة.

◆ الدلالة التربوية لقيمة بر الوالدين.

◆ الدلالة التربوية لقيمة الصبر.

◆ الدلالة التربوية لقيمة الصداقة.

◆ الدلالة التربوية لقيمة الصدق.

◆ الدلالة التربوية لقيمة العدل.

◆ الدلالة التربوية لقيمة الكرم.



**تمهيد:**

القيم الإنسانية في مدينة الخليل، والتي تنبع من القيم الدينية، لها دلالات تربوية، ومن هذه الدلالات:

**الدلالة التربوية لقيمة الأمانة:**

من أسس التمدن الإنساني الأمانة، ذلك لأن بقاء الأمة منوط بالحفاظ على عقول أبنائها، وأرواحهم، وأموالهم، وأعراضهم، وممتلكاتهم، وأداء الحقوق لمستحقيها، وعدم حرمان الناس من المنافع التي أمر الله بأدائها لهم، ويعتمد كل هذا على قيمة الأمانة، فالأمانة من الأخلاق العظيمة التي يجب أن يغرسها الوالدان في نفوس الأطفال منذ نعومة أظافرهم، حتى تصبح عبادة لهم في كل تصرفاتهم في الكبر، لتسعد الأمة بالأمانة: «فلو حرمت الأمة الأمانة لفسدت أحوالها، وطمع فيها من يسومها خسفاً، ويستبد بها عسفاً، ويسلط عليها الفقر والعوز والذل والعجز»<sup>(٢٣)</sup>. لذا فإن سيادة هذه القيمة في مدينة الخليل وغيرها من المدن الفلسطينية صمام أمان للناس وسعادة وطمأنينة.

مما سبق يستنتج الباحث أن للأمانة قيمة تربوية سامية، في بث روح الطمأنينة في المجتمع في مدينة الخليل، وهذه الأمانة هي من أسباب بقاء واستمرار المجتمع في هذه المدينة المقدسة.

**الدلالة التربوية لقيمة برّ الوالدين:**

هذه القيمة من أسمى القيم في مدينة الخليل، ولها فوائد ودلالات جمّة فهي تعزز ثقة الوالدين بأبنائهم، وثقة الولد بوالديه: «وينفسه فتقوى شخصيته من خلال التعامل الطيب مع الوالدين، وفي الطرف الآخر إن ملاحظة ومعاونة الوالدين للولد، وتزويده بكل ما ينفعه يزيد من حب الولد لأبويه»<sup>(٢٤)</sup>.

ويتربى الولد في الخليل على حب أبويه وبرهما، وهذه القيمة واشجة دينية، وفي الوقت ذاته رابطة إنسانية، تجعل الناس في الخليل لحمة واحدة، ويداً واحدة.

**الدلالة التربوية لقيمة الصبر:**

الصبر بأقسامه الثلاثة: الصبر على الطاعات، والصبر على الابتلاءات، والصبر على ترك المعاصي والمحرمات في الإسلام، من أعظم الأخلاقيات، والصبر على الأمور الثلاثة السابقة ليس من الأمور السهلة الهينة؛ لذا لا بد من بذل الوالدين جهداً جهيداً في تعليم

أولادهم الصبر، وتعويدهم عليه، مبتدئين بإقناع الطفل بفكرة الصبر» وهو الذي يُسمى عند علماء التربية: بالهدف المعرفي»<sup>(٢٦)</sup>. وتزكية نفس الطفل بالحركة العملية نحو الصبر» وهو الذي يسميه علماء التربية بالهدف السلوكي»<sup>(٢٧)</sup>. وهكذا يصبح الصبر عند الطفل في كبره قيمة فضلى، يتحلى بها في كل ما يأتي ويذر. ولهذه القيمة دلالة تربوية تظهر مدى تحمل الإنسان لنوائب الدهر، وصموده أمام العواصف والمحن، وعدم جزعه وتضعضه أمام التحديات التي تواجهه.

### الدلالة التربوية لقيمة الصداقة:

إن الاختيار السليم للأصدقاء يعتبر من الأمور المهمة جداً في حياة كل إنسان، وخصوصاً الأطفال والنشء المسلم، ولأن الصديق له تأثير قوي على الناشئ فلا بد من اختيار الأصدقاء الصالحين؛ لأننا لو أهملنا هذه الأمر واخترنا أصدقاء غير صالحين؛ سيكون التأثير السلبي علينا كبيراً؛ ذلك لأن الأصدقاء لهم تأثير كبير على طريقة تفكيرنا وتصرفاتنا، واللغة التي نستخدمها ورأيها في أمور كثيرة. إذاً لا بد من اختيار الصديق الصالح؛ لأن الإنسان على دين صديقه، يتخلق بأخلاقه، ويتصف بصفاته، ويقلد أفعاله<sup>(٢٨)</sup>.

وقيمة الصداقة تمتن العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وتبث بين الناس روح الإخاء والمودة. وانتشارها في المجتمع يدل على رقي المجتمع وتطوره، وعلى الصحة النفسية لهذا المجتمع.

### الدلالة التربوية لقيمة الصدق:

قال العلماء في فضيلة الصدق: «أجمع الفقهاء على ثلاث خصال، إذا صحَّت ففيها النجاة، ولا يتم بعضها إلا ببعض هي: الإسلام الخالص عن البدعة والهوى، والصدق لله تعالى في الأعمال، وطيب المطعم»<sup>(٢٩)</sup>. وهذا الكلام صحيح، فقيمة الصدق التربوية لا تعدلها قيمة ورذيلة الكذب لا تعدلها رذيلة. وإذا انتشرت قيمة الصدق في المجتمع، وتربَّى الناس على الصدق، فإن المجتمع يسعد، وترتاح نفوس مواطنيه. وإذا تفشى الكذب بين الناس انعدمت الثقة، وسادت المجتمع أنواع من الكره والبغضاء؛ مما يزعزع أركان هذا المجتمع ويقوض أركانه، ويهدم بنيانه من قواعده.

### الدلالة التربوية لقيمة العدل:

العدل كما سبق ميزان الله في الأرض وفي السماء، به تحيا البلاد، ويُسعد العباد: « ولو ذهب في الأمة العدل لذهبت الثقة، ولقلَّ النتاج ولعرّضت الأمة نفسها إلى الزوال في معترك لا يبقى فيه إلاّ أولى العزم من الرجال» (٣٠).

ومن النافع أن يدرّب الأبناء على العدل داخل الأسرة، فلا يظلم أخ أخاه، فإذا ما كَبِرَ الطفل على هذه الأخلاق فإنه يكون عادلاً حتى في المجتمع.

وتُوجدُ قيمة العدل في نفوس من يتحلّى بهذا الخلق الأمن والأمان والعزة، وتصبح هذه القيمة نوراً يهدي صاحبه إلى الحق، ويجنبه الضلال وسبيل الغواية.

### الدلالة التربوية لقيمة الكرم:

الكرم خلق عظيم، وقيمة الكرم تغطي على جميع القيم، وتتمثل في معاني جميع القيم السابقة، فمن فضائل الكرم المحبة، والتعاون، والإيثار، والبذل، والعطاء، والمروءة والعطف، والمودة والحنان، وغير ذلك من الأخلاق الكريمة.

وعكس الكرم الشح والبخل «فإنّما جف الخير وعمّ الشحّ فمن يجروّ على الإقدام على مشروع خيري، أو مشروع من مشاريع الخدمة» (٣١). وصدق العلامة السابق فكلما عمّت قيمة الكرم عمّ الخير في الأمة، وكلّما أُجِدبت أُجِدبت الخير من الأمة.

وهذه القيمة تعلم للطفل فتكون عنده حالاً، فإنّما ما تعلق بها وثبت عليها تصبح مقاماً ثابتاً في حياته. وهكذا يُربى الأبناء على الكرم، مما يوجد التواد والمحبة في المجتمع الذي تسوده هذه القيمة.

ونظرة عامة إلى القيم الإنسانية السابقة المتأصلة في مدينة الخليل، والمستقرأة من الأقاليم الشعبية في مدينة الخليل ودلالاتها التربوية، يجد الباحث أن هذه القيم تضيء على المجتمع في مدينة الخليل جواً من الهدوء، والاستقرار، والمحبة، والألفة؛ فيسعد الناس بها، وتحاصر الشرور، لذا لا بد من غرسها في نفوس الأبناء حتى يتحملوا الفضائل، وألا ينزلقوا في الرذائل؛ فالأمة بالأخلاق والقيم، فإنّما بقيت الأخلاق والقيم بقيت الأمة، وإن زالت زالت الأمة، واندثرت، سادتها أمة أخلاقها أسمى من أخلاق الأمة المهزومة.

## خاتمة:

وهكذا تنتهي هذه الدراسة التي رصدت سبع قيم من القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل، من خلال استقراء الأقاليم الشعبية. وقد لاحظ الباحث أن هذه القيم تشكل قانوناً أخلاقياً ينظم علاقات الناس في هذه المدينة المباركة. ولاحظ الباحث أن هذه القيم قد وردت في أقاليم شعبية و في لغة وسطى بين الفصحى والعامية، فقام الباحث بتفصيلها.

ولاحظ الباحث أن هذه القيم تنسجم والعقيدة الإسلامية وفي نهاية هذه الخاتمة يوصي الباحث بالتوصيات التالية:

١. لا بد من الاهتمام بصورة أكثر وأكبر بجميع القيم الإنسانية، من الأقاليم الشعبية الذائعة على ألسنة الناس في مدينة الخليل، وتدوينها؛ لحفظها من الضياع والاندثار.

٢. لا بد من وضع خطة منهجية، وطويلة الأمد لتعزيز القيم الإنسانية الإيجابية في مدينة الخليل، وغرسها في نفوس الأبناء؛ حتى يشبوا عليها، ونبت القيم السلبية؛ لأن في ذلك تماسكاً واستمراراً وبقاءً للمجتمع في مدينة الخليل التي أسأل الله - عز وجل - لها التطهير من دنس المحتلين.

## الهوامش:

١. الجلادي، حسن قطب، تنمية بعض القيم الأخلاقية عند التلاميذ في مرحلة التعليم الأساسي، ص ٤٧.
٢. مجلة هدى الإسلام، العدد ٦، السنة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، من مقال لعيسى بيضون، عنوانه: «الخليل في المصادر الإسلامية»، ص ٥٩ بتصريف.
٣. مجمع اللغة العربية المصري المعجم الوسيط مادة (قصص).
٤. معلوف لويس، المنجد، مادة (قَصَصَ).
٥. أبو دية، عدنان، الخليل عبر العصور ص ٢٨٦.
٦. سورة النساء، الآية ٨٦.
٧. موسوعة الحديث الشريف رقم الحديث ٣٥٣٤.
٨. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامات المنافق، حديث رقم (٣٣) ص ٥.
٩. سورة الإسراء، الآيتان ٢٣، ٢٤.
١٠. سورة البقرة، الآية ٨٢.
١١. سورة الزمر، الآية ٣٩.
١٢. سورة البقرة، الآية ١٥٣.
١٣. سورة الكهف، الآية ٢٨.
١٤. سورة الفرقان، الآيات من ٢٧ - ٢٩.
١٥. البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب علامات الحب في الله يقول تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله»، حديث رقم ٦٦٨١، ص ٥٢٠.
١٦. سورة محمد، الآية ٢١.
١٧. البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قوله «يا أيها الذين آمنوا كونوا مع الصادقين» حديث رقم ٦٠٩٤ ص ٥١٥، وصحيح مسلم، كتاب البر باب قوله تعالى

- «يا أيها الذين آمنوا كونوا مع الصادقين»، حديث رقم ٦٦٣٧ ص ٦٦٣٥ والترمذي، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، ما جاء في الصدق والكذب حديث رقم ٢٧٩.
١٨. سورة النحل، الآية ٩٠.
١٩. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، حديث رقم ٥٠٢٩، ج ٥ ص ١٨٧.
٢٠. مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف رقم ٢٣٠٨ ص ٨٣٥.
٢١. سورة الحشر، الآية ٩.
٢٢. سورة البقرة، الآية ٢٦٢.
٢٣. عمارة، محمود محمد، من فقه عمر في التعيين والمساءلة والعزل، وبين الهدية والرشوة والأمانة، ص ١٢٩.
٢٤. بشير، محمد رضا وآخر، تربية الناشئ المسلم بين المخاطر والآمال، ص ٦١.
٢٥. بشير، محمد رضا، وآخر، تربية الناشئ المسلم بين المخاطر والآمال، ص ٧٧.
٢٦. المصدر السابق نفسه، ص ٧٧.
٢٧. المصدر السابق نفسه، ص ٧٧.
٢٨. بشير، محمد رضا، تربية الناشئ المسلم بين المخاطر والآمال، ص ٥٢ بتصرف.
٢٩. حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، ص ٢٢٩.
٣٠. عمارة، محمود محمد، من فقه عمر في التعيين والمساءلة والعزل، وبين الهدية والرشوة والأمانة، ص ١٢٩.
٣١. حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، ص ٢٢٩.

## المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. الأنصاري، عيسى محمد، القيم الأخلاقية المتضمنة في مجلات الأطفال الكويتية، دراسة تحليلية، المجلة التربوية، جامعة الكويت، العدد ١٩، المجلد ٢٠، سنة ٢٠٠٦م.
٣. البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ونسخة أخرى بتحقيق مصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٠م.
٤. بشير، محمد رضا، وآخر، تربية الناشئ المسلم بين المخاطر والآمال، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، مصر، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٤٤م.
٥. الجلادي، حسن قطب، تنمية بعض القيم الأخلاقية عند التلاميذ في مرحلة التعليم الأساسي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية التربية، ١٩٨٨م.
٦. حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام، القاهرة، ط ١١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٧. أبودية، خليل عدنان، الخليل عبر العصور، الناشر المكتبة الأدبية، الخليل، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٨. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٧٥م.
٩. عمارة، محمود محمد، من فقه عمر في التعيين، والمساءلة، والعزل، وبين الهدية والرشوة والأمانة، دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٠. مجلة هدى الإسلام، العدد ٦، السنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١١. مجلة هدى الإسلام، العدد ٢٨، السنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٢. المجمع اللغوي المصري، المعجم الوسيط، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
١٣. مراد، مصطفى، خلق المؤمن، دار الفجر للتراث، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٤. مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج مسلم القشيري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.  
- نسخة ثانية، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٥. معلوف، لويس، المنجد، ط ١، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٠م.
١٦. موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.





**أثر المسجد الإبراهيمي الشريف  
في التراث الشعبي في محافظة الخليل**

**أ. محمد ذياب أبو صالح**

## مقدمة:

لقد كان للمسجد الإبراهيمي الشريف دور بارز في حياة أبناء هذه المدينة المباركة التي بارك الله أرضها، والتي تعدّ من أكناف بيت المقدس، والتي ذكرها الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله بقوله ﴿وَنَجِّنَا وَلَوْطَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> ومن هذا المنطلق، فإن للمسجد الإبراهيمي الشريف الذي يضم أحداث الأنبياء أثراً واضحاً في حياة أبناء الخليل وما حولها، فأثر في سلوكهم الديني والاجتماعي تأثيراً واضحاً، حيث توجه أبناء هذه المدينة إلى التعلم الديني على مر العصور، لارتباطهم بقدسية هذا المسجد، فكان الموسرون يبعثون أبناءهم إلى الأزهر الشريف، ويمضون السنين الطوال في تعلم علوم الدين واللغة، ليعودوا أئمة ومدرسين في هذا المسجد.

كما أن وجود هذا المسجد في هذه المدينة دعا العديد من أبناء الأمة الإسلامية إلى التوجه إليها والإقامة فيها، فأنشئوا الزوايا والرباطات، وقاموا بتعليم أبناء هذا البلد علوم الدين واللغة، وكان الزاهد فيهم يعيش في هذه الزاوية معلماً ومدرساً إلى أن يتوفاه الله، ثم يدفن في المكان نفسه الذي كان يدرّس فيه، فكثرت الزوايا والرباطات التي تربو على الخمسين موقعاً في أكناف هذا المسجد.

فالمسجد الإبراهيمي الشريف هبة هذه المدينة كنهر النيل الذي هو هبة مصر.

## مدينة الخليل:

### موقعها وأهميتها:

تقع مدينة الخليل في أحضان الجبال المطلّة على البحر الأبيض المتوسط غرباً والبحر الميت شرقاً، وتبعد عن مدينة القدس حوالي ٣٦ كم، وتقع على خط عرض ٣١ و ٣١ درجة شمالاً، وخط طول ٨ و ٣٥ درجة شرقاً.

تعدّ مدينة الخليل من أقدم مدائن الدنيا، سكنها العنقاقيون الكنعانيون الذين هاجروا إليها من الجزيرة العربية، ضمن موجات الهجرة الأولى عبر التاريخ « ١٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م » وقد بنيت قبل مدينة صوعن المصرية بسبع سنوات؛<sup>(٢)</sup> التي بنيت في عهد الأسرة الفرعونية السادسة ٢٤٧٥ - ٢٦٢٥ ق.م؛ أي أن هذه المدينة بنيت قبل حوالي ٥٥٠٠ سنة تقريباً.<sup>(٣)</sup>

### سميت هذه المدينة قديماً:

١. قريات أربع - نسبة إلى أربع قبائل كنعانية سكنت تلالها الأربع، أو نسبة إلى أربع العنقاقي الكنعاني.

٢. حبرون - تعني في اللغة السامية (التجمع والوحدة) أي أن هذه القبائل كانت تحترق، أي تجتمع، فشكّلت مجتمعاً محلياً موحداً من خلال نظام حكمٍ مُعيّن على جبل الرميّة.<sup>(٤)</sup> سكنها إبراهيم الخليل (عليه السلام) في عام ١٨٥٠ ق.م بعد أن أكمل رحلته مهاجراً من بلاد أور في العراق، والذي جاء قبل ظهور الديانة اليهودية والنصرانية بمئات السنين، بدليل قوله تعالى ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، ثم توفي هو وأبناؤه وزوجاتهم ودفنوا في المغارة التي تقع تحت المسجد الإبراهيمي الشريف حسب المعتقد الإسلامي، ومن هذا المنطلق جاءت مكانة هذه المدينة وقداستها من كرامة الأنبياء المكرمين المدفونين في هذه المغارة وقداستهم.

أشارت الأدلة العلمية والآثارية أن الباني الحقيقي لسور المسجد الإبراهيمي الشريف «الحير»، هو هيرودوس بن أنتيببیتار الأدومي ملك الأدوميين،<sup>(٦)</sup> «والأدوميون عرب موطنهم على حدود الصحراء الشرقية جنوب فلسطين، وهم من نسل عيسو»،<sup>(٧)</sup> وهو عربي عنصرأ ووالدته فلسطينية من عسقلان، وكان تابعاً للرومان، وكانت فترة حكمه ما بين عامي ٣٧ - ٤ ق.م. وقد أحضرت حجارة هذا السور الضخمة التي يبلغ طول بعضها سبعة

أمتار ونصف وارتفاعها متراً ونصف المتر من أكناف المدينة، ونقلت بوساطة الزلاجات، المكونة من جذوع النخل والشجر المستدير، وبنيت على طريقة بناء الأهرامات، أي أنهم كانوا يضعون الأتربة، ثم توضع الحجارة، إلى أن تم بناء ثلاثة عشر مدماكاً، وأغلق هذا الحير (السور)، ولم يسقف تكريماً للأنبياء المدفونين في المغارة الواقعة تحته،<sup>(٨)</sup> فنستدل بذلك على أن بناء هذا المسجد قبل الإسلام هم العرب، وقد أمرت الملكة هيلانه ملكة الرومان بسقف هذا السور، ثم هدمه الفرس أثناء حربهم مع الرومان، وأعيد سقفه في العهد البيزنطي إلى أن دخلت هذه البلاد في الإسلام، فاتخذ المسلمون منه مسجداً.

### المسجد الإبراهيمي:

تبلغ مساحة المسجد الإبراهيمي ٢١٦٧ متراً مربعاً، أي أنه يأخذ شكلاً مستطيلاً مقياسه الخارجي ٣٣,٨٧ × ٥٩,٢٨ متراً مربعاً، وسمك جداره (٢,٦٨) م وارتفاع جداره ١٦ م مبني بأحجار ضخمة على هيئة مداميك، عددها خمسة عشر مدماكاً<sup>(٩)</sup>. وبها صفوف وأكتاف يتوجها كورنيش من الخارج<sup>(١٠)</sup>، وتعلو هذا المسجد مؤذنتان ملوكتان مربعتان ترتفعان ١٥ م على سطح المسجد.<sup>(١١)</sup> تقع الأولى في الركن الشمالي الشرقي، والثانية في الركن الجنوبي الغربي.

لقد كان للمسجد الإبراهيمي الشريف أثر واضح في حياة أبناء هذه المدينة، فقد أخذوا عن جد الأنبياء (عليه السلام) الصفات الحميدة التي ما زالوا يتوارثونها جيلاً بعد جيل.

### أثر المسجد الإبراهيمي الشريف في التراث الشعبي في الخليل:

ارتبط أهالي الخليل ارتباطاً وثيقاً بهذا المسجد، فكان له أكبر الأثر في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية فقد سميت هذه المدينة بالخليل تيمناً باسمه. ويمكنني أن أوضح فيما يأتي العلاقة الوطيدة بين التراث الشعبي لهذه المحافظة وبين المسجد الإبراهيمي الشريف الذي كان له أكبر الأثر في حيات أهل هذا البلد في جميع نواحي الحياة.

### طراز البناء للأحياء المحيطة بهذا المسجد:

تعدّ مدينة الخليل من أقدم مدن التاريخ، وارتباط أهلها بها يعدُّ ارتباطاً وثيقاً، فالخليل مدينة حباها الله بهذا المسجد المبارك الذي ارتبطت حياة الناس به، ومن هذا المنطلق فقد كان من أبرز المعالم التراثية في هذه المدينة أن قام أهلها بالبناء حول المسجد والالتصاق به، فكانت البيوت متلاصقة والحارات متقاربة، حيث إن المدينة في

العصور الوسطى كانت تغلق بسبع بوابات على أهلها ويوضع لها حراسة مشددة خوفاً من اللصوص والأعداء، بحيث كانت المدينة كتلة واحدة متجانسة في العمران متقاربة في الحياة الاجتماعية، فكانت بكل أطرافها تشكل نسيجاً واحداً، فهم يد على من سواهم في الحرب والدفاع المشترك، وكان طابع بناء البيوت يتكون من سكنة تضم أفراد العائلة والأقارب بحيث تتكون من عدد من الغرف المتلاصقة ولها قبو يوضع فيه مخزون الحطب وغيره وحمام مشترك لجميع أهل هذا السكن وبئر ماء وفرن وأسفل البناية، وباب واحد يغلق على سكان هذا السكن ومنور ينير الساحة، يجلس فيه الرجال ليتسامروا ليلاً، والنساء تجلس على المصاطب خلف الرجال تستمع إلى القصص والأحاديث التي تدور.

### وظائف المسجد الإبراهيمي الوراثة:

إن الوظائف الخدمانية في المسجد الإبراهيمي تعدّ وظائف تقليدية ذات طابع فرماني من السلطان أو الحكومة التي يكون لها الولاية على هذه البلاد، فعندما كان يتوفى الشخص الذي يعمل في الحرم، كان يصدر لأحد أبنائه فرماناً سلطانياً للقيام بمهمات والده ولو كان طفلاً حتى يكبر.

### طول الباع في الأسفار:

من المعلوم أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) قد جاب دنيا عصره، متنقلاً يدعو إلى عبادة الواحد الأحد، حيث غادر بلاد أور في العراق قبل حوالي أربعة آلاف عام، وجاء إلى بلاد الشام، ومن ثم إلى فلسطين، وتنقل بينها وبين مصر وتزوج زوجته هاجر التي أنجبت إسماعيل (عليه السلام)، وارتحل بابنه إسماعيل وأمه إلى بلاد الحجاز، حيث وضعهما في رعاية الله، وتنقل مرات ومرات بين فلسطين والحجاز.

هذه من صفاته (عليه السلام)، وإننا نجد أبناء الخليل لهم باع طويل في الأسفار، فقد وصلوا أصقاع الدنيا، فلا يكاد بلد يخلو منهم، وقد أكسبتهم هذه الأسفار باعاً طويلاً في التجارة، فهم تجار حاذقون تنقلوا في الدنيا، كما جاب دنيا عصره داعياً إلى عبادة التوحيد.

### كثرة النسل:

لقد من الله على سيدنا إبراهيم بالذرية الصالحة في أخريات حياته، فأنجبت زوجته هاجر إسماعيل (عليهما السلام)، وأنجبت سارة سيدنا إسحق (عليهما السلام)، وتذكر الروايات أنه تزوج بامرأة أخرى اسمها قطوره أنجبت له ستة أبناء آخرين تفرقوا في الأرض<sup>(١٢)</sup> فهم يتباهون بكثرة الأبناء وتعداد العائلات.

## التعلم الديني:

اتجه العديد من أبناء عائلات الخليل التوجه إلى التعليم الديني، حيث كان الموسرون يبعثون أبناءهم إلى الأزهر الشريف، فيمضون السنين الطوال في التعلم الديني ليعودوا أئمة ومدرسين في المسجد الإبراهيمي، ولهذا فقد غلب على أهل هذا البلد صفة التدين، ونشأت بينهم الحركات الإسلامية.

## صفة الكرم والجود:

عرف عن جد الأنبياء إبراهيم الخليل (عليه السلام) بصفة الكرم والجود، وأنه كان لا يأكل الطعام إلا مع الضيوف، ولا يرد سائلاً، بدليل قوله تعالى ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١٣)</sup> وقوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا، قَالَ سَلَامٌ قَوْمٍ مُنْكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾<sup>(١٤)</sup>

إن إكرام الضيف وحب الضيافة من العادات الحميدة التي توارثها أبناء هذه المدينة عن جدهم إبراهيم الخليل فما زالوا يتباهون بها.

## التكية الإبراهيمية وأثرها في التراث الشعبي لأهالي الخليل:

من المآثر الحميدة التي ذكرت حسن الضيافة والكرم المرتبطين بجد الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، والتي كان لها أكبر الأثر في حياة أبناء الخليل، ولا أدل على ذلك من عمل التكية الإبراهيمية التي ما زالت تعمل منذ عصور بعيدة في إطعام الوافدين إليها إكراماً لجدهم إبراهيم الخليل أبي الضيفان (عليه السلام)، وأن الزائر لهذه المدينة لا يجد حرجاً في أن يستضيفه أهلها فهي بلد لا يوجد بها فنادق كما هو الحال في البلدان الأخرى، فمن ينزل بها يجد حسن الضيافة وإكرام الضيف، ولا سيما في أيام الصيف حين كان يأتي إليها الضيوف لزيارة جد الأنبياء حيث يستقبله أبناء هذه المدينة بالحل والترحاب، ويأخذون ضيفهم إلى كروم العنب والتين ويكرمونه. فيصلّي في رحاب المسجد الإبراهيمي الشريف، ويزور قبور الأنبياء إبراهيم وإسحق ويعقوب وأزواجهم ساره ورفقه وليقا علاوة على زيارة مقام سيدنا يوسف عليه السلام، ويأخذ طعامه من التكية الإبراهيمية، وينام في خان الخليل، ويبيت راحلته في الطابق السفلي منه ويستحم في حمام خان الخليل، ويأخذ ما يحتاج لرحلته من الماء من بركة السلطان. كل ذلك بالمجان دون أن يدفع أي شيء.

فجميع هذه الخدمات تتوفر لزائر هذا البلد الطيب بأهله وبكرامة الساكنين في غاره الشريف. (كانت التكية سابقاً بجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة، وكان يصنع بها الدشيشة (الحساء) للوافدين على المدينة ولأهلها، وتوزع على ثلاثة أوقات، بكرة النهار،

وبعد الظهر وبعد العصر، ويدق الطبل عند التوزيع. والمكان الذي يصنع فيه خبز السماط من الأفران والطواحين كان متسعاً ويشتمل على ثلاثة أفران، وتسعة أحجار للطحن، وتعلوه الحواصل التي يوضع فيها القمح والشعير، فلا يدخل القمح في هذه الحواصل إلا وقد خرج خبزاً، ومقدار ما كان يعمل فيه من الخبز كل يوم أربعة عشر ألف رغيفاً، ويبلغ خمسة عشر ألف رغيف في بعض الأحيان<sup>(١٥)</sup>

ومن العادات الحميدة التي ما زال أبناء هذا البلد يتمسكون بها التبرك بالأكل من التكية الإبراهيمية، غنيهم وفقيرهم على حد سواء، فقد أثرت هذه العادة في نفوسهم كثيراً كما اعتاد الموسرون في أيام رمضان إرسال الأموال من داخل البلاد وخارجها لشراء اللحم والخضار والعمل على طبخها في التكية وتوزيعها على الوافدين، حيث يصنع الطبخ على نفقة أحد المحسنين يومياً من بداية الشهر حتى نهايته، وكثيراً ما كانوا يتزاحمون على من يطعم الناس ليلة القدر، وما زال طبخ القمح يقدم يومياً، أما الزردة التي هي من الرز بالسكر فتوزع كل يوم اثنين أسبوعياً.

### المخصصات (قمح الخبز) :

بعد أن تم حُررت البلاد من الاحتلال الصليبي على يدي القائد صلاح الدين الأيوبي (رحمه الله) عام ٥٨٧هـ (قام بترتيب البيت الداخلي، فثبت القواد ووزع الوظائف على مستحقيها، وغرس العديد من العائلات التي جاءت معه في هذه البلاد، ومن ضمنها العائلات العشر التي لها شرف السدانة والخدمة في المسجد الإبراهيمي<sup>(١٦)</sup> كما كان من أعمال هذه العائلات الإشراف على صندوق العمل الذي يحوي الوثائق الوقفية الخاصة بهذا المسجد، ولا يفتح إلا بحضورهم وحضور مسئول الأوقاف، وكان يصرف لخيولهم الشعير حتى يبقوا في رباط دائم إلى يوم القيامة، كما قام الإمام السخاوي -رحمه الله- بترتيب الوظائف وتوزيعها في المسجد، بعد تقدم الحال، حيث كانت توزع أرغفة الخبز على مستحقيها كل بعدد أفراد أسرته عبر مدة طويلة إلى أن حل مكان هذه العادة توزيع النقود على أفراد العائلات التي تسكن الخليل ممن لهم شرف الخدمة، فاستبدل الخبز بالنقود، وقد أعدت كشوف بأسماء العائلات، وبعدد أفراد كل عائلة، وكانت توزع عليهم النقود حسب حصصهم من الأرغفة، وأخذت تتسع هذه الأعداد إلى أن أصبحت توزع النقود بشكل بسيط في الآونة الأخيرة، ومن الطريف في الأمر أن بعض أفراد هذه العائلات كانت يبعث من خارج الوطن بوكالة تكلفه كثيراً من أجل الحصول على قرش أو قرش ونصف من المخصصات، وليس الهدف من ذلك المال بل البركة بهذه النقود الضئيلة كونها من إرثه التاريخي في هذه الوظائف التقليدية، حتى أن بعضهم كان يأخذ كتاباً من الأوقاف من أجل الحصول



على جواز سفر أردني استنادا لما يحصل عليه من مخصصات، وقد توقفت هذه المخصصات في الثمانينيات من القرن المنصرم.

### الندور:

ومن العادات الموروثة لزوار هذا المسجد أن النساء كن يندرن إذا أنجبت المرأة ذكراً أن تأتي به إلى الخليل، ثم تعلق شعره بجوار المسجد، وتضع بعضاً منه في بئر الغار اعتقاداً منها أن هذا العمل يحفظ وليدها ويطيل في عمره. وكان زوار هذا المسجد يأتون بالندور من الشمع والزيت والحبوب والمواشي ويقدمونها تقرباً إلى الله لهذا المسجد، وتوزع اللحوم على المحتاجين في التكية الإبراهيمية، ويودع الزيت والشموع في عنابر المسجد لإنارته. كما كان بعض الرواد يرمون أوراق التمني أي (أوراق الحجة) داخل البئر طالبين فيها تحقيق أمنيتهم.

### حمل الأعلام:

ومن العادات الموروثة رفع الأعلام في المناسبات ودق الطبول، ولا سيما في المولد النبوي ورأس السنة والهجرة، والمناسبات كزيارات رؤساء الدول وكبار الضيوف ووفاء شخصيات بارزة وفي الأفراح وأمام الجنائز، حيث كانت تؤخذ الأعلام من داخل المسجد ويجوبون بها الشوارع يدقون الطبول، ويرددون الأناشيد الدينية. وكان من أبرز هذه الأعلام علم سيدنا إسحق ويرفعون حربة الغيور (سيدنا إسحق) في المناسبات الوطنية.

### التخوف من المس بمال الأوقاف:

كان لدى الناس اعتقاد بأن من يمس شيئاً من مال الوقف يصاب بالأذى، ولا يمدون أيديهم على زيتون الغيور الواقع في الجهة الشرقية في المدينة خشية أن يضربهم الغيور بحرته، ولا يمسون شيئاً من مال الأوقاف لاعتقادهم بأن من يمسه يصاب في ماله أو عياله، ولدى الناس مثل يقول: أن عصفورة قالت لسيدنا سليمان سأخرب ملكك، قال: كيف؟ قالت أحمل من تراب الأوقاف وأنتره على ملكك فيخرب، ولهذا كان الناس يحجمون عن المس بأي شيء من مال الأوقاف خشية على أنفسهم وأموالهم وعيالهم.

### الصلاة في المسجد الإبراهيمي:

تعد الصلاة في هذا المسجد من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها إلى الله ويأتي في الأهمية بعد المسجد الأقصى المبارك، وهناك رواية شعبية (اسطورة) تقول أن شخصاً من آل عمرو كان يسكن ببلدة الدوايمة على بعد حوالي خمسة وعشرين كيلو متراً من الخليل غرباً، كان يأتي صباحاً لأداء الصلاة، ولأن لهذا الرجل كرامة، فقد كان يركب ضبعاً من الدوايمة إلى الخليل فيوصله الحرم.

## حلف اليمين:

من الطبيعي أن المشكلات تقع بين الناس، وقد كان المتخاصمون لا يثقون بالآخرين إلا بعد أن يقوموا بحلف اليمين في المسجد على باب بئر الغار فتحل المشكلات وتُسوى.

## التبرك بستائر الأنبياء:

يتقرب المریدون إلى الله بلمسهم الستائر التي على المشاهد إن تيسر لهم الوصول إليها أو التبرك بالحجارة والشبابيك والأبواب، وتلمس باب بئر الغار الذي يعتقدون أنه بئر الأرواح، لاعتقادهم أن أرواح البشر في هذا البئر، وهناك اعتقاد آخر يقول: أن هذه البئر تتصل ببيت المقدس، وأن آدم وحواء مدفونون فيها.

## التبرك بقدم سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام:

يعتقد العديد من الناس بأن موضع قدم سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) في المكان الذي يقع بجانب الحجرة الإبراهيمية، فيفدون إلى هذا المكان، ويدخلون أيديهم فيه، ويمسحون وجوههم، حيث إن هذا الموضع توضع فيه العطور فيتهيأ للشخص أن هذه الرائحة من آثار قدم سيدنا إبراهيم الخليل.

## الأذان:

للأذان في المسجد الإبراهيمي طابع مميز، فما أجمل أن تسمع صوت التسابيح قبل أذان الصبح، إذ ينطلق الصوت من شخص واحد، ويردّ عليه الآخرون بأصواتهم الندية، فيخشع قلب المؤمن لهذا الصوت الرخيم الذي يلج إلى أعماق القلب، وبعدئذ يرتفع الأذان ويردد المؤذنون بأصواتهم الندية، خلفه ويبدأ المستمعون من أكناف المدينة يتوافدون على المسجد لأداء فريضة الصبح الندي. كما أن هناك تقليداً يقوم به المبلغ الذي يقف بين يدي خطيب الجمعة لإعلان الخطبة وهذا التقليد ينحصر في عائلة مسودي وهي إحدى العائلات العشر التي لها شرف الخدمة في المسجد الإبراهيمي الشريف.

## المحارب:

للمسجد الإبراهيمي عدة محارب، والمحارب الرئيس يقع في الإسحاقية، وقد كان لكل مذهب إمام، وخير مثال على ذلك محراب المالكية الذي ما زال قائماً في رواق المالكية حتى اليوم. إلا أن الإمامة قد توحدت وأصبح الجميع لهم إمام واحد.

## الأكوار:

تم سقف المسجد الإبراهيمي على شكل أكوار نصف برميلي أعلاها أوسطها، فمن هذه الأكوار ما هو معروف بكور الجعابرة وهو الكور الشرقي.

## السقاية:

توجد صنابير السقاية في الرواق الإبراهيمي، ويشرف عليها موظف مختص، وكان سابقا من عائلة الجعبري، وكان الناس يتبركون بالشرب من هذه المسقاة.

## مدفع رمضان:

ومن التراث الديني الذي كان يجمع عليه أبناء هذه المدينة ومن هو في أكنافها مدفع رمضان، وهذا المدفع كان وما زال موجوداً بجانب السقواتي، حيث كان يحشى بالشرائط، ويطلق عند حلول أذان المغرب، حيث كان الناس في أشد الشوق لسماع صوته لإعلان الإفطار اليومي وكانوا يبتهجون بهذا التقليد الذي توقف بعد دخول اليهود إلى هذه المدينة.

## المسحراتي:

كان لرمضان نكهة حيث يخرج المسحراتي ليلاً ويسير في أحياء المدينة معلناً بدء السحور، ويدق الطبل وينشد الأناشيد الدينية، وكان يتزيّأ بزّي خاص، ويلبس طربوشاً ويكون معه آخرون يحملون له فانوساً، ليبصر الطريق خاصة في أيام الشتاء، ومن الوحل والمطبات، ويدعو النائمين للقيام ليلاً لتناول طعام السحور.

## موسم النبي موسى:

كانت الاحتفالات تخرج من أرجاء فلسطين في عهد المجلس الإسلامي الأعلى تحمل الرايات وتتجه إلى مقام النبي موسى في الأغوار في فلسطين، فكانت تسمى ببيرق نابلس وبيرق جنين ويافا والخليل، حيث يتجمع المواطنون أمام المسجد الإبراهيمي يحملون الأعلام ويتجهون صوب مقام النبي موسى في الأغوار يدبكون ويهزجون الأناشيد الدينية والحماسية، ويسيرون على الأقدام، ويمكثون أياماً عدة لإثارة الحماسة في نفوس الفلسطينيين ضد الغزاة. وهذا تقليد من عهد الأيوبيين، حيث كان يجمع صلاح الدين الأيوبي أهل هذه البلاد في مواقع مختلفة كالنبي صالح والنبي روبين وغيرها، يدرّبهم ويحثهم على الجهاد ضد الفرنجة الغاصبين.

## الأعراس:

كان شباب الحارة يأخذون العريس بين المغرب والعشاء في الزفة، ويأتون به وهم يدبكون ويغنون، وأمامهم حملة الأعلام والشبان الذين يلعبون بالسيف والترس ويركبون الخيول المطهمة صوب المسجد الإبراهيمي ويؤدي صلاة العشاء مع المصلين ومن ثم يخرجون ويزفون العريس ثم يجلس في مجلس العائلة أو الديوان ويتوافد الأهل والأصدقاء عليه ويقدمون له النقوط، ومن العادات الحميدة أن أهل العريس كانوا لا يمرون من الأحياء التي يكون فيها مناسبات غير ساره كالوفيات احتراماً وتقديراً لهم.

## الوفيات:

كان المتوفى يؤخذ إلى المسجد الإبراهيمي ويصلى عليه، وتتقدمه الأعلام ثم يؤخذ إلى المقبرة ويدفن، ويصطف ذووه على جانبي الطريق ويمر بهم المعزون، ومن العادات الحميدة أن أهل المنطقة كانوا لا يصنعون القهوة، ويقلبون أدواتها ثم يأتي من أهل المتوفى ويحضرون لهم القهوة غير المطبوخة، ويطلبون منهم تجديد عمل القهوة في الدواوين.

## الطهور:

كان الناس يأتون بأبنائهم من أكناف المدينة ومن القرى المجاورة ويقومون بختان أي (طهور) أبنائهم في أكناف المسجد الإبراهيمي ويحضرون معهم الذبائح والحلوى ويقومون بتوزيعها على الحضور ويقدمون النذور في التكية الإبراهيمية.

## حلاقة شعر الأطفال:

ومن العادات الحميدة لأهل الخليل وقراها أنه عندما كان يولد لهم طفل ذكر كانوا يأتون به إلى جوار المسجد الإبراهيمي، فيحلقون شعره ويوزن بالذهب ويوضع للمسجد.

## صاع الخليل:

عندما كان المزارعون ولا سيما أبناء القرى المجاورة للخليل يجنون ثمارهم أو يحصدون غلالهم من الحبوب، كانوا يقدمون مداً (صاعاً) من هذه الحبوب، ويفرزونه جانباً ويرسلونه إلى تكية إبراهيم الخليل (عليه السلام).

كان العديد من النساء اللواتي لا ينجبن الأطفال يذهبن للاستحمام في حمام الخليل علَّ الله سبحانه وتعالى يرزقهن بمولود.

## التوصيات:

من الملاحظ أن هذا المسجد إسلامي، وليس لغير المسلمين فيه أي أثر، وذلك بحكم الواقع وعبر العصور المتلاحقة، ومن هذا المنطلق، فإنه يجدر بنا أن نضع التوصيات الآتية للحفاظ على إسلامية هذا المكان الإسلامي المقدس.

١. الالتفاف العربي والإسلامي حول هذا المسجد، وأن أي اعتداء عليه يعدُّ اعتداءً على مقدسات المسلمين بعامّة في مشارق الأرض ومغاربها.

٢. التركيز على إقامة صلوات الجمع والجماعات، والتوجه إلى هذا المسجد في كل الأوقات ولا سيما أبناء هذه المدينة.

٣. العمل على إدخال خطة منهجية دراسية في مناهج التربية والتعليم للطلاب في المدارس وطلاب الجامعات عن إسلامية هذا المسجد، وأنه مسجد إسلامي، ولا يجوز لغير المسلمين التدخل في شؤونه.

٤. الوقوف في وجه الاحتلال بكل صرامة وقوة وعدم تمكينه من العبث بمقدساتنا، والنيل منها، ورفع الشكاوى إلى المؤسسات الدولية عن أي اعتداء يقع على هذا المسجد.

٥. الحفاظ على عروبة وإسلامية هذا المسجد، وعدم التقصير في أي مجال يحتاج إليه من خدمة وترميم وإصلاح، وعدم إعطاء مجال لليهود للعبث فيه وتدخلهم في شؤونه.

٦. التمسك بالإرث التراثي الفلسطيني الذي يشد الناس إلى مسجدهم بما لا يخالف الشرع الحنيف، والتمسك بالعادات والتقاليد والموروث الشعبي الخاص بالتصاق الناس بمسجدهم

نسأل الله العليّ القدير أن يحفظ مسجداً وتراثنا وحضارتنا من كيد المعتدين؛ لأننا أمة جديرة بالإحترام والتقدير، لما أنجزته أيدي أسلافنا من تراث وإرث أثري البشرية.

## خاتمة:

لقد أعددت هذا البحث تكريساً للأبحاث العديدة والمؤلفات المتتابعة في هذا الموضوع عن المسجد الإبراهيمي الشريف، وكنت قد اكتسبت خبرة واسعة في هذا المجال نتيجة عملي في جهاز الأوقاف عشرات السنين كما أنني أحد مدرسي هذا المسجد، وقد تشرفت هذه المدينة التي تعدّ من أقدم مدائن الدنيا برفات جد الأنبياء إبراهيم الخليل وأبنائه وأزواجهم (عليهم السلام) وسميت بهذا الاسم تيمناً بإبراهيم الخليل (عليه السلام).

وقد أوردت في بحثي هذا نبذة يسيرة عن مدينة الخليل، وعن المسجد الإبراهيمي الشريف، ثم دخلت إلى العنوان الرئيس الذي هو محور هذه الورقة وهو:

### أثر المسجد الإبراهيمي الشريف في التراث الشعبي في الخليل

أي الخليل وما يحيط بها من مجاورين، وكتبت ثمانية وعشرين فقرة تمسّ حياة أبناء هذه المنطقة، وأثر هذا المسجد في عاداتهم وحياتهم. ومن هذه العادات التي عشتها وأعرفها وعاشها الآخرون، وساروا عليها رداً من الزمن، وأصبحت جزءاً من حياتهم وواقعهم اليومي.

## الهوامش:

١. القرآن الكريم سورة الأنبياء آية ٧١
٢. سفر العدد ١٣ / ٢٥
٣. أبو صالح، محمد نياب، الخليل عربية إسلامية، ط١، القدس، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، ٢٠٠٠م ص ٨
٤. عمرو، يونس، الخليل مدينة لها تاريخ، منشورات جامعة الخليل، ١٩٨٥م، ص ٣٢
٥. قرآن كريم سورة آل عمران آية ٦٧
٦. العابدي، محمود، مجلة الفيصل ن عدد ٤، سنة أولى ص ١٢٣
٧. سوسه، أحمد، اليهود والعرب في التاريخ، ص ٥٨٧
٨. الموسوعة الفلسطينية ص ٩١
٩. الحنبلي، مجير الدين، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ١٩٧٢م ص ٦٠
١٠. رقوم المسجد الإبراهيمي الشريف، تحقيق د يونس عمرو، ونجاح أبو ساره، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة الخليل، ط١، ١٩٨٨م ص ١٧٨
١١. الخليل عربية إسلامية، مصدر سبق ذكره ص ١٦٠
١٢. الكتاب المقدس، سفر التكوين إصحاح ٢٥
١٣. القرآن الكريم، سورة الحجر آية ٥١
١٤. القرآن الكريم، سورة الداريات آية ٢٥
١٥. الخليل عربية إسلامية، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٦
١٦. عائلة طهوب، الحموري، زلوم، المحتسب، إمام، البكري، الزرو، القيمري، عسيله، مسودي

## المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. أبو صالح، محمد ذباب الخليل عربية إسلامية، ط١، مطبعة دار الأيتام الإسلامية، القدس ن ٢٠٠٠ م ص ٨
٣. عمرو، يونس، الخليل مدينة لها تاريخ، منشورات جامعة الخليل، ١٩٨٥ م، ص ٣٢
٤. ألعابدي، محمود، مجلة الفيصل ن عدد ٤، سنة أولى ص ١٢٣
٥. سوسه، أحمد، اليهود والعرب في التاريخ، ص ٥٨٧
٦. الموسوعة الفلسطينية ص ٩١
٧. الحنبلي، مجير الدين، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ١٩٧٢ م ص ٦٠
٨. زقوم المسجد الإبراهيمي الشريف، تحقيق د يونس عمرو، ونجاح أبو سارة، منشورات مركز البحث العلمي، جامعة الخليل، ط١، ١٩٨٨ م ص ١٧٨
٩. جاد المولى، محمد أحمد، العوامري، وأحمد، مهذب رحلة بن بطوطة، الناشر وزارة المعارف المصرية، المطبعة الأموية، ببولاق، سنة ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م ص ٤٤ / ٤٥
١٠. ملف المسجد الإبراهيمي الشريف، دائرة أوقاف الخليل





# الزيتون في الميثولوجيا الشعبية الفلسطينية (منطقة الخليل نموذجاً)

د. طالب الصوافي

## ملخص:

إن من أهم ما يميز الزراعة في فلسطين عن غيرها من بقاع العالم قدمها، فالمجتمع الزراعي الريفي تكون منذ فجر التاريخ، وأراضي فلسطين هي من أقدم الأراضي الريفية في العالم. فجبالها وتلالها تزخر بالمئات من المدن والقرى منذ آلاف السنين، وما زالت بعض المدن الفلسطينية تحتفظ بطابعها الريفي الواضح كالقدس والخليل ونابلس وغيرها من المدن. ومدينة الخليل بحكم موقعها الجبلي تصلح لزراعة الأشجار المثمرة بمختلف أنواعها، وكذلك الجبال والوديان والقرى المحيطة بها. ويعدّ الزيتون من أهم الأشجار التي اشتهرت بها منطقة الخليل منذ العصر اليوناني والروماني، وربما قبل ذلك، فهي من الأشجار المقدسة والمباركة في الديانات السماوية، وما زال فلاحونا ومزارعوننا في منطقتنا وبقية أنحاء فلسطين يحتفظون بها في ذكراتهم وأذهانهم، وتتردد على ألسنتهم المقولة المشهورة «هذه شجرة رومية»، «وهذا زيتون رومي» ذلك أن شجرة الزيتون تعمر مئات بل آلاف السنين، ولهذا نجد سكان منطقتنا حافظوا عليها منذ أضحت الزراعة جزءاً من أنشطتهم الحياتية ومحوراً لحياتهم الاقتصادية.

وفي هذه الورقة نسلط الضوء على أهمية هذه الشجرة المباركة وفائدتها الاقتصادية واستمرار اهتمام الفلاح في الريف الخليلي بها منذ القدم، وحتى الوقت الحاضر لما لها من ارتباط في دينه وثقافته وتقاليد مستعرضين آراء بعض الفلاحين حول أصل هذه الشجرة وانتشارها وأسباب الاهتمام بها.

## المقدمة:

كان الشعب الفلسطيني، وما زال يمثل تركيبة حضارية ذات طبقات ثقافية متميزة بالتفاعل تراكمت بعضها فوق بعض من بدء التاريخ، وقد أخذ موقعه هذا من وطنه فلسطين التي مثلت جسراً وممرًا حضارياً تفاعلت معه معظم ثقافات الشعوب القديمة الغنية بتراثها الروحي والمادي، فاستوعبها الشعب العربي من أجدادنا الكنعانيين.

ويتناول هذا البحث جانباً مهماً من حياة الشعب الفلسطيني ألا وهو تراثه المادي والأسطوري الذي هو عبارة عن بعض أنماط الممارسة الحياتية من خلال وسائل العيش والتكيف مع البيئة التي تحيط به. وسوف نسلط الضوء على العلاقة بين الفلاح الفلسطيني وأرضه، وعلى التفاعل الدائم بينهما، من خلال ممارسته لمهنة الزراعة، وخاصة زراعة الزيتون التي اعتبرها من الأشجار المقدسة، وأحد أهم موارد تراثه المادي. فالأرض تحورت في ذهنه منذ عصور قديمة، إلى هوية حضارية قومية، وبرزت في عقلية الفلاح البسيط وتجسدت كتجربة غيبية خرافية دفعته إلى التضحية حتى بذاته.

ومن هنا يتحتم على كل منا في موقعه أن ينضم إلى حركة إنعاش التراث والى المبادرة والاستمرار في سبرغور تراثنا حيث القصص الشعبي والمعتقدات الشائعة والأساطير والخرافات، لأن كل هذا يعكس وجودنا وصمودنا في وطننا.

## مفاهيم عامة:

هناك بعض المفاهيم والمصطلحات لا بد من التطرق لها بإيجاز قبل الحديث في الموضوع مباشرة، وهي مفاهيم لها علاقة بالإرث الحضاري الفلسطيني المتعمق في نفوس آبائنا وأجدادنا حتى هذا الوقت، ومنها على سبيل المثال الأسطورة، والتراث الشعبي، والخرافة الشعبية، والأمثال الشعبية وغيرها، والتي تعد جميعها من مآثر فلكلورنا الشعبي الأصيل المكون من مجموعة من المعارف والخبرات والفنون عبر الإنسان بوساطتها عن أحاسيسه ورغباته وتجربته، وجعلها هادياً له في تنظيم أمورهِ الحياتية والاجتماعية والاقتصادية، وحافظ المجتمع على نقلها من جيل إلى الجيل الذي يليه<sup>(١)</sup>. وضمن هذا المفهوم تدخل أيضاً المعتقدات والأساطير والعادات التقليدية الشائعة بين العامة، وكذلك الآداب والسلوك والخرافات والأغاني والأمثال التي نشأت في المجتمع الفلسطيني في العصور السالفة<sup>(٢)</sup>.

فالأسطورة مثلاً هي يونانية الأصل (Mythos) ميثوس وفي الإنجليزية (Myth) ميث، وهي تعني الكلام المنطوق أو القول، ولكن أي قول؟ فيجيب الدارسون لهذا الفن بأنه القول المصاحب للعبادة والطقوس الدينية، فهي إثبات للجانب الكلامي من الحركة في العبادة قبل أن تصبح هي نفسها حكاية حول هذه الطقوس أو منبثقة عنها<sup>(٣)</sup>. وهي بهذا المعنى قصة تفسر مآثرات الناس حول العالم وما وراء الطبيعة: كالألهة والأبطال من أشباه أو أنصاف الآلهة<sup>(٤)</sup>.

وهناك أساس ديني وإنساني وراء الأسطورة في فلسطين منذ العهد الكنعاني الذي تميز بتعدد الآلهة التي ارتبطت بالأساطير حول قصص بعض الأنبياء وحكايات الحيوان وغيرها، وقد نبتت في فلسطين كغيرها من مناطق حضارات العالم القديم العديد من الأساطير القديمة مثل أسطورة التكوين وأساطير الخير والشر وغيرها والتي تقُدس الحيوان والنبات والشجر والحجر<sup>(٥)</sup>.

أما الخرافة الشعبية فتتخذ أساسها من الديانات البدائية التي نجد عناصرها في عادات وتقاليد الشعوب القديمة، وتتحدد أصولها من الطوطمية (وهي تقديس الحيوان أو النبات)، وقد ترتبط بالأحلام والعادات بقليل أو بكثير<sup>(٦)</sup>.

أما الأمثال الشعبية فهي بشكل عام الكلام المقتضب الحكيم والبليغ والذي يحمل مدلولاً نفسياً يتسم بالقبول والتداول، وهي ذات إيقاع وتتقبل الكلام الموزون الذي يتصف بالاستقرار والثبات. وللأمثال أهمية كبرى في حياة المجتمع الشعبي لأنها تعبر عن تجربته وتكشف عن فلسفته الاجتماعية والخلقية، ويستعين بها الإنسان أثناء حديثه ليدل على حقيقة أمنت بها الأجيال، ولا تكاد أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب يخلو من الأمثال الشعبية، فهي مستودع أفكارهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وتحفظه الأجيال جيلاً بعد جيل نظراً لما تحوي من معانٍ وقيم، وما تتميز به من الإيجاز والبلاغة وأحكام البناء وسداد الفكرة<sup>(٧)</sup>.

أما التراث الشعبي فهو فن يضم الفنون الشعبية غير القولية مثل الرقص والموسيقى الشعبية، والفنون القولية: مثل الأغاني والشعر والقصص والأمثال الشعبية وأساطير الأولياء والصالحين، والأحاجي والحزازير والطرائف والنكت الشعبية، كما يضم التراث الشعبي الصناعات التقليدية والحرف اليدوية، كما يضم الطب الشعبي والديني الشعبي والمعتقدات والتقاليد الشعبية<sup>(٨)</sup>.

ويوضح الدكتور عبد اللطيف البرغوثي أهمية تراثنا فيقول «إن تراثنا هو دوحه ماضيها الكنعاني في جذورها، لتصله بماضيها العربي الإسلامي في جذوعها، وتحمل ثمار

حاضرنا العربي الفلسطيني على فروعها، كما تحمل مستقبلنا على أغصانها، أنها شجرة مباركة جذوعها في الأرض وفروعها في السماء»<sup>(٩)</sup>.

## الزيتون في الموروث الشعبي الفلسطيني (القدسية والرمز):

تدور العديد من المعتقدات الشعبية الفلسطينية حول بعض الأشجار والنباتات وخاصة شجرة الزيتون، والشعب الفلسطيني كشعب فلاح زراعي منذ نشأته الأولى اندمج مع الأرض وجبل عرقه بطينها، فأخرجت له الأشجار والنبات، ولم يتركها وشأنها، بل تجاوب معها وامسك بها حتى عبدها أجدادنا الكنعانيون، وكونوا حولها العديد من الاعتقادات والغيبيات والخرافات التي ترعرعت واستمر العديد منها فيما عرف «بالمعتقدات الشعبية»، ثم حبا الله الإنسان بكتبه المقدسة ورسله فخص بها العديد من الأشجار والنباتات بكثير من الوصف والصفات مما مكنها في الوجدان الشعبي.

وقد كانت مدن فلسطين وخاصة القدس والخليل مسرحاً لظهور العديد من الأنبياء والصالحين والشهداء والأولياء والقدسين الذين اقترنت بهم الحياة النباتية، لم لا؟ «وما من بني إلا وقد رعي الغنم»، كما اقترنت العديد من الأشجار بمقاماتهم وأضرحتهم، ومن ثم تغلغت هذه الأشجار والنباتات في النسيج الفكري الفلسطيني بصورة سيطرت على العديد من مناحي حياته الزراعية والطبية الشعبية وطوقسه السحرية، فأطلقت أسمائها على العديد من مناطق عمرانها المتمثلة في قراه ومدنه ومراكز تجمعاته<sup>(١٠)</sup>.

ومما لا شك فيه أن شجرة الزيتون على مر العصور احتلت مكانة مرموقة في حياة الشعب الفلسطيني في البلاد المقدسة، حيث تعدّ بالفكر الميثولوجي مباركة ومقدسة لأنها تقدم الغذاء والظل والنور للإنسان لأسباب عدة منها: أنها ذكرت في الكتب المقدسة الثلاثة: التوراة، والإنجيل، والقرآن، فقد ورد في التوراة أن أرض فلسطين «أرض الزيتون والزيت والعسل»، وجاء في سفر التكوين قصة الحمامة ونبي الله سيدنا نوح عليه السلام حينما أتت إليه في المساء وفي فمها غصن الزيتون لتخبره بانحسار مياه الطوفان، أما العهد الجديد فأخبر ان سكان القدس استقبلوا السيد المسيح بأغصان الزيتون حينما دخل المدينة، وما زال النصراني يخلدون هذه المناسبة بحمل هذه الأغصان للاحتفال بهذه المناسبة لا اعتقادهم أن أبواب السماء تفتح حينئذ، كما سمي في مصر باسم عيد الزيتون<sup>(١١)</sup>. أما القرآن الكريم فقد ذكر هذه الشجرة في آيات عدة منها قسم الله تعالى بالزيتون في قوله: ﴿والتين والزيتون، وطور سنين.....﴾ إلى آخر الآية، حيث ذكرت بعض التفاسير أن شجرة الزيتون أعطيت لسيدنا آدم وزوجته حواء بعد خروجهما من الجنة ليزرعها وليأخذ

ثمرها حتى يشفيه من الأمراض، وهناك تفسير آخر لهذه الآية بأن المقصود بالزيتون هو طور زيتا ومسجد البيت المقدس<sup>(١٢)</sup>، وأما الآية الأخرى فهي ﴿الله نور السماوات.....﴾ إلى قوله تعالى ﴿زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ حيث تبين هذه الآية مدى أهمية شجرة الزيتون، وفوائدها للناس، وهناك تفسير لآخر الآية ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ وهو أن منبت شجرة الزيتون هو الشام، وأن أجود أنواع الزيتون هو زيتون الشام<sup>(١٣)</sup>. ونتيجة لهذه الأهمية والقدسية التي تمتعت بها هذه الشجرة في الديانات السماوية فإن الفلاح الفلسطيني يقسم في بعض الأحيان بشجرة الزيتون ويقول «وحياة شجرة النور» (شجرة الزيتون) وكذلك يقول «وحق من دار الزيت في الزيتون».

كما ذكرها الأنبياء في أحاديثهم ومنها ما ورد عن الرسول (ص) من تشجيعه على زراعة الأشجار ومنها الزيتون حينما قال: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو بهيمة، إلا كان له حسنات إلى يوم القيامة»<sup>(١٤)</sup>. ومن أحاديثه التي تبين مدى فائدته للإنسان قوله (ص) «كلوا الزيت وادهنوا به فإن فيه شفاء من سبعين داء».

وتمثل شجرة الزيتون الوثيقة المادية للتاريخ نظراً لأهميتها في الحياة المادية والثقافية منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا، والذي يتتبع تاريخ هذه الشجرة منذ ظهورها الأول في فلسطين وانتقالها منها إلى المناطق الأخرى يرى بأن أهالي المدن والقرى الفلسطينية، ومنها الخليل والقدس ما زالوا يقدسونها ويهتمون بزراعتها والعناية بها، حيث إن كثيراً من أهالي القرى والأرياف حتى وقت قريب كانوا يذهبون إلى الأشجار المعمرة منها، وخاصة القريبة من مقامات الأولياء والمساجد القديمة من أجل التبرك بها أو الجلوس في ظلها، لاعتقادهم بأن شجرة الزيتون التي بجوار الصخرة المشرفة قد نبتت من نواة رماها الرسول (ص) عندما أسري به إلى القدس، كما أنها كانت تُقدّم كندُر لصيانة المقامات في فلسطين وإصلاحها من قبل الفلاحين، وفي مقدمة هذه الأشياء الزيت والبخور الذي يتميز بقيمة خاصة عند الشرقيين القدماء، ذلك أن شجرة الزيتون في عرفهم تعدّ من الملامح المهمة للمزارات والمقامات لأهميتها، وهي ليست عادة جديدة وطائرة لأن كثيراً من الأماكن منذ العهد القديم كانت ذات علاقة بالأشجار الخضراء<sup>(١٥)</sup>. ويعدّ الزيت أيضاً من أكثر المواد التي تقدم كندُر من قبل الفلاحين في القرى والمدن سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين أغنياء أم فقراء للشفاء من الأمراض، وإذا كانت نعمة الأولياء لا تفرق شجرة عن شجرة في حرم المزارات، فإن الفلسطيني يعتقد أن شجرة الزيتون مباركة حيثما وجدت، وذلك في عرف المسيحيين والمسلمين على السواء، ففي حديثين مأثورين عن الرسول (ص) الأول: «ائتموا بالزيت وادهنوا به»، والثاني: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»، تبين لنا صدق معتقد أهالي فلسطين حول تلك الشجرة<sup>(١٦)</sup>.

وعندما نفكر في تأثير النباتات والأشجار على العقيدة الدينية للناس نجد أن الفلاحين في فلسطين تأثروا بجمالها وجمال أوراقها وأزهارها وثمارها، وكلها حسب اعتقادهم ناتجة من قوة خارقة للطبيعة، ويروا فيها قدرة الخالق، وينظر الفلسطينيون بشكل عام إلى الأشجار ككائنات ذات قدرة خارقة، فأرواح العالم العلوي والأولياء يمكن أن تعيش وتظهر فيها، وهذا يفسر أن معظم المزارات والمقامات المنتشرة في مدن فلسطين وأريافها وبواديها تقترب بالأشجار، ولهذا تكتسب قداستها بحيث يذهب إليها الفلاح في بعض الأحيان ويعلق عليها قطعاً من القماش، ويستعمل أوراقها للشفاء من الأمراض، كما أنه لا يقطع فروع الشجرة ذلك إن الاعتقاد بقداستها قديم جداً، والفلاح لا يقدس الشجرة نفسها، بل قوتها الخارقة المستمدة من قدرة الله الذي تسكن روحه المزار أو القبر أو المغارة أو النبع الملتصق بها، فغالبا ما يظهر الأولياء على الشجرة أو قربها<sup>(١٧)</sup>، ويتناقل السكان الرواية التي يرسل فيها الله سبحانه وتعالى سيدنا جبريل إلى سيدنا آدم ليعطيه غرسا من الزيتون ليزرع حتى يستفيد من زيتته في شفاء الأمراض كعلامة على النجاح والبركة الإلهية<sup>(١٨)</sup>، وهناك جذور لقدسية هذه الشجرة وبركتها تعود إلى الإغريق، حيث تقول الميثولوجيا الإغريقية إن الآلهة أثينا عندما أرادت أن تقدم هدية لمدينة أثينا قدمت لها شجرة الزيتون، كما استخدم اليونان أغصان الزيتون في لف عنق المنتصر في الألعاب الاولمبية التي أوجدوها<sup>(١٩)</sup>.

كان اهتمام السكان في فلسطين بهذه الشجرة منذ أيام أجدادنا العرب الكنعانيين التي كثرت زراعتها في فلسطين، ثم توارثتها الشعوب التي سكنت فلسطين أيام اليونان والرومان الذين كان لهم الفضل في الاستمرار في العناية بها وزراعتها بشكل أوسع في معظم مدن فلسطين وقرراها من الجليل شمالاً حتى الخليل جنوباً، وقد واصل السكان في مدينة الخليل وريفها بالمحافظة على هذا الموروث واستمراره، وليس أدل على ذلك من كثرة بقايا المعاصر القديمة المنقورة في الصخر التي أقاموها في تلك الفترة، والآبار التي كانوا يحفرونها تحت الأرض لتخزين الزيت<sup>(٢٠)</sup>.

ثم توارث السكان في المدن والقرى الفلسطينية التي تنتشر فيها زراعة الزيتون بكثرة بعض القصص والحكايات الشعبية التي تبين أهمية هذه الشجرة وارتباطها بوجودان الفلاح الفلسطيني وذهنيته، غنيا كان أم فقيراً، فخلال الفترة العثمانية مثلاً وفدت شقيقة نائب القنصل البريطاني إلى إحدى القرى في شمال فلسطين لمقابلة بعض النسوة فيها، فما كان منهن إلا أن بادرنها بسؤالين الأول: **ما عدد الإبل عند أبيك؟** أما الثاني فكان، **وهل زيتونات أبيك حديثة العهد؟** بهذين السؤالين استفسرت هؤلاء النسوة لأنهن اعتقدن إنهما المؤشران الأساسيان للقاعدة المادية والجهوية في أية عائلة، أما السؤال الثاني



فيكشف عن مركزية شجرة الزيتون في الحياة الاقتصادية والثقافية في مناطق فلسطين التي تكثر فيها زراعة هذه الشجرة، وخاصة المناطق الوسطى الجبلية نابلس والقدس والخليل<sup>(٢١)</sup>، كما تؤكد هذه الرواية على أهميتها عند معظم الفلاحين الفلسطينيين، وتضاهي أهمية الجمل عند عرب البادية، وكذلك فإن قيمة الثروة المادية للعائلة الفلاحية - وما زالت في كثير من الأحيان إلى يومنا هذا - تقاس بعدد جرار الزيت الذي تنتجه أشجار الزيتون سنوياً، واليوم تعدّ شجرة الزيتون أيقونة وطنية عند أهل فلسطين، فانتشارها الكثيف في الجبال والتلال والأودية ومثله عمرها المديد في تهاديه، يرمزان إلى الرسوخ والتجذر والانتماء والإصرار على البقاء على الرغم من الحرب المدمرة التي تشن عليها من قبل الاحتلال ومستوطنيه، ذلك أن أسلوب الطمس والتدمير الذي اتبعته سلطات الاحتلال لا يقتصر على المباني والرموز الدينية، وإنما يتعداه إلى الشجر وخاصة شجر الزيتون، فقد دمروا واقتلعوا عشرات الآلاف من هذه الشجرة المباركة والمقدسة التي تعدّ الشاهد على الحياة والثقافة والتراث الفلسطيني، ومن جهة أخرى فهي عصب اقتصادي رئيسي، ومن جهة ثالثة تمثل رمزاً لديمومة التاريخ الفلسطيني، فكما اشتدت المعاناة والصعاب على السكان تسمعونهم يرددون دائماً عبارة «نعيش على الزيت والزعتر، ولا نحني رقابنا لمحتل أو مستعمر»، ومن سخرية الأقدار أن أهمية شجرة الزيتون في الوعي السياسي الفلسطيني تزايدت بنسبة معاكسة لأهميتها في الحياة المادية<sup>(٢٢)</sup>.

## زراعة الزيتون في فلسطين ومنها الخليل:

يعتمد اقتصاد مدينة الخليل أساساً على حرفة الزراعة، حيث يتوافر فيها عناصر قيامها بشكل ناجح، وكذلك القرى المحيطة بها، ولعل التراث الديني يشهد بتلك الحقيقة، فكثيراً ما نقرأ في كتب الرحالة الأجانب عن حقل دمشق الذي يفيض بخيرات من الثمار، وكلما أخذ منه امتلاً من جديد، ورغم تغلب الجانب الأسطوري على هذا الاعتقاد فإنه يؤكد على خصوبة أرض بلاد الخليل، وهذه الخصوبة ارتبطت بالفكر الإسلامي بمباركة الله لهذه الأرض<sup>(٢٣)</sup>.

تعدّ منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط الموطن الأصلي لهذه الشجرة المباركة وبالأخص فلسطين التي أطلق عليها «أرض الزيتون»، وما زالت منتشرة فيها حتى هذا الوقت حيث زرعها أجدادنا الكنعانيون كما ذكرنا سابقاً، ثم تواصل انتشارها بعد ذلك إلى باقي بلدان البحر المتوسط حيث أدخلها الفينيقيون - الفرع الآخر للكنعانيين - إلى مناطق جنوب أوروبا كاليونان وإيطاليا ومن هناك نشرها الرومان في شمال إفريقيا وأسبانيا والبرتغال<sup>(٢٤)</sup>. وقد ازدادت المساحات المزروعة في فلسطين أيام الاحتلال اليوناني ثم

الروماني لفلسطين، حيث غطت أشجاره سفوح الجبال في الجليل والقدس والخليل ونابلس، ومما يؤكد ذلك اكتشاف العديد من معاصر الزيتون في معظم المدن والقرى وحتى الخرب الصغيرة المحيطة بها، كما اكتشفت كميات كبيرة من نفايات الزيتون في عدة مواقع في الخليل، مما يدل على أن إنتاج زيت الزيتون، كان ذا شأن في تلك الفترة<sup>(٢٥)</sup>.

وقد استخدم الفلاحون الأدوات الزراعية نفسها وأساليبها في الزراعة والحراثة والحصاد والقطف وتقنية التصنيع، ولم تختلف كثيراً عن الأدوات المستخدمة في هذه الأيام من محارث وفؤوس ومدقات وغيرها، ولهذا اعتبر الزيتون مع الحبوب والكرمة بحق ثلوث بلاد البحر المتوسط في الإنتاج الزراعي<sup>(٢٦)</sup>.

ومدينة الخليل ومنطقتها إحدى المدن الرئيسية التي انتشرت فيها زراعة الزيتون منذ العصر الكنعاني مروراً بالعصر الحديدي ثم اليوناني حتى العصر الروماني - البيزنطي الذي زادت فيه المساحات المزروعة ليس فقط في المدينة وإنما في ريفها وبواديها، ويدلنا على ذلك - كما قلنا - كثرة المعاصر التي اكتشفت فيها، يضاف إلى ذلك اكتشاف العديد من اللقى الأثرية في عشرات، بل مئات المواقع الأثرية في منطقة الخليل التي تبين استخدام مادة زيت الزيتون في الأكل والإضاءة وغيرها من الاستخدامات، كما بينت وجود فائض عن حاجة السكان، مما حدا بهم إلى تصديرها إلى المدن والدول المجاورة<sup>(٢٧)</sup>.

أما بالنسبة لنشاط السكان في هذه الحرفة في الفترات الإسلامية الوسيطة فقد استمر الاهتمام بزراعة الزيتون وإنتاج الزيت، ومما يؤكد ذلك أنه عندما فرضت الجزية على المدن الفلسطينية ومنها مدينة الخليل بعد الفتوحات الإسلامية فرض على سكانها ضريبة عينية من الزيت نظراً لتوافر هذا المحصول فيها، واستمر إنتاج هذه السلعة خلال العصر الأموي والعباسي حيث فرضت مبالغ كبيرة على هذا المنتج كضريبة عليه أيضاً<sup>(٢٨)</sup>. وقد زدنا الرحالة المسلمون والأوروبيين الذين زاروا الخليل ومحيطها في العصور الوسطى بأهم المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها المدينة، ومنهم الاصطخري وابن حوقل والمقدسي وناصر خسرو ودانيال الراهب، والإدريسي وبورشارد وغيرهم، حيث ذكروا جميعهم أن محصول الزيتون كان من المحاصيل الأساسية التي زرعتها السكان في المدينة بالإضافة إلى العنب، كما ذكروا بأن زراعته تركزت في الجبال والمنحدرات حولها، وأكدوا أن المحصول كان يفي بحاجة السكان ويفيض عن حاجتهم<sup>(٢٩)</sup>، هذا مع العلم أن السكان في المدينة كانوا يقدمون للضيوف والمسافرين والحجاج والزوار الخبز والزيت حيث أخبر الرحالة ناصر خسرو الذي زار الخليل في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بقوله: «ويعطون الضيوف والمسافرين والزائرين الخبز والزيتون...، ويعطى من يصل هناك رغيفاً مستديراً وطبقاً من العدس المطبوخ بالزيت»<sup>(٣٠)</sup>.

أما في الفترة العثمانية، فقد انتشرت بساكنه بكثافة في أراضي المدينة وريفها، ويبدو ذلك من خلال ما زودتنا به سجلات المحكمة الشرعية في المدينة، وأدبيات الرحالة العرب والأجانب، ولم تكن توجهات سكان الريف لزراعة الزيتون أقل مما كانت عليه في المدينة، حيث انتشرت حقوله في محيط القرى التي تعود بعضها إلى العصر الروماني - البيزنطي، مما يؤكد على البعد التاريخي لزراعته في المنطقة، ومما يؤيد تلك التوجهات أن أعداد الأشجار في بعض الحقول كان يصل إلى المئات في حقل واحد (٣١).

### القيمة الغذائية لثمار وزيت الزيتون واستخداماته:

الزيتون أو ما يطلق عليه مجازاً «الذهب الأخضر» إحدى أهم الموارد الإستراتيجية التي اعتمد عليها معظم سكان فلسطين منذ أزمان طويلة، حيث فوائده الكثيرة من النواحي الصحية والاقتصادية والدينية. فثمار الزيتون لها قيمة غذائية عالية وذات أهمية كبرى، حيث يعدُّ في عرف أهالي الخليل وعموم فلسطين «بشيش الطاولة أو الصفرة» على مدار السنة، فقلما توضع أكلة على المائدة دون أن يكون الزيتون متبلاً لها ومشهياً، حيث يؤكل مرصوفاً - الرصيص - إن كان أخضر أو أسمر، وذلك بعد عمليات تجهيزه من غسل وحرص وتمليح وتكبيس مع إضافة أوراق الغار والحامض والفلفل والقرفة وبعض الثوم وغيرها مما كان يستخدمه الفلاحون منذ فترات طويلة (٣٢). أما قيمة الزيت الصحية والعلاجية فتتمثل بأنه يساعد على فتح الشهية وتقوية المعدة واللثة وأسنان الأطفال وإدرار البول، كما يستخدم في تدليك جسم الطفل المولود عملاً بالقول المأثور «كلوا من الزيت وادهنوا به» لأن فيه قوة للجسم عبر أسلافنا عنها بقولهم «الزيت مسامير الركب» (٣٣).

كما أنه يحتوي على العديد من الأحماض والبروتينات والأملاح المعدنية والفيتامينات التي تساعد على علاج بعض الأمراض، فقد ورد بعض الأقوال في تراثنا الشعبي على أنه يشفي أكثر من سبعين داءاً منها الجذام وبعض أنواع السموم وتصلب الشرايين وآم الصدر والرشح والحمى وانتفاخ البطن والكحة والجرب والبثور واللفحة وغيرها (٣٤). وما زالت فئة كبيرة من السكان يستخدمون هذه العادات حتى هذا الوقت في أوساط معظم الطبقات الاجتماعية في الخليل ومدن فلسطين الأخرى، والتي توارثوها عن أجدادهم، كما أن زيت الزيتون كان وما زال من العناصر المهمة في تغذية السكان في المدينة على اختلاف طبقاتهم، ويشكل أيضاً أحد أصناف الأطعمة الرئيسية على المائدة الشرقية بشكل عام حيث يستخدم من قبل العديد من الأسر في تحضير العديد من الطبخات الشعبية (٣٥)، ويدخل مع بعض أصناف المأكولات الأخرى كالقول والحمص والدقة وغيرها.

ومن استخداماته الأخرى التي توارثتها الأجيال أنه يدخل في العديد من الصناعات الرئيسية، وخاصة صناعة الصابون الذي تشتهر به مدينة نابلس خاصة، منذ عصور سلفت، هذا فضلاً عن استعمال مخلفات الزيتون المعصور (الجفت) في توليد الحرارة، سواء كانت داخل المنزل أم خارجه، حيث يستخدم في الشتاء وقوداً للمناقل وأيضاً وقوداً لطوابين الخبز<sup>(٣٦)</sup>. ويجب علينا أن لا ننسى ما قام به أجدادنا منذ العصر الكنعاني في استخدام الزيت في الإضاءة داخل المنازل، وكذلك فقد قضت السنة الإسلامية بإسراج المساجد في الليل التي تحتاج إلى كميات كبيرة منه، هذا عدا أيضاً عن إسراج دور العبادة المسيحية كالكنائس والأديرة ودور السكن العادية<sup>(٣٧)</sup>. وبالإضافة إلى ذلك، ومن منطلق أن شجرة الزيتون مباركة ولها كرامتها لدى المسيحيين، فإنهم يمسحون بزيتها أطفالهم بعد الولادة ساعة تعميدهم<sup>(٣٨)</sup>، وكذلك يمسحون الكهنة ورؤساءهم بعد تجهيزهم. أما خشب الزيتون فقد استخدم في تصنيع بعض أدوات الزينة التي كانت تباع للحجاج والزوار الذين كانوا يزورون المدن المقدسة مثل: القدس والخليل وبيت لحم كالمسابع والصلبان البالغة الإتقان والتحف التذكارية الرائعة الجمال<sup>(٣٩)</sup>.

ويجب علينا أن لا ننسى أن زيت الزيتون حل كسيولة نقدية في العصور الحديثة بدلاً من المال، ولما كان من السهل تخزينه لفترة عام على الأقل في آبار للزيت حفرت عميقاً في الأرض، كان بإمكان الفلاحين والتجار أن يسحبوا من هذه الحسابات أو أن يأخذوا بدلاً منها نقداً، ولهذا فإن زيت الزيتون باعتباره مؤشراً إلى الثروة هو المعنى الضمني للقصص الشعبية الشائعة عن استعمال مشايخ النواحي والأغنياء له، بدلاً من الماء (الجبيل)، (خَلط) (الملاط) (الطين) الذي بنيت به مجمعاتهم السكنية وحصونهم<sup>(٤٠)</sup>.

## موسم قطف الزيتون وعصره:

إن موسم قطف الزيتون من المناسبات المهمة في حياة الفلاح الفلسطيني منذ أن زرع في هذه البلاد، وهو من أكبر هذه المواسم وأشهرها، ومن المعروف أن كمية الإنتاج تختلف من سنة لأخرى تبعاً لتغير المناخ السائد وحسب عمليات الخدمة المقدمة للأشجار من أصحابها والعناية بها، وما زال السكان في منطقة الخليل وفلسطين بشكل عام حتى هذه الأيام يتبعون الطريقة القديمة نفسها في قطف الزيتون، حيث يخرج جميع أفراد الأسرة إلى الحقل في أيلول أو في تشرين الأول من السنة، مصطحبين معهم السلالم والعصي والأكياس الواسعة، ويطلق على هؤلاء في تراثنا الشعبي باسم «الفرّاطين» أو «الجدّادين»<sup>(٤١)</sup>.

أما طريقة القطف فتعود إلى فترة زراعته في العهود القديمة وهي متنوعة منها التحليب أو المرط أو الجرد باليد، وحتى تتم هذه العملية فلا بد من توافر السلالم لقطع الأغصان

العلوية، أما الثمار التي على قمة الشجرة فيتم ضربها بالعصي أو الشاروط أو الجدادة حتى تسقط، وقبل هذه العملية تجول (تجمع) النساء والأولاد ما تساقط من ثمره على الأرض ثم تفرش بعض الأوعية تحت الشجرة ليجتمع عليها الثمر المقطوف توفيراً للوقت والجهد<sup>(٤٢)</sup>. وبعد الانتهاء من جمع الثمار يقوم أفراد العائلة في نهاية اليوم بتذريتها في الحقل ليزال منها الورق والأغصان المتكسرة، ثم تنقل إلى المنزل محملة على الدواب حيث تقوم النساء بتنقيته وتنظيفه من الحصى والشوائب وغيره.

وتعدُّ تقنية استخراج زيت الزيتون - عصر الزيتون - من الصناعات الرئيسية في مدينة الخليل منذ القدم، والتي كانت بدورها من أهم الأنشطة الصناعية في الأراضي المقدسة، وقد انتشرت المعاصر في معظم المدن والقرى الفلسطينية ومنها مدينة الخليل وقرائها التي انتشر فيها عشرات المعاصر التي كانت تديرها البغال والثيران، وشجع على قيام هذا الصناعة الطلب المتزايد على زيت الزيتون كغذاء رئيسي محلياً ودولياً<sup>(٤٣)</sup>.

وبعد نقله إلى المعصرة تأتي مرحلة عصر الزيتون في المعصرة أو (البد) أو بابور الزيت أو العصاراة التي تتكون من حجر دائري كبير مثبت فيه عصا قوية، فيوضع الزيتون على الحجر، وتحرك العصا بواسطة الحيوان حركة دائرية ضاغطة على الزيتون بواسطة الثقل، وتتكرر هذه العملية إلى أن يهرس الزيتون، ثم تنقل العجينة المهروسة إلى أوعية مصنوعة من الخيش (القفّه) مستديرة الشكل، وتوضع فوق بعضها بعد حشوها بالزيتون المهروس، ثم تضغط إلى الأعلى بواسطة مكبس حيث يخرج الزيت منها إلى حوض في أسفلها، ويترك لفترة معينة ليتم الفصل بينه وبين الماء والعناصر الأخرى<sup>(٤٤)</sup>. ومن المعلوم أن هذه المعاصر استخدمها فلاحونا منذ عصور طويلة وبقيت تستخدم حتى منتصف القرن الماضي على الأقل.

أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة الحصول على الزيت بعد عصره، والذي يكون خالصاً وصافياً ونقياً، حيث يقوم الفلاح بوضعه في جرار فخارية ليتم تخزينه في آبار محفورة في الصخر، تطلّى جوانبها وقيعانها بمادة الجص المعجون بزيت الزيتون لئلا يرشح منها الزيت، ويتسرب إلى الأرض، وقد استمر حفظ الزيت بهذه الطريقة في فلسطين حتى وقت قريب<sup>(٤٥)</sup>.

## نماذج من الأمثال والأغاني الشعبية التي قيلت في الزيتون:

ذكرنا في بداية هذا البحث بأن الأمثال الشعبية هي مرآة أمتنا، فيها تنعكس أصدق أحاسيسها، وفيها تبلورت حكمتها، ولمعت أفكارها، وبكلمات أخرى فهي عصاراة الخبرة والتجربة ليس لفرد واحد، وإنما للأمة بمجموعها. ولما كانت الزراعة أهم الحرف السائدة في

مجتمعنا الفلسطيني، وكانت الأرض مصدر فخر واعتزاز عند أصحابها، ونحن إذ نستعرض هذه الحرفة إنما تعمل على استجلاء الأمور المتعلقة بحياة الوسط الشعبي في فلسطين وعمله الدؤوب لتوفير حياة كريمة لأفراد أسرته، وقد استطاع الشعب الفلسطيني من خلال وجوده فوق أرضه منذ آلاف السنين وممارسته مختلف النشاطات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية، من أن يوثق مختلف جوانب حياته وبيئته المحلية عن طريق الأمثال، ومنها ما يقال في مجال النشاط الزراعي، ومن هنا سوف نلاحظ أثر البيئة في تأليف الأمثال الفلسطينية، وسوف نركز في هذا البحث على الأمثال التي قيلت في الأكل والمأكولات وبخاصة ما يتعلق بالزيت والزيتون موضوع دراستنا، وكان الهدف من تمثّل أجدادنا بهذه الأمثال الحث على سلوك ما، أو انتقاد تصرف ما، أو حكمة اجتماعية أو أي هدف آخر.

ومما لا شك فيه أن الشعب الفلسطيني الذي هو جزء من الشعب العربي وارث للقيم في الحضارة العربية الإسلامية، ومن عناصر هذه الحضارة الدعوة إلى العمل، فقد دعا الإسلام إلى العمل بمختلف جوانبه وأشاد به، وندد بالبطالة، كما شجع الرسول (ص) أصحابه على البكور - التبكير - لمزاولة العمل، وأكد على حقيقة أن الأرض هي لمن يحيي الموات منها حيث قال: «إن قامت الساعة وبيد أحد فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل».

وكما قلنا سابقاً فإن الفلاحين في فلسطين يقدسون شجرة الزيتون ويعدونها ذات فآل حسن في حياتهم لأنها مباركة من خالق السماوات والأرض، وهذا واضح جلي في كل مرحلة من مراحل حياتهم، ولم يكن الفلاح يبدأ العمل بأرضه دون الطلب إلى خالقه أن يساعده في حماية محصوله، وإنضاج ثمره، ومباركة زيتته. وقد استطاع الفلاح الفلسطيني تأليف آلاف الأمثال التي تصوّر حياته بمختلف جوانبها. وما يهمنا في هذا البحث هو الأمثال والأغاني التي تتعلق بدورة حياة أشجار الزيتون منذ زراعتها مروراً بالعناية بها حتى تنضج إلى أن يتم قطف ثمارها والاستفادة من ناتجها من الزيت والزيتون وإليكم نماذج من بعض هذه الأمثال (٤٦) :

### أولاً: الأمثال التي تشجع على الاهتمام بالأرض وفلاحتها:

- «إتعب على أرضك بتتعب عليك».
- «إكبر على أرضك بتكبر عليك».
- «الزيتونة مثل ما بدك منها، بدها منك».
- «الفلاحة إن ما أغنت سترت».

## ثانياً: الأمثال التي تبين فوائد الزيت والزيتون من الناحية الصحية:

- «دِرْهَمٌ وَقَايَةٌ خَيْرٌ مِنْ قَنْطَارٍ عِلاجٍ».
- «كل - أو إشرَبْ - زَيْتٍ وانطح الحيط».
- «خُبزٌ وزيتونٌ أحسن ما يكون».
- «الزيت مسامير المَعْصَب».
- «الزيت ملك المعاجن».
- «إن غاب عنك السَّمْنُ عليك بالزيت».
- «عمادُ البيت خُبزٌ وزيت».
- «القمح والزيت بيعين في البيت».
- «الزَّعترُ والزيت عماد البيت».
- «الجناين جنون والملك زيتون».
- «يا لليّ عادمين الزيت سوّوا- اعملوا- زلابية».
- «إذا كان في البيت خبزٌ وزيت، زَقَفْتُ وأنا غَنِيْتُ»
- «الزيت إن عازّه البيت، حرام على الجامع»
- «الطحين والزيت سَبْعَيْنِ في البيت».

## ثالثاً: أمثال قيلت في موعد قطف الزيتون:

- «إن لسنّ الزيتون في آذار هيأوا له الزّيار - الجرار».
- «إن أحسم الزيتون في الخميس هيأوا له الغطاطيس (الأواني)».
- «في أيلول بيدور أو بيطيح الزيت».
- «لما يصلّب الصليب ما ترفع عن زيتونك القضيّب».
- «أيلول دباغ الزيتون».
- «ثلاثة في الدنيا لأقطعها: الزيتون المتعلي - العالي - والتين المتولي.....».
- «أيلول ذيله مبلول».
- «الزيتون إذا دَفَع في آذار، حَضَّرُوا الجرار».

أما الأغاني الشعبية التي يرددها الفلاحون في فلسطين في موسم الزيتون فهي متنوعة وتعتبر أكثرها عن أوقات قطاف الثمر، ذلك أن موسم قطف الزيتون من أكثر المواسم حيوية ونشاطاً، فهو مناسبة للتعاقد والتكاتف والتضامن بين أفراد الأسر والعائلات في القرى والمدن، فتشعر وكأن السكان فيها عبارة عن خلية نحل في عز نشاطها، هذا يذهب الى الحقل صباحاً، وذاك ينقل الحب وآخر يجلب الطعام، وأناس يذهبون الى المعاصر، وهكذا والكل فرحون رغم الكد والتعب.

وأثناء قطف الزيتون يردد الفلاحون بعض الأغاني والأشعار لتسليهم وتشد همهم على العمل، وهي إما أن تكون عامة وتتعلق بأمور الزراعة، وإما خاصة بمحصول الزيتون، ومعظم هذه الأشعار والأغاني تبين فوائد الزيت أو مميزات الزيت في بعض المدن والقرى في فلسطين، ومن هذه النماذج (٤٧):

صَبَّحْ جَدَادَكَ سَارِي  
لَجَدَادَكَ أَنَا سَايِر  
جَدَيْتَكَ وَأَنَا الْجَدَادُ خَرُوف  
تَا يَعْمَلُ مَسَخْنُ فِي الْبَيْتِ  
نُخْرَطُ زَيْتُونَ الْوَادِي

يَا زَيْتُونَ الْحَوَارِي  
يَا زَيْتُونَ الْعَمَائِر  
يَا زَيْتُونَ اللَّي بِالْوَادِ  
يَا زَيْتُونَ بَدْنَا زَيْتِ  
يَا اللَّهُ جَيْبُو الْجَدَادِي

ومن النماذج الأخرى (٤٨):

■ أولاً:

بِنَعْمَلْ مِنْهَا صَابُونَة  
وَبِنَجْلِي فِيهَا لَصْحُونَه  
مَنْ قَبْلَ الرُّومَانِيَيْنِ  
قُولُوا فَلْيَحْيَا الزَّيْتُونَ

زَيْتِ وَمَيِّ وَقَطْرُونَه  
بِنَغْسَلْ فِيهَا أَوْاعِينَا  
زَيْتُونِكَ يَا وَطَنًا  
اللَّهُ بَدِيمَه لَنَا آمِين

■ ثانياً: ومما كتب من هذه الأشعار في زيت الرامة وزيتونها:

كلها شجر زيتوني  
ومنحطة في البراميل  
ومنسميه زيت المونه  
ما في منه ع هالدرب  
وتكثر من هذا الحب  
لقمة واحدة بتكفيني

درب الرامة منعرفها  
منكبس زيتونها لكبير  
وندرس زيتونها الصغير  
زيتها وزيتونها بينحط  
يا رب تخلي يا رب  
من زيتها وزيتونها



ومنها أيضاً:

حُطُّ من زيتته على الفول	بِتَلَاقِيهِ أَطِيبُ مَأْكُولِ
المَرْصُوصِ والمَسْبَاحِ	مَأْكُولِ الكَلِّ والفَلَّاحِ
أَمَّا الأَسْوَدُ المَمْلُوحِ	طِيبُ من خبز التَّنُّورِ

## آراء بعض كبار السن حول أصل شجرة الزيتون:

نسمع فلاحينا ومزارعينا في الوقت الحاضر يرددون عبارة «هذا زيتون رومي» «وهذه شجرة رومية»، ذلك أن شجرة الزيتون تُعمَّرُ مئات بل آلاف السنين، وخلال قيام الباحث بجولات عدة في بعض القرى في منطقة الخليل التي تشتهر بزراعة الزيتون توجه بسؤال لمجموعة من الرجال كبار السن من الفلاحين عن أصل هذه المقولة ومعناها، وكانت العديد من الإجابات متشابهة وبعضها الآخر مختلفة حيث أجاب كثير منهم بأن هذه الشجرة قد جلبها الرومان معهم إلى بلادنا، وقاموا بزراعتها في الفترة التي حكموا فيها فلسطين، لأنهم -أي الرومان- كما قالوا، كانوا يهتمون بالزراعة اهتماماً كبيراً، وقد دلل على ذلك أحدهم قائلاً: «انظروا إلى الأراضي والجبال كيف هي منظمة ومزروعة بالزيتون، وانظروا إلى طريقة زراعتها، والمسافة بين كل شجرة وأخرى عشرة أمتار». ومن الآراء التي دعمت هذا الاتجاه أن أحد المسنين الآخرين قال لي: «عندما جاء الرومان إلى بلادنا، ورأوا أن نسبة الزيت في زيتون بلادنا قليلة، جلبوا شجرة الزيتون الخاصة بهم، وزرعوها في أرضنا، لأن نسبة الزيت فيها أعلى، كما أن الزيتون الرومي حين نزرعه في الأرض فإن جذوره تبقى تحت الشجرة مباشرة في الموقع نفسه، بعكس زيتون بلادنا الذي تمتد جذوره إلى مترين أو أكثر من حوله، وفي نهاية الحديث أوصاني بنصيحة قال فيها: «لو خَيْرْتَنِي بين الزيتون الرومي والزيتون النبالي - البلدي - فإنني أفضل الرومي ولو أنه يتأخر في الإثمار، لأنني إذا لم أكل منه في حياتي، فإنه سيأكل من بعدي أولادي وأولاد أولادي».

وعندما توجهنا إلى شخص آخر بالسؤال نفسه أجاب: «أنه ومنذ أن ولد وهو يرى شجرة الزيتون كما هو، ويسمع من الكبار (الختيارية) انه كان على زمن الرومان». ومن غريب ما سمعته - ويؤيد هذا الاتجاه - إن بعض الناس في بلدة إذنا يطلقون على الرجل الهرم الكبير السن (بالرجل الرومي). وقد أخبرني آخر عنها قائلاً: «إن شجرة الزيتون يا بني موجودة في برية فلسطين منذ زمن بعيد مثل أي شجرة برية، ولما جاء الرومان وحكمونا عملوا على تحسين هذه الشجرة، ولهذا السبب يقولون شجرة رومية». أما أحد الكبار في بلدة يطا فقد

أرجع سبب تسمية شجرة الزيتون بالرومي الى شخص من عائلة رومي - التي هي أحد عوائل يطا - كان يزرع تلك الشجرة ويعتني بها منذ القدم، ولا يزرع غير تلك النوعية، وبسبب نجاح ذلك النوع أطلق عليه (الزيتون الرومي) نسبة لذلك الشخص.

إلا أن هناك من نفى أن تكون لهذه الشجرة أية علاقة بالرومان، أو تنسب إليهم، بل هي من الأنواع التي لا علاقة لهم بها، مثلما يقال، زيتون نبالي وغيره، فالتسمية هنا تدل على الصفة والنوع، ولا تمت للرومان بصلة سوى أنه سمي بالزيتون الرومي، ومن الروايات الأخرى التي نفت أن تكون هذه الشجرة قد جلبها الرومان معهم إلى فلسطين، أن أحد الأشخاص من قرية بيت أولا روى لي قائلاً: «إن متصرف لواء الخليل حمدي كنعان زار البلدة في العام ١٩٦٥م، والتقى شيوخها، وخلال تجواله معهم في أنحاءها سمع بعض كبار السن يتحدثون، ويقولون بأن أشجار الزيتون هذه رومية، فاستشاط المتصرف غضباً وقال: «إن هذه الأشجار ليست رومية وإنما هي عربية زرعت بأيدٍ عربية زمن الرومان».

وهناك بعض الآراء التي أرجعت تسمية شجرة الزيتون إلى ما قبل الرومان، منها أن الزيتون روماني ولكنه كان وقفاً منذ زمن سيدنا إبراهيم، حيث إن كل قطعة من الأرض المزروعة بالزيتون في منطقة الخليل كانت وقفاً على سيدنا إبراهيم. وهناك رواية أخرى من أحد المسنين قال فيها: «إن الرومان لم يجلبوا الزيتون إلى فلسطين وإنما كان موجوداً قبل مجيئهم، وعندما جاءوا كغيرهم من الشعوب وضعوا أيديهم على الأرض، وأكثروا من زراعته من أجل تزويد جيشهم بالإنارة والزيت، وعملوا لذلك معاصر خاصة له، أما الناس العاديون فلم يملكوا أشجاراً خاصة بهم، بل حاولوا الحصول عليه، وعندما كانوا يسرقون منه ويسألهم أحد من أين أتيتم به؟ فيجيبون: من زيتون الرومان، ولهذا سمي بالزيتون الرومي.

وهناك من قال: قبل مجيء الرومان إلى بلادنا كان الناس يسمون شجر الزيتون (بالشجر العتم)، أي أنه شجر حرجي أو بري موجود في الغابات مثله مثل الأشجار الأخرى، ولم يكن الناس يهتمون بثمره، وعندما جاء الرومان لفت انتباههم هذا الشجر فنقلوه من الجبال، وعملوا على تدجينه وزراعته في كل مكان في الجبال وفي الخلات، وخير شاهد على اهتمامهم بزراعته أنه لا تكاد تخلو منطقة من فلسطين بدون أن يكون فيها زيتون، حيث إن معظم مناطقها معمرة، وقد يرجع سبب اهتمامهم بزراعته؛ لأنه يعطيهم الزيت للإنارة والوقود، والدليل على ذلك كثرة المعاصر الرومانية في كل مكان من بلادنا.

## الهوامش:

١. نبيل علقم، مدخل لدراسة الفولكلور، رام الله: جمعية إنعاش الأسرة، ١٩٧٧م، ص ١٤.
٢. فكتور سحاب، «الحياة الشعبية في فلسطين»، الموسوعة الفلسطينية، ق ٢، مج ٤، «دراسات الحضارة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٥٨١.
٣. فاروق خورشيد، أدب الأسطورة عند العرب، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ع ٢٨٤، ٢٠٠٢م، ص ٢٢، وحول تعريفات الأسطورة وتطورها منذ العصر اليوناني وحتى العصر الحديث. أنظر: عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، بيروت: مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٣٣ - ٣٤.
٤. فؤاد عباس، فنون القول في الموروث الشعبي الفلسطيني، القاهرة: مؤسسة العربية، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٨٦، نمر سرحان، موسوعة الفولكلور الفلسطيني، عمان: د. م، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٢٩.
٥. فؤاد عباس، فنون القول، المرجع السابق، ص ٨٧، علي الخليلي، الغول، مدخل إلى الخرافة العربية، القدس: منشورات الرواد، ط ١، ١٩٨٢م، ص ١٩، نمر سرحان، المرجع السابق، ص ٣٠ - ٣١، وللمزيد من التفاصيل حول معنى الأسطورة في المفهوم الشعبي وارتباطها بالديانات وقصص الأنبياء والكتب السماوية أنظر: نمر سرحان، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٠ - ٣٤.
٦. فؤاد عباس، فنون القول، المرجع السابق، ص ٩٣، عبد الحميد يونس، المرجع السابق، ص ١١٦، وللمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع أنظر: علي الخليلي، المرجع السابق، ص ٢٠ - ٣٠، خليل حسونة، الفلكلور الفلسطيني (دلالات وملامح)، رام الله: الموسوعة الفلسطينية للإرشاد القومي، ط ١، ٢٠٠٣م، ص ٦٦ - ٦٩.
٧. نبيل علقم، المرجع السابق، ص ١٦، موسى علوش، من الأمثال والأقوال والتعبير الشعبية الفلسطينية، رام الله: دار علوش للنشر، ط ١، ١٩٩٨م، ص ١٥، حماد أبو شاويش، «توظيف التراث الشعبي في الشعر الفلسطيني للحفاظ على الهوية الوطنية»، ضمن كتاب: المؤتمر الأول للتراث الشعبي الفلسطيني، جامعة القدس المفتوحة، رام الله، ٢٠٠٧م، ص ٨٥، أما عن أهمية الأمثال وخصائصها فانظر: خليل حسونة، المرجع السابق، ص ١٧٨ - ١٧٩.

٨. شريف كناعنة، من نسي قديمه تاه «دراسات في التراث الشعبي والهوية الفلسطينية» عكا: دار الأسوار، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١٦.
٩. عبد اللطيف البرغوثي، التراث الشعبي الفلسطيني، جذور وتحديات، الطيبة: مركز إحياء التراث، ١٩٩١م، ص ٤٦.
١٠. سليم المبيض، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٦م، ص ١٨٠، وقد أحصى الدكتور شكري عرّاف أكثر من (٧٠) موقعاً سمي بأحد مشتقات ومنتوجات شجرة الزيتون في فلسطين، أنظر: شكري عراف، مصادر التاريخ الاقتصادي من أقدم العصور حتى عام ١٩٤٨م، ترشيحا: مطبعة مخول، ١٩٩٧م، ص ٧٨.
١١. سورة التين الآية (١+٢)، شكري عراف، الأرض، الإنسان، الجهد، ترشيحا: مطبعة مخول، ١٩٩٣م، ص ٤٦، مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، كفر قرع: دار الهدى، ج ١، ق ١، ٢٠٠٣م، ص ٥٩، نمر سرحان، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٠-٣١، ج ٣، ص ٧٤٣، آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن ١٠هـ / ١٠م، ترجمة: محمد أبو ريده، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، مج ٢، ١٩٦٧م، ص ٣١٠.
١٢. الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي (ت ٩٢٧هـ - ١٥٢٠م)، الأئمة الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: محمود الكعابنة، الخليل: مكتبة دنديس، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ١١٧، توفيق كنعان، الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين، ترجمة: نمر سرحان، رام الله: وزارة الثقافة، ١٩٩٨م، ص ١٥٧.
١٣. آدم متز، المرجع السابق، ص ٢٨٤.
١٤. ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي، (ت ٧٣٧هـ - ١٣٣٦م) المدخل، القاهرة: دار الفكر، د. ت، ج ٤، ص ٣.
١٥. توفيق كنعان، الأولياء والمزارات، المرجع السابق، الصفحات، ٥٦، ١٥٦، فكتور سحاب، الحياة الشعبية، المرجع السابق، ص ٦٦٤، نمر سرحان، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٤١، ج ٣، ص ٧٤٣.
١٦. فيكتور سحاب، التقاليد والمعتقدات والحرف الشعبية في فلسطين قبل ١٩٤٨م، بيروت: دار الحمراء للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٣م، ص ٩٨، نمر سرحان، المرجع السابق، ج ٣، ص ٧٤٣.

١٧. توفيق كنعان، الكتابات الفولكلورية، ترجمة: موسى علوش، رام الله: دار علوش للنشر، ط ١، ج ١، ١٩٩٨م، ص ٩٨ - ٩٩.
١٨. مجموعة مؤلفين، قاموس الكتاب المقدس، تحرير: بطرس عبد الملك وآخرين، القاهرة: دار الثقافة، ط ٩، ٢٠٠٠م، ص ٤٣٨، ٤٤٠، توفيق كنعان، الأولياء والمزارات، المرجع السابق، ١٥٧.
١٩. عبد الحميد يونس، المرجع السابق، ص ٦٨.
٢٠. إبراهيم نيروز، رام الله، جغرافيا وتاريخ وحضارة، رام الله: دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٧، طالب الصوافي، «أنماط الاستيطان والحياة الاقتصادية في جبال فلسطين الوسطى في الفترة الرومانية - البيزنطية»، بحث مقدم في ورشة عمل بعنوان: تاريخ وآثار حوض نهر الأردن الأدنى، رام الله، ٢٠٠٤م، ص ٢٢، أنظر أيضاً: قاموس الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٤٣٩، مصطفى الدباغ، المرجع السابق، ج ٥، ص ٣١١ - ٣١٨، حيث إن العديد من الخرب والمغاور المحيطة بالمدينة تحتوي على معاصر للزيتون.
٢١. بشارة دوماني، إعادة اكتشاف فلسطين «أهالي جبل نابلس» ١٧٠٠ - ١٩٠٠م، ترجمة: حسن زينة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٨م، ص ١٦١.
٢٢. بشارة دوماني، المرجع السابق، ص ١٦١، إبراهيم نيروز، المرجع السابق، ص ٢٣٧، نبيل علقم، «العدوان الإسرائيلي على التراث الفلسطيني» ضمن كتاب: المؤتمر الأول للتراث الشعبي الفلسطيني «هوية وانتماء»، جامعة القدس المفتوحة، رام الله، تحرير: د. حسن السلواوي، ٢٠٠٧م، ص ١٩٠.
٢٣. علي السيد أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية، القاهرة: دار الفكر، ط ١، ١٩٩٨، ص ٣٣٤.
٢٤. مصطفى الدباغ، المرجع السابق، ج ١، ق ١، ص ٤٦٣، فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت: دار الثقافة، ج ١، ١٩٥٨م، ص ٥٣.
٢٥. فيليب حتي، المرجع السابق، ص ٢٢٦.

٢٦. المرجع نفسه، ص ٩٣.

٢٧. دائرة آثار الخليل، نتائج مجموعة من الحفريات التي جرت في المدينة والقرى والخراب حولها في السنوات من ١٩٩٧ - ٢٠١٠م، قاموس الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٤٣٨، شكري عراف، مصادر التاريخ، المرجع السابق، ص ٧٨، لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة: محمود عمايرة، عمان: وزارة الثقافة، ط ١، ١٩٧٠م، ص ٢٦٢.

٢٨. خليل عثمانة، فلسطين في خمسة قرون، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٨، ص ٣٣٤.

٢٩. سعيد البيشاوي، «الأراضي الزراعية ومنتجاتها في الخليل في العصر الفرنجي»، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية، مج ١، ع ٢، بيرزيت، ٢٠٠٠م، ص ١١٧، سعيد أبو صافي، مدينة الخليل في العصر المملوكي، الخليل: مكتبة دنديس، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٧٦.

٣٠. ناصر خسرو، أبو معين الدين العلوي المروزي، (ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٨م). سفرنامه، ترجمة وتعليق: يحيى الخشاب، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ٧٣. والمقصود هنا السماط (الضيافة)، وهو الطعام الذي كان يقدم لتلك الفئات حيث كان الزيت إحدى المواد الأساسية التي تدخل في صناعة السماط، وللمزيد من التفاصيل أنظر طالب الصوافي، «سماط الخليل ودوره في مدينة الخليل في العصر المملوكي وقد قدم للمؤتمر الدولي لتنمية مراكز المدن التاريخية الذي عقد في الخليل في الفترة الواقعة ما بين ١٩ - ٢١ تموز من العام ٢٠١١م.

٣١. أمين أبو بكر، قضاء الخليل «١٨٦٤ - ١٩١٨م»، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٤، ص ٢١٤ - ٢١٥، انظر أيضاً: فالح حسين، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٧م، ص ١٢٥ - ١٢٦.

Hultheroth, w. , and ABDUL- Fattah, k,: Historical Geography of Palestine, Trans Jordan and Southern Syrian in the Late 16th Century, Erlanger, 1977, p84.

٣٢. شكري عراف، الأرض، المرجع السابق، ص ٥١، نمر سرحان، المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٠٧.

٣٣. ابن القف الكركي، أمين الدولة أبو الفرج بن موفق الدين، (ت ٦٨٥هـ - ١٢٨٦م)، جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض، تحقيق: سامي حمارنة، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٩، ص ٣٤٢، نمر سرحان، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٤١، عبد اللطيف البرغوثي، العادات والمواسم الشعبية الفلسطينية، حيفا: مجلة الحياة، ١٩٩٦م، ص ٩٠.
٣٤. ابن القف الكركي، المصدر السابق، ص ٤٠١، أمين أبو دمة، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق: ١٩٨٨م، ص ١٠٩، طه الشيخ حسن، الزيتون: زراعته، خدمته، أصنافه، دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٩م، الصفحات ١٣٧، ١٦٥ - ١٦٦، فكتور سحاب، الحياة الشعبية، المرجع السابق، ٦٦٤ - ٦٦٥.
٣٥. شكري عراف، الأرض، المرجع السابق، ص ٥١، أرشيبالد فوردر، الحياة اليومية في فلسطين في ظل الحكم التركي، ترجمة: إبراهيم العلم، القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، ط ١، ١٩٩٢، ص ٥٤، قاموس الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٤٣٨.
٣٦. بشارة دوماني، المرجع السابق، ص ٤٥، أرشيبالد فوردر، المرجع السابق، ص ٥٧، عبد اللطيف البرغوثي، العادات، المرجع السابق، ص ٨٨.
٣٧. خليل عثمانة، المرجع السابق، ص ٢٩١، قاموس الكتاب المقدس، المرجع السابق، ص ٤٣٨.
٣٨. أحمد الحسن، «التقانة في فلسطين في القرنين ١٢، ١٣م». ضمن كتاب: «الصرع الإسلامي - الفرنجي على فلسطين في العصور الوسطى». تحرير: هادية وبرهان الدجاني، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٤، ص ٥٤٠، قاموس الكتاب المقدس، المرجع السابق، الصفحات ٤٣٨، ٤٣٩.
٣٩. زياد المدني، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة ١٨٠٠ - ١٨٣٠م. عمان: منشورات بنك الأعمال، ط ١، ١٩٩٦، ص ٨٣، إبراهيم نيروز، المرجع السابق، ص ٢٣٧.
٤٠. بشارة دوماني، المرجع السابق، ص ٤٥.
٤١. محمد القاسمي وآخرون، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، دمشق: دار طلاس للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٨٨م، ج ١، ص ٣٣٨، عبد اللطيف البرغوثي، العادات، المرجع السابق، ص ٧٧ - ٧٨.
٤٢. شكري عراف، الأرض، المرجع السابق، ص ٤٩، أرشيبالد فوردر، المرجع السابق، ص ٥٧، سعيد أبو صافي، المرجع السابق، ص ٨٩، عبد اللطيف البرغوثي، العادات، المرجع السابق، ص ٧٩.

٤٣. طالب الصوافي، الأوضاع الحضارية في القدس منذ صلح الرملة حتى خروج الصليبيين من فلسطين ٥٨٨ - ٦٩٠ هـ / ١١٩٢ - ١٢٩١ م. رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الإسكندرية، م ٢٠٠٩، ص ١٩١، أمين أبو بكر، المرجع السابق، ص ٢٤٧، لي سترانج، المرجع السابق، ص ٢٦٢.

٤٤. سعيد أبو صافي، المرجع السابق، ص ٩٦، طالب الصوافي، الأوضاع الحضارية، المرجع السابق، ص ١٩٢، أمين أبو بكر، المرجع السابق، ص ٢٤٨، عبد اللطيف البرغوثي، العادات، المرجع السابق، ص ٨٦ - ٨٧.

٤٥. طالب الصوافي، الأوضاع الحضارية، المرجع السابق، ص ١٩٢، نمر سرحان، المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٠٧.

٤٦. استخرجت هذه الأمثال من كتاب: فؤاد إبراهيم عباس وأحمد عمر شاهين، معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية. عمان: دار الجليل للنشر والأبحاث الفلسطينية، ط ١، ١٩٨٩ م، الصفحات، ٨٢، ١٠٥، ١٢٧، ١٣١، ١٣٨، ١٧٠، ١٩١، سليم المبيض، المرجع السابق، ص ٢٩٠ - ٢٩١، فيكتور سحاب، الحياة الشعبية، المرجع السابق، الصفحات، ٦٦٤، ٦٦٩، التقاليد والمعتقدات، المرجع السابق، ص ١٧٠، عيسى عطا الله، قالوا في المثل، القدس: جمعية الدراسات العربية، ج ١، ١٩٨٥ م، الصفحات، ٧٥، ٨٩، ١١٧، ١٧٥ - ١٧٦، مازن الشوا وسمير الشاعر، موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية، «الكتاب الأول». القاهرة: دار سلمى للنشر، ط ١، ١٩٩٦ م، ص ٣٤٢.

٤٧. حسين العطار، الأغنية الشعبية الفلسطينية، رام الله: بيت الشعر الفلسطيني، ط ١، ٢٠٠٨، ص ١٥٨ - ١٥٩.

٤٨. محمد بدارنة، الأمثال الشعبية، حيفا: مجلة الحياة، ١٩٩٧ م، الصفحات، ٦٠، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧ - ١٠٨.



## المصادر والمراجع:

### أولاً- الكتب المقدسة:

١. القرآن الكريم.
٢. العهد القديم والجديد.

### ثانياً- المصادر:

١. الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢٠م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: محمود الكعابنة، الخليل: مكتبة دنديس، ج ٢، ١٩٩٩م.
٢. ناصرو خسرو، أبو معين الدين العلوي المروزي (ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٨م)، سفرنامه، ترجمة وتعليق: يحيى الخشاب، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٢م.
٣. ابن القف الكركي، أمين الدولة أبو الفرج بن موفق الدين (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض، تحقيق: سامي حمارنه، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٩م.
٤. ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الفاسي (٧٣٧هـ / ١٣٣٦م)، المدخل، القاهرة: دار الفكر، (٤) أجزاء، د. ت.
٥. محمد القاسمي، وآخرون. قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، دمشق: دار طلاس للدراسات والنشر، جزآن، ط ١، ١٩٨٨م.

### ثالثاً- المراجع العربية والمترجمة:

١. إبراهيم نيروز، رام الله، جغرافيا وتاريخ وحضارة، رام الله: دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٤م.
٢. أحمد الحسن، «التقانة في فلسطين في القرنين ١٢، ١٣م»، ضمن كتاب: الصراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين في العصور الوسطى، تحرير: هادية وبرهان الدجاني، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٤م.

٣. آدم مترز، الحضارة الإسلامية في القرن ١٠هـ / ١٠م. ترجمة: محمد أبو ريده، بيروت: دار الكتاب العربي، ط ١، مجلدان، ١٩٦٧م.
٤. أرشيبالد فوردر، الحياة اليومية في فلسطين في ظل الحكم التركي، ترجمة: إبراهيم العلم، القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، ط ١، ١٩٩٢م.
٥. أمين أبو بكر، قضاء الخليل ١٨٦٤ - ١٩١٨م، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٩٤م.
٦. أمين أبو دومة، الحياة الاقتصادية في بلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق، ١٩٨٨م.
٧. بشارة دومانى، إعادة اكتشاف فلسطين «أهالي جبل نابلس» ١٧٠٠ - ١٩٠٠م، ترجمة: حسن زينة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٨م.
٨. توفيق كنعان، الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين، ترجمة: نمر سرحان، رام الله: وزارة الثقافة، ١٩٩٨م.
٩. توفيق كنعان، الكتابات الفولكلورية، ترجمة: موسى علوش، رام الله: دار علوش للنشر، ج ١، ط ١، ١٩٩٨م.
١٠. حسين العطارى، الأغنية الشعبية الفلسطينية، رام الله: بيت الشعر الفلسطيني، ٢٠٠٨م.
١١. حماد أبو شاويش، «توظيف التراث الشعبي في الشعر الفلسطيني للحفاظ على الهوية الوطنية». ضمن كتاب: التراث الشعبي الفلسطيني، هوية وانتماء. رام الله: جامعة القدس المفتوحة، إشراف وتحرير: د. حسن السلواىي وياسر الملاح، ٢٠٠٧م، ص ٦١ - ٩٢.
١٢. خليل حسونة، الفولكلور الفلسطيني (دلالات وملاح)، رام الله: الموسوعة الفلسطينية للإرشاد القومي، ط ١، ٢٠٠٣م.
١٣. خليل عثمانة، فلسطين في خمسة قرون، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط ١، ١٩٩٨م.
١٤. دائرة آثار الخليل. نتائج مجموعة من الحفريات في المدينة والقرى المحيطة بها والخرب حولها، الخليل: السنوات من ١٩٩٧ - ٢٠١٠م.
١٥. زياد المدني، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة ١٨٠٠ - ١٨٣٠م، عمان: منشورات بنك الأعمال، ط ١، ١٩٩٦م.

١٦. سعيد أبو صافي، مدينة الخليل في العصر المملوكي، الخليل: مطبعة دنديس، ط ١، ٢٠٠٢م.
١٧. سعيد البيشاوي، «الأراضي الزراعية ومنتجاتها في الخليل في العصر الفرنسي»، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية، مج ١، ع ٢، بيرزيت، ٢٠٠٠م، ص ١١٠ - ١٣٩.
١٨. سليم المبيض، ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، ٢٠٠٦م.
١٩. شريف كناعنه، من نسي قديمه تاه «دراسات في التراث الشعبي والهوية الفلسطينية»، عكا: دار الأسوار، ط ١، ٢٠٠٠م.
٢٠. شكري عراف، مصادر التاريخ الاقتصادي من أقدم العصور حتى عام ١٩٤٨م، ترشيحا: مطبعة مخول، ١٩٩٧م.
٢١. شكري عراف، الأرض، الإنسان، الجهد، ترشيحا: مطبعة مخول، ١٩٩٣م.
٢٢. طالب الصوافي، الأوضاع الحضارية في القدس منذ صلح الرملة حتى خروج الصليبيين من فلسطين ٥٨٨هـ - ٦٩٠هـ / ١١٩٢ - ١٢٩١م، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٩م.
٢٣. طالب الصوافي، «أنماط الاستيطان والحياة الاقتصادية في جبال فلسطين الوسطى في الفترة الرومانية - البيزنطية»، بحث مقدم في ورشة عمل بعنوان: تاريخ وأثار حوض نهر الأردن الأدنى، رام الله، ٢٠٠٤م.
٢٤. طالب الصوافي، سماط الخليل ودوره في مدينة الخليل في العصر المملوكي، بحث قدم للمؤتمر الدولي لتنمية مراكز المدن التاريخية والنهوض بمستواها الاقتصادي، الخليل: من ١٩ - ٢١ / ٧ / ٢٠١١م.
٢٥. طه الشيخ حسن، الزيتون: زراعته، خدمته، أصنافه، دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٩م.
٢٦. عبد الحميد يونس، معجم الفولكلور، بيروت: مكتبة لبنان، ط ١، ١٩٩٣م.
٢٧. عبد اللطيف البرغوثي، التراث الشعبي الفلسطيني، جذور وتحديات، الطيبة: مركز إحياء التراث، ١٩٩١م.

٢٨. عبد اللطيف البرغوثي، العادات والمواسم الشعبية الفلسطينية، حيفا: مجلة الحياة، ١٩٩٦م.
٢٩. علي الخليلي، الغول، مدخل إلى الخرافة العربية، القدس: منشورات الرواد، ط١، ١٩٩٠م.
٣٠. علي السيد أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، عصر الحروب الصليبية، القاهرة: دار الفكر، ط١، ١٩٩٨م.
٣١. فاروق خورشيد، أدب الأسطورة عند العرب، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، ع ٢٨٤، ٢٠٠٢م.
٣٢. فالح حسين، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٧م.
٣٣. فؤاد عباس، فنون القول في الموروث الشعبي الفلسطيني، القاهرة: مؤسسة العروبة، ط١، ١٩٩٠م.
٣٤. فؤاد عباس وأحمد شاهين، معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية، عمان: دار الجليل للنشر والأبحاث الفلسطينية، ط١، ١٩٨٩م.
٣٥. فيكتور سحاب «الحياة الشعبية في فلسطين»، الموسوعة الفلسطينية، ق٢، مج٤، دراسات الحضارة، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩٠م.
٣٦. فيكتور سحاب، التقاليد والمعتقدات والحرف الشعبية في فلسطين قبل ١٩٤٨م، بيروت: دار الحمراء للنشر والطباعة، ط١، ١٩٩٣م.
٣٧. فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت: دار الثقافة، جزآن، ١٩٥٨م.
٣٨. لي سترانج، فلسطين في العهد الإسلامي، ترجمة: محمود عمارة، عمان: وزارة الثقافة، ط١، ١٩٧٠م.
٣٩. مجموعة مؤلفين، قاموس الكتاب المقدس، تحرير: بطرس عبد الملك وآخرين، القاهرة: دار الثقافة، ط٩، ٢٠٠٠م.

٤٠. مازن الشوا وسمير الشاعر، موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية، القاهرة: دار سلمى للنشر، ط ١، ١٩٩٦ م.
٤١. محمد بدارنة، الأمثال الشعبية، حيفا: مجلة الحياة، ١٩٩٧ م.
٤٢. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، كفر قرع: دار الهدى، ج ١، ق ١، ٢٠٠٣ م.
٤٣. موسى علوش، من الأمثال والأقوال والتعبير الشعبية الفلسطينية، رام الله: دار علوش للنشر، ط ١، ١٩٩٨ م.
٤٤. نمر سرحان، موسوعة الفلوكلور الفلسطيني (٣) أجزاء، عمان: د. م، ١٩٨٩ م.
٤٥. نبيل علقم، مدخل لدراسة الفلوكلور، رام الله: جمعية إنعاش الأسرة، ١٩٧٧ م.
٤٦. نبيل علقم، «العدوان الإسرائيلي على التراث الفلسطيني» ضمن كتاب: التراث الشعبي الفلسطيني هوية وانتماء. رام الله: جامعة القدس المفتوحة، إشراف: د. حسن السلواوي وياسر الملاح، ٢٠٠٧ م، ص ١٧٧ - ٢٠٠.

### رابعاً المراجع الأجنبية:

1. Hutteroth, w. , and Abdal- Fattah, k,: *Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century*, Erlangen, 1977.

**طرق حماية التراث الثقافي في محافظة  
الخليل ووسائلها من خلال المواثيق الدولية  
والمؤسسات المجتمعية**

**د. شامخ علاونة**

## مقدمة:

يعدُّ التراث الثقافي في فلسطين جزءاً من التراث الإنساني العالمي؛ باعتباره للبشرية جمعاء، ويتمحور الفهم الحديث للتراث الثقافي في فلسطين حول هويته الثقافية، وفي هذا السياق لا بد من بناء الهوية الثقافية الفلسطينية على أسس علمية سليمة، وذلك لتوحيد جهود المجتمع الفلسطيني من أجل تطوير التفاعل الايجابي مع قطاعات المجتمع المختلفة، وذلك للحفاظ على موروث فلسطين الحضاري والإنساني في فلسطين بشكل عام، ومدينة الخليل بشكل خاص.

التراث الثقافي بمكوناته المادية وغير المادية أحد موارد التنمية المستدامة للمجتمع الفلسطيني، مما يتطلب الحفاظ عليه وتنميته وتطويره. لذلك تشكل قضية حماية التراث أحد التحديات المهمة التي تواجه المجتمع الفلسطيني. وذلك مع تصاعد وتيرة التدمير الناتجة عن سياسة الاحتلال. والمتمثلة في التدمير المتعمد والتنقيب غير القانوني، والاتجار غير المشروع بالتراث الثقافي وبناء الجدران العازلة.

لقد ازدادت عمليات التدمير في السنوات الماضية، وعانت مواقع التراث الثقافي من آثار القصف والتفجير متسببة في أضرار كبيرة منذ إعادة اجتياح الأراضي الفلسطينية سنة ٢٠٠٢. وجرى استهداف مقصود لمواقع التراث الثقافي في المدن التاريخية في غزة ورفح وخانيونس والخليل وبيت لحم وبيت جالا ورام الله ونابلس وجنين وطولكرم وسلفيت وقلقيلية وعابود. وتعرضت المدن القديمة في الخليل وبيت لحم ونابلس لعمليات تدمير واسعة طالت المباني الأثرية والتاريخية والدينية.

كما أدى بناء الجدار الفاصل في عمق الأراضي الفلسطينية إلى السيطرة على المصادر الثقافية للشعب الفلسطيني، وإلحاق الضرر الفادح بالتراث الثقافي الفلسطيني، تمثلت بتدمير عشرات المواقع والمعالم التاريخية في مسار بناء الجدار نفسه، وفصل مئات المواقع الأثرية في المنطقة العازلة الواقعة بين الخط الأخضر ومسار الجدار إلى جانب فصل مدينة القدس عن محيطها العربي. كما أدى بناء هذا الجدار إلى تدمير كارثي للمشهد الثقافي والطبيعي الفلسطيني وتكاملته.

تكمن أهمية الدراسة في إحياء التراث الثقافي والحفاظ على خصائصه الفنية وإبراز أصالته يعدُّ تخليداً لحضارة عريقة. فالفن مثلاً يظهر مدى ثقافة الشعوب من حيث الزمان والمكان. وهناك طرق كثيرة لتسجيل الخطى التي مرت بها الإنسانية، فبينما تنقش بعض

الحضارات تاريخها على الصخور إذا حضارات أخرى تسجل أمجادها في أساطير وأشعار يترنم بها الناس. والماضي قد يحيا في الحاضر، ولكنه قد يفنى فيه أيضاً، على قدر وعي الناس به أو إعراضهم عنه. حيث إن شرط الإفادة هي التواصل في توريث التراث، والاستمرار في الحفاظ والإحياء. وحتى يصبح التراث حياً موجوداً بالفعل يحتاج إلى جهود للكشف عنه وحمايته وإبرازه، حتى يسري في الوعي الجماعي للناس، ويمكنهم من فتح آفاق جديدة لهم.

تناولت الدراسة البحث في أهمية التراث الثقافي في محافظة الخليل؛ وتطرقت إلى المعوقات الحقيقية للمحافظة على التراث الثقافي المادي والفكري في المحافظة، ركزت الدراسة على الاتفاقيات الدولية التي تنص على المحافظة على الموروث الحضاري وقت الحرب والاحتلال، ودور المؤسسات المجتمعية في المحافظة على التراث الثقافي الفلسطيني بشكل عام. كما عالجت الدراسة بعض جوانب التراث المادي خاصة التراث المعماري في البلدة القديمة في مدينة الخليل وآليات المحافظة عليها، وبينت الدراسة بعض الصناعات التقليدية كصناعة الزجاج والفخار في المحافظة ووسائل دعمها وتطويرها.

## معوقات المحافظة على التراث الثقافي في محافظة الخليل:

المحافظة على التراث الثقافي في مدينة الخليل مسؤولية وطنية صعبة وشاقة، وذلك بسبب مرورنا بظروف غير عادية يفرضها الاحتلال على أكبر المدن الفلسطينية، سكاناً ومساحة<sup>(١)</sup>، كما أنها تُعدُّ ثاني أقدس مدينة في فلسطين بعد مدينة القدس حيث مقام سيدنا إبراهيم الخليل في المدينة<sup>(٢)</sup>، حيث تواجه هذه العملية مشكلات متعددة منها ما هو يعود للجانب التقني والفني والتدريبي ونقص الخبرات، والنشاطات الإنسانية المختلفة التي تلامس التراث خاصة المادي في المدينة، هذا بالإضافة إلى عملية الهدم والاستيلاء المنظم لبعض الممتلكات الثقافية في المدينة من قبل الاحتلال الإسرائيلي منذ عام ١٩٦٧ ولغاية الآن<sup>(٣)</sup>.

كما يضاف لهذه المعوقات السابقة النقاط الاستيطانية بحد ذاتها، فهي تُعدُّ عملية تشويه للمنظر العام والطابع الإسلامي للمدينة من خلال بؤرهم الاستيطانية المضافة في المدينة، والتي تؤثر سلباً على الطابع الإسلامي المميز والعريق لهذه المدينة التاريخية، المكعبات الإسمنتية والحوارج التي تتخلل طرقات البلدة القديمة تؤثر بشكل سلبي، وتؤدي طابع المدينة وتفرغها من حيث الجوهر والطابع العام، كما أن القوانين الجائرة التي تفرضها سلطات الاحتلال بحق الممتلكات الثقافية المادية والمعنوية تؤثر على الموروث الحضاري في المدينة<sup>(٤)</sup>.



والعدوان الإسرائيلي لا يقتصر على الموروث الحضاري بشكل عفوي فحسب، بل يعتمد هذا العدوان على خطة مبرمجة وذات نهج واضح، وهي سياسة تمارسها إسرائيل بحق كل ما هو فلسطيني ابتداءً من الهوية الفلسطينية وحتى البيت الفلسطيني والشعر والأدب والمأكولات الشعبية الفلسطينية، وكل ما هو يندرج تحت الموروث الثقافي والحضاري للشعب الفلسطيني. وبالتالي عجز القوانين الدولية عن المحافظة على ممتلكاتنا الثقافية بصورتها الأصيلة والطبيعية، وبقيتها راسخة لإيصال رسالتها التاريخية والثقافية<sup>(٥)</sup>.

### مسوّغات إسرائيل للاعتداء على التراث الحضاري الفلسطيني:

ليست إسرائيل بحاجة إلى سرد مسوّغات وتعليل لأسباب ما تقوم به بحق التراث الثقافي الفلسطيني، وهي تقوم بذلك من منطلق القوة والغطرسة، وهذا ليس قاصراً على محافظة الخليل، بل على فلسطين التاريخية بشكل عام، ولكن التركيز على مدينتي القدس والخليل من منطلق توراتي كما يدعون. منذ العام ١٩٤٨ بدأت إسرائيل وما زالت تعمل على تدمير التراث الفلسطيني بشكل واسع حيث قامت بتدمير المدن والقرى الفلسطينية كافة بما تحتويه من تراث مادي وثقافي بطرق وأساليب عدة<sup>(٦)</sup>.

تهدف إسرائيل من خلال الاعتداء على التراث الثقافي الفلسطيني إلى إلغاء الهوية الثقافية الفلسطينية المتأصلة بجذور تاريخية، قدمها قدم إنسان جبال الكرمل ووادي الناطوف بالقدس<sup>(٧)</sup>، ومن أجل هذا الهدف أنشأت الحكومات الإسرائيلية وجندت عشرات المؤسسات التي تقوم بالأعمال والأنشطة لتحقيق هذا الهدف، ومن بين هذه المؤسسات دائرة الآثار الإسرائيلية وسلطة حماية الطبيعة وجمعية الفلكلور اليهودي، وصندوق جمعية استكشاف فلسطين، ودائرة المتاحف الإسرائيلية، ومعاهد الآثار في عدد من الجامعات العبرية، وغيرها من المؤسسات التي لا تتوانى عن تحقيق هذا الهدف<sup>(٨)</sup>.

إلغاء الهوية الثقافية الفلسطينية يقابله إحلال وإعطاء الصفة القانونية والشرعية للهوية الثقافية الإسرائيلية، هذا إن وجد لليهود هوية ثقافية في الأصل، وهذا يعني إنكار الحق التاريخي الفلسطيني والعربي والإسلامي للثقافة السائدة في فلسطين، وعليه تثبيت النظريات والأساطير التوراتية بخصوص الحق التاريخي والأرض الموعودة، حتى وصل الحال عند كبار فلاسفة اليهود وأخبارهم بالقول أن سكان فلسطين أي الفلسطينيين الذين يعيشون الآن على هذه الأرض هم من أصول يهودية تنصروا أو أسلموا فيما بعد للحفاظ على أراضيهم الزراعية من خلال الغزوات المتكررة لهذه البلاد، وبالتالي ما دام أصل الفلسطينيين يهوداً فما المشكلة في عودة الدولة اليهودية إلى فلسطين كنظام حكم سياسي أو ديني، وكذلك ثقافي وحضاري<sup>(٩)</sup>.

وهذا يعني أن الثقافة الحضارية السائدة هنا في فلسطين من فلكلور وتراث وأغانٍ وقيم ثقافية ودينية وغيرها تعود إلى أصول يهودية، وهذا بالطبع غير صحيح استناداً إلى كم هائل من الدراسات حول الحضارة الفلسطينية والكنعانية مروراً بالعصور التاريخية المختلفة، وصولاً إلى الفترات الإسلامية المختلفة التي تعاقبت على حكم فلسطين ولغاية الآن.

وبالتالي تقوم إسرائيل حالياً بأكبر حملة تهويد في بعض المدن الفلسطينية خاصة القدس والخليل، واعتبارها من قائمة التراث الثقافي الإسرائيلي، على الرغم من صدور قرارات من اليونسكو ترفض هذا الضم، وتؤكد أن المواقع عربية إسلامية، وبالتالي تخص التراث الثقافي المعماري الفلسطيني، وكذلك تقوم بحفريات متواصلة في عدد من المواقع التاريخية في محافظة الخليل للعثور على بعض الدلائل التاريخية التي تثبت إدعاءاتها التوراتية والثقافية في فلسطين.

## وسائل إلغاء التراث الثقافي في محافظة الخليل:

### التدمير والتغيير:

قامت إسرائيل وما زالت بتدمير التراث الثقافي الفلسطيني خاصة الجزء الذي يتعلق بالتراث المادي، وخير دليل على ذلك ما قامت به إسرائيل من هدم للمساجد والأبنية التاريخية في المدن الفلسطينية، مثل: عكا وحيفا ويافا وطبريا، وغيرها من المدن الفلسطينية كالقدس والخليل، وتحويل هذه المساجد إلى متاحف وحوانيت تجارية ومنشآت عامة، ونذكر هنا مثالين للتدمير الذي تمارسه إسرائيل، فقد قامت بتدمير حارة المغاربة في القدس في اليوم التالي لاحتلالها المدينة، وكذلك في السنوات القليلة الماضية ما قامت به من تدمير للمباني التاريخية في مدينة نابلس من قصور ومبانٍ تراثية تقليدية متنوعة<sup>(١٠)</sup>.

### السرقَة:

منذ العام ١٩٤٨م وإسرائيل تقوم بسرقة الآثار الفلسطينية، وتقوم بوضعها في المتاحف الإسرائيلية وتدعى أنها من التراث الحضاري الإسرائيلي، ولغاية الآن لا يوجد إحصائيات محددة حول عدد الحفريات التي قامت بها إسرائيل في فلسطين منذ تأسيسها، وقد تكون هذه الإحصائيات متوافرة لدى دائرة الآثار الإسرائيلية، حيث يوجد في كل مدينة إسرائيلية متحف تاريخي إضافة إلى أربعة متاحف في مدينة القدس تمتلئ روفها وقاعات العرض فيها بالتراث الثقافي لهذه البلاد وليس لليهود، ومع هذا كله القوانين الدولية تنص

على المحافظة على التراث الثقافي وقت الحرب وكذلك الاحتلال، فهذه البلاد محتلة من إسرائيل من الناقورة إلى إيلات ومن غزة حتى أريحا وبالتالي لا شرعية لهذه الحفريات، وعليه يمكن استعادة هذا التراث المنهوب، إذا طبقت القوانين الدولية على إسرائيل<sup>(١١)</sup>.

### التزوير والتحريف:

في العام الماضي أعلنت إسرائيل قائمة بالمواقع المعمارية الفلسطينية ضمن المواقع التراثية الإسرائيلية، وهي: مسجد بلال بن رباح في بيت لحم، ومقام يوسف الصديق في نابلس، والحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل، وأسوار مدينة القدس، والقصور الأموية جنوب الحرم القدسي الشريف في مدينة القدس، وقائمة طويلة يطول سردها في هذا البحث، ولكن وجدنا من واجبنا التعليق على القائمة المذكورة، حيث إن هذه المواقع لا تمت بصلة للتاريخ اليهودي في فلسطين فيعود تاريخ مسجد بلال بن رباح للعصر المملوكي، وقبر يوسف للعصر العثماني<sup>(١٢)</sup>.

أما الحرم الإبراهيمي فيعود تاريخياً للفترة الإسلامية بمراحلها المختلفة حيث الكتابات والنقوش التاريخية التي تبين مراحل إنشاء البناء والإضافات والتعميرات التي حصلت على المسجد في أكثر من فترة تاريخية، وكذلك النمط المعماري الواضح الذي لا يقبل الشك أو التأويل بأنه أثر ومعلم إسلامي خاصة جدار القبلة والمحراب والمئذنة وغيرها من العناصر المعمارية الإسلامية الطابع والتخطيط<sup>(١٣)</sup>. أما أسوار مدينة القدس، فتعود لفترات كلاسيكية وإسلامية مختلفة وأخر الإضافات وأعمال التعمير التي حدثت على هذه الأسوار تعود لفترات عثمانية مختلفة، وبالتحديد فترة السلطان سليمان القانوني، وخاصة الجزء الشمالي من أسوار المدينة، وليس لليهود لا من قريب ولا من بعيد علاقة بهذه الأسوار وبوابات القدس<sup>(١٤)</sup>.

### أهمية الحفاظ على التراث الحضاري في منطقة الخليل:

يعدُّ التراث العمراني مصدراً من أهم المصادر المادية عن النشاطات الإنسانية الاجتماعية والثقافية المختلفة، وهو مصدر للمعلومات يمنحنا القدرة على استرجاع الفقد من المعلومات وإيجاد حلول وإجابات للمشكلات الجديدة، وهو المصدر الوحيد للمعلومات عن أناس عاشوا ومارسوا النشاطات في عهود سابقة، وذلك من خلال تتبع الحياة الإنسانية والاجتماعية وتطوراتها.

وبالتالي، فإن التراث العمراني مصدر غير متجدد، مما يدعونا إلى الحفاظ على هذه العناصر الثمينة، والتأكد من أنها تدار بطريقة تظهر التقدير والاحترام لهؤلاء الذين عاشوا

قبلنا، وتظهر الحرص والاعتبار للذين سيأتون من بعدنا. كذلك فهو مصدر للإحساس بالجمال والسلوكيات الإنسانية، ويعطينا مصداقيةً للتعريف بالحاضر، وإشباع للعاطفة في ربط الحاضر بالماضي، ويعطي مصداقيةً للتفكير والتحكم.

كما يوفر التراث العمراني القيم العملية والفائدة من حيث الخبرة العملية في التعرف على المخزون التكنولوجي والخبرات الفنية والتقنية العلمية وتطوراتها، وللتراث العمراني قيم اقتصادية وعملية كمساكن ومواقع وأماكن للنشاطات الترفيهية وكأساس للنشاطات الاقتصادية، ويساهم التراث العمراني في القيمة المكانية للبيئة التي يتواجد بها في إيجاد بيئة تاريخية تمثل مرحلة من المراحل التاريخية، وتساهم في إضافة عنصر الزمن لعناصر التخطيط الحضري ليولد الإحساس بروح المكان. كما يرتبط كل مثل من الأمثال الشعبية والأساطير والروايات والقصص التاريخية بحدث ومنطقة محددة في فلسطين، فالثوب المطرز الخاص بمنطقة جبل الخليل يختلف عن الثوب في منطقة رام الله ونابلس؛ إذ إن كل ما يندرج تحت الموروث الثقافي الفلسطيني مرتبط بزمان ومكان محدد في فلسطين ويعدُّ ذاكرة وفلكلور وتاريخ المنطقة التي ينتمي إليها.

## المواثيق الدولية التي تنص على حماية التراث الثقافي:

### ◀ بروتوكول لاهاي وقت الحرب أو الاحتلال للحفاظ على الممتلكات الثقافية

تنص الاتفاقيات الدولية على الحفاظ على الموروث الثقافي للشعوب التي تقع تحت الاحتلال، أو في حالة نزاع مسلح، وخاصة بروتوكول لاهاي ١٤ مايو/ أيار لعام ١٩٥٢م، ويتضمن البروتوكول البنود الآتية:

١. يتعهد كل من الأطراف السامية المتعاقدة بمنع تصدير الممتلكات الثقافية الموجودة على الأراضي التي يحتلها خلال نزاع مسلح. ويقصد بالممتلكات الثقافية تلك التي نصت عليها المادة الأولى من الاتفاقية الخاصة بحماية الممتلكات الثقافية في حال نزاع مسلح، والموقعة بلاهاي في ١٤ مايو/ أيار ١٩٥٤.

٢. يتعهد كل من الأطراف السامية المتعاقدة بأن يضع تحت الحراسة الممتلكات الثقافية التي استوردت إلى أراضيه، سواء بطريق مباشر أم غير مباشر عن أية أراض واقعة تحت الاحتلال. وتوضع تلك الممتلكات تحت الحراسة، سواء تلقائياً عند الاستيراد، وإلا، فبناءً على طلب السلطات المختصة للأراضي المذكورة.

٣. يتعهد كل من الأطراف السامية المتعاقدة بأن يسلم عند انتهاء العمليات الحربية الممتلكات الثقافية الموجودة على أراضيه إلى السلطات المختصة للأراضي التي كانت

تحت الاحتلال، إذا كانت هذه الممتلكات قد استوردت إليها بما يخالف مبدأ الفقرة الأولى. ولا يجوز بحال من الأحوال حجز تلك الممتلكات بصفة تعويضات حرب.

٤. على الطرف السامي المتعاقد الذي يقع على عاتقه منع تصدير الممتلكات الثقافية الموجودة على الأراضي التي يحتلها أن يعرض كل من يحوز بحسن نية ممتلكات ثقافية يجب تسليمها وفقاً لأحكام الفقرة السابقة.

٥. إذا أودع أحد الأطراف السامية المتعاقدة ممتلكات ثقافية لدى طرف آخر لحمايتها من أخطار نزاع مسلح، فعلى هذا الطرف الأخير أن يسلم عند انتهاء العمليات الحربية الممتلكات المودعة إلى السلطات المختصة للأراضي التي وردت منها<sup>(١٥)</sup>.

### ◀ البروتوكول الثاني لاتفاقية لاهاي ٢٦ آذار لعام ١٩٩٩

تتضمن الاتفاقية مواد إضافية للحفاظ على الممتلكات الحضارية حال نشوب حرب أو احتلال، وعليه فقد تضمنت المادة السادسة النقاط الآتية:

#### • احترام الممتلكات الثقافية

بهدف كفالة احترام الممتلكات الثقافية وفقاً للمادة ٤ من الاتفاقية:

أ. لا يجوز التذرع بالضرورات العسكرية القهرية للتخلي عن الالتزامات عملاً بالفقرة ٢ من المادة ٤ من الاتفاقية من أجل توجيه عمل عدائي ضد ممتلكات ثقافية إلا إذا كانت، وما دامت:

١. تلك الممتلكات الثقافية قد حولت من حيث وظيفتها، إلى هدف عسكري.
٢. ولم يوجد بديل عملي لتحقيق ميزة عسكرية مماثلة للميزة التي يتيحها توجيه عمل عدائي ضد ذلك الهدف.

ب. لا يجوز التذرع بالضرورات العسكرية القهرية للتخلي عن الالتزامات عملاً بالفقرة ٢ من المادة ٤ من الاتفاقية من أجل استخدام ممتلكات ثقافية لأغراض يرجح أن تعرضها لتدمير أو ضرر إلا إذا لم يوجد، ومادام لم يوجد، خيار ممكن بين ذلك الاستخدام للممتلكات الثقافية، وبين أسلوب آخر يمكن اتباعه لتحقيق ميزة عسكرية مماثلة<sup>(١٦)</sup>.

هذا بالإضافة إلى غياب التشريعات الفلسطينية الخاصة بالتراث الثقافي الفلسطيني؛ وما زال التراث الثقافي في فلسطين يتبع قانون مجلس الوزراء الأردني ١٩٦٦/٦/٢٧، والذي استبدل بقانون الآثار المؤقت تحت رقم ١٩٧٦\١٢<sup>(١٧)</sup>. مع العلم بوجود قانون للآثار الفلسطينية الصادر بتاريخ ٣١ كانون الأول ١٩٢٩م رقم ٥١ تحت سلطة الانتداب البريطاني؛ والذي ينص في المادة ١٩ من الفصل الخامس على العناية بالأبنية والمواقع التاريخية الفلسطينية<sup>(١٨)</sup>.

## الاتفاقية الدولية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي:

في المؤتمر المنعقد بتاريخ ١٧ أكتوبر من عام ١٩٧٢ من قبل المؤتمر العام لليونسكو في دورته السابعة عشرة في باريس، أقرت اتفاقية دولية تهدف إلى الحفاظ على التراث الثقافي والطبيعي، حيث جاء في مقدمة الاتفاقية النقاط الآتية:

«إذ يلاحظ أن التراث الثقافي والطبيعي مهددان بتدمير متزايد، لا بالأسباب التقليدية للاندثار فحسب، وإنما أيضاً بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة التي تزيد من خطورة الموقف بما تحمله من عوامل الإتلاف والتدمير، ونظراً لأن اندثار أو زوال أي بند من التراث الثقافي والطبيعي يؤلفان إفقاراً صارماً لتراث جميع شعوب العالم»<sup>(١٩)</sup>.

ونظراً لأن حماية التراث على المستوى الوطني ناقصة في غالب الأحيان، بسبب حجم الموارد التي تتطلبها هذه الحماية، ونقصان الموارد الطبيعية والاقتصادية والعلمية والتقنية في البلد الذي يقوم في أرضه التراث الواجب إنقاذه، وإذ يذكر بأن ميثاق المنظمة التأسيسي ينص على أنها تساعد على بقاء المعرفة وتقدمها وتعميمها عن طريق السهر على صون التراث العالمي، وحمايته وتوصية الدول المعنية باعتماد الاتفاقيات الدولية لهذا الغرض، ونظراً لأن الاتفاقيات والتوصيات، والقرارات الدولية القائمة بالامتلاكات الثقافية والطبيعية تبين الأهمية التي تمثلها لشعوب العالم كافة، وضرورة إنقاذ هذه الممتلكات الفريدة التي لا تعوض، مهما كانت تابعة لأي شعب، لأن بعض ممتلكات التراث الثقافي والطبيعي تمثل أهمية استثنائية توجب حمايتها باعتبارها عنصراً من التراث العالمي للبشرية جمعاء، ونظراً لأنه يتعين على المجتمع الدولي، أمام اتساع اشتداد الأخطار الجديدة، الإسهام في حماية التراث الثقافي والطبيعي ذي القيمة العالية الاستثنائية، عن طريق بذل العون الجماعي الذي يتم بشكل مجد عمل الدولة المعنية دون أن يحل محله. ونظراً لأنه لا بد من إصدار أحكام جديدة في شكل اتفاقية لإقامة نظام فعال يوفر حماية جماعية للتراث الثقافي والطبيعي ذي القيمة العالية بشكل دائم، ووفقاً للطرق العلمية الحديثة<sup>(٢٠)</sup>.

### المادة الرابعة:

تعترف كل دولة من الدول الأطراف في الاتفاقية السابقة بأن واجب القيام بتعيين التراث الثقافي والطبيعي في إقليمها والمحافظة عليه، وحمايته، وإصلاحه، ونقله للأجيال المقبلة، يقع بالدرجة الأولى على عاتقها، وسوف تبذل كل دولة أقصى طاقتها لتحقيق هذا الغرض، وتستعين عند الحاجة بالعون والتعاون الدوليين اللذين يمكن أن تحظى بهما، خاصة على المستويات المالية، والفنية والعلمية والتقنية<sup>(٢١)</sup>.

**المادة الخامسة:**

لتأمين اتخاذ تدابير فعالة ونشطة لحماية التراث الثقافي والطبيعي الواقع في إقليمها والمحافظة عليه وعرضه، تعمل الدول الأطراف في هذه الاتفاقية كل بحسب ظروفها، وفي حدود إمكاناتها على ما يأتي:

١. اتخاذ سياسة عامة تستهدف جعل التراث الثقافي والطبيعي يؤدي وظيفة في حياة الجماعة، واندماج حماية هذا التراث في مناهج التخطيط العام.
٢. تأسيس دائرة أو دوائر عدة، حيث لا يوجد مثل هذه الدوائر في إقليمها، لحماية التراث الثقافي والطبيعي والمحافظة عليه وعرضه، وتزويد هذه الدائرة بالموظفين الأكفاء، وتمكينها من الوسائل التي تسمح لها بأداء الواجبات المترتبة عليها.
٣. تنمية الأبحاث والدراسات العلمية والتقنية، ووضع وسائل العمل التي تسمح للدولة بأن تجابه الأخطار المهددة للتراث الثقافي والطبيعي.
٤. اتخاذ التدابير القانونية والعلمية والتقنية والإدارية، والمالية المناسبة لتعيين هذا التراث، وحمايته، والمحافظة عليه وعرضه، وإحيائه.
٥. دعم إنشاء أو تنمية مراكز التدريب الوطنية والإقليمية، في مضمار حماية التراث الثقافي والطبيعي، والمحافظة عليه وعرضه، وتشجيع البحث العلمي في هذا المضمار<sup>(٢٢)</sup>.

**إعلان القاهرة بشأن حماية الممتلكات الثقافية:**

نص إعلان القاهرة الصادر في السادس عشر من فبراير/ شباط ٢٠٠٤ على ضرورة حماية الممتلكات الثقافية:

١. حماية الممتلكات الثقافية في زمن النزاعات المسلحة: «إن الأضرار التي تلحق بممتلكات ثقافية يملكها أي شعب تمس التراث الثقافي الذي تملكه الإنسانية جمعاء، فكل شعب يساهم بنصيبه في الثقافة العالمية».
٢. وتذكيراً بما تضمنته اتفاقية اليونسكو بشأن الوسائل التي تستخدم لحظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية بطرق غير مشروعة التي دخلت حيز النفاذ في ٢٤ أبريل ١٩٧٢، والتي تقرر واجب كل دولة في حماية التراث الذي تمثله الممتلكات الثقافية الموجودة في أراضيها من أخطار النهب وأعمال التنقيب السرية والتصدير غير المشروع، كما تقرر التزاما بمكافحة هذه الممارسات بكل وسيلة ممكنة، وخاصة فيما يتعلق بإيقافها أثناء حدوثها، والقضاء على أسبابها، وتقديم المساعدة اللازمة لكفالة إعادة الممتلكات المعنية.

٣. وبالإشارة إلى المعاهدة النموذجية لمنع جرائم انتهاك التراث الثقافي للشعوب الموروثة في شكل ممتلكات منقولة من حيث كونها وسيلة لمنع هذا النوع من الجرائم وكفالة إعادة الممتلكات التي نقلت بطرق غير مشروعة.

٤. واستعادة لما تضمنه إعلان اليونسكو العالمي لعام ٢٠٠١ بشأن التنوع الثقافي، والذي تضمن الاعتراف بالتنوع الثقافي باعتباره «تراثاً مشتركاً للإنسانية» تعد حمايته ضرورة أخلاقية ملموسة لا تنفصم عراها عن ضرورة احترام كرامة الكائن البشري ذاته.

٥. وتأكيداً لما تضمنه إعلان اليونسكو لعام ٢٠٠٣ بشأن التدمير المتعمد للتراث الثقافي من الاعتراف بأهمية التراث الثقافي والالتزام بمكافحة تدميره المتعمد بأي صورة من الصور حتى يمكن نقل هذا التراث إلى الأجيال القادمة، ووجوب أن تتخذ الدول جميع التدابير الملائمة أثناء النزاعات المسلحة وفي زمن الاحتلال على نحو يكفل حماية التراث الثقافي وفقاً للقانون الدولي، وتوصيات اليونسكو ومبادئ الاتفاقيات الدولية وأهدافها المتعلقة بحماية ذلك التراث.

٦. وتنفيذاً للإعلان الصادر عن المؤتمر الثامن والعشرين للصليب الأحمر والهلال الأحمر في السادس من ديسمبر ٢٠٠٣ من مناشدة أطراف النزاعات المسلحة بأن تبسط الحماية الضرورية للممتلكات الثقافية، والحيلولة دون تدميرها أو العبث بها أو نهبها، وكفالة الاحترام الواجب لأحكام القانون الدولي الإنساني في هذا الشأن عن قناعة بأن احترام الممتلكات الثقافية للشعوب يعكس احترام التنوع الثقافي والحضاري للبشر، ويقف سداً منيعاً أمام نوازع الكراهية والأطماع التي استشرت في النزاعات العسكرية الحديثة، وتتطلب تعاوناً دولياً لإجهاضها (٢٣).

## التراث الثقافي المادي:

تصدر مدينة الخليل قائمة المواقع الحضارية المستوفاة لكي تكون ضمن مواقع التراث العالمي، ففي المقام الأول: يُظهر التراث الثقافي الموجود في مدينة الخليل تبادلاً مهماً للقيم الإنسانية، يشهد على ذلك وجود ثقافات عبر العصور المتعددة انعكست في الهندسة المعمارية للمدينة، وفي تخطيطها، وفي المواقع الأثرية القائمة عند أطراف المدينة، وفضلاً عن المباني المملوكية والعثمانية، المرتبطة بالمسجد الإبراهيمي وقبور الأنبياء، والتي تمثل معلماً تاريخياً وروحياً استثنائياً وفريداً، فإن المدينة تظهر تطور نسيج حضري معقد جاء نتيجة لتحولات متواصلة وتأقلم مع المشهد الطبيعي (٢٤).



أما المعيار الثاني: فإن المدينة القديمة مثال متميز للهندسة المعمارية الكلية المتكاملة التي يرجع تاريخها إلى الحقبة المملوكية والعثمانية، أما بنيتها المولفة من وحدات سكنية مجتمعة حول مساحة مفتوحة تسمى الحوش، فهي محافظة في روحها رغم بعض القصات المفتوحة بشكل مصطنع في النسيج الحضري. بينما المعيار الثالث فهو أن مدينة الخليل تقدّم مثالا واضحا للمكان الذي يرتبط ارتباطاً مباشراً ولموسماً وحقيقياً بالأحداث والتقاليد المعيشية، وبخاصة بالأفكار والمعتقدات المرتبطة بالقيم العالمية المتميزة. إن أهميتها كمكان للعبادة وموقع يضم مدافن الأنبياء إبراهيم وإسحق ويعقوب، والأمهات سارة وربىكا وليا يرتبط ما بين الزمان والمكان. ويضع مدينة الخليل في مرتبة الأهمية الأولى بالنسبة للإنسانية<sup>(٢٥)</sup>.

## دور المؤسسات المجتمعية والرسمية في حماية التراث الثقافي:

### المؤسسات والمراكز المعمارية:

يتلخص دور المؤسسات المجتمعية في صيانة التراث الفلسطيني وحفظه في فلسطين عامة وفي محافظة الخليل خاصة بوسائل وطرق عدة، ومنها ما يخص الجانب المادي الذي يتعلق بالعمارة التقليدية الإسلامية في مدينة الخليل، حيث قامت لجنة إعمار الخليل - وما زالت - بترميم الجزء الأكبر من البلدة القديمة وإعادة ولو جزء بسيط للحياة فيها، وذلك لكي لا تصبح جميعها بيد المستوطنين اليهود بعد عشرات السنين.

كما أنشئت لجنة إعمار الخليل الأكاديمية الإسبانية للتدريب المهني التي خرجت الفوج الأول من المتدربين على صيانة وترميم التراث المعماري والمحافظة عليه، ونحن في المجتمع الفلسطيني بحاجة ماسة وملحة لمثل هذه المؤسسات التي تفتقر إليها مؤسساتنا الرسمية، ففي غالبية المدن الفلسطينية والقرى بحاجة لإعادة تأهيل وترميم المباني المعمارية القديمة والاستفادة منها، أما بالسكن أو مراكز تراثية أو ثقافية أو عامة كما هو الآن في عدد من القرى الفلسطينية التي عملت دائرة الآثار والتراث الثقافي على ترميم عدد من مراكز المدن والقرى في عدد من المحافظات المختلفة<sup>(٢٦)</sup>. ومن بين تلك المؤسسات التي تقوم بدور مهم في هذا المجال مؤسسة رواق التي عملت - وما زالت - على توثيق الأبنية التراثية المعمارية كافة ودراسة أنماطها التقليدية في المدن والقرى الفلسطينية كافة ومن ضمنها مدينة الخليل<sup>(٢٧)</sup>.

## مراكز الأبحاث والدراسات:

بعض المراكز الثقافية تقوم بدور جيد على المستوى المحلي بالمحافظة وتوثيق ودراسة التراث الشعبي بمختلفة أشكاله، وخاصة مركز السناهل للدراسات والتراث الشعبي في سعير حيث قام هذا المركز بتأسيس نواة متحف للآثار مرخص من قبل السلطة الوطنية الفلسطينية، كما يقوم المركز بعدد من الدراسات على مستوى الوطن ذات أهمية خاصة فيما يتعلق بتوثيق سجل أرشيفي وطني خاص بكافة شهداء فلسطين ابتداءً من العام ١٩٣٦ لغاية الآن، كما يقوم بتوثيق الشعارات الشعبية النضالية كافة على مستوى الوطن للتنظيمات الفلسطينية كافة، ودراسة جذورها ومسمياته التاريخية، ومشروع لجمع الأمثال الشعبية الفلسطينية، وعليه يجب أن يكون في كل مدينة وقرية ومخيم مراكز ثقافية تخص الموروث الحضاري الفلسطيني، وأن تعمل على إصدار حولية أو موسوعة أو مجلة خاصة تعنى بالتراث الثقافي الفلسطيني<sup>(٢٨)</sup>.

## المعارض الثابتة والمتنقلة:

هناك ضرورة في غاية الأهمية لإقامة نوعين من المعارض الثقافية الثابتة والمتنقلة حسب طبيعة كل منطقة وظروفها الاقتصادية، يمكن تحديد نوع المعرض الذي يمكن أن يقام في المدارس والمراكز الثقافية، وهناك أنواع متعددة للمعارض الثقافية، فعلى سبيل المثال يمكن إقامة معرض صور للأنماط المعمارية في الخليل من بيت المدينة والبيت التقليدي البسيط والأنماط الزخرفية والمعمارية التي تخص هذا الجانب المهم من تراثنا المعماري العريق.

كما يمكن إقامة معارض للمقتنيات الشعبية التراثية وتوثيقها في المحافظة خاصة التي تتعلق بالزي الشعبي في محافظ الخليل وبقية أرجاء الوطن الفلسطيني، حيث يتعرض هذا الجزء من الزي الشعبي لأكبر عملية سرقة وتهويد، فقد قامت إسرائيل في الآونة الأخيرة باعتماد هذا الزي كلباس رسمي لمضيفات شركة العال الإسرائيلية، وبالطبع هذا ليس غريباً على إسرائيل فهو شعب بدون حضارة كما يقول المؤرخ جوساف لوبون حيث يصفهم بقوله «لم يكن لليهود فنون، ولا علوم، ولا صناعة، ولا أي شيء تقوم به حضارة، واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما - صغرت في تشييد المعارف البشرية - واليهود لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة، التي ليس لها تاريخ... وكلما مروا ببلد أو دخلوه سرقوا وأخذوا من حضارته»<sup>(٢٩)</sup>.

كذلك يجب التعريف والمحافظة على صناعة الزجاج في مدينة الخليل لسبب اقتصادي أولاً، ولسبب تراثي تقليدي ثانياً، بالإضافة إلى الصناعات التقليدية المصنوعة من القش بأشكالها المختلفة واستخداماتها المختلفة، كما يجب المحافظة على الطاحونة التقليدية الحجرية التي كانت تدار بواسطة الحيوانات والمصغرة منها اليدوية، لأننا نجدها اليوم في المعارض الإسرائيلية، ويتم التعريف بها على أنها طاحونة يهودية تعود للتاريخ القديم لبني إسرائيل.

ولأدوات الحراثة والزراعة يجب أن يكون هناك اهتمام لا يقل عن الأدوات التقليدية الأخرى، والعمل على عرضها وتبيان وظيفة كل منها، وجعل هذه المعارض متنقلة في أرجاء المحافظة كافة من بلديات ومدارس ومراكز ثقافية مجتمعية مختلفة، والهدف منها بشكل بسيط التعريف بجوانب مختلفة من الحياة الشعبية الفلسطينية وأدواتها وفنونها المادية التقليدية التي رافقت الإنسان الفلسطيني في حياته الزراعية واليومية في الفترات المختلفة على مر العصور.

### المتاحف والمسارح:

وهي من الوسائل المهمة لحفظ التراث الثقافي، فالمتاحف يجب أن تعنى بالتسلسل التاريخي والحضاري للتاريخ الفلسطيني، حيث يجب حفظ المقتنيات التقليدية من الزي الشعبي والفخار، فقد كانت القرى الفلسطينية تعج بمثل هذه المقتنيات، ولكن الحاجة والهجرة القسرية الفلسطينية أوصلت تراثنا لليهود وأصبح اليهود يدعون أنها تعود لتاريخهم وثقافتهم وقيمهم التاريخية.

كما يجب حفظ الأواني الزجاجية التاريخية وتدوينها فهي تعبر عن ذوق الإنسان القديم وفنّه، سواء في محافظة الخليل أم غيرها، ومن الجدير بالذكر أن بعض الجهود بذلت لإحياء هذه الصناعة وتوثيقها، وخاصة في مدينة الخليل التي ما زالت إحدى الصناعات التقليدية للأغراض السياحية في الوقت الحاضر، ويجب تشجيع هذه الصناعة ودعمها من أجل إدامتها للأغراض الاقتصادية، لما لها أهمية من الناحيتين السابقتين<sup>(٣٠)</sup>.

أما المسارح فيجب أن تكون منبراً لعقد اللقاءات الثقافية في المحافظة، وهي ربما لا تذكر، سوى مسرح مركز إسعاد الطفولة، ويقع على عاتق هذه المؤسسات تفعيل المهرجانات السنوية التقليدية الفلكلورية من شعر وفن وتمثيل هادف له علاقة بربط تاريخ الشعب الفلسطيني وواقعه، وثقافته، خاصة في مدينة الخليل التي تتعرض لمخطط منهجي لمسح ثقافة هذا الجيل في المحافظة.

## دور المؤسسات الرسمية:

يقع على المؤسسات الرسمية الفلسطينية الحكومية أو التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية واجب الحفاظ على الموروث الثقافي بشتى الطرق والوسائل، وأهم هذه الطرق: الوسائل التعليمية المقررة في مناهج التربية والتعليم، وكذلك في المقررات الجامعية من أجل ربط ماضي هذه الأمة وحاضرها بذاكرة الإنسان الفلسطيني على الدوام، فقليل ما نجد هذه المادة في المقررات المدرسية بما تستحق هذا من جانب، كما يجب تفعيل الأنشطة اللامنهجية في المدارس الفلسطينية التي تعنى بالتراث الحضاري الفلسطيني.

من أجل مواجهة الأسرلة لمقتنياتنا الثقافية، يجب تنشيط فعاليات يوم التراث الشعبي الفلسطيني في المؤسسات الوطنية كافة في الثالث من تموز من كل عام، والذي احتفل به لأول مرة في عمان ١٩٨٣، بحيث تفعّل الاحتفالات الفلكلورية في شتى أماكن الوجود الفلسطيني،<sup>(٣١)</sup>.

ومع التطور التكنولوجي، وتطور وسائل الاتصال، يجب إنشاء صفحة الكترونية خاصة بالتراث الثقافي الفلسطيني وتؤسس بلغات العالم كافة فأعتقد انه لا مشكلة أن نكتب باللغة الصينية أو الروسية أو الإسبانية مع التعريف بألوان الطيف الثقافي والشعبي الفلسطيني كافة ومحاربة السرقة والتزوير الإسرائيلي لتراثنا الثقافي بكل الوسائل والطرق.

على المؤسسات الحكومية كوزارة الثقافة الفلسطينية والتربية والتعليم البدء بعمل مسح ميداني للمقتنيات الثقافية كافة، وتأسيس سجل وطني لشتى أنواع الموروث الحضاري الفلسطيني، وبيان خصائص كل منطقة بزيها وتراثها والمأكولات الشعبية فيها، والتي تتميز بها كل محافظة في فلسطين بشكل عام ومحافظة الخليل بشكل خاص.

## توصيات ومقترحات:

١. تأسيس موقع الكتروني بلغات متعددة يعنى بالتراث الثقافي والمادي الفلسطيني، وإظهار جذوره التاريخية في فلسطين، حتى لا يكون هذا التراث مثار شك أو تأويل من قبل الاحتلال الإسرائيلي.
٢. تعزيز قيم التراث الثقافي في المقررات التعليمية في المدارس والجامعات الفلسطينية، ومن خلال مراكز الأبحاث الفلسطينية المنتشرة داخل الوطن وخارجه.
٣. تفعيل الاحتفالات الفلسطينية بيوم التراث الثقافي الفلسطيني في الوطن والشتات من خلال الاحتفالات المتنوعة بالفلكلور والزي الشعبي والرقصات والأغنية الشعبية وغيرها من مكونات الموروث الحضاري الفلسطيني.
٤. إحياء المناسبات الوطنية من خلال تعزيز القيم الثقافية في المناسبات الوطنية الإسلامية منها كالأعياد الوطنية والرسمية من خلال الاحتفالات الثقافية.
٥. إدخال مشروع السجل الوطني التراثي الفلسطيني حيز التنفيذ، وذلك بمشاركة الباحثين والمؤسسات المجتمعية والحكومية في إنشاء وتأسيس هذا السجل المهم.
٦. الترويج للسياحة الثقافية الفلسطينية من خلال وكالات السياحة العالمية، وهذا الدور يناط بالمؤسسات الحكومية وغير الحكومية.
٧. المطالبة بحماية الممتلكات الثقافية من خلال المؤسسات الدولية، وتطبيق قرارات لاهاي بخصوص التراث الثقافي الفلسطيني.
٨. إدراج الصناعة التقليدية كصناعة الزجاج والفخار والقش والخزف والألبسة التقليدية ضمن أولويات المؤسسات المختلفة.
٩. رعاية المواقع التراثية والأثرية والمعمارية، وطلب حمايتها من منظمة اليونسكو وتحت رعايتها.
١٠. رفع قضايا على الحكومة الإسرائيلية لاسترجاع ما قامت إسرائيل بسرقة من خلال حفرياتها في المواقع الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨.

## الهوامش:

١. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، التعداد السكاني والمساكن والمنشآت، ٢٠٠٧، ص ٥٩.
٢. الجعبة، نظمي وآخرون. الخليل القديمة- سحر مدينة وعمارة تاريخية. ٢٠٠٨، لجنة إعمار الخليل. الخليل، ص ٦١.
٣. أبو الرب، صلاح. الاستيطان الصهيوني في منطقة الخليل ١٩٦٧- ٢٠٠٠. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٥. كذلك أنظر حول الاستيطان والانتهاكات الثقافية والإنسانية والحياة اليومية لسكان الخليل. مؤسسة بيتسليم، ملف الاستيطان والانتهاكات الإسرائيلية ومصادرة الأراضي في الخليل.
٤. المرجع السابق. ص ٥٣.
٥. الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، الاتفاقيات والتوصيات التي أقرتها اليونسكو بشأن التراث الثقافي، باريس، ١٩٩٥.
٦. كناعنة، شريف. القرى الفلسطينية المدمرة. ١٩٨٧، مركز الوثائق والأبحاث جامعة بيرزيت؛ كذلك أنظر، كناعنة، شريف. من نسي قديمه تاه- دراسات في التراث الشعبي والهوية الفلسطينية، ٢٠٠٠، عكا، مؤسسة الأسوار. كذلك أنظر: طه، لبيب. المدن والقرى الفلسطينية المدمرة، ٢٠٠٥، رام الله، مركز يافا للنشر والتوزيع، ط ١، ص ١١.
٧. وهو أقدم إنسان عاش في فلسطين. أنظر: الأحمد، سامي سعيد. تاريخ فلسطين القديم، ١٩٧٩. مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، ٣، كذلك أنظر: الحمد جواد وآخرون، المدخل إلى القضية الفلسطينية، ١٩٩٧، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط ١، ص ٣١.
٨. حداد، منعم. التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء، ١٩٨٦، الطيبة، مركز إحياء التراث. ص ٩٨.
٩. المرجع السابق، ص ١٠٢.
١٠. حمدان، أسامة. عوامل الدمار والضرر التي تؤثر على الممتلكات الثقافية الناتجة عن النشاط الإنسانية، ٢٠٠٤. ضمن كتاب مقالات أثرية بالمناسبة العشرية- تحرير مروان أبو خلف وصلاح الهودلية، اللجنة الوطنية للثقافة والعلوم، ص ٩٨.

١١. الحديثي، على خليل إسماعيل. حماية الممتلكات الثقافية في القانون الدولي. ١٩٩٩، عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط ١، ص. ٤٥.
١٢. كنعان، توفيق. الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين. ١٩٩٨، رام الله، دار الشروق. كذلك أنظر: فؤاد، مصطفى أحمد. الأماكن الدينية المقدسة في منظور القانون الدولي. ١٩٩٨، جامعة طنطا، ١٧٥.
١٣. الجعبة، نظمي وآخرون. الخليل القديمة - سحر مدينة وعمارة تاريخية. ٢٠٠٨، لجنة اعمار الخليل. الخليل، ص ٦١.
١٤. العارف، عارف. المفصل في تاريخ القدس، ٢٠٠٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٤، بيروت، ص ٦٣٦.
١٥. بروتوكول مدينة لاهاي الأول في ١٤ مايو/ أيار ١٩٥٤.
١٦. بروتوكول مدينة لاهاي الثاني في ٢٦ مارس/ آذار ١٩٩٩.
١٧. قانون دائرة الآثار الأردني، ١٩٧٦.
١٨. قانون الآثار الفلسطيني لعام ١٩٢٩، منشورات الحملة الوطنية للحفاظ على الآثار والتراث الثقافي، أيار ١٩٩٩، ص ١٥.
١٩. المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في دورته السابعة عشر، باريس ١٦ تشرين الثاني، ١٩٧٢، ص ٥.
٢٠. بندق، وائل أنور. موسوعة القانون الدولي للحرب. ٢٠٠٤، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، وثيقة بروتوكول حماية الممتلكات الثقافية في حالة الحرب أو الاحتلال، وثيقة لاهاي. ص ٩٥.
٢١. المرجع السابق، ص ٩٥.
٢٢. المرجع السابق، ص ٩٥.
٢٣. إعلان القاهرة بشأن حماية الممتلكات الثقافية الصادر في السادس عشر من فبراير/ شباط ٢٠٠٤.
٢٤. قائمة مواقع التراث الثقافي والطبيعي ذات القيمة العالية المتميزة في فلسطين، ٢٠٠٦ منشورات وزارة السياحة والآثار الفلسطينية و المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط ١، ص ٢٧.

٢٥. المرجع السابق، ص ٢٨
٢٦. أنظر لمزيد من المعلومات حول أعمال ونشاطات لجنة إعمار الخليل ( . http:// www. hebronrc. org )
٢٧. أنظر لمزيد من المعلومات موقع مؤسسة رواق ( http:// www. riwaq. org/ arabi )
٢٨. أنظر لمزيد من المعلومات حول نشاطات وإصدارات وأعمال مركز السنابل: ( http:// www. sanabl. ps )
٢٩. لوبون، جوستاف. اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. ترجمة عادل زعيتر، ٢٠٠٩، القاهرة، مكتبة النافذة، ط ١، ص ٢٥.
٣٠. صبارنة، محمد. صناعة الزجاج في مدينة الخليل خلال الفترتين المملوكية والعثمانية. ١٩٩٩. رسالة ماجستير. جامعة القدس، المعهد العالي للآثار الإسلامية.
٣١. أبو هدبا، عبد العزيز. التراث الفلسطيني جذور وتحديات. مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، ١٩٩١، ط ١، ص ١٥٥.



## المصادر والمراجع:

١. أبو الرب، صلاح. الاستيطان الصهيوني في منطقة الخليل ١٩٦٧ - ٢٠٠٠. رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٥.
٢. أبو هديبا، عبد العزيز. التراث الفلسطيني جذور وتحديات. مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، ط١، ١٩٩١.
٣. بندق، وائل أنور. موسوعة القانون الدولي للحرب. ٢٠٠٤، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، وثيقة بروتوكول حماية الممتلكات الثقافية في حالة الحرب أو الاحتلال، وثيقة لاهاي.
٤. بروتوكول مدينة لاهاي الأول في ١٤ مايو/ أيار ١٩٥٤.
٥. بروتوكول مدينة لاهاي الثاني في ٢٦ مارس/ آذار ١٩٩٩.
٦. الأحمد، سامي سعيد. تاريخ فلسطين القديم، ١٩٧٩. مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد.
٧. الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم، الاتفاقيات والتوصيات التي أقرتها اليونسكو بشأن التراث الثقافي، باريس، ١٩٩٥. الاستيطان والانتهاكات الثقافية والإنسانية والحياة اليومية لسكان الخليل. مؤسسة بيتسليم، ملف الاستيطان والانتهاكات الإسرائيلية ومصادرة الأراضي في الخليل.
٨. الجعبة، نظمي وآخرون. الخليل القديمة - سحر مدينة وعمارة تاريخية. ٢٠٠٨، لجنة إعمار الخليل. الخليل.
٩. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، التعداد السكاني والمساكن والمنشآت، ٢٠٠٧.
١٠. الحمد جواد وآخرون، المدخل إلى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، ط١. ١٩٩٧.
١١. حداد، منعم. التراث الفلسطيني بين الطمس والإحياء، الطيبة، مركز إحياء التراث.

١٢. حمدان، أسامة. عوامل الدمار والضرر التي تؤثر على الممتلكات الثقافية الناتجة عن النشاط الإنساني، . ضمن كتاب مقالات أثرية بالمناسبة العشرية. تحرير مروان أبو خلف وصلاح الهودلية، اللجنة الوطنية للثقافة والعلوم. ٢٠٠٤.
١٣. الحديثي، على خليل إسماعيل. حماية الممتلكات الثقافية في القانون الدولي. عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩.
١٤. صبارنة، محمد. صناعة الزجاج في مدينة الخليل خلال الفترتين المملوكية والعثمانية. ١٩٩٩. رسالة ماجستير. جامعة القدس، المعهد العالي للآثار الإسلامية.
١٥. العارف، عارف. المفصل في تاريخ القدس، ٢٠٠٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٤، بيروت.
١٦. فؤاد، مصطفى أحمد. الأماكن الدينية المقدسة في منظور القانون الدولي. ١٩٩٨، جامعة طنطا.
١٧. قانون دائرة الآثار الأردني، ١٩٧٦
١٨. قانون الآثار الفلسطيني لعام ١٩٢٩، منشورات الحملة الوطنية للحفاظ على الآثار والتراث الثقافي، أيار ١٩٩٩.
١٩. قائمة مواقع التراث الثقافي والطبيعي ذات القيمة العالية المتميزة في فلسطين، ٢٠٠٦ منشورات وزارة السياحة والآثار الفلسطينية و المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط١.
٢٠. كناعنة، شريف. القرى الفلسطينية المدمرة. ١٩٨٧، مركز الوثائق والأبحاث جامعة بيرزيت -
٢١. كناعنة، شريف. من نسي قديمه تاه - دراسات في التراث الشعبي والهوية الفلسطينية، ٢٠٠٠، عكا، مؤسسة الأسوار. طه، كنعان، توفيق. الأولياء والمزارات الإسلامية في فلسطين. ١٩٩٨، رام الله، دار الشروق.
٢٢. لبيب. المدن والقرى الفلسطينية المدمرة، ٢٠٠٥، رام الله، مركز يافا للنشر والتوزيع، ط١.

٢٣. لوبون، جوستاف. اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. ترجمة عادل زعيتير، ٢٠٠٩، القاهرة، مكتبة النافذة، ط ١.

٢٤. لجنة إعمار الخليل (. http:// www. hebronrc. org )

٢٥. مركز السنابل (http// : www. sanabl. ps)

٢٦. مؤسسة رواق (http:// www. riwaq. org/ arabi )

٢٧. المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في دورته السابعة عشر، باريس ١٦ تشرين الثاني، ١٩٧٢.

٢٨. إعلان القاهرة بشأن حماية الممتلكات الثقافية الصادر في السادس عشر من فبراير/ شباط ٢٠٠٤.

# المخاطر التي تهدد التراث الشعبي في محافظة خليل الرحمن وسبل المحافظة عليه

أ. مصطفى إبراهيم إسماعيل الجبور

## مقدمة:

تحتل مدينة خليل الرحمن المرتبة الثانية من حيث الأهمية والقداسة بعد مدينة القدس، وهي من أقدم مدن العالم، ويعود تاريخها إلى ٥٥٠٠ عام. تعرضت محافظة الخليل وما تحويه من مقدسات إسلامية وعربية خلال سنوات النكبة الصهيونية - وما زالت تتعرض - لمجموعة من المخططات والسياسات الإسرائيلية التي استهدفت تهويد البلدة القديمة، وتحويلها إلى حي يهودي، والسيطرة على الحرم الإبراهيمي، وتحويله إلى كنيس يهودي، وتهجير أبنائهم من أراضيهم وديارهم، وبذلك تحتوي الدراسة على موضوعين:

## الموضوع الأول: المخاطر التي تهدد التراث الشعبي في محافظة الخليل:

تعددت المخاطر الصهيونية على محافظة خليل الرحمن باعتبارها الثقل الثاني من ناحية قدسيتها بعد مدينة القدس، وذلك بسبب احتوائها على التاريخ والتراث والرموز المادية والبشرية والمعنوية، وهكذا تعرضت محافظة الخليل - شأنها شأن مدينة القدس - للاستيطان الإسرائيلي وما حولها على أساس تطويقها ومحاصرتها لتنفيذ مخططاتها الرامية للسيطرة عليها، وتتمثل أبرز الاعتداءات الصهيونية على محافظة خليل الرحمن، مما يأتي:

### أولاً- التهويد:

تعدّ مدينة الخليل، بعد القدس، من أقدم المناطق التي استهدفها الاستيطان اليهودي بعد الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧. وقد كانت البدايات منذ العام ١٩٦٨م، عندما نزل فريق يفترض أنه من «السياح السويسريين» يقودهم الحاخام موشيه ليفنجر في فندق بارك في الخليل. فكان هذا بداية التهويد اليهودي داخل المدينة<sup>(١)</sup>.

تأسست الفكرة الصهيونية على أساس طرد الشعب العربي الفلسطيني من أراضيه ووطنه، وإحلال المستوطنين اليهود الصهاينة مكانهم، وذلك كمقدمة لإقامة وطن قوم لليهود على أرض فلسطين العربية، وطن نظيف وخالٍ من أي جنسيات أخرى. وللأسف قام هذا الكيان المصطنع على غفلة من الزمان والمكان والتاريخ، وعرف فيما بعد بدولة «إسرائيل»، ومنذ ذلك التاريخ اغتصبت فلسطين العربية أرضاً وشعباً، وشرد الشعب العربي الفلسطيني في المنافي، وأصبح في متناول الحركة الصهيونية ومن بعدها الحكومات الصهيونية المتعاقبة، العمل على تحقيق هذا الحلم على أرض الواقع.

**والتهويد في مدينة الخليل بعدان، البعد الأول تاريخي، والبعد الثاني ديني، ولا ننسى قول شارون الشهير «بأن الخليل هي الورقة الراححة بيد إسرائيل»، لنذكر أن هناك سياسة مميزة في التعامل مع هذه المدينة، في إعطائها أولوية على صعيد الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، بل على صعيد المنظمات الصهيونية التي تقوم بتطوير الأحياء اليهودية، وتعمل على تهويد المدينة من خلال مخططات مدروسة وممولة ومدعومة رسمياً، لتطوير هذه البؤر الاستيطانية السرطانية وتوسيعها، وطردها السكان العرب الأصليين، وجلب مستوطنين جدد مكانهم.**

وبرزت نقطة التحول في عملية تهويد الخليل في شباط ١٩٨٠ حين قررت الحكومة الإسرائيلية مبدئياً إسكان اليهود في قلب المدينة دون أن تقر خطة زمنية لهذا الغرض<sup>(٢)</sup>. يرافق إصرار المستوطنين على تهويد مدينة الخليل عداء سافر للعرب. لقد أكدت إحدى مجلات المستوطنين (نكوده) في عددها رقم ٤٧ ذلك فقالت: «عندما تفكر بردود فعل على الفعاليات العدائية للسكان العرب... فإن الاعتبارات يجب أن تكون هل هي مجدية، أم غير مجدية ولا مكان للأخذ بأية اعتبارات إنسانية»<sup>(٣)</sup>.

يقود الحاخام ليفنغر جماعات مستوطني الخليل معتبراً السكان العرب سكاناً من الدرجة الثانية، ولا يملكون الحقوق السياسية، وهو يفسر القوانين حسب أهوائه وأهدافه.

ومنذ البدايات الأولى سلك المستوطنون الإسرائيليون وبمساعدة الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة كل الطرق للوصول بالتهويد في وسط الخليل إلى مرحلة يطالبون فيها بتثبيتته كواقع دائم، إن توطينهم سيفرض على الخليل تسوية ظالمة ونهائية. وذلك يكون عن طريق المخادعة والقمع تارة، وبالمذابح وحمالات التهجير لأهالي المدينة تارة أخرى<sup>(٤)</sup>.

وشهدت محافظة الخليل منذ عام ١٩٦٧ عدداً من المراحل في استراتيجية التهويد، هدفت إلى خلق واقع جغرافي يهودي في مدينة الخليل وضواحيها، ومن مراحل التهويد في محافظة الخليل:

#### ♦ تهويد المسجد الإبراهيمي الشريف:

يعدّ المسجد الإبراهيمي، ثاني أثر إسلامي، في فلسطين، بعد المسجد الأقصى، والمسجد الإبراهيمي من الأماكن المقدسة المهمة عند المسلمين. هو من بقايا بناء أقامه «هيرودوس الأدومي» في فترة حكمه للمدينة (٣٧ ق.م)، وشيد السور فوق مغارة المكفيلة التي اشتراها إبراهيم عليه السلام من «عفر بن صوحر الحثي». بأربعمئة شاقل كنعاني<sup>(٥)</sup>.

والنبي إبراهيم عليه السلام، بعد أن انطلق من رحلته التاريخية تلك من أراضي (أور) في العراق ووصل أرض كنعان في فلسطين، حل في مدينة الخليل التي حملت اسمه، وعندما توفيت زوجته الأولى سارة دفنها في مغارة «المكفيلة»، وفيما بعد دفن النبي إبراهيم نفسه وولده اسحق وزوجته «رفقه» في المغارة، وكذلك دفن فيها النبي يعقوب وزوجته «لائقة»<sup>(٦)</sup>.

ولهذا السبب، اكتسبت المغارة، التي تضم رفات العائلة الإبراهيمية، والتي شكلت الأساس للأديان التوحيدية الثلاثة، أهمية كبيرة على مدى العصور. يشير علماء الآثار إلى أن السور الضخم، الرائع بتكوينه الأثري، الذي يحيط الآن بالحرم الإبراهيمي الشريف، يعود

لهيروودس الأدومي - ابن فلسطين - ويقال أن اسمه حرد بن صالح، الذي حكم فلسطين، أبان حكم الإمبراطورية الرومانية، وارتبط بالأحداث زمن النبي عيسى عليه السلام. واستدل الأثريون من طريق بناء السور، من دون نوافذ أو أبواب، أنه أقيم لحماية المقبرة من العابثين واللصوص وقطاع الطرق<sup>(٧)</sup>.

وفي فترة الاحتلال الإسرائيلي للمدينة عام ١٩٦٧م ركزت إسرائيل كل جهودها لتحويل المسجد الإبراهيمي إلى كنيس، واعتدت على حقوق المسلمين في مسجدهم، لأنها ترى فيه رمزاً دينياً يزيد من تمسك عرب الخليل للأرض بدون أهلها. وخططوا للسيطرة عليهما وتهويدهما واقتلاعهما من جذورهما العربية والإسلامية، حتى لا يظل للمسلمين روابط دينية تربطهم. وقد تعرض المسجد الإبراهيمي للعديد من الاعتداءات الإسرائيلية سواء للمسجد نفسه أم للمصلين القادمين للصلاة فيها، وذلك أما عن طريق إغلاق المسجد أو عن طريق الحواجز وعمليات التفتيش. ومن أبرز تلك الاعتداءات التي قام بها المستوطنون على المسجد، المجزرة التي وقعت عام ١٩٩٤ والتي تسمى باسم مجزرة المسجد الإبراهيمي<sup>(٨)</sup>.

تأتي المجزرة من ضمن سلسلة المجازر التي ارتكبتها إسرائيل بحق الفلسطينيين، ومن المعروف أن جميع المستوطنين جنود في الجيش الإسرائيلي، بمن فيهم الأكاديميون والأطباء، فقد درّبوا عسكرياً، وجميعهم مسلحون، وإن المستوطنين لا يقومون بأي عمل إلا ضمن خطة مقررّة من الحكومة، وإنهم يقومون بأعمالهم غير القانونية، تحت حراسة الجيش الإسرائيلي والتنسيق معه<sup>(٩)</sup>.

ويصف البروفيسور: «يمرمان» أستاذ تاريخ النازية في الجامعة العبرية المستوطنين الإسرائيليين ويقول: «انظروا أبناء المستوطنين اليهود في الخليل، أنهم يشبهون الشبيبة الهتلرية شَبهاً تاماً. نزرع في رؤوسهم منذ الولادة أن كل عربي سيء وشرير، وأن كل غير يهودي هو ضدنا نزرع فيهم جنون العظمة وعصاب الهوس، نجعلهم يخالون أنهم عرق متفوق، تماماً كما كانت تخال نفسها الشبيبة الهتلرية»<sup>(١٠)</sup>.

وقعت تلك المجزرة في شهر رمضان عندما دخل المجرم باروخ جولد شتاين - طبيب من أصل أمريكي يقيم في مستوطنة كريات أربع - وهو يحمل رشاشاً ومسدساً وشنطة ذخيرة، المسجد الإبراهيمي الشريف، رغم حراسة الضباط والجنود، وذلك قبيل فجر يوم الجمعة ٢٥ / ٢ / ١٩٤٤م. وفاجأ المصلين الساجدين في صلاتهم في المسجد، من ورائهم وأطلق النار عليهم من رشاشه. وحاول الحارس العربي الاستنجاد بالضباط والجنود الإسرائيليين خارج المسجد، ألا أنهم رفضوا مساعدته، وأطلقوا النار باتجاهه.



وهكذا منع الجيش الإسرائيلي النجدة، وقتل وجرح العديد من المصلين، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد قاموا بمنع وإعاقة سيارات الإسعاف من الوصول وإنقاذ الجرحى في الوقت المناسب. ومما يزيد من بشاعة المجزرة أنها حدثت داخل مسجد مقدس، أثناء شهر رمضان شهر العبادة لدى المسلمين ليلاً، والمسلمون يسجدون لله تعالى في صلاة الفجر. ووصفت حركة السلام الإسرائيلية في الذكرى الخامسة لمجزرة المسجد الإبراهيمي، جاء فيها: «هذه المجزرة التي راح ضحيتها ٢٩ من المصلين المسلمين، في واحد من أقدس مقدساتهم، كان من الواجب أن تعني إنهاء الاستيطان الإسرائيلي في الخليل»<sup>(١١)</sup>.

وبدلاً من معاقبة المستوطنين وتجريدهم من السلاح وإجلائهم عن المدينة، قامت إسرائيل بمعاقبة مدينة ومحافظة الخليل، بعقوبات عديدة كان منها، إغلاق المسجد في وجه المسلمين لمدة تزيد على عشرة أشهر، ورسخت تقسيم المسجد بين المسلمين واليهود رغم أنه مسجد إسلامي منذ قرون عديدة. وفرضت نظام منع التجول على المدينة لمدة تزيد على شهر، وهو الأمر الذي الحق أضراراً اقتصادية واجتماعية فادحة بأهالي المحافظة. وأغلقت شوارع المدينة بالحواجز الإسمنتية والبوابات الحديدية، والغريب في الأمر أن إسرائيل لم تقم بمحاكمة الجنود الذين تأمروا مع المجرم، ولم تفرض الحصار على المستوطنين في كريات أربع وبدلاً من أنصاف العرب وإخراج المستوطنين من وسط المدينة، قامت بالمزيد من عمليات التهويد بمصادرة الأراضي والأبنية والاستيطان داخل المدينة<sup>(١٢)</sup>.

وبعد هذه الحادثة زاد الأمر سوءاً بزيارة المستوطنين المستمرة للمسجد الإبراهيمي وعملوا على الإصرار على تحويل جزء من المسجد إلى غرفة صلاة. وعلى أثر ذلك احتج سكان المدينة على هذا التصرف المهين. وفي أيلول ١٩٦٨ أيد وزير الأديان فكرة إقامة كنيس مقابل المسجد حتى يمكن المستوطنين من تأدية الصلاة متى يشاءون. هذا القرار يعد أول خطوة لخلق واقع جغرافي يهودي داخل مركز المدينة<sup>(١٣)</sup>.

#### ♦ تهويد قريات أربع:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى الملك أربع بانيه، وهو كنعاني الأصل من قبيلة العناقين وتعني الجبابرة أو الجبارين، وقد أطلق اليهود على هذه المنطقة اسم كريات أربع في سنة ١٩٧٠ كنواة استيطانية خارج المدينة - تقع مباشرة إلى الشرق من مدينة خليل الرحمن - كامتداد «للخليل اليهودية» حسب المخطط الإسرائيلي، وهي مستوطنة امتدت وكبرت على حساب الأراضي الفلسطينية. صمم فكرة إقامة هذه المستوطنة نائب رئيس الحكومة يغئال الون كمدينة توأم للخليل على نفس فكرة إقامة الناصرة العليا التي بنيت إلى جوار الناصرة العربية عام ١٩٥٦. تعدّ كريات أربع أول خطوة حكومية رسمية لجلب السكان اليهود إلى منطقة الخليل<sup>(١٤)</sup>.

وقد أشئت على يد جماعة من المستوطنين قيل أنها سويسرية أوسكنوا في فندق النهر الخالد الذي تمتلكه عائلة القواسمي الذي سمي فيما بعد باسم «فندق بارك» ويقع في قلب مدينة الخليل، وتبين فيما بعد أنها عائلات يهودية يقودها الحاخام «موشيه لفنجر»<sup>(١٥)</sup> ، ويبلغ عددها ٧٣ عائلة، في يوم ١٠ / ٥ / ١٩٦٨ عشية عيد الفصح أعلنوا عن نيتهم الاحتفال بهذا العيد في مدينة الآباء. وفي صبيحة العيد كشفوا عن خطتهم بأنهم قدموا لكي يعيدوا إسكان الطائفة اليهودية في الخليل، وأنهم سوف يعارضون أي قرار حكومي لإخلائهم منها، وأنهم باقون في مكانهم الحالي<sup>(١٦)</sup> .

مكثت هذه المجموعة مدة أربعين يوماً في الفندق، ولم تعمل الحكومة الإسرائيلية على إخلائهم، حتى إن نائب رئيس الحكومة الوزير ألون زارهم مباركاً عملهم بأنهم أول من حاول إعادة التواجد اليهودي في مدينة الآباء<sup>(١٧)</sup> .

وبعد أربعين يوماً من المماطلات وجدت السلطات الإسرائيلية حلاً وسطاً، فنقل المستوطنون من الفندق إلى مقر الحاكم العسكري على تله خارج نطاق مركز المدينة. بموجب هذا الحل بقي المستوطنون في الخليل، ولكنهم تحت حراسة السلطات العسكرية. أما المستوطنون أنفسهم فقد نظروا إلى هذا الحل كاعتراف رسمي بحقهم في البقاء في الخليل. بينما نظر السكان العرب المحليون إلى الأمور بمنظار آخر، فقد رأوا فيها بداية عملية استعمار الخليل، إذ ما زال المستوطنون متواجدين في براكيات الجيش داخل منطقة الخليل، ويقومون يومياً بزيارات إلى مركز المدينة، ويصلون في بعض مواقعها المقدسة<sup>(١٨)</sup> .

بدا المستوطنون يمهدون للخروج من نطاق الحاكمية العسكرية ويطلبون إقامة بعض الفعاليات التجارية والاقتصادية في داخل مدينة الخليل وخاصة في منطقة المسجد الإبراهيمي حيث توجد أيضاً مغارة المكيفلة، فطلبوا إقامة مطعم طاهر - كاشير - للزائرين اليهود وحوانيت للأدوات الدينية والتذكارات.

وقد أقرت الحكومة في شهر آب ١٩٦٨ إقامة مدرسة دينية في الخليل لتستوعب ١٠٣ طلاب. ثم حدث عقب هذا القرار حادث خرق المستوطنون به القانون فأقاموا كيوسكا، غير مرخص في داخل المدينة وكتبوا عليه لافتة: (مستوطنو الخليل) . فأقام الحاكم العسكري بإنذار المبادرين وتم إزاحة الكيوسك وإلغاء رخص إقامة لثلاثة مستوطنين في المقر العسكري. وعلى الرغم من وقوع عملية خرق القانون بصورة متعمدة فإن أوامر إلغاء ترخيصات البقاء، أبطلت مقابل اعتذار شفهي من المتهمين عن هذا التصرف. وهنا تظهر بوضوح سياسة التساهل والتسامح تجاه المستوطنين<sup>(١٩)</sup> .

في التاسع عشر من شهر تشرين الأول ١٩٦٨ أعلن نائب رئيس الحكومة ألون عن قرار الحكومة بإقامة مدينة الخليل العليا «كريات أربع»، حيث صرح بأنه يجب على العرب تفهم أهمية الخليل الدينية للشعب اليهودي. من الجدير بالذكر الإشارة إلى أن حادث القنبلة اليدوية لم يكن العامل المباشر لقرار الحكومة إقامة ضاحية كريات أربع بل إنه كانت نقطة تحول في عملية التهويد التي بدأت منذ شهر نيسان عند قدوم الحاخام لفنجر وجماعته إلى فندق «النهر الخالد». لا شك في أن خلق الحقائق المتجمعة وتواجد المستوطنين الجسماني في مدينة الخليل كان له الاعتبار الأكبر في اتخاذ الحكومة لهذا القرار. من منطلق مفاهيم أمنية إسرائيلية تتوارد أحيانا أهمية إستراتيجية التحكم بمجمعات السكان العرب عن طريق تواجد سكان يهود مماثل بينهم، هذه الإستراتيجية لم تضمن عملية استقرار وامن بنسبة ١٠٠٪ بل تعدّ من وجهة نظر السكان العرب كأحد أشكال التهويد. تحاول الحكومة تطبيق هذه الفكرة في الخليل. وهي هنا تعمل على منافسة العرب المحليين في السيطرة على أرضهم وبيوتهم المستعملة. وبعبارة أخرى تساهم الحكومة الإسرائيلية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على خلق علاقات توتر بين المستوطنين اليهود والسكان المحليين، وفي سبيل اتخاذ الحكومة قرارات احتاجت إلى مبررات أمنية، مثل حادث القنبلة اليدوية وجرح ٤٧ يهودياً.

ومن هنا - تقوم مستوطنة كريات أربع بدورها الأمني لكونها أقيمت وسط مجمع سكاني عربي مكثف. وفي الوقت نفسه تأخذ كريات أربع دورها الإيديولوجي على الأقل من وجهة نظر بعض الأوساط الإسرائيلية ويضمنهم المستوطنون أنفسهم، مستندين باعتباراتهم هذه على نظرية إسرائيل الكبرى وحق اليهود في السكن في كل مكان يختارونه. وبالرغم من اختلاف رؤية دور كريات أربع الوظيفي، فإن حكومة التجمع العمالي ساهمت في إنجاز الخطوة الأولى في سياسة تهويد الخليل ألا وهي إنشاء ضاحية سكنية في منطقة مدينة الخليل، وفيها تواجد يهودي مستقر. وعلى الرغم من أن هذه المستعمرة قد خططت بشكل وحدة إدارية وعمرانية منفردة عن المدينة العربية فإن المستوطنين اليهود اعتبروا المدينتين -روحانياً- كمكان واحد وإن كريات أربع هي نقطة انطلاق نحو الاستيلاء المقبل على مدينة الخليل القديمة (٢٠).

#### ◆ تهويد البلدة القديمة:

ساهمت مستوطنة كريات أربع في زيادة حدة الاحتكاك بين أهالي مدينة الخليل واليهود في منطقة المسجد الإبراهيمي، إذ استمر المستوطنون في إبراز تواجدهم في المدينة وفي المسجد الإبراهيمي يومياً، وكذلك في عقد الاحتفالات الدينية في مواقع مركزية مثل مبنى الدبويّا «بالعبرية بيت هداسا» وقد عرقلت هذه الفعاليات مراراً النظام العام. وفي

إحدى الحالات اصدر الحاكم العسكري في ٢٣ أيلول ١٩٧٦، وأمر إقامة جبرية على الحاخام ليفنجر. ولم تنفذ هذه الأوامر (٢١).

أما نقطة التحول في سياسة التهويد ظهرت في شباط ١٩٨٠، عندما أقرت الحكومة الإسرائيلية مبدأ إسكان اليهود في قلب البلدة القديمة. وجاء هذا القرار عقب مقتل الطالب والجندي يهوشوع سلومو من كريات أربع، هناك من رأى مقتله كرد فعل لمقتل شابين من بلدة حلحول المجاورة قبل ذلك ببضعة أشهر، ومهما يكن من أمر فقد اتخذ هذا الحادث كمحفز مهم لتغيرات جغرافية في ملامح المدينة.

فقد طالب مستوطنو كريات أربع الحكومة الإسرائيلية بالموافقة على مطالبهم - كرد فعل مناسب - والتي منها مصادرة خمسة آلاف دونم لتوسيع رقعة كريات أربع. والاستيلاء على خمسة بنايات وبضمنها مبنى الدبوياء وذلك لتهيئة ٥٤ غرفة للسكن، بالإضافة إلى ذلك طالب المستوطنون استخدام سياسة (اليد الحديدية) في التعامل مع السكان العرب (٢٢).

وجاء قرار حكومة التكتل إسكان اليهود في مدينة الخليل حلاً وسطاً بين رأيين مختلفين نوقشا أثر حادث اغتيال جندي من كريات أربع. فكان هناك من طالب بحملة إسكان مستعجلة داخل المدينة على الرغم من التشكيكات الأمنية التي سوف تتخذ للحراسة عند تنفيذ هذه الفكرة، ورفض آخرون هذه الفكرة الانتقامية، ونادوا بتكثيف عملية الاستيطان داخل كريات أربع (٢٣).

ويبدو أن تردد الحكومة الإسرائيلية في تبني الرأي الأول كان مقرونا بأسباب سياسة زمنية، مثل محادثات الحكم الذاتي في الضفة والقطاع، وكذلك القضايا الدبلوماسية بين إسرائيل ومصر. أما رئيس الحكومة نفسه فقد دعا إلى إقامة مدرسة دينية شبه عسكرية تكون في الوقت نفسه نواة مدينة. هذا وقد حظيت هذه الفكرة بتأييد واسع من أعضاء الحكومة، والحقيقة أن هذه الفكرة كانت قد وردت في عام ١٩٦٨. رافق قرار الحكومة منع تجول في المدينة طوال أسابيع مما سبب أضراراً كثيرة بالمدينة واقتصادها. أما مستوطنو كريات أربع فلم تسر عليهم هذه الأوامر، حيث كانوا يجوبون شوارع المدينة بحرية مطلقة (٢٤).

وعلى أثر ذلك احتج رئيس بلدية الخليل على قرار الحكومة التعسفي وعقد مؤتمرين احتجاجيين في آذار وفي أيار ١٩٨٠. حيث حاول فهد القواسمة أبران قضية الخليل كقضية كل الضفة الغربية وناشد بالمقاطعة الاقتصادية بين السكان العرب ومستوطني كريات أربع.

بعد أربعة أيام من هذا الحادث عقدت الحكومة الإسرائيلية جلسة خاصة لمناقشة الإمكانات المتعددة لتهويد الخليل. فاقترح شارون تسليم كل من السوق ومحطة الباصات

المركزية إلى أيدي مستوطني كريات أربع، ثم شق طريق عريضة للمسجد الإبراهيمي هكذا تحولت النقاط الثلاث «مبنى الدبوياء ومنطقة كنيس أبينا إبراهيم ومدرسة أسامة بن المنقذ» إلى أيدي المستوطنين، ولم يبق سوى تحويلها إلى أحياء سكنية والإيصال الجغرافي بينها<sup>(٢٥)</sup>.

#### ◆ تهويد مبنى الدبوياء:

اتخذ تهويد قلب المدينة طابع استيلاء على عدد من الأبنية ومن ثم تحويلها إلى نواة سكنية، ففي التاسع عشر من أيار ١٩٧٩، قامت جماعة من نساء كريات أربع بقيادة زوجة الحاخام ليفنجر بالاستيلاء على مبنى الدبوياء، الذي يقع في وسط مدينة الخليل، وطرد سكانها العرب، ورغم انتقاد رئيس الوزراء الإسرائيلي في حينه «مناحم بيغن» لهذا الاستيلاء وانتزاع البيوت بالقوة، فإن السلطات لم تطردهم منها، وبعد ذلك بقليل، وعلى ضوء مقتل ستة يهود في مبنى «بيت هداسا»، قرّر مجلس الوزراء القيام برد صهيوني ملائم، لإحياء المجتمع اليهودي في المدينة، فعمل على طرد رئيس بلدية الخليل فهد القواسمه وأبعاده<sup>(٢٦)</sup>.

أما الحكومة الإسرائيلية فقد أعلنت هي أيضا رفضها لهذه العملية باستثناء وزيرين أحدهما وزير الزراعة شارون وهو احد كبار مؤيدي أسكان اليهود في الخليل. قام فوراً بزيارة النساء المستوطنات مقدماً لهن تأييده. وهذا أدى بدوره إلى ازدياد قلق العرب المحليين بسبب الانسجام في العلاقات بين الجنود الإسرائيليين والمستوطنين وما وراء ذلك من عمليات متربصة بهم<sup>(٢٧)</sup>.

ظل التوتر يسود المدينة اثر قرار الحكومة السماح لليهود بالسكن في قلب الخليل حتى جاءت عملية الدبوياء المشهورة التي نفذها أربعة من الفدائيين الفلسطينيين في الثاني من أيار ١٩٨٠، حيث قتل ستة أشخاص وجرح ستة عشر آخرون، يقول درويش ناصر في كتابه: بان التخطيط لهذه العملية بدأ في نيسان ١٩٧٩ حيث كان الهدف الأساسي هو كريات أربع نفسها<sup>(٢٨)</sup>.

وهنا لم تترد الحكومة العسكرية في إصدار أوامر أجلاء لثلاث من شخصيات المنطقة إلى لبنان بعد ساعات معدودة من الحادث، وهم رئيس بلدية الخليل فهد القواسمي، ورئيس بلدية حلحول محمد ملح، والقاضي الشيخ رجب التميمي. وتحول مبنى الدبوياء فوراً إلى قاعدة عسكرية وأخذت الجرافات - كإعادة - تهدم أبنية حول نقطة الحادث مستغلة غياب ورعب السكان المحليين من التصدي لهم في مثل هذه المناسبات.

لقد كشفت عملية الدبويّا أمورا كثيرة بينها مثلاً أنّ المبنى المجاور الذي تطلق عليه السلطة اسم (بيت روكيع) كانا يهودياً بينما كان الظن بان الجيش هو المقيم في هذا المبنى. والحقيقة أنّ هذه التنسيق بين الجيش ومستوطني كريات أربع لم يغب عن أذهان أهالي الخليل (٢٩).

اجتمع الحاخام ليفنجر برئيس الحكومة بيغن، وحصل على موافقته على تحويل مبنى الدبويّا رسمياً إلى مساكن لعائلات يهودية، وقسم منه إلى مدرسة دينية حيث أرسل الطلاب إلى هذه المدرسة من مدرستين دينيتين من القدس وكريات أربع. كما حصل على ميزانية ترميم كنيس «أبينا إبراهيم» وبالإضافة إلى ذلك أنشأ المستوطنون مطعماً وصالة عرض وكذلك استعملوا المقبرة اليهودية القديمة (٣٠).

وهكذا - وحسب هذه الإستراتيجية - تحول مبنى الدبويّا ومنطقته إلى أول نواة سكنية يهودية في مركز مدينة الخليل.

#### ◆ تهويد مدرسة أسامة بن منقذ ومحطة الباصات المركزية:

تعدّ مدرسة أسامة بن المنقذ النقطة الثالثة بعد منطقتي مبنى الدبويّا وكنيس «أبينا إبراهيم» التي استولي عليها لغرض تحويلها إلى نواة سكنية يهودية في مركز المدينة. وقد أطلق عليها الإسرائيليون بيت رومانو، وهي بناية في وسط مدينة الخليل كانت تستخدم كمدرسة ابتدائية للطلبة العرب. وسيطر عليها المستوطنون في بداية عام ١٩٨٠م، واستخدمت للسكن وحوّلت فيما بعد لمعهد ديني.

أما بخصوص قصة إغلاق مدرسة أسامة بن المنقذ ومحطة الباصات المركزية المجاور في السابع من تموز ١٩٨٣ هي أيضاً مشابهة لغيرها من عمليات إغلاق وتحويل استعمالات ارض سابقة. هذه المرة أيضاً كرد فعل لمقتل احد مستوطني كريات أربع يدعى اهرن كروز إذ اعتبر مقتل المستوطن كروز سبباً مقنعاً لإغلاق المدرسة والمنطقة المجاورة (٣١).

لم تقتصر ردود فعل مقتل اهارون كروز على إغلاق منطقة أسامة بن المنقذ والاستيلاء عليها، بل سلم قائد المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي رئيس بلدية الخليل، بالوكالة مصطفى النتشة امراً عسكرياً يقضي بعزله وحل المجلس البلدي في يوم الحادث نفسه. كذلك عينت السلطة زامير شيمش الذي كان يشغل منصب حارس أملاك الغائبين رئيساً للبلدية. وتعيينه له أبعاد إستراتيجية تخدم سياسة تهويد المدينة، فكما ذكر النتشة: «أن حارس أملاك الغائبين أصبح يملك الآن سلطتين الأولى تتعلق بمعرفته بأملك الغائبين والحاضرين في المدينة، وبذلك يستطيع أن يتدخل في أي ملك من الأملاك الموجودة، والسلطة الثانية بصفته رئيساً للبلدية إذ يستطيع أن يهدم ما يشاء من البيوت العربية.

وهكذا لم تعد هناك حاجة إلى انتظار أو التسبب في أعمال العنف وحوادث القتل لتبرير عمليات الهدم والاستيلاء على الأبنية العربية بل يستطيع رئيس البلدية الجديد: الموافقة لمستوطني كريات أربع على العديد من طلباتهم»<sup>(٣٢)</sup>.

لقد عقب النتشة على أحداث السابع من تموز ١٩٨٣، وعزله من منصبه بعرض لائحة طويلة من أعمال عنف وتخريب قام بها المستوطنون ضد السكان العرب منها: وضع القنابل في ساحات المدارس وقلع الأعمدة الكهربائية وهدم خمسة بيوت في منطقة القصبه وإحراق سيارات باصات والسوق المركزي والأشد خطورة، تتمثل في حادثة قتل ثلاثة طلاب جامعيين في الجامعة الإسلامية في الخليل حيث تبين بان مدبري هذه العملية ينتمون إلى خلية تخريبية يهودية تعمل منذ سنوات ضد السكان العرب في المناطق المحتلة<sup>(٣٣)</sup>.

وتجدر الإشارة أن مدرسة أسامة بن منقذ ومحطة الباصات ما زالتا معلنتين كمناطق عسكيتين محاطتين بالأسلاك الشائكة يقيم فيها الجنود والمستوطنون.

#### ◆ تهويد بناية الدبوياء:

تقع في قلب مدينة الخليل، (بيت هداسا) وتعود للعهد التركي، وتحولت لمشفى في عهد الانتداب، ثم مدرسة لوكالة الغوث الدولية في العهد الأردني عام ١٩٦٥، وفي عام ١٩٧٥ قامت زوجة ليفنجر بالاستيلاء على المبنى<sup>(٣٤)</sup>.

#### ◆ تهويد تل الرميده:

تعدّ منطقة تل الرميده الواقعة في الجزء الجنوبي من البلدة القديمة احد المناطق الأثرية والمقدسة حيث يتواجد بها ثلاث مقابر يهودية لطوائف الاشكناز والكراتيين<sup>(٣٥)</sup>. واعتبر المستوطنون أن الخليل القديمة كانت تقوم بالقرب من المدينة الحالية على تلة الرميده المغطاة بأشجار الزيتون، وكانت تضم بركتين هما بركة القزازين، وبركة السلطان وذلك في جنوبها الغربي<sup>(٣٦)</sup>.

#### ◆ تهويد مسجد مشهد الأربعين:

استولى اليهود على ١٢ دونماً في محيط المسجد ومنعوا لجنة الأعمار من ترميم المسجد، تمهيداً للاستيلاء عليه بحكم قربه من مستعمرة «تل الرميده»<sup>(٣٧)</sup>.

#### ◆ تهويد منطقة خارصينا:

أقيمت مستوطنة غفعات خارصينا في العام ١٩٨٢، إلى الشمال من مستوطنة كريات أربع، وبمسافة لا تبعد عنها أربعة كيلومترات على أراضي مدينة الخليل، وفي منطقة لا تبعد سوى أمتار عدة عن مواقع البيوت حفاي إلى الجهة الجنوبية من مدينة الخليل وبمسافة لا تبعد سوى عشرات الأمتار عن البيوت العربية في المدينة<sup>(٣٨)</sup>.

ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد فقد هُودت مساحات واسعة من الأراضي حول المدينة لإقامة حزام استيطاني كما جرت في عام ١٩٨١ مصادرة مساحات واسعة من أراضي القرى المحيطة بالخليل، لإقامة حزام ثانٍ من المستعمرات على دائرة أوسع من الحزام الأول ومن ذلك، إقامة مستعمرة كرمئيل على أراضي بلدة يطة، ومستعمرة متسفس جبرين على أراضي قرية ترقوميا، ومستعمرة تشيغوت على أراضي قرية صورييف وبيت امر. ومستعمرة كرمي، تسور، بني، خفير، كراميل، ماعون، سوسيا، بيت حجاي، عتائيل، شيمعة، ظانا، اشكو لوت، نيغوهوت، تيلم، أدوره<sup>(٣٩)</sup>. حيث بلغ عدد المستوطنات في المحافظة (٢٧) مستوطنة و (١٧) بؤرة استيطانية.

### ثانياً. هدم البيوت والقرى:

تنطلق دولة إسرائيل من مفاهيم توراتية (أو بالأصح يزعم أنها توراتية) بان الأرض ملك لها وحدها، ولا حق لغير اليهود في الإقامة فيها، وبناء على هذه المفاهيم، وبسبب الشهوة الجامحة للامبريالية الصهيونية في التوسع فقد لجأت إسرائيل منذ عام ١٩٤٨م إلى هدم البيوت والقرى العربية وطرد سكانها حتى تضمن الأرض لليهود وحدهم. ويذكر تقرير حقوق الإنسان الذي أعده البروفيسور شاحاك رئيس جمعية حقوق الإنسان في إسرائيل، أن إسرائيل هدمت (٣٨٥) قرية عربية في فلسطين من أصل (٤٧٥) قرية<sup>(٤٠)</sup>.

وفي عام ١٩٦٧ هدمت إسرائيل في محافظة الخليل قرى بيت عوا وبيت مرسم، وذكر في تقارير حقوق الإنسان أن إسرائيل هدمت في الضفة وقطاع غزة (ومن ضمنها القدس) في المدة الواقعة بين عامي ١٩٦٧ - ١٩٧١ (١٦٣١٢) بيتاً عربياً كانت حصة محافظة الخليل منها (٦٠٥) إذ لا يعرف العدد الحقيقي للبيوت العربية التي هدمتها إسرائيل سواء داخل الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م، التي أقيمت عليها إسرائيل، أو في الأراضي المحتلة منذ عام، ١٩٦٧ لأن إسرائيل مستمرة في عمليات الهدم، رغم عملية السلام، ورغم مخالفة ذلك لكل الأعراف الدولية والقوانين المحلية<sup>(٤١)</sup>.

في كل مرة كان يستغل المستوطنون أي حادث ضدهم، وأحياناً بدون حوادث ضدهم، حتى يقوموا بخطوة تحقق لهم تعزيز الاستيطان في البلدة القديمة من الخليل، والاستيلاء على البيوت والممتلكات العربية، هذا إضافة إلى سعيهم المتواصل لإعطاء بعض القانونية لسلوكتهم الاستيطاني خاصة فيما يتعلق بعملية البناء في وسط المدينة التي تخضع لسلطة البلدية ولجنة التنظيم المحلي فيها.

هدم الاحتلال الإسرائيلي العديد من المنازل والأبنية التاريخية وسط مدينة الخليل يرجع تاريخ بنائها إلى العصر المملوكي والعثماني، وإضافة إلى الاستيلاء على بعض الأبنية في داخل المدينة وتحويلها إلى أحياء سكنية.



### ثالثاً. جدار الفصل العنصري:

هو جدار سياسي هدفه فرض وقائع جديدة على الأرض عبر إزاحة حدود عام ١٩٦٧ إلى داخل الأراضي الفلسطينية، وضم أكبر مساحات ممكنة من الأراضي مع أقل عدد من السكان. والذي يمر بأراضي المحافظة، ويبلغ طوله أكثر من (١٨٦) كم، ويلتهم أكثر من ٦٠٪ من مساحة الأراضي الزراعية، و١٥٪ من الأراضي المروية، وما مساحته (٥٦٥) ألف دونم من الأراضي بشكل عام، وضمها للمستوطنات التي وُسِّع معظمها، ويقتلع الجدار أكثر من (٢٥٠) ألف شتلة زيتون، ويقتطع مساحات واسعة من الأراضي الرعوية، ويدمر بنية الإنتاج الزراعي بشقيه النباتي والحيواني، ويسيطر على مصادر المياه، حيث شكل ضربة قاتلة للاقتصاد في المحافظة، وسيؤدي هذا الجدار إلى محاصرة حوالي (٤٠) ألف مواطن، يقيمون داخل البلدة القديمة من الخليل، وهذا يشكل كارثة حقيقية لسكان محافظة الخليل. وقسم الجدار العنصري والطرق الالتفافية المحافظة إلى (٦) مناطق مقطوعة ومعزولة عن بعضها بعضاً، ويحاصر المحافظة ويعزلها عن بقية محافظات فلسطين. والتغيرات الجديدة في مسار الجدار في الضفة الغربية من جنوب محافظة الخليل باتجاه الشمال الشرقي والذي على أثره تم إضافة (٥.٥٣) كيلومتر على طول الجدار، وعزل على أثرها (٧٨٠.١٥٣) ألف دونم ما بين امتداد الجدار الجديد والخط الأخضر على جانب البحر الميت.

وفي أعقاب اتفاقية الخليل في عام ١٩٩٧ تم تقسيم المدينة جغرافياً وبشرياً إلى قسمي (H1) و (H2)، وازدادت خطوات الاحتلال ضراوة، في إجراءات تهويد المدينة، التي أخذت أشكالاً وأساليب عديدة، منها هدم البيوت، وتشريد السكان، وإغلاق المحلات التجارية بأوامر عسكرية، والاعتداء على المواطنين بدم بارد وإحراق المنازل والممتلكات وتدمير منازل ومنشآت ومداهمات البيوت السكنية ليل نهار، واعتقالات بالجملة، وأدى بناء جدار الضم والفصل العنصري حول البور الاستيطانية، وارتكاب أعمال تدمير وتجريف للأرض والأشجار، ووضع السكان في سجن كبير، وحواجز حديدية وأسمنتية، و(٧) بوابات الكترونية، و(٥) بوابات مغلقة، ونقاط التفتيش العسكرية في كل الطرقات، وعلى أسطح المنازل.

وجاء بناء جدار العزل هذا ليعمق المشكلة، ويزيد الطين بلة على بلة، ويفصل المئات من العائلات العربية داخل البلدة القديمة، والمنطقة التي تسمى (H1) و (H2)، وسيتم تدمير مئات المنازل التاريخية المأهولة، وبخاصة مناطق تماس مزدحمة بالسكان، كما

شُرِّدت مئآت العائلات، ودمّرت المزيد من الأراضي الإضافية، وإن هذه الإجراءات سببت خسائر فادحة، مما يزيد الإجراءات والضغوطات على المواطنين لإرغامهم على الهجرة القصرية، وهذه هو الهدف الأساس لسلطات الاحتلال الصهيونية، بالإضافة إلى الجدار الداخلي حول المستوطنات التي تقع داخل المدينة، والجدار الخارجي الذي بدأ من مستوطنة مجدال عوز بالقرب من بيت أمر، مروراً بصوريف، وخاراس، ونوبا، وبيت أولاً، وترقوميا، وبلدة إزنا، ودير سامت، وبيت عوا، والبرج، وعرب الرماضين، والسموع جنوباً، وإلى منطقة أم الدرج شرق بلدة يطا، وإلى أن يصل إلى بلدة بني نعيم في السفوح الشرقية لمحافظة الخليل، حيث يضم بذلك مستوطنات عدة من بينها كرمئيل، وماعون، وسوسيا، وبني حيفر، ومن المعروف أن الجدار يبقي (٧) تجمعات سكانية بدوية خارج الجدار، و (٦٨) قرية وخرية صغيرة تابعة لعدة بلدات في هذه المنطقة (٤٢).

وبتاريخ ٣٠ / ١٠ / ٢٠٠٧ قامت رحلت إسرائيل أكثر من (٣٣) عائلة فلسطينية من خربة قصة القرية من بلدة إزنا وقامت هذه القوات بهدم البيوت والمغر وتدمير مخزون الحبوب والأعلاف وطردوا من أراضيهم إلى الجهة الشرقية لجدار الفصل العنصري. وإضافة إلى المنطقة الأمنية العازلة التي أقامتها قوات جيش الاحتلال الإسرائيلي على الطرق الجانبية، والتي تبدأ من منطقة الظاهرية، وتحديداً من منطقة عرب الفريجات، وحتى مستوطنة الكرمل في الجنوب الشرقي لبلدة يطا، وتقع على الطريق رقم (٣١٧) المخصص للمستوطنات الصهيونية في محافظة الخليل، وتعزل هذه المنطقة الأمنية أكثر من (٥٠٠) مواطن، يسكنون في العديد من القرى والتجمعات والخرب العربية الصغيرة، ومن الواضح أن هذا المخطط سيحصر بلدات الظاهرية والسموع ويطا، بين منطقة الطريق الجديد المنوي أقامته، وبين مسار الجدار المبني حالياً، حيث أن سكان هذه البلدات ممنوعون من المرور عبر الطريق رقم (٣١٧) ، والطريق رقم (٦٠) ، للوصول إلى أراضيهم، وزيارة أقاربهم المحاصرين في هذه المنطقة، التي تقدر بألاف الدنومات من الأراضي الزراعية الخصبة، والمناطق الرعوية، والتي ستتضرر جراء ذلك العديد من العائلات التي تعتمد كلياً على الزراعة والفلاحة وتربية المواشي، إضافة إلى إخطار عشرات المنازل بوقف البناء والهدم، حيث خلق مشكلة اجتماعية تضاف إلى المشكلات القائمة، إضافة إلى الناحية الأمنية الخطيرة، المتمثلة في أن كل مواطن يقترب من هذه المناطق، سيكون عرضة إلى إطلاق النار والموت، أضف إلى ذلك أضرار لا تحصى لحقت بالمواطنين في النواحي الصحية والنفسية والتعليمية، هذه الفظائع والجرائم الخطيرة والممنهجة تهدف وبكل وضوح إلى خنق المواطنين اقتصادياً وسياسياً ووجودياً، وإرغامهم على التشريد والتهجير والترحيل (٤٣).

## رابعاً. التزوير وسرقة التراث والتاريخ:

لم يكتف الكيان الصهيوني بسرقة الأراضي، بل سعوا عبر وسائل عديدة لنهب التراث والتاريخ ونسبه إليهم، لا يقتصر الأمر عند هذا الحد بل، سرقة الزي الشعبي وما تحتضنه الأرض من آثار وكنوز. وفي كثير من الأحيان تغير المسماة العربية للعديد من المناطق وتستبدل بمسميات صهيونية في ظل مخطط متكامل للحلقات لسرقة هوية وتراث الأمة، وهو ما يسير جنباً إلى جنب مع ما يجري على الأرض من تهويد واستيطان وتغيير لمعاملها.

أما بالنسبة للاعتداءات التي يتعرض لها التراث الفلسطيني منذ سنوات طويلة على أيدي آلة الاحتلال الصهيونية، التي لا ترحم، ففي الضفة الغربية تنتشر العديد من المعارض والمحلات المتخصصة في بيع الأدوات الفخارية والزجاجية المستوحاة من التاريخ والتراث الفلسطيني ورسمتها أيد فلسطينية، لكنها تسوق للسياح الأجانب على أنها تراث صهيوني.

وبحسب عدد من باحثي التاريخ الفلسطينيين فان مصنوعات الفخار التي يعرضها الصهاينة في متاحفهم ومتاجرهم، هي من أنتاج عربي وبأيد فلسطينية انتقلت إليهم من أجدادهم الكنعانيين، ونتيجة لصعوبة الأوضاع الاقتصادية يضطر بعضهم لبيعها لتجار صهاينة، وفي أحيان أخرى يحصل بعض أصحاب مصانع على رسومات معينة من التجار الصهاينة، ويقومون بتصنيعها لهم.

إن سرقة التراث الفلسطيني لا تقف عند حد مصنوعات الفخار، فهناك تجار عرب متجولون يشتررون الملابس القديمة والنحاسيات والصكوك المعدنية من السكان المحليين، ثم يقومون ببيعها لتجار متخصصين لتعرض بالتالي في المتاحف الصهيونية.

وصلت مساعي الصهاينة لسرقة التراث الفلسطيني إلى حد قيامهم بإضفاء الصبغة اليهودية على حجارة البيوت الفلسطينية القديمة، حيث يسرق الصهاينة الحجارة التاريخية التي شيدت بها البيوت العربية في القرى والقصور التاريخية، وفي الوقت نفسه يقومون بالتشكيك بالوجود الحضاري الفلسطيني.

وتشير المعلومات إلى أن بعض المواطنين الفلسطينيين تدفعهم ظروفهم الاقتصادية الصعبة، إلى التنقيب عن الآثار وبيعها للتجار الصهاينة والذين يسارعون على الفور إلى الادعاء بأنها مقتنيات صهيونية في مسعى صهيوني لطمس الهوية العربية والإسلامية، وتأكيد الحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين.

ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد حتى الكوفية الفلسطينية هي الأخرى وصلت إلى مربع السرقة حيث قام مؤخراً قام أخيراً المصممان الصهيونيَّان جابي بن حاييم، وموكي هرئيل

بتصميم الكوفية. المعروفة بألوان علم الكيان ونجمة داوود. في محاولة للاستيلاء على التراث الشعبي الفلسطيني، وقال بن حاييم وهرئيل: ان خطوط الكوفية التي صمماها ستكون بالأزرق، على خلفية بيضاء.

كشفت صحيفة ידיעות احرونوت أن وزير المواصلات الإسرائيلي يسرائيل كاتس المعروف بتوجهاته اليمينية المتطرفة، أمر بتهويد أسماء البلدات والمدن المكتوبة على الإشارات واللافتات المنتشرة على الشوارع والطرق الرئيسية، ويقضي قرار التهويد بشطب الأسماء العربية والإنجليزية لأكثر من ألفي مدينة وبلدة، والإبقاء على أسمائها العبرية فقط، مع كتابتها بالأحرف العربية والإنجليزية، وبعد تطبيق القرار سيشتب اسم القدس ويستبدل به اسم «يروشلايم» وبينها مدينة الخليل التي سيصبح اسمها «حيفرون»، وقريات أربع وبيت هداسا واسمها «بناية الدبوا»، وغفعات خارصينا، والنهر الخالد... الخ (٤٤).

واعتبر خبراء في الشأن الفلسطيني قرار الكيان الصهيوني بتغيير أسماء العربية إلى أسماء عبرية وصهيونية، جاء لطمس هويتها، استمراراً لمسلسل تهويد المدينة، والوقوف ضد ملفات حق العودة التي يطالب بها الفلسطينيون في الخارج.

وذكرت كثير من الدراسات أن الدولة العبرية قبيل إعلان قيام الدولة لم يكن لها تراث على الإطلاق، لذلك اعتمدت في تكوين ثقافتها على اليهود الذين جاؤوا من مختلف بقاع الأرض ليحملوا ثقافة وحضارة شعوبهم ودولهم حيث أعيد تشكيل هذه الثقافات مع وضع أهداف محددة لها إلى جانب صياغتها يهودياً لتصبح تراثاً يهودياً في واحد من كبرى عمليات الخداع الصهيونية، واستغلت الدولة العبرية هذه الأفكار في السيطرة على الأراضي العربية، بوضع مجموعة أفكار ومفاهيم تاريخية تمتد جذورها لآلاف السنين لتؤكد أن لها تاريخاً مزعوماً على هذه الأرض، وأن لها بالتالي حقاً في الوجود عليها.

## ممارسات المستوطنين واعتداءاتهم:

هناك اعتداءات شبه يومية من قبل المستوطنين على سكان محافظة الخليل وممتلكاتهم، وتعريض حياتهم للخطر، وهذه بعض الأمثلة على الممارسات والانتهاكات من قبل المستوطنين:

١. إحراق المنازل والممتلكات: على أثر مقتل أحد المستوطنين في منطقة قريبة من الحرم الإبراهيمي بتاريخ ٢٨\٥\١٩٩٣، فرضت قوات الجيش منع التجول على مدينة الخليل بأكملها، بعدها أخذ المستوطنون يتجولون في الشوارع، ويقومون بالتحطيم والتكسير للممتلكات العربية والاعتداء على كل من يصادفهم، واقتحام المنازل والاعتداء

على سكانها، وإتلاف محتوياتها وأحياناً إحراقها، وغالبية الممارسات كانت تتم على مرأى من الجنود الذين كانوا بالقرب منهم أو يرافقونهم في تحركاتهم، وقد تركزت عمليات حرق المنازل في البيوت القريبة من مكان الحادث، حيث تم أحرق أربعة منازل وثلاثة محلات تجارية، وقد أتت على جميع محتويات المنازل.

٢. **عمليات القتل وإطلاق النار:** نتيجةً لسماح حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي يتسحاق رابين للمستوطنين اليهود بالتسلح وبدون حاجة إلى الترخيص، أدى وجود السلاح بين أيدي المستوطنين الأثر في استخدام الواسع له ما ينتج عنه من عمليات قتل وإصابة للمواطنين العرب، وهذا يشجع عمليات القتل الذين يلجأون إلى استخدام سلاحهم بشكل شبه دائم، وفي كثير من الأحيان وقعت عمليات القتل (٤٥)، وفي غالبية حالات القتل التي قام بها المستوطنون - إن لم يكن جميعها - لم تكن حياتهم معرضة للخطر، ولم تقع تحت بند الدفاع عن النفس، وفي بعض هذه الحالات كانت تحركهم للقتل مشاعر الكراهية والحقد فقط، ولعل حادثة مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف أكبر دليل على ذلك.

٣. **مضايقة السكان العرب والتحرش بهم:** تتمثل هذه المضايقات بإلقاء القاذورات باتجاه المنازل القريبة من المستوطنات، وإلقاء الحجارة باتجاه البيوت المجاورة وتحطيم زجاجها، وإغلاق الطريق المؤدية إلى هذه البيوت بحاجز عسكري، والتدقيق في هوية السكان المتوجهين إلى منازلهم القريبة من المستوطنة، بالإضافة إلى قطع المياه التي تزود تلك البيوت، حيث إنه وفي عام ١٩٩١ قام المستوطن «باروخ مرزيل (سكرتير عام حركة كاخ العنصرية) بإلقاء الحجارة من باحة منزله باتجاه بيت إسحاق خليل أبو ساكور ابو عيشة القريب من مستوطنة رامات يشاي» مما أدى إلى تحطيم الزجاج وإصابة الطفلة ريماء وعمرها ٦ سنوات بجروح في رأسها بطول ٦ سنتيمتر (٤٦).

٤. **اقتلاع الأشجار وأتلاف المزروعات:** يتعرض المزارع في محافظة الخليل يومياً تقريباً لخلع المزروعات وقلع الأشجار من قبل المستوطنين، وخاصة في المناطق الريفية والزراعية القريبة من المستوطنات التي تحيط بالقرى الواقعة في محافظة الخليل، وتعتبر هذه الممارسات عن سياسة دائمة، وذلك بهدف الاستيلاء على الأراضي وتوسيع حدود المستوطنات، كما يحدث أحياناً في مستوطنة سوسيا القريبة من بلدة يطا وغيرها من المستوطنات، وتهدف ممارساتهم إلى التوسع وإجبار أصحابها إلى ترك أراضيهم، وقد أقدم مستوطنو سوسيا بتاريخ ١٤ / ٦ / ١٩٩٣ على إحراق ٤٠ شجرة زيتون مثمرة، إضافة إلى إحراق خمسة آلاف شجرة رعوية.

## الموضوع الثاني: سبل المحافظة على التراث الشعبي في محافظة خليل الرحمن:

يعدّ التراث الشعبي من الدراسات التي تأخر الاهتمام بها في العالم العربي، على الرغم من غنى هذا التراث وأهميته بالنسبة لنا، وبدا الاهتمام بدراسة التراث الشعبي الفلسطيني جمعاً ودراسة بعد نكبة عام ١٩٤٨م، ألا أن هذا الاهتمام ازداد بعد النكبة الثانية في عام ١٩٦٧م، عندما أحس المهتمون بخطورة ما آلت إليه الأمور في فلسطين عامة والخليل خاصة<sup>(٤٧)</sup>.

وبالرغم من الجهود الفلسطينية المتواضعة، فإنها تمكنت من تحريك الطاقات، وخلق أجيال من المهتمين الذين دأبوا على الجمع والتميز والدراسة والحفاظ عليه، فظهرت بعض الدراسات المبكرة في منهاجها ونتائجها.

ونتيجة الخوف المتزايد على التراث الشعبي من الاندثار أو التحريف أو السطو عليه كما فعل الصهاينة، الأمر الذي استدعى الاهتمام بهذا التراث وتدوينه وحفظه؛ لأنه يمثل حياة الشعب وتقاليد من جهة، ومن جهة ثانية يكون عنصراً فاعلاً في الحفاظ على شخصيتها، وعلى بعث الإحساس القومي الصاحب فينا الذي يشكل تحدياً حاسماً لكل عمليات الإبادة والتهويد. إن «التعرف على ثقافتنا والتشبث بكل لوحة وكل رسم وكل موال ولحن يربطنا بالأرض التي اقتلعنا منها»<sup>(٤٨)</sup>.

والتراث الشعبي الفلسطيني لم يكن مجرد دراسة تقبّع في كتاب، وإنما كان موجهاً لخدمة أغراضه القومية والوطنية، ولخدمة ثقافة شعب نهبت أرضه، وسرق تراثه الشعبي وغير الشعبي، وكان من أسباب نجاح المهتمين بالتراث وانطلاقه من المحلية إلى العالمية، أن دارسي هذا التراث قد عملوا على الارتقاء بالعمل الميداني، واختيار النماذج التي تصلح للظروف المتجددة، عندما انتقلت دراسة التراث إلى آفاق لم تصل إليها من قبل<sup>(٤٩)</sup>.

إن ضياع تراثنا الشعبي، يعني ضياع بعض معالم هويتنا، وحرمان أجيالنا اللاحقة من التعرف إلى هذا التراث، وحرمان الدارسين والباحثين من الوثائق والمواد اللازمة لدراساتها وأبحاثهم في العلوم الإنسانية. وإن الاهتمام بالتراث الشعبي لم يكن وليد الصدفة، ولا ثمرة اجتهاد شخصي أو باحث فرد، بل إن الواجب القومي والوطني يلزمنا أن نقوم بتدوين تراثنا ونقله ودراسته دراسة علمية وغربلته واستئصال الغث المدسوس فيه من الثقافات الأخرى، والتمسك بالإيجابي، لأن التراث هو الهوية ونحن شعب يقاتل من أجل الهوية. أما إذا كان اهتمامنا بالتراث يقوم على أساس التدوين والمتحفة فقط، فهذا هو العقم الحضاري والفكري بعينه<sup>(٥٠)</sup>.

إن المخاوف المتزايدة على التراث الشعبي من الاندثار والضياع بسبب الهجمة الصهيونية، وبسبب زوال الجيل القديم الذي يدخر هذا التراث، دفعت الباحثين إلى تدوينه ودراسته بغية أحيائه واستلهامه ونقله إلى الأجيال القادمة، وفي ضوء ذلك تأتي أهمية الأدوار التي تحافظ على التراث الشعبي وحمايته من الضياع، وهي على النحو الآتي:

### ١- دور المؤسسات الشعبية:

اهتمت المؤسسات الشعبية في محافظة الخليل بأهمية الحفاظ على التراث نتيجة للأوضاع السائدة في المنطقة، وخاصة الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية، ومن هذه المؤسسات، الجمعيات، المعارض، المتاحف.

#### ♦ الجمعيات:

نتيجة للأوضاع السائدة في محافظة الخليل بسبب الاحتلال الصهيوني لأراضيه، أدى إلى تزايد الشعور بالإحساس بالخطر الذي يهدد تراثهم الشعبي ويهدد وجودهم على أرض وطنهم، وتضافرت العديد من الجهود للوقوف أمام كل أساليب العنف والطمس من الاحتلال الإسرائيلي. وظهرت العديد من الجمعيات والمؤسسات في محافظة الخليل كان محور رسالتها الحفاظ على التراث وحمايته، ومن بين هذه المؤسسات:

#### ♦ لجنة أعمار الخليل:

انطلاقاً من الحرص على الحفاظ على الخليل وصيانة تراثها الحضاري والثقافي، ولإنقاذ البلدة القديمة من أطماع المستوطنين اليهود، أصدر الرئيس ياسر عرفات قراراً رئاسياً في الثاني عشر من شهر آب لعام ١٩٩٦ يقضي بتشكيل لجنة إعمار الخليل من شخصيات ومؤسسات وفعاليات محافظة الخليل<sup>(٥١)</sup>. وكان من ضمن أهدافها منذ بداية تأسيسها حماية التراث الخليلي، ومن أبرز هذه الأهداف:

- مواجهة الاستيطان اليهودي ومحاصرته داخل البلدة القديمة، من خلال تطوير البور الاستيطانية بملقات من المباني المأهولة لمنع توسعها أفقياً، ومنع التواصل العمراني لهذه البور بزيادة الكثافة السكانية العربية بينها.
- الحفاظ على التراث الثقافي، من خلال الحفاظ على عناصر الوحدة التكوينية للمبنى القديم، وصولاً للحفاظ على النسيج العمراني بأكمله.
- إحياء البلدة القديمة، من خلال تعزيز ارتباط السكان بها، وإعادة استخدام المباني المهجورة، وتأهيل البنية التحتية، وربط البلدة القديمة بباقي أجزاء المدينة.

أما بالنسبة لأهم الأعمال التي تقوم بها لجنة أعمار الخليل، والتي ساهمت في حماية التراث من الاحتلال الإسرائيلي:

- ترميم المباني التاريخية: - حيث تعمل لجنة إعمار الخليل على ترميم المباني السكنية القديمة من أجل الحفاظ على ثقافة البلدة العتيقة وتراثها واستقطاب عائلات جديدة للسكن والحفاظ على العائلات الساكنة من خلال تقديم خدمات متنوعة مثل: الخدمات الاجتماعية والصحية والاقتصادية وتقديم الدعم المالي وعقد الفعاليات ثقافيه والترفيه.

- إعادة تأهيل البنية التحتية: تعمل اللجنة على إعادة تأهيل البنية التحتية لشوارع البلدة القديمة، بالإضافة إلى إعادة تأهيل الحدائق والملاعب بحيث تكون تنفسات للسكان.

- توعية المجتمع المحلي: توعية في مجال البيئة والتراث الثقافي والاندماج الاجتماعي. ويركز البرنامج على البلدة القديمة، ويستهدف جميع الفئات العمرية الرجال وربات البيوت، الأطفال.

- الحفاظ على المسجد الإبراهيمي الشريف: تقوم لجنة إعمار الخليل وبالتعاون مع دائرة الأوقاف الإسلامية بترميم الحرم كاملاً، وإظهار جماليات المبنى وإعادة الألوان المختلفة داخله إلى سابق عهدها.

- الوحدة القانونية: حيث تقوم برصد الانتهاكات الإسرائيلية ضد الساكنين وتوثيقها وتقديم الشكاوي للمحاكم الإسرائيلية، وكذلك توعية المواطنين بحقوقهم الإنسانية والمدنية من خلال ورش العمل واللقاءات المتكررة.

- قسم النشاطات والفعاليات: الزيارات والجولات الميدانية، حيث تعمل لجنة أعمار الخليل على تنشيط الحركة السياحية واستقطاب المواطنين والزوار إلى البلدة القديمة وقد وضعت مساراً سياحياً للجولات والزيارات في البلدة القديمة، بحيث تشمل هذه الجولات المواقع التاريخية والمشى في الحارات والأسواق القديمة، وكذلك إظهار الوضع السياسي العام للمدينة. من خلال المحاضرات، والعروض، ومعارض الصور الفوتوغرافية، والأفلام الوثائقية والمحادثات الميدانية، والتي تهدف جميعها إلى ترويج البلدة القديمة من الخليل. كما تعمل اللجنة على عقد العديد من الفعاليات والأنشطة على مدار العام تختلف وتتنوع حسب كل موسم. مثل مهرجان المأكولات الشعبية، ومعرض الحرف التقليدية والمطرزات.



### ◆ مركز السنابل للتراث الشعبي الفلسطيني:

تأسس مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في بلدة سكير - التي تقع شمال شرقي مدينة خليل الرحمن والتي تعدّ من البلدات العريقة والقديمة في التاريخ الإنساني - سنة ١٩٩٦م، ومن الأهداف التي حققها المركز في المحافظة على التراث الخليلي، هي:

- جمع المواد النظرية المتعلقة بالتراث الشعبي الفلسطيني وتوثيقها.
- إجراء الدراسات التربوية والاجتماعية وعمل المسوحات الأكاديمية واستطلاعات الرأي والجدوى الاقتصادية.
- جمع المواد اللازمة لإقامة متحف التراث الشعبي.
- استكمال إجراء ونشر حلقات سلسلة « لكي لا تنسى » في التراث الشعبي الفلسطيني وإصدار الكتب.
- إقامة المعارض التراثية والمهرجانات والندوات والمؤتمرات والمحاضرات وورش العمل.
- إصدار قاموس الأمثال الشعبية وترجمتها إلى لغات أجنبية.
- التنسيق مع المراكز التراثية والبحثية المحلية والعربية والعالمية لتحقيق التعاون والأهداف المشتركة.
- إنتاج الأفلام التوثيقية للتراث الشعبي وتوزيعها.

### ◆ المتاحف:

ساهمت المتاحف - وما زالت - تساهم في المحافظة على التراث الفلسطيني، وذلك عن طريق حماية أدواتنا وفنوننا وملابسنا الشعبية، ومن الأدوات التي تحفظها هذه المتاحف مثلا الفخار، وهي من الأدوات الفخارية الفلسطينية التي يهددها الخطر، ومعظم هذه الأدوات وجدت طريقها إلى الأسواق الإسرائيلية، إذ تهافت الإسرائيليون على شرائها حتى أفرغوا المحافظة منها، وهم يحتفظون بها في متاحفهم، ويزينون بها مداخل بيوتهم وساحاتهم. بينما نحن أصحاب هذا التراث نفقده، ونفقد معه جزءاً من ثقافتنا الشعبية حوله (٥٢).

إن المتاحف النشطة هي الوسيلة الملائمة لحماية مثل هذه الأدوات المادية، وعلينا تقصي مظاهر السلوك المتعلقة بها ودراستها، إذ لا يكفي الاحتفاظ بهذه الأدوات الجامدة. فالمعاني والرموز والوظائف المتعلقة بهذه الأدوات، هي الرسالة المطلوبة من المتحف

أن يؤديه، ومن هذه المتاحف، متحف السنابل الذي عكف منذ تأسيسه على جمع المواد العينية لإقامة متحف شعبي ضمن الإمكانيات المتاحة بهدف نشر المعرفة لخدمة المجتمع، والمحافظة على تراثه وماضيه لتطويره من أجل المساهمة في بناء مستقبل أفضل لفتح آفاق المعرفة والاتصال والعرض والدراسة والتعليم والترفيه.

#### ◆ المعارض:

ومن الوسائل الأخرى للمحافظة على التراث الشعبي في محافظة الخليل إقامة المعارض المؤقتة التي تضم في طياتها أدوات مادية من مطرقات تتعلق بالملابس وقطع الزينة والفنون الشعبية، وبادرت العديد من مؤسسات محافظة الخليل إلى إقامة مثل هذه المعارض كنشاط مستقل، أو على هامش نشاطات أخرى تقيمها، وتهدف هذه المعارض إلى التعريف بجوانب من الحياة الشعبية الفلسطينية بأدواتها وفنونها التقليدية، ومن هذه المعارض التي ساهمت في حماية التراث لجنة أعمار الخليل، وقد أقامت العديد من المعارض مثل معرض للصور، ومعرض للمطرقات والحرف التقليدية، ومعرض الفسيفساء، والأمسيات الثقافية والفلكلورية والأغاني الفلسطينية وفرق الدبكة، ومهرجان المأكولات الشعبية.

#### ◆ المجالات:

ساهمت المجالات والصحف الوطنية في حماية التراث الشعبي، من خلال فتح صفحاتها لأبحاث ومقالات وتعليقات الكتاب والباحثين، وتشجعهم على الكتابة في هذا المجال، وإجراء اللقاءات مع المهتمين بالتراث الشعبي من أجل استمرارية الاهتمام به وتعميقه، ومن المجالات التي اهتمت بالتراث في محافظة الخليل، مجلة السنابل التي تصدر عن المركز السنابل، وهي مجلة فصلية متخصصة في الدراسات الاجتماعية والتراث الشعبي، ويحررها إدريس جرادات، ولها هيئة تحرير استشارية.

صدر منها أعداد عدة، كما أصدرت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية تعميماً يسمح باقتناء المجلة في مكتبات المدارس الحكومية والخاصة. ومن النشاطات الفاعلة لهذه المجلة ورش العمل واللقاءات التراثية والندوات والمهرجانات والمؤتمرات، حيث أقام المركز مؤتمر القضاء العشائري في ظل السلطة الوطنية الفلسطينية برعاية الأخ الرئيس المرحوم ياسر عرفات. كما شارك المركز في مهرجان ليالي رمضان الذي نظّمته وزارة الثقافة الفلسطينية، وشارك في مهرجان أروطاس للثقافة والفنون في بيت لحم ومهرجان التوجيه الوطني والسياسي في ترقوميا، وحصل المركز على شهادات تكريم وتقدير عدة.

ومن الإصدارات التي صدرت عن مجلة السنابل:

- الطب العربي الشعبي في فلسطين.
- الدار قفرا والمزار بعيد.
- نهج الترديد في نغم الأناشيد.
- الصلح العشائري وحل النزاعات في فلسطين.
- نفحات عطرية من القصص التراثية.
- الأغنية الشعبية النسائية.
- من مطبخ جدتي - أكلات شعبية فلسطينية.

## ٢- دور الأفراد والباحثين:

التراث الشعبي يعدّ من الدراسات التي تأخر الاهتمام بها، وبدأ الاهتمام بدراسة التراث الشعبي الفلسطيني جمعا ودراسة، بعد نكبة عام ١٩٤٨م، إلا أن هذا الاهتمام ازداد بعد النكبة الثانية في عام ١٩٦٧م، عندما أحس المهتمون بخطورة ما آلت إليه الأمور في فلسطين، وأدركوا أن الاهتمام بالقضية الفلسطينية لا يبدأ بالنضال الرسمي وحمل السلاح، وإنما لا بد ان يبدأ من القواسم المشتركة التي تجمع الناس على نظرة واحدة إلى القضية، وهكذا استطاعت الجسور الرائدة أن تخلق حركة دافعة إلى الاهتمام بالتراث الشعبي الفلسطيني<sup>(٥٣)</sup>.

لقد اهتم العديد من الباحثين بأهمية الحفاظ على التراث الخليلي في كتاباتهم ومقالاتهم الذين كتبوها عن محافظة الخليل. ومن الذين اهتموا بالتراث الشعبي في محافظة الخليل الدكتور رشيد الأشهب الذي نشر أطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراه وهي الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل، والأسنان محمود نموره، ومحمد زياب ابو صالح... الخ.

ولقد تعرض العديد من الكتاب والباحثين في ميدان التراث الشعبي إلى قضايا الطمس والانتحال، وقضايا الضغط والإرهاب ضد كل العاملين في التراث الشعبي، وقد ظهرت كتاباتهم هذه على صفحات الجرائد والمجلات في بعض كتب التراث<sup>(٥٤)</sup>.

## ٣- دور المؤسسات التعليمية والتربوية:

للمؤسسات التعليمية والتربوية دور كبير في حماية التراث الشعبي الفلسطيني، وذلك من خلال المقررات المطروحة في تلك المؤسسات التعليمية والتربوية، ونخص بالذكر

الجامعات ومن الجامعات التي تعنى بالتراث الفلسطيني بوجه عام والتراث في محافظة الخليل بوجه خاص جامعة بولتكناك فلسطين وجامعة الخليل، وجامعة القدس المفتوحة، وهما من المؤسسات الرائدة في تلك المجالات في محافظة الخليل.

وتضم تلك المؤسسات نخبة من الباحثين المجيدين في شتى المجالات التراثية، ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الفرق المسرحية تحاول أحياء هذا الفولكلور عبر مسرحياتها من حيث إدخال الرقصات والدبكات والأغاني والأمثال الشعبية، وكذلك الفنانون التشكيليون الذين يستقون التراث الشعبي الفلسطيني في لوحاتهم<sup>(٥٥)</sup>.

وقد أقامت هذه المؤسسات العديد من المهرجانات هدف جميعها إلى أحياء التراث في محافظة الخليل بهدف حمايته من الاحتلال الإسرائيلي، وذلك عن طريق إقامة المعارض، مثل:

#### ♦ معرض التراث الفلسطيني الأول في جامعة القدس المفتوحة في منطقة الخليل التعليمية:

افتتحه رئيس جامعة القدس المفتوحة أ. د. يونس عمرو وعطوفة محافظ الخليل كامل حميد وعضو اللجنة المركزية لحركة فتح عباس زكي ورئيس بلدية الخليل خالد العسيلي، جاء ذلك خلال احتفال نظمته الجامعة في الخليل بمناسبة مرور عشرين عاماً على تأسيسها عملت الجامعة على تنظيم معرض التراث الفلسطيني الأول في منطقة الخليل التعليمية، وحمل المعرض في زواياه لمسات تراثية ذات مدلول تاريخي عميق يعزز الهوية الفلسطينية، ويجسد تاريخها الفلسطيني العريق، فعرضت تصاميم للزبي الفلسطيني للمدن الفلسطينية كافة، وأشكال العملات والزينة والأواني والمعدات الزراعية التقليدية القديمة وغيرها من الأدوات والمطرزات التي تحمل لمسات تاريخية موثقة. كما شمل المعرض خيمة تراثية ضمت قصصاً وحكاوي تراثية سُردت على الجمهور والزوار، وتضمنت أيضاً صناعة الخبز البلدي (الخبز على الصاج) ، والذي وُزِعَ على الزوار ليعيش الزائر أجواء الماضي ويستعيد ذاكرة التاريخ، ويقف عند صور الأجداد والقدامى في حياتهم وتعاملاتهم اليومية، ويشهد فيه الحنين إلى تلك الأيام، فيتعمق لديه الانتماء الصادق والإحساس المتنامي بأهمية التراث في تعزيز الهوية الفلسطينية.

وفي هذا السياق، قال الدكتور نعمان عمرو مدير منطقة الخليل التعليمية: «إن جامعة القدس المفتوحة تسعى دائماً إلى تعزيز الهوية الفلسطينية لدورها المكمل لمسيرة نضال شعبنا، فهي تشجع على تعميق الهوية الفلسطينية من خلال نشاطاتها وفعالياتها، وها هي منطقة الخليل التعليمية اليوم تنظم معرض التراث الفلسطيني الأول في محافظة الخليل

ليكون عنواناً للمحافظة على تراثنا الفلسطيني من السرقة والتحريف ليبقى تراثنا تاريخنا وهويتنا ومستقبلنا».

#### ◆ معارض لجنة أعمار الخليل التراثية:

ضمن فعاليات الاحتفال بمرور ١٥ عاماً على تأسيس لجنة أعمار الخليل، افتتح رئيس الوزراء الدكتور سلام فياض اليوم احتفالية اللجنة بهذه المناسبة، والتي تضم مجموعة من المعارض التراثية والفنية والحرفية والفسفيسائية، الذي تضمن العديد من المقتنيات والمواد التي تعكس إنجازات لجنة الأعمار على مدار ١٥ عاماً من العطاء، وذلك في ساحة لجنة أعمار.

كما افتتح في سوق اللبن معرض للصور واللوحات الفنية، التي تضمنت لوحات فنية تشكيلية للفنانة الفلسطينية سناء طهبوب، عبرت من خلالها عن القضية الفلسطينية وهويتها التاريخية، كما شاركت وزارة الثقافة في عرض باقة من الصور التراثية والتاريخية والفنية تحكي عن مدينة خليل، وعرضت أيضاً مجموعة من الصور التي قدمتها الجمعية الفلسطينية لثقافة وفنون الطفل ومؤسسة المجدل للثقافة والفنون، كما عرضت الفنانة الفلسطينية أحلام حجازي باقة من الصور التي أثارت أعجاب المشاهدين.

ومن المهرجانات الأخرى معرض الأرض والكرامة الذي أقيم في جامعة القدس المفتوحة مركز يطا الدراسي الذي أقيم في ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٧، وقد استمر لمدة أسبوع عرضت فيه إنجازات شعبنا على صعيد الفن والثقافة والفكر، وقد كان هذا المعرض بمثابة رد مباشر على الدعايات التي تشن ضد شعبنا، وذلك من خلال الكلمات التي احتوتها فقرات الحفل، كما شمل معرضاً للكتاب واللوحات، ومعرضاً للمصنوعات الوطنية، ومعرضاً لآثار والأعمال الفخارية، ومعرضاً للتراث التشكيلي، ومعرضاً لخيمة البدو، وحفلات غنائية.

#### دور البلديات:

تضم محافظة الخليل العديد من البلديات، وهي من المؤسسات التي ساهمت في حماية التراث، وذلك عن طريق تزويد البيوت والمواقع التراثية بالخدمات اللازمة لها، وذلك إما عن طريق تزويدها بالمياه والكهرباء وكل ما يلزم تلك المواقع، بالإضافة إلى ذلك دعم السكان الذين يسكنون في تلك المواقع من عدم هدم تلك البيوت، وبالإضافة إلى ترميم تلك المواقع وصيانتها، كذلك إصدار القوانين التي ساهمت في حمايتها من عبث العابثين والسارقين الذين يسرقون الحجارة والأقواس والأعمدة، ويبيعونها إلى الاحتلال الصهيوني، والذين يدعون بأنها تراثهم وتاريخهم، ومن هذه البلديات بلدية الخليل وبلدية دورا وبلدية حلحول وبلدية يطا وغيرها من البلديات.

وتعدّ بلدية الخليل من أبرز البلديات التي ساهمت في حماية التراث من خلال المشاريع التي قامت بإنشائها في البلدة القديمة في مدينة الخليل: وقد تركزت جهود الأعمار منذ البداية لتحقيق الأهداف الآتية:

- المحافظ على الموروث الثقافي في البلدة القديمة وإظهار طابعه العربي الإسلامي، ونقله بحالة آمنة للأجيال القادمة.

- إعادة الحياة الطبيعية والتوازن الديمغرافي في البلدة القديمة، وذلك من خلال وقف هجرة السكان منها، وتثبيتهم فيها وتشجيع ونقل سكان جدد إليها.

- محاصرة وتطوير البور الاستيطانية وعدم إعطائها فرصة الامتداد والتوسع، وذلك من خلال تشكيل حلقات من المباني المأهولة في محيطها.

- تعزيز ارتباط سكان المدينة ببلدتهم القديمة.

وقد انطلقت عملية إعادة الإعمار والتأهيل من مفهوم الحفاظ على القيم التاريخية والأثرية للمباني القديمة، كما هي لتكون سكناً مناسباً يتوافق مع متطلبات حياة الأسرة العصرية. واعتمدت فلسفة الترميم على إعادة استخدام المباني السكنية الكبيرة كشقق سكنية لأسر نووية صغيرة تتوافر فيها الخدمات اللازمة، وتفي بالاحتياجات الضرورية المعاصرة للأسرة، وذلك من خلال إجراء التعديلات الضرورية وبالحد الأدنى الممكن من التغيير في العناصر المعمارية والإنشائية، من أجل المحافظة على أهمية هذه المباني وقيمتها التاريخية والأثرية. إضافة لذلك كان هناك حرص على توفير الخصوصية و الظروف البيئية الملائمة، وكذلك حرية الحركة وسهولة الانتقال. ولم يقتصر العمل على ترميم مبانٍ سكنية وتأهيلها، بل تعداه ليشمل ترميم مبانٍ عامة، وتوفير خدمات بنية تحتية لمناطق بأكملها.

وقد صين النسيج العمراني التقليدي للبلدة القديمة، وحُوفظ على طابعها المعماري الأصيل دون أية إضافات أو تغييرات تذكر. كما أن النشاط التجاري قد تحسن بشكل كبير، وعادت الحياة تنبض من جديد في بيئة كانت تعاني من التدهور السريع، مادياً واجتماعياً. لقد توقفت هجرة السكان من البلدة القديمة وعادت كثير من الأسر للعيش والإقامة فيها. وقد أعطيت الأولوية في الترميم وإعادة التأهيل لتلك المباني التي تحيط بالبور والتجمعات الاستيطانية رغم الصعوبات والمشكلات التي تعوق ذلك. أما تعاون السكان ومشاركتهم وتضافر الجهود في مواجهة الإخطار والتحديات القائمة فهو مؤشر واضح على مدى ارتباط سكان المدينة ببلدتهم القديمة.

بالإضافة إلى ذلك فقد أشرك المجتمع المحلي بشكل فعلي، و بمساعدته تحولت البيئة شبه المدمرة إلى فراغ اجتماعي جميل، وأصبحت ممارسة العمارة عبارة عن عمل اجتماعي وعقائدي. وكان لابد من مواجهة مواضيع حساسة عدة مثل: الأرض، الملكية، الهوية والوعي الثقافي والتاريخي.

وقد تم التعامل مع هذه المواضيع بطريقة عملية و فعالة دون الإخلال بالتركيبة الاجتماعية للمدينة و بدون نزع ملكية المباني من السكان الأصليين. إن أهمية سياسة الترميم المتبعة للمباني السكنية لا تكمن في إعادة التأهيل فقط، بل في إعادة هذه المباني لأصحابها وإعطائهم حق التصرف في كيفية استخدامها ضمن نظام محدد للتأجير لضبط نسبة المستأجرين للمالكين

وكما ورد في تقرير اللجنة المحكمة لمنح جائزة الأغا خان لمدينة الخليل، وتسجيل البلدة القديمة من مدينة الخليل على قائمة التراث العالمي. فإن مدينة الخليل تعدّ استثنائية من حيث أنها تمثل مغادرة للأساليب التوجهات العادية في إعادة الإحياء، و في القدرة على استصلاح فراغ اجتماعي ضمن بيئة متدهورة، و بجهود و مشاركة مجتمع يعيش تحت الحصار. كما عبرت اللجنة عن تقديرها لمهارات المجتمع وكفاءته وشجاعته، بالإضافة إلى الأعمال المعمارية الملائمة، والدور المستقبلي الواعد للمدينة المعمره.

أما بالنسبة للعوامل التي ساعدت بلدية الخليل في نجاحها في مشاريعها:

- التعامل مباشرة مع الواقع والتعرف على المشكلات، واقتراح حلول مبنية على هذا الواقع و ليست مبنية على نظريات و دراسات بعيدة عن الواقع، إضافة إلى المتابعة وإعادة التقييم بناءً على البحث الاجتماعي.
- فهم واضح لاحتياجات السكن المعاصر، وأدراك لطبيعة البيوت التقليدية القديمة، والتعامل معها بحساسية، مما ساهم في وضع حلول مناسبة تعطي الأولوية لتوفير احتياجات السكان وإحياء التراث باستعماله وليس تجميده والنظر إليه.
- الفئة المستهدفة في إعادة الإعمار هم بالدرجة الأولى سكان البلدة القديمة، وانطلاق إعادة الإعمار من التعامل مع الفراغات الخاصة داخل البيوت وليس العكس. ولذلك كان الاهتمام و التركيز منصبا بشكل رئيس على التغييرات الداخلية في البيوت، وليس على المظهر الخارجي
- خطر متزايد و توسع سريع للبور الاستيطانية يتطلب تصدياً سريعاً.
- وضع حلول عملية لواحدة من أهم المشاكل التي تواجه إعادة الإعمار وهي مشكلة الملكية، بحيث تتضمن هذه الحلول بقاء الملكية للسكان والمالكين الأصليين قدر الإمكان.

- الاعتماد بشكل أساسي على الخبرة المحلية، وبناء هذه الخبرة وتطويرها من خلال التجارب العملية.
- الجزء الأكبر من البيوت مهجور، وهذا لا يعوق أعمال الترميم، والاضطرار لنقل الساكنين بشكل مؤقت.
- دعم حكومي وتوافر دعم مادي.
- هيئة مستقلة منفصلة إدارياً عن البلدية، وتحظى بدعم رسمي وجماهيري.
- تحقيق فائدة اقتصادية وتوفير فرص عمل.

### دور المجلس التشريعي:

من الأدوار المهمة التي حافظت على حماية التراث، وعدم تهريبه إلى الاحتلال الإسرائيلي، وذلك بعد دخول جزء من هذه المدينة تحت ظل السلطة الوطنية الفلسطينية، عملت هذه السلطة عن طريق المجلس التشريعي وبالتعاون مع بلدية الخليل ووزارة الأوقاف على حماية البلدة القديمة في المدينة عن طريق سن قوانين تحافظ عليها، وعدم سرقة أثارها مع تزايد التحديات التي تواجهها المدينة على الصعيد السياسي، والرغبة الإسرائيلية المحمومة في توسيع الاستيطان داخل المدينة، ومن قرارات المجلس التشريعي، تتعلق بمحافظلة على التراث الفلسطيني:

- الطلب من السلطة التنفيذية وضع خطة وطنية شاملة تعنى بالآثار الفلسطينية لحمايتها وترميمها وإبرازها.
- مراجعة التشريعات لتطويرها والاتفاقات التي تبرمها السلطة التنفيذية للمصادقة عليها.
- فصل الآثار عن وزارة السياحة، واعتبارها مؤسسة تابعة لوزارة الثقافة لاعتبارات أبعادها الثقافية والحضارية.
- مراقبة دائرة الآثار ومساءلتها وتطويرها وتفعيل دورها في التنقيب عن الآثار.
- المراقبة والحفاظ على الثروة الأثرية المنقولة وإنشاء المتاحف الوطنية للحفاظ عليها واستعادتها من الحيازة الشخصية إلى الحيازة الوطنية حتى لا تتسرب إلى الخارج.
- متابعة العملية التفاوضية فيما يتعلق بالآثار والعمل على استرداد ما سرق منها.
- النظر في الشكاوى المحالة إليها ورفع التوصيات بشأنها.



## دور التوثيق والمسح الميداني:

أما التوثيق فنقصد به حفظ ما نريد حفظه على شكل وثيقة مكتوبة أو مسجلة بالصوت أو الصورة. ويساعد على ذلك التقدم التكنولوجي في تسجيل كل ما نريد حفظه، عن طريق الميكروفيلم وأشرطة الكاست، وأفلام الفيديو، والحاسوب الذي يمكن أن يحدث ثورة في مجال حفظ المواد القولية من تراثنا الشعبي الذي لم نستعمله حتى الآن في هذا المجال الحيوي، وتساعدنا أفلام الفيديو بالاحتفاظ بمعالم الحياة الشعبية التقليدية، كما أننا عن طريقها نستطيع أن نعرف العالم بتراثنا الشعبي وحياتنا الشعبية أيضاً فيما لو استثمرنا هذه الإمكانية<sup>(٥٦)</sup>.

أما بالنسبة للمسح الميداني فهي مسؤولية وطنية تقع على عاتق المهتمين بالتراث الشعبي، وبخاصة المؤسسات، ويمكن أن يكون لكل مواطن دور في عملية المسح وبخاصة طلبة الجامعات، وإذا تحقق مشروع المسح الميداني للتراث الشعبي، فسيحقق البدء في بناء أرشيف للتراث، نحفظ فيه بالمواد التي تجمع من الميدان، ويمكن لهذا الأرشيف أن يضم أرشيفاً صوتياً، وآخر للمواد القولية، وثالثاً للصور والأفلام. وللتصنيف أصوله ومناهجه المتعارف عليها عالمياً في بعض أنواع التراث الشعبي مثل تصنيف طومسون للحكاية الشعبية، وإن مثل هذا التصنيف يتيح لنا نقل الاهتمام بالتراث الشعبي الفلسطيني بصفه عامه وبالتراث الخليلي بصفه خاصة من المستوى المحلي إلى المستوى العالمي.

والباب ما زال مفتوحاً أمام أقلام الخير في ميدان جمع البحوث التراثية في محافظة الخليل ودراستها ونشرها، والتي تعد خطوط دفاع صلبة أمام كل من تخول له نفسه ان يقترب من هذا التراث منتحلاً أو سارقاً أو طامساً له، وبخاصة الاحتلال الإسرائيلي لمحافظة الخليل بصفة خاصة وفلسطين بصفة عامه. وإن الجهود المتواصلة من قبل الباحثين لحفظ التراث تزداد يوماً بعد يوم، وهذا ما يدخل الطمأنينة إلى قلوب أصحاب هذا التراث الحريصين عليه في محافظة الخليل<sup>(٥٧)</sup>.

## الهوامش:

١. شحادة، رجا: قانون المحتل: إسرائيل والضفة الغربية. بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٠، ص. ١٩٢.
٢. جريدة القدس ١٠ / ٢ / ١٩٨٩.
٣. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن. رابطة الجامعيين، الخليل، ١٩٨٧، ص. ٢١٢.
٤. جريدة الفجر ٢ / ٦ / ١٩٨٠.
٥. المرعشلي، احمد وآخرون: الموسوعة الفلسطينية. دمشق، ١٩٨٤، ص. ٣٥٣.
٦. عمرو، يونس: خليل الرحمن العربية مدينة لها تاريخ. جامعة الخليل، ١٩٨٧، ط، ص. ٢٠.
٧. المرعشلي، احمد وآخرون: الموسوعة الفلسطينية... الخ، ص. ٣٥٣.
٨. نمورة، محمود: الجريمة غربية أمريكية وفلسطين الضحية. مطبعة بابل، أيلول ٢٠٠١، ص ٦٦.
٩. المرجع السابق، ص. ٦٦.
١٠. غارودي، روجيه: محاكمة الصهيونية. بيروت، ١٩٩٨، ص. ٢٣٠ - ٢٣١.
١١. نموره، محمود: الجريمة غربية أمريكية وفلسطين المحتلة... الخ، ص. ٤٩.
١٢. المراجع السابق، ص. ٦٨.
١٣. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن... الخ. ص. ١٦ - ١٧.
١٤. شحادة، رجا: قانون المحتل: إسرائيل والضفة الغربية... الخ، ص. ١٨٦. وجبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن.. الخ، ص. ٢١٤.
١٥. شحادة، رجا: قانون المحتل: إسرائيل والضفة الغربية... الخ، ص. ١٨٦.
١٦. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن.. الخ، ص. ٢١٥.
١٧. ابشار، عويد: الخليل، مكتبة بلدية الخليل، ١٩٧٠، ص. ٤٨٢.

١٨. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن.. الخ. ص. ٢١٥.
١٩. المرجع السابق نفسه. ص. ٢١٦.
٢٠. المرجع السابق نفسه. ص. ٢١٨.
٢١. المرجع السابق نفسه. ص. ٢١٨.
٢٢. المرجع السابق نفسه. ص. ٢٢٠.
٢٣. جريدة القدس ١١ / ٢ / ١٩٨٩.
٢٤. حليبي، ر، قصة الضفة الغربية. دائرة نشر كيتير، القدس، ١٩٨٣، ص. ١١٧.
٢٥. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن.. الخ. ص. ١١٧.
٢٦. شحادة، رجا: قانون المحتل: إسرائيل والضفة الغربية... الخ، ص. ١٩٢.
٢٧. حليبي، ر، قصة الضفة الغربية... الخ، ص. ١١٧.
٢٨. ناصر، درويش: عملية الدبوا كما يرويها منفذوها. القدس، ١٩٨٣، ص. ٣٣ - ٣٥.
٢٩. جريدة القدس ١١ / ٢ / ١٩٨٠.
٣٠. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن.. الخ. ص. ٢٢٢.
٣١. شحادة، رجا: قانون المحتل: إسرائيل والضفة الغربية... الخ، ص. ٦٦.
٣٢. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن.. الخ. ص. ٢٢٤.
٣٣. نفس المرجع السابق، ص. ٢٢٤.
٣٤. مجلة رؤية. عدد ٦، شباط ٢٠٠١. ص. ١٠٢.
٣٥. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن.. الخ. ص. ٢٢٥.
٣٦. مجلة رؤية. عدد ٦، شباط ٢٠٠١. ص. ١٠٠.
٣٧. مجلة رؤية. عدد ٦، شباط ٢٠٠١. ص. ١٠٠.
٣٨. مجلة الدراسات الفلسطينية. عدد ١٧، شتاء ١٩٩٤، جامعة الخليل، ص. ١٧.
٣٩. القاسم، احمد محمود محمد: انتفاضة الأقصى واحتمالات المستقبل. مؤسسة دار السعيد، القدس، ٢٠٠١، ص. ٢٢٦.

٤٠. نموره، محمود: الجريمة غربية أمريكية وفلسطين المحتلة... الخ، ص. ٤٩.
٤١. المرجع السابق، ص. ٤٩ - ٥٠.
٤٢. المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان ١٧ - ٢٣ مارس ٢٠٠٥.
٤٣. المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان ٢٣ فبراير - ١ مارس ٢٠٠٦.
٤٤. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن.. الخ. ص. ٢٢٤ - ٢٢٥.
٤٥. جريدة القدس: ١٠ / ١٢ / ١٩٩٣، ص. ١٠.
٤٦. مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ١٧، ١٩٩٤، ص. ٢٩.
٤٧. حداد، يوسف: المجتمع والتراث في فلسطين قرية البصة. مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية. ١٩٨٥، ص. ١٣.
٤٨. سرحان، نمر: أحياء التراث الشعبي. عمان، دار فيلادلفيا، بلا تاريخ ونشر. ص. ٢٥.
٤٩. حداد، منعم: التراث الفلسطيني بين الطمس والأحياء... الخ، ص. ٧٧.
٥٠. كناعنة، شريف: المآثرات الشعبية. عمان - جامعة القدس المفتوحة، ط ١، ١٩٩٦، ص. ٣٤٧. وعثمان، علي: الرماد الطبقى على الأرض الصلبة، عكا - منشورات الأسوار، ١٩٨٠، ص. ٨.
٥١. أبو صالح، محمد زياب: الخليل عربية إسلامية. القدس، ٢٠٠٠، ص. ١٩١.
٥٢. كناعنة، شريف: ملامح المادة الفلكلورية. مركز الوثائق والأبحاث. جامعة بيرزيت، ص. ١٥. وأبو هدبا: عبد العزيز: التراث الفلسطيني جذور وتحديات. مركز وتحديات، مركز احياء التراث العربي، الطيبة، ط ١، ١٩٩١، ص. ٢٠٨.
٥٣. كناعنة، شريف: المآثرات الشعبية... الخ، ص. ٣٤٧.
٥٤. حداد، منعم: التراث الفلسطيني بين الطمس والأحياء... الخ، ص. ٢٥.
٥٥. سرحان، نمر: موسوعة الفولكلور الفلسطيني... الخ، ص. ١٦٦.
٥٦. أبو هدبا، عبد العزيز: التراث الفلسطيني جذور وتحديات... الخ، ص. ١٥٤.
٥٧. إبراهيم، نبيل: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعة. دار العودة، بيروت، ١٩٧٤، ص. ١٤.

## المصادر والمراجع:

١. ابيشار، عويد: الخليل، مكتبة بلدية الخليل، ١٩٧٠.
٢. إبراهيم، نبيل: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعة. دار العودة، بيروت، ١٩٧٤.
٣. أبو صالح، محمد ذياب: الخليل عربية إسلامية. القدس، ٢٠٠٠.
٤. أبو هدبا: عبد العزيز: التراث الفلسطيني جذور وتحديات. مركز وتحديات، مركز احياء التراث العربي، الطبية، ط ١، ١٩٩١.
٥. القاسم، احمد محمود محمد: انتفاضة الأقصى واحتمالات المستقبل. مؤسسة دار السعيد، القدس، ٢٠٠١.
٦. المرعشلي، احمد وآخرون: الموسوعة الفلسطينية. دمشق، ١٩٨٤.
٧. جبارة، تيسير، وآخرون: مدينة خليل الرحمن. رابطة الجامعين، الخليل، ١٩٨٧.
٨. حداد، يوسف: المجتمع والتراث في فلسطين قرية البصة. مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية. ١٩٨٥.
٩. حلبي، ر، قصة الضفة الغربية. دائرة نشر كيتز، القدس، ١٩٨٣.
١٠. سرحان، نمر: أحياء التراث الشعبي. عمان، دار فيلادلفيا، بلا تاريخ ونشر.
١١. شحادة، رجا: قانون المحتل: إسرائيل والضفة الغربية. بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٠.
١٢. عثمان، علي: الرماد الطبقي على الأرض الصلبة، عكا - منشورات الأسوار، ١٩٨٠.
١٣. عمرو، يونس: خليل الرحمن العربية مدينة لها تاريخ. جامعة الخليل، ١٩٨٧.
١٤. غارودي، روجيه: محاكمة الصهيونية، بيروت، ١٩٩٨.
١٥. كناعنة، شريف: ملامح المادة الفلكلورية. مركز الوثائق والأبحاث. جامعة بيرزيت.
١٦. كناعنه، شريف: المأثورات الشعبية. عمان - جامعة القدس المفتوحة، ط ١، ١٩٩٦.
١٧. ناصر، درويش: عملية الدبوا كما يرويها منفذوها. القدس، ١٩٨٣.
١٨. نمورة، محمود: الجريمة غربية أمريكية وفلسطين الضحية. مطبعة بابل، أيلول ٢٠٠١.

## الصحف والدوريات:

١. مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ١٧، ١٩٩٤.
٢. مجلة رؤية. عدد ٦، شباط ٢٠٠١.
٣. جريدة القدس: ١٠ / ١٢ / ١٩٩٣.
٤. مجلة رؤية. عدد ٦، شباط ٢٠٠١.
٥. جريدة الفجر ٢ / ٦ / ١٩٨٠



## الجلسة الثانية

### التراث الشعبي الفلسطيني وتجلياته في محافظة خيل الرحمن

◆ لوحات من التراث والأدب الشعبيين في قرية المجد

أ. د. ياسر الملاح

◆ الملابس الشعبية للمرأة في الخليل

د. ناهدة الكسواني

◆ الزي وعادات الأفراح والأتراح في رحلة القسطلالي

أ. إبراهيم مخارزة

◆ الأغنية الشعبية في مدينة الخليل

د. سميرة ستوم

◆ ثوب المرأة الريفية في منطقة الخليل

د. إدريس جرادات

◆ من القرى المدمرة قرية بيت نتييف (السماعنة) قضاء الخليل-  
صفحات من تاريخها وتراثها الشعبي

الشيخ/ عباس نمر

◆ دور الصناعات التقليدية في محافظة الخليل في تعزيز  
الاقتصاد الأسري قديماً وحديثاً

د. شاهر حجة





**لوحات من الأدب الشعبي والتراث الشعبي  
في قرية المجد**

**أ. د. ياسر الملاح**

## ملخص:

المجد قرية من مائة قرية تحيط بمدينة دورا في محافظة الخليل، وهي تبعد عن مركز مدينة الخليل إلى الجنوب الغربي منها حوالي ٣٨ كم. ويهدف هذا البحث إلى تسجيل توثيقي لموضوعات تراثية لمجتمع هذه القرية تمتد إلى خمسين عاما ونيف، أي منذ عام ١٩٥٠ من القرن الماضي. ولأن الباحث من المجد فإنه سيعمد إلى تسجيل هذه الموضوعات من ذاكرته وتجاربه الخاصة مستعينا ببعض الرواة من كبار السن من المجد، وبعض الدراسات المرتبطة بهذه البيئة. وقد عالج البحث بعدين: بعد الأدب الشعبي وبعد التراث الشعبي. فمن الأدب الشعبي: الحكاية الشعبية (كالغول، والشاطر محمد وغيرهما)، والتمثيلية الشعبية (كتمثيلية البيك)، والأمثال، والأغاني في المناسبات المختلفة: كالأعراس وأيام الحصيد والظهور وغيرها. ومما احتواه البحث في المجال التراثي: موضوع الملابس الخاصة بالرجال والنساء، فأشهر الملابس للرجال الصرّية والقمباز والعباءة والحطة والعقال والكفية (كالعمامة) والوطا أو الصرماية، وأشهر الملابس للنساء الشقة والغدفة والعريقية والبدلة للعروس خاصة. ومن الموضوعات التراثية في البحث: آلات الفراش كالجودل والغطا واليستك والبساط، وتقاليد الأعراس من الخطبة إلى إحضار العروس إلى بيت الزوجية. وكذلك تقاليد المآتم وتقاليد الظهور، وأنماط الأطعمة التي تصنع في البيوت، وأنواع المشروبات، والصناعات اليدوية، والألعاب، والعادات الجبرية. وانتهى البحث بالخاتمة والهوامش والمراجع.

## مقدمة:

المجد قرية من قرى مدينة دورا في محافظة الخليل، وتقع في الجنوب الغربي منها. ولا يختلف أهلها في أسلوب تحصيل رزقهم عن سائر القرى القريبة منها، مثل قرى: سكا وبيت عوا ودير العسل وبيت مرسم وبيت الروش والبرج وغيرها، فأهل هذه القرى جميعا كانوا يرتزقون من الزراعة الشتوية والصيفية، أي الفلاحة بعامة، وتربية المواشي، وتجارة البقالة المحدودة، والوظائف التي يحصل عليها بعض أبناءها في المؤسسات الحكومية داخل المنطقة، أو خارجها، كالتربية والصحة وغيرها، ومن العمل اليدوي في ورشات البناء وإصلاح الطرق، وغير ذلك من أسباب الرزق المتعددة والمتنامية وفق تطور حياة المجتمع الذي يتدرج من البساطة إلى التعقيد الحضري. وفي هذه الأيام حظيت هذه القرى بشبكة مواصلات جيدة تربطها ببعضها، وبمدينتي دورا والخليل، وبغيرهما من مدن فلسطين كلها، بعد أن كان الذهاب إلى إحداها أو الخروج منها، أيام طفولتنا، يورث من يصطلي بنيران هذه التجربة صعبة ومشقة لا يحسد عليها أبدا.

ولم تزل مرارة هذه التجربة عالقة بأذهاننا منذ أن كنا صغارا، عندما كان أحدنا يضطر للسفر من هذه القرى إلى خارجها، عندئذ لا بد للمرء أن يحسب حساب هذا السفر طوال الليل، ولا بد أن يبكر في الخروج من بيته لانتظار إحدى السيارات العاملة على خطوط المواصلات في هذه القرى، ليظفر بمقعد يتكوم فيه، لعله يحظى بسنة كانت قد طارت من عينيه وهو يرقب الفجر، وعندما يخرج من بيته، أملا أن يكون الأول في السرى (السروة)، يجد حشداً من الناس ينتظرون، وكأن القرية كلها قد خرجت من بيوتها لتسافر، فالطالب إلى مدرسته، والموظف إلى وظيفته، والعامل إلى ورشته، والمريض إلى عيادة طبيب... الخ.

وعندما يسمع الناس هدير الحافلة أو السيارة يأخذ كل منتظر يفكر في الوسيلة التي يحصل بها مقعداً من مقاعد هذه الحافلة أو السيارة، فيشرع الناس بالمؤر والحركة والتحفز، حتى إذا اقتربت السيارة أخذ الناس يتراخسون تجاه السيارة، ويتدافعون نحوها، فيمسك أحدهم ببابها ويمسك آخر بالشباك، ويقفز ثالث إلى ظهرها من سلم خلفي حتى يضع ما يحمل من أغراض على ظهرها، فإذا وصلت السيارة إلى الموقف المخصص لها، أخذ الناس يتدافعون على أبوابها، فترى أحدهم يقذف بنفسه داخلها كما تقذف الكرة إلى هدف من أهداف ملعب لكرة القدم من شدة الازدحام، ولا تتحرك السيارة إلا بعد أن تمتلئ مقاعدها امتلاء بطن الحامل بالتوائم الثنائية أو الثلاثية أو الرباعية، ولا يكاد الهواء يجد منفذاً إلى داخل السيارة لكثرة ما يقف في ممر السيارة من ركاب، ثم تمضي الحافلة على بركة الله في

طريق طويل متخلفة من بعض ركابها حيناً، وحاشية جوفها ببعض آخر من محطات تمر بها، حتى تحط رحالها في موقفها النهائي في محطة الباصات المركزية بالخليل. فإذا نزل الراكب من الحافلة فلا مناص له من أن يرتاح قليلاً من دوار عبث بعقله، بعد هذه الرحلة الشاقة، من ناحية، وإذا لم تختل السيارة فترميك على قارعة الطريق حيناً من الوقت من ناحية أخرى.

وفي هذه الورقة، سيسجل الباحث لوحات من التراث الشعبي والأدب الشعبي الذي رسمتها ذاكرته منذ صباه في ربوع قرية المجد<sup>(١)</sup> مخافة أن يمحو الزمن والنسيان هذه الرسوم، ووفاء لتلك الربوع الجميلة شكلاً ومضموناً، مهما انتقد المنتقدون، وحاولوا القفز عنها إلى فتات استعرناه من هنا وهناك، لأنها الكأس الأولى التي شرب منها مدون هذه السطور. وتتراوح هذه اللوحات من التراث الشعبي والأدب الشعبي بين الحكاية الشعبية، والمثل الشعبي، والمسرح الشعبي، والملابس والأزياء، والعادات والتقاليد، كاستقبال الضيف وغيره، والعلاقات الاجتماعية، والأفراح والمآتم، وأسباب الرزق، والصناعات التقليدية، والأغاني الشعبية، والألعاب، وغير هذا من العادات الاجتماعية الجبرية التي لا يجروء أي فرد ينتمي إلى هذه البيئة على كسر قوانينها أو التمرد عليها أو تجاوزها. لقد حاولت في هذه الدراسة أن أبسط بين يدي القارئ الكريم صورة هذه القرية في البعدين المخصصين للدراسة كما هي، وكما رسمتها ذاكرتي أيام الصبا الشباب، ما استطعت إلى هذا سبيلاً. وإن أجمل ما في المجد أنها بعض فلسطين، وإن أجمل ما في فلسطين أنها أرض الرباط، وأنها الأرض المقدسة والأرض المباركة، فهنيئاً للفلسطينيين بهذا كله!!

## الحكاية الشعبية (٢) :

لم تخل بيئة المجد من هذا النمط التعبيري الذي تزخر به البيئات الإنسانية المختلفة، وما أذكره عن الحكاية الشعبية، في المجد، أن روايتها، للفتيان والفتيات، كانت تنشط على أسنة الجدات أو الجدود من كبار السن، إما في تحلقنا ليلاً حول مواقد الحطب، وقبل الذهاب إلى النوم بقليل، وإما في الأماكن التي كانت تقام لسهر العشيرة أو الحارة، وكان يطلق عليها اسم (الجوامع). وإني لأذكر، بقوة، أن جدتي آمنة، رحمها الله، كانت تجذبنا إلى هذه الحكايات جذباً، ونحن نتحلق حول موقد (موقدة) الشتاء الذي كنا ننصبه في وسط السقيفة أو الطور الذي كنا نعيش فيه، وكان جمرها المتوهج يستدرجنا للاقتراب منها ما استطعنا للحصول على الدفء، أو لالتقاط حبات من البلوط أو البيلبوس المشوي على جمرها. فإذا كان وقت السهر سيطول قمنا برفد الجمرات بشيء من الحطب الذي كان عندما يحترق يملأ أنوفنا وعيوننا بدخان مزعج يدمع أعيننا ويثير سعالنا، وربما أسال مخاطنا، وربما

اضطررنا إلى الهرب من المكان حتى يتكون الجمر الأحمر. فإذا أخذت الجدة تقص علينا حكاية من الحكايات، كحكاية الغول، أو محمد الشاطر، أو اطراد، أو غير ذلك من الحكايات رأيت فينا جداً وانتباها ومتابعة لا مثيل لها، وإذا قاطع أحدنا القص أو زارنا زائر أدى إلى هذا التوقف، أنهالت عليه لعناتنا المهلكات، وأسكتنا المقاطع منا حتى تستمر الحكاية إلى منتهاها. وما كان أسرعنا إلى إبطار الجدة بالأسئلة التي تستفسر عن مصير بطل الحكاية، أو عن النقطة التالية للنقطة التي وصل السرد إليها، أو عندما تصل القصة إلى ذروتها. لقد كانت هذه الحكايات تنهب منا الوقت حتى يغلبنا النعاس فننام، وقد يغلب النعاس الجدة فتطلب منا القيام إلى النوم. وفي اليوم التالي، وعندما يأتي وقت الحكاية، وبعد أن نتلقَّ حول الموقد، تسألنا الجدة: أين وصلنا في القص؟ فنجيب معاً: إلى كذا وكذا... ثم تشرع في إتمام الحكاية، وقد تبدأ لنا حكاية جديدة، وهكذا... ومن المحتمل أن هذه الحكايات كانت من اختراع الجدة، أو مما حفظته عن سبقها، غير أن المؤكد أنها كانت تضيف إليها الكثير إذا خانتها الذاكرة، أو أرادت أن تثيرنا إثارة معينة أو تدغدغ عواطفنا بمزاح ما.

أذكر مثلاً أن محمد الشاطر كان فتى شاباً، وكان دائماً راعياً للغنم، وكانت غنمه تتعرض دائماً لمهاجمة الذئاب، وكان يظهر براعة نادرة في طرد الذئاب وحماية غنمه منها. وكان أحياناً كثيرة يتعرض هو لتجارب قاسية مع الضباع، ولكنه كان دائماً يفلت منها بذكاء ودهاء لا مثيل له، على الرغم من مطاردة الضبع له مسافات طويلة، وكانت لديه مهارات فائقة في الحصول على الطعام والشراب، والإمسك بالعصا والتلويح بها، وكان يحصل على كل ما يخطر بباله من أمان، وكان دائماً يتحرك في مناطق جبلية ووديان سحيقة تكسوها الأشجار العالية.

وأما قصص الغول فهي كثيرة، وكان غول جدتي أو غولتها يفعان أفعالاً خارقة، فقد يوقظان المرء من النوم، ويحاسبانه على فعل اقترفه في النهار، وقد ينقذان شخصاً له معهما صحبة من أخطر المواقف وأصعبها، والغريب أن وجود الغول لا يكون غالباً إلا ليلاً، وللغول أو الغولة شعْر مختلف عن شعور الناس العاديين، ولهما عيون مختلفة كذلك، وهما حاذقان في الإبصار ليلاً، ويمكنهما رؤية الأشياء من وراء الحائط، ولهما قدرات خارقة تمكنهما من دخول الآبار والخروج منها بيسر وسهولة، ولهما قدرة فائقة في تسلق الأشجار العالية والجبال الشاهقة، ويمكنهما التحليق في الجو، وهما يسمعان كل شيء دون أن نرى أياً منهما... وهكذا.

والملاحظ على هذه الحكايات الشعبية أنها تتحدث عن مخلوقات عجيبة خارقة كأنها ليس لها وجود على وجه الأرض، أو لعلها موجودة ولكننا لا نراها، ولا يمكننا موازنتها

بالأدميين الذين نراهم ونتحدث معهم، بل إن صورتيهما تتطابقان مع صور الجن. ومعروف أن هذا التصوير يتناسب مع خيال الطفل ورغبته في الاستماع إلى الأحاديث عن الخوارق والأعاجيب، ويبدو أن وظيفتها كانت أهم كثيراً من مضمونها، فالمضمون ليس موجهاً، وإن كان كذلك فإن الجدة لا تعلم شيئاً من هذا التوجيه، ولكنه مصطنع وفق خيال الراوي، ولذلك لا مانع من أن تحشى الحكاية بالألفاظ الشعبية المخرجة المتداولة لإدخال السرور على نفوس المستمعين وإضحاكهم، فوظيفتها التي صيغت من أجلها هي تسلية الأطفال وإعدادهم للنوم.

وأما مصدر الحكاية الشعبية غير البيئية فهو ديوان القوم أي جامعهم. وفي هذا الجامع الذي بني للقاء أفراد العشيرة ليلاً غالباً، أو نهاراً، وفق الأحداث والمناسبات، أو للقاء تحالف من العشائر للسمر وتجاذب أطراف الأحاديث العامة أو الخاصة، واستقبال الضيوف وإكرامهم، أو لاجتماعات المآتم والأفراح والأعياد، أو لحل المشكلات الاجتماعية ولفض الخلافات الفردية. وغالباً ما يتصدر هذا الجامع رجل كبير السن، فكبار السن لهم احترامهم وهيبتهم عند أهل القرية، وهو يُحترم من الجميع، ويُديم قعوده في الجامع فترات طويلة، فإذا جئت إلى المكان، في أغلب الأوقات، فلن تجد غيره هناك. وغالباً ما يكون هذا الكبير لسناً يتقن فن السرد، ويحفظ ألواناً من الحكايات الموروثة وغير الموروثة، وإذا لم يجد قصة معروفة فإنه يلجأ إلى رواية تجاربه مع الناس، ومع رفقاءه من أهل الجامع، ويغلب أن يكون هذا الرجل الكبير الراوي الأول في المجلس. وقد يحدث أن يكون الراوي شاعراً جلبه أحد من عنده مناسبة فرح، فيسرد على الحاضرين حكايات شعبية كحكاية الزير سالم أو عنترة أو أبي زيد الهلالي، ولا بد أن ينغم بين الحين والآخر أبياتاً من الشعر الشعبي على ألحان ربابته التي كان قد سخنها قليلاً على موقد النار القريب منه، وشد أوتارها جيداً، حتى يكون صوته وصوتها رناناً وجذاباً. وكانت طريقة الشاعر في سرد هذه الحكايات تتألف من مقدمة يروي فيها أحداثاً معينة من القصة يهيئ فيها الأذهان لأحداث قادمة، حتى إذا وصلت الأحداث إلى موقف حزين فجع فيه البطل بحدث ما، أو إلى موقف مفرح حقق فيه نصراً على أعدائه، أو زوج فيه ولداً من أولاده، انطلق لسان الشاعر، وانطلقت معه ربابته بألحان ينشد فيها أشعاراً ينسبها إلى هذا البطل، وكلما أنشد بيتاً أخذ يرجع الألحان مع صوت الربابة ترجيعاً مطرباً تارة أو مشجياً تارة أخرى، وذلك وفق الموقف واحتياجاته.

ولم أعد أذكر الكثير مما كان يرويه لنا أبو محمد المرحوم عبد الفتاح محمد شديد سوى حكاية الكلبين: شياح ورياح اللذين كانا يفعلان أفعالاً خارقة كأنهما جنيان أو قريبان





وإليك مجموعة من نصوص الحكايات الذائعة بين أهل المجد:

### أ - قصص تحكى في تسليّة الأطفال:

#### ◆ العنزة العنيزية:

كان لعنزة تدعى العنزة العنيزية ولدان -حمحم وزمزم-. وفي أحد الأيام قالت لهما: أريد الخروج لجلب الطعام، ولا تفتحوا لأي كان قبل قدومي، فسمع بذلك الذئب، وبعد خروجها جاء طارقا الباب وقائلا بصوت ناعم: افتحوا الباب.

فصدق الجديان صوته، وفتحوا له الباب، فقام بالتهامهما، وبعد عودة الأم وجدت الباب مفتوحاً، وصغارها غير موجودين، فعرفت أن الذئب قام بأكلهما... ذهبت العنزة الثكلى إلى بيت الذئب، ورددت قائلة: أنا العنزة العنيزية إल्ली قروني حديدية، إल्ली أكل حمحم وزمزم يلاقيني ع البرية. فرد الذئب مستهزئاً: مين إल्ली ذلك على عريشتي، وأنا باكل في جريشتي؟ فرددت العنزة ما قالت له، فقاما إلى البرية، وهناك بدأت المعركة والمنازلة وانتهت المعركة بانتصار العنزة لأنها مظلومة.

### ب - قصص تحكى في المجالس:

#### ◆ محمد الشاطر:

يحكى أن امرأة كان لها أولاد، وليس لها بنات. في يوم من الأيام كانت تسير بالطريق، فشاهدت سناً، فحملته وقالت: ربي ارزقني مثل هذا السن، وكان هذا السن لغولة، فرزقها الله ببنت تحمل صفات الغولة، وكان للمرأة مزرعة أغنام، كل يوم تنقص إحدى هذه الأغنام، فلاحظ أحد إخوتها أن الغنمات تنقص، فصمم أن يعرف السبب، فجلب قرية مثقوبة فيها ماء، ووضعها في مرتفع، وكانت النقط تنزل في كل برهة من الزمن، فنام تحتها حتى يبقى مستيقظاً طوال الليل، فعرف أن أخته الغولة هي التي تأكل الأغنام، فقال لإخوته: أختكم غولة، وهي التي أكلت الأغنام، فكذبوه، وسخروا منه. فقال لهم: إني ذاهب، فرحل محذراً من أمر أخته الغولة. وبينما هو سائر في الطريق، رأى عجوزاً ترعى الغنم، فقال لها: أريد المكوث بجوارك، فهل تسمحين لي؟ فوافقت العجوز، وقالت له: أنت بمثابة ابن لي، فأصبح يرعى لها الغنم. وقالت له: ارع في كل الوديان، وحذرت من ثلاثة أودية، هي: وادي السباع ووادي الحيات ووادي الضباع. ثم ذهب يرعى الغنم، وذهب إلى وادي السباع، فرأى لبقوة تلد، فساعدتها في الولادة، وأعطته أحد أشبالها، وسرق آخر منها، فلما ذهب إلى العجوز تركهما عندها، ثم رجع للوادي، فقال كبير السباع: من الذي في وادي؟ فقال بصوت جهوري أنا محمد الشاطر غريب البلاد.

قال له: اذهب، ولا تعد. فذهب ورجع في اليوم التالي، فقال له السبع: من الذي في وادي؟ فرد عليه: أنا محمد الشاطر غريب البلاد.

فقال له: ألم أحذرك من العودة للوادي؟ فوثب عليه محمد الشاطر مستلاً سكينه، وقام بصرعه.

وقال لأهل القرية: اذهبوا لترعوا في وادي السباع.

وبعد ما ذهب لوادي الضباع، فقال له الضبع: انوإللي في الوادي؟ فقال له: أنا محمد الشاطر غريب لبلادي. فقال له الضبع: اذهب ولا تعد. فعاد في اليوم التالي، وقال له: من الذي في وادي؟ فقال: أنا محمد الشاطر غريب لبلادي، فهجم عليه محمد الشاطر وقتله.

وقال لأهل القرية: اذهبوا وارعوا في وادي الضباع. وذهب بعد ذلك لوادي الحيات، وفعل معهن مثل ما فعل مع الضباع والسباع. ثم ذهب إلى العجوز، وقال لها: أريد الذهاب إلى أهلي قائلًا: البلاد طلبت أهلها. ثم حاولت العجوز مرارا وتكرارا لثنيه عن قراره، فرفض، وأوصاها بالسبعين خيرا، وقال لها: إذا تمرغا بالطحين فاربطيهما، وإذا تمرغا في السكن فحليهما، وذهب. وعندما وصل إلى قريته لم يجد أحدا بالقرية سوى ديك واحد كانت أخته الغولة تركض خلفه لتأكله، فلما رأته، وكانت قد أكلت رجل فرسه بعد ربطها، قالت له: يا أخي، لماذا فرسك بثلاثة أرجل؟ فقال لها: كارنا في بلادنا. وفي اليوم التالي، قالت له: لماذا يا أخي فرسك برجلين فقط؟ فقال لها: كارنا في بلادنا. ثم قالت له: يا أخي، لماذا فرسك برجل واحدة؟ فقال لها: كارنا في بلادنا. ثم أكلت الفرس كله، فعرف محمد الشاطر أن الدور عليه.

فوضع عصا، ووضع عليها عباءة، وإبريقا ينقط ماء حتى يُتخيل أنه يتوضأ، وهرب، فانتظرت قليلا، ثم همت على العبءة لتأكله، فعرفت أنه هرب، فلحقته، ثم صعد على شجرة وهو يقول: يا شجرة اطولي وملسي واخلمي، ثم قال لأخته الغولة: أنت ستأكليني، ولكن اتركيني أنادي مرتين: تعوو رياح تعوو شياح تعوو محمد الشاطر أخوكن راح، تعالني مثل الهوا اللفاح، فجاء السبعان يركضان، فقال لهما محمد الشاطر: كلا الغولة وزوجها، وخليين مصرانين، فجعل يكلم المصرانين، وترد عليه بنفس الكلام، وبهذا أصبح أغنى أغنياء العالم.

#### ◆ بقرة اليتامي:

كان يا ما كان هناك رجل وزوجته وأولاده، ثم توفيت الزوجة، وبقي الأولاد، فتزوج الأب امرأة شريرة كانت تكره أولاد زوجها. كانت تطعم أولادها القمح وأولاد زوجها قشور القمح، وكان له بقرة فيأخذ أولاد الزوج البقرة ليرعوا بها، ويقوم الأولاد بإطعام البقرة

قشر القمح، ويقولون لها: يا بقرتنا، ارتزي ارتزي، وحطينا لحم ورزّي، فتصنع لهم لحماً ورزاً، فيأكلون، فأصبح أولادها ضعيفين، وصحة أولاد زوجها حسنة. فقالت لامرأة في الحارة: لماذا صحة أولاد زوجي أفضل من صحة أولادي، وأنا أطعمهم القمح، وأطعم أولاد زوجي قشر القمح؟ فقالت لها: ابعتي ابنك معهم ليعرف ماذا يأكلون. فذهب معهم وقالوا له: نريك ماذا نأكل، ولا تقل لأمك، فقال لهم: نعم. فأطعموا البقرة قشر القمح، وقالوا لها: يا بقرتنا، ارتزي ارتزي وحطينا لحم ورزي،

فأكلوا، وأكل معهم، فقالت له أمه: ماذا يأكل إخوتك؟ فقال: لا يأكلون إلا قشر القمح الذي تبعثينه معهم. فقالت لصديقتها: بعثت ابني، وقال: لا يأكلون شيئاً إلا قشر القمح. فقالت لها: ابعتي ابنتك. فذهبت البنت معهم إلى الرعي، فقالوا لها: يا أختنا، نطعمك معنا، ولا تقولي ماذا نأكل.

فقالت: نعم. فأطعموا البقرة قشر القمح، ثم قالوا لها: يا بقرتنا، ارتزي ارتزي، وحطينا لحم ورزي.

فأكلت معهم. وبينما هم يأكلون كانت تقول لهم: شوفوا الطير الأخضر، ثم تضع اللحم في جيوبها، ثم تقول لهم: شوفوا الطير الأزرق ثم تضع الأرز في جيوبها. فلما رجعت إلى أمها، قالت لها: انظري ماذا يأكلون، ووضعت لها اللحم والأرز، فتظاهرت الزوجة بالمرض، وقالت لزوجها: أنا مريضة، ولن أشفى إلا إذا أكلت من لحم بقرة اليتامى، فبكى الأولاد، ورجوا أباهم بعدم ذبحها. فقالت لهم البقرة: لا تحزنوا إن ذبحوني، اجمعوا عظمي وجلدي وضعوني في صرة تحت حجرة، وسوف أصبح ذهباً.

فلم يرض أبوهم رجاءهم، ثم ذبح البقرة، فجمع الأولاد عظام البقرة، وجلدها، ووضعوه في صرة تحت حجرة، وبعد مدة، ذهبوا إلى الصرة، فوجدوها ذهباً فأخذوه الأولاد، وبنوا قصراً بعيداً عن الصرة وشراها.

### ٣ - تمثيلية البيك الشعبية:

يتدرج التعبير الشعبي من العبارة والأغنية إلى الحكاية والتمثيلية، ويبدو أن التمثيل أسلوب تعبير ينامو مع الإنسان في خطواته الأولى، فنحن نلمح توظيفه في الحديث اليومي، فالاستعارات والتشابه والأمثال والألغاز ألوان من الأدب الشعبي يغلب عليها التخيل والتصوير والحركة. وإذا كان الفن التمثيلي يتألف من عدة أبعاد منها اللغة والقصة والممثل والمسرح، فهل تتوافر هذه جميعاً في تمثيلية البيك الشعبية؟ والإجابة عن هذا التساؤل: نعم، إنها موجودة، بل إن وجودها يلفت النظر إلى سهولة هذه الأبعاد ويسر استخدامها، وكأن هذه التمثيلية جاهزة للأداء في أي وقت، وأي مكان، لأنها آلة التعبير السريع الحاد الذي لا يحتاج إلى أي بهرج أو تكلف.

وتمثيلية البيك خاصة بليالي السمر في الأعراس، إذ تمتاز مراسيم الاحتفال بالزواج، في الريف الفلسطيني، وخاصة ما رأيته في قرية المجد، بنصب بيت من الشعر يجتمع فيه الناس من أهل العريس والمهنيين، ثم يمضون أسبوعاً أو أقل أو أكثر وهم يسمرون ويلعبون قبل يوم الزفاف، أو ليلة الدخلة كما يسمونها. وقد يكون بيت الشعر واسعاً ممتداً، وقد يكون محدود المساحة، ولكنهم يحرصون على اختيار المكان الأوسع حتى يتسع لأكثر عدد من الناس. وغالباً ما يفرش المكان بالجوادل (الفرشات) الصوفية أو القطنية، وتمدد هذه الفرشات على مساحة كبيرة بمحاذاة تدلي بيت الشعر نحو الأرض، بحيث يكون على شكل حرف (U) بالإنجليزية، وعندما يأتي الضيوف فإنهم يجلسون عليها، ويكون في وسط البيت موقد حطبي ضخم إذا كان الوقت شتاءً أو صيفاً لضمان الدفء واستمرار سخونة القهوة أو الشاي. وعندما يقطعون شوطاً من الليل، إلى ما بعد صلاة العشاء قليلاً، يبدأ الإعداد لإخراج تمثيلية البيك على المسرح الذي وصفت لك قبل قليل.

ويمكننا تلخيص تمثيلية البيك<sup>(3)</sup> على النحو الآتي: بعد صلاة العشاء بقليل، يتنادى مجموعة من الشباب للإعداد لهذه التمثيلية، وبينما يكون الناس منشدون بالأحاديث، والشباب يوزعون القهوة والشاي على الضيوف الجالسين على الفرشات، يكسر هذا الهدوء فجأة بإعلان البيك نفسه حاكماً متسلطاً أمام الجالسين، ويعود سبب المفاجأة إلى حرص البيك وزبائنه على محاكمة بعض الأشخاص الذين يريدون إضحاك الجمهور عليهم. تبدأ التمثيلية بإحضار البيك محمولاً على أيدي حراسه القساة، وذوي البأس الشديد، ثم يجلس على كرسي ضخم، وقبل أن يضع جسمه الضخم على هذا الكرسي يسحب أحد الناس الكرسي من تحته، فيتكوم البيك على الأرض، ويصبح منظره مضحكاً، ومن هنا يثور ويغضب غضباً شديداً، ويأخذ في ضرب الناس ضرباً عشوائياً بكرباجه الطويل، وقد لا يسلم من هذا حراسه كذلك، ثم يسترضيه أحد حراسه فيجلس على الكرسي بعد أن تهدأ موجة الضحك الصاخب. وفي مرحلة تالية يبدأ بمحاكمة المتهمين بمخالفة القوانين، وغالباً ما ينتقى هؤلاء المتهمون انتقاءً ذكياً، فقد يكونون من أهل اليسار (الأغنياء) في البلدة، كصاحب حانوت يتهم برفع الأسعار على الناس، وقد يكون أستاذاً يتهم بعدم تعليم التلاميذ، وقد يكون مختاراً، وقد يكون بخيلاً في رأي أهل القرية، فالمهم أن المتهم لا بد أن يكون ذا منزلة اجتماعية، وقد يكون والد العروس أحد المتهمين لأنه طلب مهراً كبيراً، وقد يخبر أحد الناس البيك بمحاولة أحدهم الثورة على حكمه، وهكذا يبدأ البيك بمناداة المتهم الأول، ثم يذهب الحراس لإحضاره عنوة، فإذا أراد أن يتقي شرهم فإنه يحضر دون إبداء أي مقاومة، وإذا أظهر مقاومة فإنهم يذيقونه من العذاب أشده، وعندما يجلب المتهم أمام البيك، يبدأ البيك باستجوابه، بينما تنهال عليه الضربات من الحراس، وبعد إنهاء المحاكمة يصدر الحكم

عليه، فإذا قدم شيئاً من الرشوة للبيك خفف عنه الحكم. ولذلك فإن من يحس أنه سيكون فريسة لهذا البيك، فإنه ينسحب من السهرة بخفة وهدوء، دون أن يعلم بذلك أحد. وعلى الرغم من هذا، فقد يتمادى الحراس فيذهبون إلى بيته لإحضاره أمام البيك. وهكذا تتكرر الأحداث بمناداة المتهمين ومعاقبتهم، لأنهم متهمون بارتكاب جنایات مختلفة. وعلى الرغم من هذا الجبروت الذي يظهره البيك وحراسه أمام الشعب، فإنه لا ينجو من مقابل الناس التي يدبرونها له، فقد يصيبه من هذا الكثير، ولكنه لا يترشح قيد أنملة عن برنامج الذي بدأه معهم، ولا يتنازل عن السلطة مطلقاً، وتشكل هذه المقاب الشعبية ضد البيك إحدى المعالم المهمة في جوهر التمثيلية، لأن أبرز أهدافها يتمثل في السخرية اللاذعة من السلطة التي يمثلها البيك.

أما عن شخصيات التمثيلية فإن أبرزها هي شخصية البيك. فهو رجل ذو شخصية متسلطة تملك بيديها وبيدي حراسها كل زمام السلطة والجبروت، ولها صفات جسدية متميزة، فهو ذو كرش ناتئ كبير، ولا بد أن يكون طويلاً، وله لباس متميز، فقد يلبس بنطالاً أو قمبازاً أو طربوشاً ويضع على عينيه نظارات، وقد يمزج بين هذه الألبسة جميعاً، بحيث يبدو منظره مضحكاً مستفزاً مثيراً. ومكياج اللباس بكامله يظهر شخصية غريبة لا تتفق مع الشعب في لباس أو مظهر أو بساطة وتسامح، بل هي أقرب ما يكون إلى الفوقية والعُجْب والتعجرف.

وما يميز البيك، كذلك، كرباجه الطويل، والعجيب أنه يستخدم هذا الكرياج في إهانة الناس بحق أو بغير حق، أي أنه يتسلى بذلك كيفما يشاء، ويطاوعه في ذلك زبانيته بدون أي تردد، فهو يضرب كلما هاجت نفسه بالضرب، إنه يضرب عند التفاهم، ويضرب عند التحدث، ويضرب عند التحقيق، وكأنه يتنفس ضرب الآخرين من أبناء الشعب الذي يحكمه. ولا يتوقف عن الضرب، ولا تحس نفسه بشيء من الهدوء إلا عندما تقدم له الرشوة. وعلى الرغم من هذا، فإنه إذا انفضح سر الرشوة، فإنه يرفضها علانية (أنا ما باخذش رشوة)، وقد يُنزل العقوبة القاسية بالراشي، أو قد يصفح عنه إذا كانت الرشوة كبيرة، أو وعده برشوة أخرى بالسرية. ويمتاز البيك ببطء الفهم، وقلة الاستيعاب، والأمية، والأعمال البهلوانية غير الملائمة لشخصية القائد القدوة، ويمتاز بالحمق في كثير من أعماله وتصرفاته.

إن غرابة مظهر البيك في لباسه وتصرفاته، وحببه الشديد للرشوة، وإهانته المستمرة للشعب، وأحكامه التي لا يقبلها أي قانون، واتخاذ زبانية قساة ينفذون أوامره بدون أي تردد، أو شفقة، أو محاسبة ضمير، وطريقة الحصول على المعلومات عن الناس المتهمين بالجنايات والأخطاء حيث تجلبها له مخابراته المخفية عن العيون، أو عن طريق الوشاية المعلنة، ومحاولة توريط عدد كبير من الناس في التهم الكاذبة، ترسم أمام المشاهد

صورة مخزية مقرزة للشخصية التي تحكم الناس. والعجيب أن هذه الشخصية قد تنقد الذين يرتكبون أخطاء في حق المجتمع، وقد تنبه ضمائرهم على ضرورة انتهاج السلوك المستقيم، ولكنها، عندما ترى قائد المسيرة شخصية متناقضة تثير السخرية والاستهزاء، لا يلبثون أن يكتشفوا أن أي دعوة للسلوك المستقيم تبدو مهزلة لا تُصدّق أبداً.

أما الشخصيات الأخرى فهم الحراس الذين يتصفون بالفتوة والشدة والطاعة العمياء للبيك. إنهم ينفذون أوامر البيك، ويقومون بذلك بإخلاص ونشاط وحيوية، فهم كقطع الشطرنج يحركهم كما يشاء. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لا يتردد في إهانة أي منهم، أو ضربه أمام الجمهور، ويتلقى ذلك من البيك بدون أي تذرؤ أو اعتراض. ولئن فعل أي منهم غير هذا فإنه قد يطرد من عمله الذي يحسده عليه الناس، لأن له صلة بالبيك. أما الشخصية المتغيرة فهو المتهم الذي، كما ذكرنا سابقاً، يُختار بعناية لسلوك اجتماعي مقبوح عُرف به، وقد يختار لمجرد تمثيل الدور ويتهم بتهم باطلة.

أما زمن المسرحية فقد يستمر ساعة أو ساعتين أو أكثر من هذا أو أقل، وذلك وفق نشاط البيك وجماعته، ونجاحهم في إمتاع الجمهور وإضحاكهم. ثم تُنهي التمثيلية بمناداة البيك من خارج بيت الشعر، ويُهرب تهريبا مخافة أن يصب الذين كانوا فريسة لسياطه وقسوته عليه جام غضبهم فيلحقه الأذى منهم.

إن هذه التمثيلية لوحة من الأدب الشعبي الفلسطيني كان يستمتع بها جمهورها استمتاعاً يغرقهم في الضحك والتوتر والانجذاب، ولكنهم لا يدرون معانيها العميقة المخترنة في لاشعورهم وربما يدرون. إنها صرخة تعبيرية ضد الظلم والحكم التسلطي الجبري، وهي ترسم ذلك كله بسخرية شعبية بسيطة لازعة تتمثل في شخصية البيك المزرية المضحكة المبكية. وربما كان لهذه الشخصية جذور تاريخية واجتماعية اختزنها الشعب في ذاكرته، وعبر عن ذلك بهذه اللوحة. والمتتبع للتمثيلية ولغتها وإيحاءاتها وديكورها وملابسها يستخلص المعاني العميقة من كل حرف يُقال، وخاصة عندما يمزج البيك أحاديثه باللهجة العامية والفصيحة، أو يستعير بعض الكلمات الإنجليزية أو التركية أو العبرية، ولا ريب في أن هذا يجسد أمام المشاهد محوراً من محاور الظلم الذي تجرعه الفلسطينيون على مدار قرن ونيف من الزمن. وهو، بتعبيره هذا، يتطلع إلى تجسيد حريته في شخصية غير شخصية البيك التي أذاقته بحمقها وعبثها ألوانا من الهوان والعذاب. إنها رمز للشخصيات القذرة الهمجية الظالمة، وعلى الرغم من هذا، فإنها يركع لها الراكعون، ويصبر على ظلها المظلومون. وقد تذكرنا هذه الشخصية بشخصية الحاكم المشهور (قرقوش) الذي بني عليها أحد أمثالنا الشعبية تعبيراً عن عدم الرضا عن حكم أو عمل فيقولون: (حكّمك حكم قرقوش).

إن هذه التمثيلية الشعبية ذات فصل واحد، وتسير حركتها التشخيصية على وتيرة واحدة، وقد يدفع الناقد إلى القول: إنها قد تبعث على الملل. غير أن هذا يعتمد اعتماداً كبيراً على شخصية البيك وبراعته في إدارة حركة التمثيل، ونجاحه في اختيار الشخص المعاونين له، سواء أكان هذا من الحراس أم كان من المتهمين. وعلى الرغم من هذا، فإن تمثيلية البيك تبقى تعبيراً شعبياً ناجحاً في بيئة لم تتدرب على التمثيل وآلاته، بل هي صرخة في وجه الظلم والجبروت الذي يلقيه الشعب من الظلمة.

#### ٤- المثل الشعبي:

سيحاول الباحث في هذا الجزء من الدراسة أن يدرس ثلاث دوائر من موضوع المثل الشعبي في المجد، وهي: دائرة المثل في اللغة وموازنة هذا بما ورد في اللغات السامية، و دائرة المثل في الاصطلاح، وأخيراً المثل الشعبي في المجد ومزايه اللغوية والفنية.

#### ♦ أولاً- المثل في اللغة:

- وردت مادة (م ث ل) <sup>(٤)</sup> في اللغة العربية بمعان متعددة منها:

المماثلة والمشابهة، فالمثل والمثل والمثال كلها بمعنى التسوية أو المماثلة.

والصفة، فمثل الشيء صفته ومنها في القرآن الكريم: (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل) <sup>(٥)</sup> والعبرة، فقد ورد في القرآن الكريم: (فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين) <sup>(٦)</sup> والمثول والانتصاب، فمثل الرجل قائماً، انتصب. والتصوير، فالتمثال الصورة، ومثل له الشيء صورته حتى كأنه ينظر إليه. والاقتصاص، فأمثل الرجل قتله بقود، وامتل منه اقتص منه، والمثال القصاص. والتنكيل، فمثل بالرجل ومثل به، نكل به، فإذا شنع في عقوبته جعله مثلاً وعلماً. والمفاضلة، فمثل الرجل صار فاضلاً، والأمثل تعني الأفضل، والطريقة المثلى التي هي أشبه بالحق.

- ووردت مادة (م ث ل) في اللغة العبرية بمعنى الحكم والسيادة مطلقاً <sup>(٧)</sup>، وبمعنى المثلة والتنكيل <sup>(٨)</sup>، وبمعنى المشابهة في النصوص الحديثة <sup>(٩)</sup>. ونجد في الآشورية البابلية كلمة مشالو *Masa'lu* بمعنى اللعان والسطوع <sup>(١٠)</sup>، وفي الحبشية نجد كلمة *mesl* و مسالي *messale* وأمسال *amsal* بمعنى الشيء المصور <sup>(١١)</sup>، وفي الآرامية نجد كلمة مثلاً، وفي الأكادية مشلوم، *meslum*، وكلها بمعنى المشابهة والمشاكله <sup>(١٢)</sup>. وكذلك في السريانية نجد كلمة فعلية هي مثال *metal*، وفي الحبشية مسالا *masala* بمعنى المشابهة <sup>(١٣)</sup>.

- وعندما نوازن بين دلالات مادة (م ث ل) في العربية، وبين دلالاتها في اللغات السامية، نجد كل لغة من اللغات السامية خصت هذه المادة بمعنى محدد، ثم استعملتها بمعانٍ أخرى غير المعنى الرئيس، وجماع هذه المعاني في العربية وشقيقاتها السامية مثلاً هي:

■ الحكم والسيادة في العبرية.

■ والسطوع والتصوير والمشابهة في باقي اللغات.

وتكاد العربية تجمع معظم هذه المعاني وتزيد عليها إلا معنى واحداً لم يرد في استعمالاتها بشكل صريح وهو معنى الحكم والسيادة. ومن الملاحظ أن معنى المشابهة والمماثلة يشكل محوراً مشتركاً بين معاني المادة في اللغات السامية واللغة العربية. و عندما نقرن معنى الحكم والسيادة بمعنى السطوع في الأكادية وبمعنى المفاضلة في العربية والاقتصاص كذلك فيها، نقيم نسباً آخر بين معاني هذه المادة في اللغات السامية، وهو معنى الارتفاع والعلو.

ولم أعتز في العربية على نص يستخدم هذه المادة بمعنى الإذعان والطاعة سوى عبارة امتثل لأمره، ولا ندري تاريخ هذه العبارة أو زمن استخدامها على وجه الدقة بالتحديد، على أن هذا القرب لا ينعقد فقد نجده في معنى الاقتصاص والمفاضلة.

#### ◆ ثانياً- المثل في الاصطلاح:

- تعريفات قديمة:

عرف أبو عبيد القاسم بن سلام الأمثال بأنها: «... حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه...» (١٤).

وقال المرزوقي في شرح الفصيح: «المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه، إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها وعما يوجب الظاهر إلى أشباهه من المعاني فلذلك تضرب إن جهلت أسبابها التي خرجت عليها واستجيز من الحذف، ومضارع ضرورات الشعر فيها ما لا يستجاز في سائر الكلام» (١٥).

وقال الفارابي في ديوان الأدب: «المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتدلوه فيما بينهم، وقاموا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة...» (١٦).



وقال المبرد عن المثل: «... وهو قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، فقولهم: مثل بين يديه، إذا انتصب، معناه أشبه الصورة المنتصبة.. فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول. كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً: وما مواعيدها إلا الأباطيل  
فمواعيد عرقوب علم لكل مالا يصح من المواعيد.....» (١٧).

وقال ابن السكيت: «المثل لفظ يخالف المضروب له. ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ...» (١٨). فما هي خلاصة هذه التعريفات جميعاً؟ تتفق هذه التعريفات فيما بينها على أن: الحكمة، والبلاغة أي التشبيه والكناية، والإيجاز، والشيوخ بين مختلف الطبقات، والثبات التركيبي، جميعاً تشكل المواد الأساسية لمعمارية المثل.

وعلى هذا يمكن تعريف المثل على النحو الآتي: المثل جملة موجزة بليغة متداولة محددة البنية فيها حكمة. وواضح أن هذا التعريف ينصب على شكل المثل دون مضمونه.

غير أن هذا المفهوم هو أحد المفاهيم التي استخدم الاصطلاح فيها كلمة (المثل) للدلالة عليها في اللغة العربية، فقد استخدمت للدلالة على القصص الخرافية كما هو معروف في حكايات كليلة ودمنة وكتب الأمثال القديمة (١٩). كما استخدمت للدلالة على بعض الأناشيد التي تقال للعبارة والعظة، وورد عن العرب القدماء أسماء مؤلفات بعناوين مثل: الأبيات السائرة والأمثال السائرة في شعر فلان... الخ (٢٠). ثم أطلقت على القصص أو الأوصاف التي يقصد بها توضيح فكرة بالموازنة والقياس والتمثيل (٢١).

- أما الآداب السامية القديمة فقد أدخلت في مدلول المثل أشكالاً متعددة، كأحلام النائم وتهيوآت الكاهن وتنبؤات النبي (٢٢). وورد لفظ المثل مقترناً بالغز في نصوص العهد القديم (٢٣). كما أطلقوه على الحكاية أو الوصف الذي يقصد به توضيح فكرة بالموازنة والقياس (٢٤). وأطلق على الخرافة ذات المغزى الخلفي (٢٥)، وعلى الأنشودة والترنيمة والأغنية (٢٦). ثم أطلق على العبارة الموجزة المعبرة عن رأي الشعب (٢٧). كما أطلق على العبارة الموجزة التي يغلب عليها التنميق والصنعة من حكيم أو رجل دين ذي عقل واع وتأمل بعيد (٢٨).

- يتضح مما سبق أن الساميين والعرب قد اتخذوا لفظ (المثل) مصطلحاً للدلالة على أشكال فنية قولية كثيرة أهمها:

■ القول السائر الموجز الذي ينطقه الشعب فلا يعرف قائله، أو ينطقه حكيم معروف.

■ الحكاية الخرافية التي يتمثل بها للعبارة والعظة.

■ القصة أو الوصف الذي يقصد به توضيح فكرة بالموازنة والقياس والتمثيل.

ولا نعرف بالضبط كيف انتقلت هذه المادة من معناها اللغوي إلى معناها الاصطلاحي. وكل ما نلمحه أن معنى المشابهة أو المماثلة هو الخيط الذي يربط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي، كما أنه المعنى المشترك بين اللغات السامية جميعا، وقد بقيت هذه المعاني الثلاثة متجاورة في حياة اللغة العربية منذ الجاهلية حتى يومنا هذا. ولكن المعنى الأول، أي القول السائر الموجز، قد اكتسب ذيوعا وشهرة أكثر من المعاني الأخرى. وتأكدت هذه الشهرة بتأليف عدة كتب تجمع هذه الأقوال الموجزة تحت اسم الأمثال، وهذا ما عرضنا له سابقا.

وستعنى هذه الدراسة بالشكل الأول من الأشكال التي شاعت بين العرب والساميين، أي ستعنى بدراسة: القول الموجز الذي ترضاه العامة والخاصة، وشاع على ألسنتهم عبارات جاهزة، للتعبير بها عن مواقف ومعان متجددة، دون أن يعرف المتكلم بها الأصل الذي انحدرت منه، أو المناسبة التي قيلت فيها أصلا، ولكنه تعلمها فطرة كما يتعلم لغته وطباعه وعاداته.

وهذا الشكل هو الذي قصده العرب في تعريفاتهم للمثل، وفي مؤلفاتهم الموسوعية ككتاب الأمثال للمفضل الضبي وكالفاخر للمفضل بن سلمة، وجمهرة الأمثال للعسكري، ومجمع الأمثال للميداني، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري، وغيرها من المؤلفات في هذا المجال.

ويتفق هذا الشكل الأدبي مع شكل مطابق له عند الأمم السامية كما أسلفنا، كما يتفق مع الشكل الذي يعتبره الأوروبيون جنسا من أجناس الأدب الشعبي<sup>(٢٩)</sup> (الفلكلور) ويعرفونه بأنه: العبارة التي تتصف بالشيوع والإيجاز وحادّة المعنى وصحته<sup>(٣٠)</sup>. وعلى الرغم من وضوح هذا التعريف وبساطته عندهم، فإننا نجد من الباحثين المتخصصين في الفلكلور والمثل من يستصعب تعريفه ويحجم عن ذلك لأنه يعتبره مستحيلا.

وبعد، فإن الشكل الذي نعالجه في هذه الدراسة شكل إنساني القسّمات، في عالم الأدب الشعبي والحديث العادي، وتكاد لا تخلو لغة من لغات البشر من هذا الشكل الأدبي المنطوق.

وقد حاول بعض الباحثين إلقاء الضوء على المثل العربي محاولا وصف طبيعته

لعله يتمكن من فك ألغازه وسبر أغواره والوقوف على معانيه وأسراره. فمنهم من قسمه ثلاثة أقسام هي (٣١) :

- المثل الشعبي الأصلي وهو الذي يتميز بالألفة الشعبية والماضي العريق.
- المثل الكتابي وهو الذي تظهر فيه صنعة التركيب وروية الكاتب وتأمل المفكر.
- المثل المولد وهو نوعان:

- نوع قيس على ما ورد عن العرب.

- ونوع جديد الصياغة والمعنى.

ومنهم من رأى أنه يقابل بالألمانية أربعة أنواع من العبارات الموجزة (٣٢) هي: المثل، والتعبير المثلي، والحكمة، والعبارة التقليدية. أما المثل فيتحقق مفهومه، في اعتبار خبرات الحياة التي تحدث في أجيال متكررة، وهو يقرأ ويتذوق في محيط أدبي محدد بل يجري على كل لسان. ومن أمثله في الأمثال العربية الفصيحة:

■ عشب ولا بعير. (يضرب للموسر لا ينفق من ماله)

■ إن البغاث بأرضنا يَسْتَنْسِرُ. (يضرب للذليل الذي يعز بعيشه في قوم أعزاء)

■ عصا الجبان أطول. (يضرب لمن يشهر السلاح قبل دنو الخصم)

وأما التعبير المثلي فيفترق عن المثل في أنه لا يعرض أخباراً معينة عن طريق حالة بعينها، ولكنه يبرز أحوال الحياة المتكررة، والعلاقات الإنسانية في صورة يمكن أن تكون جزءاً من جملة، ومع ذلك فهي تعبيرات قائمة بذاتها، ومن أمثلتها في الأمثال الفصيحة:

■ جاء تضب لثته. (يضرب في الحرص)

■ أفلت وانحص الذنب. (يضرب لمن أفلت عن الشدة)

■ أظلم من حية. (يضرب لمن ظلم)

وتجمع الحكمة كل ما يتصل بالعادات والتقاليد والأقوال السائرة، والعبارات النادرة. فهي تعبر عن خبرات الحياة مباشرة في صيغة تجريدية. ونظراً للتجريد الذي يغلب عليها نسبها جماع الأمثال إلى الحكماء والفلاسفة، بينما هي من التعبيرات المثلية التي لا يعرف قائلها.

ومن أمثلتها: السر أمانة. (يضرب لحفظ السر)، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. (يضرب

للحض على نصرته قرابة الدم)

وتوجد العبارة التقليدية، في الدعاء واللعن، وفي التحية والخطاب، وفي الصلاة، وما

أشبه ذلك.

ومن أمثلتها: بلغ الله بك أكلاً العمر. (يضرب دعاء بطول العمر) ، على بدء الخير واليمن.  
(يضرب في دعاء الخير)

وعلى الرغم مما في هذا التقسيم الأخير من جودة وطرافة ودقة، فإن الدارس يحس بعدم وضوح الحدود بين المثل والتعبير المثلي وحتى الحكمة، وهو ينطبق فعلاً على محتويات كتب الأمثال العربية، فهي تحتوي على: المثل: وأهم مميزاته أنه خلاصة حادثة أو تجربة جماعية لخصها شخص واحد بعبارة موجزة، فشاعت هذه العبارة عنواناً على تلك الحادثة وما يشبهها، ويمتاز بالغموض، ولذلك يلجأ حفاظ الأمثال إلى اختراع قصص توضحه. والحكمة: وأهم مميزاتها التجريد العقلي في معناها والصنعة المتزنة المنمقة في أسلوبها. والعبارة التقليدية: وهي عبارات التحية والدعاء واللعن.

### ◆ ثالثاً- المثل في المجد:

ولا يختلف المثل الشعبي في المجد عن هذا الوصف الذي بسطناه، فهو قول موجز يستحضره المتحدث ليساعده في التعبير عن فكرة ما. ويتصف بالإيجاز والإلغاز والتصوير، ويمكن القول: إنه عملة لغوية ضربت في دار الجماعة الإنسانية وربما صاغها أحد أبنائها أو استعاره من آخرين، وربما لم يلق لهذا الذي صاغه بالا، غير أن السامعين أعجبوا بهذه العبارات الموجزة ووظفوها في حياتهم الاجتماعية وسلوكهم اللغوي التعبيري، وبعد حين من الدهر أصبحت ملكاً للمجتمع يتناقلها الناس جيلاً وراء جيل، ولا يستطيع أي منهم أن يدعي امتلاك أي مثل، بل إنك إذا سألته عن معناه، ومن أين استقاه، فإنه لا يملك جواباً واضحاً عن هذا.

وقد جمعتُ باقة من الأمثال التي شاعت على ألسن أهل المجد، ثم بوبتها تبويبا ألفبائياً حتى يتسنى للدارسين إلقاء الضوء عليها والغوص في أعماقها، لعلهم يفيدون منها في الدراسات الموازنة والاجتماعية والفولكلورية، وستنشر في الوقت المناسب إن شاء الله. وعند النظر في هذه المجموعة من ناحية الشكل حيناً، ومن ناحية المضمون حيناً آخر، نجد أن أشكالها تتسم بالصفات الآتية:

- إنها عبارات موجزة تشكل جملة مفيدة قد تكون اسمية أو فعلية أو شرطية، أو غيرها، وتصلح أن تقام عليها دراسة لغوية في هذا الجانب.

- يكثر فيها اللحن والأخطاء النحوية.

- تغير فيها صياغة المفردات لتتوافق مع اللهجة المحلية وقد تتفق أحياناً مع

الفصحى.

- إنها مقبولة عند العامة والخاصة من أبناء البيئة.
- إنه، أي المثل، يستحضر فقط عندما تكون الحالة الواقعة مشبهة لتلك الحالة التي ضرب فيها المثل أصلاً.
- إنها تشبیه يشبه به حال الثاني بالأول أي الحالة الواقعة بالحالة المثلية.
- إنه ذائع شائع متعارف عليه بين أهل المنطقة.
- قد يكون له صياغات مختلفة، فقد يزيد المتحدث عليه لفظاً في بدايته، وقد يحذف منه لفظاً معيناً.

وأما دلالاتها فتتسم كذلك بما يأتي:

- معظمها يعكس تجربة اجتماعية أو علاقة اجتماعية معينة.
- معظمها يمس أحوال الناس العاديين.
- قد نجد فيها حكمة إنسانية عامة.
- قد تختزن نقداً لتجارب غير مقبولة في المجتمع.
- قد تؤخذ من نص ديني كالقرآن أو الحديث.
- قد تعكس مفاهيم سلبية لا يقبلها العقل أحياناً ولا الفكر المستقيم.
- قد تعبر عن معنى لا يدل عليها لفظها ولا يفهمها إلا ابن المنطقة.
- قد تستخدم ألفاظاً ينفر منها الذوق السليم وتخدش الحياء.
- قد تعبر أحياناً عن معان عامة، وأحياناً أخرى عن معان خاصة بالنساء أو الرجال.
- قد يكون وراء كل قول من هذه الأقوال حكاية فردية أو جماعية قد تُعرف وقد لا تُعرف.
- لا يمكن لأحد أن يؤكد وقوع الحكايات المثلية، ولذلك يكثر فيها الاصطناع والتأويل لإعطاء شرح معين عن كيفية حصول المثل.
- قد تشبه هذه الأمثال ما يتردد من أمثال في مناطق كثيرة من فلسطين أو بعض البلاد العربية.

ومن هذه الأمثال المستخدمة في قرية المجد:

- اتبدلت غزلانها بقرودها: يضرب لدم من لا يعجبونك

- اعمل خير وارم في البحر: يضرب للحض على عمل الخير
- اللي بدو يصير جمّال بوسع باب داره: يضرب لمن يترأس أمرا ما ولكنه لا يحضر نفسه له
- القرد في عين أمه غزال: يُضرب لمن يُثني على قريب له أو للطعن في مدحك من يخصك
- برُش ع الموت سكر: يقال لمن يحاول التسرية عن المصاب
- تمسكن لما تمكّن: يقال للحض على إظهار اللطف حتى تحقق مرادك
- ثلثين الولد لخاله: يقال لمن كانت صفاته قريبة من أهل أمه
- جاجة حفرت على راسها عفرت: يقال لمن فعل فعلا يريد إيذاء غيره فارتد الفعل عليه
- حبل الكذب قصير: يقال للحض على الصدق وتشنيع الكذب
- خذ هالقبع بهالربع: يقال لمن يشتري شيئا بأسلوب المبادلة
- دشر شغلك وتع ثقلك: يقال للسخرية ممن يلهي الشخص عن إتمام عمله
- ذنبك على جنبك: يقال للتحذير من إتمام عمل غير جيد
- زي حية التبن بقرص وبلبد: يقال لمن يتقن المخادعة
- سمك في بحر: يقال لمن يشتري شيئا غير واضح المعالم
- شو بريحك من اليتيم طلاق أمه: يضرب في التخلص مما يزعجك
- صبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك: يقال للحض على سداد الدّين
- طلع على فاشوش: يضرب لمن طمع في تحقيق أمر ما فلم يحصل شيئا بعد طول عناء
- عند البطون غابت الذهون: يضرب لمن ينشغل بالأكل عن القيام بأمر مهم
- فرخ البط عوام: يضرب للدلالة على طيب الأصل
- قاضي الأولاد شنق حاله: يضرب في من يورط نفسه في قضاء غير نافذ
- كثر الشد برخي: يقال للتشجيع على المعاملة الحكيمة واللطفية
- لاقيني ولا تغديني: يقال في التشجيع على الملاقاة المبهجة فهي أهم من تقديم الطعام

- ما بجيب الرطل إلا رطل ووقية: يقال في الحض على استحضر القوة للرد على المعتدين

- نص البطن بغني عن ملاه: يقال للحض على القناعة
- هم البنات للممات: يقال لتأكيد مسؤولية الأهل عن بناتهم طوال العمر
- يا ما كسر الجمل بطيخ: يقال للتهوين مما حدث للإنسان من مكروه

## ٥- الأغاني الشعبية (٣٣) :

لم يخل التراث الشعبي في قرية المجد من الأغاني الشعبية كما لا يخلو أي تراث من هذا الفن الشعبي. فإذا قدر لك أن تراقب هذا الغناء فقد تجد حناجر الناس من رجال أو نساء أو أطفال تصدح به في مناسبات عديدة. وقد تجد هذه الأغاني في الأفراح والأعراس، وقد تجدها في أيام الحصاد أو (الحصيدة) كما يسمون هذا الموسم، أو على السنة الرعاة، أو على السنة من يعدون قهوة الديوان (الجامع)، أو على السنة الفتيان وهم يركبون الدواب (كالحمير) مثلاً، لبيع الخضار في حسبة مدينة الخليل أو غير ذلك.

فمما أحفظه ونحن نحصد المزروعات (القمح والشعير والعدس والكرسنة) :

والندی طاب الندی والندی لولا الندی كان زرعی تیددا  
وتتكرر هذه الجمل على السنة الحصادين وهم يحصدون الزرع.  
وعلى السنة الرعاة كانوا يقولون:

على دلعوننا على دلعوننا  
هوا الشمالي غير اللوننا  
على دلعوننا على دلعوننا  
راحوا الحبايب وما شافونا  
والله لهواها والله لهواها  
وما خلي غيري يمشي بهواها

ومما كنت أسمع من النساء:

بارودته بيد الدلال أريتها بارودته  
لا عاش قلبي ليش ما شريتها لا عاش

وكان نسج الأغنية يبدأ ببيت ويستطيع الناس أن يصنع، على هواه ووفق الموقف، أي كلام يتناسب مع الفكرة التي يريد التعبير عنها. ومما أحفظه عن صانع قهوة الديوان (الجامع) قوله:

وَنُ صبها الصبيب يا دم الرعافي  
وَنُ ذاقها الكيف ما قال يا حيف

وكنا نحفظ كثيرا من الأغاني الماجنة، ولكننا لا نحبذ ذكرها الآن لما في هذا من خدش للحياء، ومس بالأخلاق. ومن الطريف مرة أنني صدحت بواحدة من هذه الأغاني على مسمع من عمي، رحمه الله، فما كان منه إلا أن استجوبني ممن تعلمت هذه الأغنية، ثم طلب مني أن لا أتفوه بها أبدا، فانصعت لأمره. ومما أحفظه عن النساء في حفلات العرس، وخاصة عندما تذهب النساء مع الجاهة لإحضار العروس من بيت أهلها:

بالله يا خيي العروس بالله  
بالله ترضي علينا بالله

وهكذا مع الأب والعم..... الخ  
ومما أحفظه كذلك:

أوف مشعل أوف مشعلاني  
حبيبي زعل وراح وما أجاني

وهذه باقة من الأغاني المتداولة في مناسبات متعددة في قرية المجد:

#### ◀ في الحصيد

يا مارسس جاك عطاره أعرج راكب عا حمارة  
في إيبدو قطعتين منجل يهرج هرج السنارة  
يا مارسس واهلك غياب ما حضروا قطع النشاب  
لو حضروا كانوا مسد الغياب  
يا عصافير الندي ما حدا منكم بدا  
يا عصافير السموم ما حدا منكم بحوم  
كل ما بطري النبي بزول عني تعبني  
كل ما بطري الرسول التعب عني بزول

ما دام الشاقوق بشق ما على جحاشه ملام  
بالقالوش بظل أهوش بالمنجل ماني حصاد

تمنيت الحصيد كلها كرسنه ما أرى القالوش ولا المنجل يراني  
تمنيت الحصيد كلها قطانه ما أرى القالوش ولا المنجل يراني  
يا مغمر يا حزين ما دفنا لك دفين

شوك مرار وعذره وقرصه عني ما تلين (أنواع الشوك)



## ◀ عند ظهور الولد

طهره يا مطاهر وأعطوا لا إُمهُ  
 طهره يا مطاهر على ظهر الفرس  
 طهره يا مطاهر تحت ظل الخوخ  
 يا دمعة حسن بللت كمو  
 يا دمعة حسن زي حبّ العدس  
 يا دمعة حسن بللت الجوخ

## عند نوم الطفل

نام يا حمام / عيني ما بتنام / تحت حرم الصخرة نصبوا الخيام  
 عرق هالبديو مشرش العقال / قلنا يا بديوي أنت من أي عربان  
 أنا من ربع النبي عليه وآله السلام

## ◀ عند الذهاب لمناسك الحج والعمرة

شدي في عباتو يا فاطمة/ يا مدللة بودع في خواتو/ بدو يزور النبي  
 شدي في حطتو يا فاطمة/ يا مدللة بودع في أهل قريتنو/ بدو يزور النبي  
 شدي على البكرة يا فاطمة/ يا مدللة أنا مسافر بكره/ ودعوني يا لحباب  
 يا أبو الولايا يا حنون/ كثر الهدايا من بلد الرسول  
 خذونا معاكم لو نويتو السفر/ ما بنقعد وراكوا ولا بنطيق الفراق  
 هلت مكة وقالت يا مرحبا بالزائرين/ بالشيخ منهم حتى الشباب التايبين

## ◀ عند حنا العروس

فاطمة مليحة وعلى إيديها نقش حنا  
 محمد يا خيي لحق الطلب عنا  
 فاطمة وعلى إيديها نقاريش/ محمد يا خالها دق المحابيس  
 على فاطمة وعلى الذرعان مدقوقة/ شوية ميرة عرب على التلة مريوطة  
 يا جالب الزيت حط الزيت في الكاسة  
 فاطمة مليحة وسلايلها عا راسي  
 مسيك بالخير مسي اهالك وجيرانك  
 يا سمسسم اخضر ويتتاكل بعيدانك  
 مسيك بالخير يا ثوب البنوتيه / يا ملبس العزة يا مقعد الافنديه

## ◀ عند الذهاب لجلب العروس

أول ما نبدي صلوا على النبي  
 ثالث مديحي في الأجاويد كلهم  
 أجيئك يا أبو العروس نهز الركايب  
 ثاني مديحي في محمد أو علي  
 الأجاويد لا غابوا ولا غاب ذكرهم  
 لقيناك حاضر ما لقيناك غايب

## لاقيناك تقطع في لحوم الغصايب

يا أبو محمد عجل بعشانا  
يا أبو محمد عجل بقهوتنا  
وحنا النسب عندنازي الذهب غالي  
وحنا النسب عندنازي الذهب غيه  
وحنا خذينا بنت شيخ الإمارة  
وحنا أخذنا بنت كبار البلد  
يا أبو العروس بالله تحن علينا  
وافرد بوجهك وأعطينا العروس  
والمال يفنى والنسب نفاعي

إحنا الصبايا يا مَحَلًا ملقانا  
إحنا الصبايا يا مَحَلًا لَقَيْتَنَا  
يا شمس لا تطلعي من روس الجبال  
يا شمس لا تطلعي من فوق عَلَيَّه  
وحنا مشينا من حارة لحارة  
وحنا مشينا من بلد لبلد  
شو هالوقفه إللي أوجعت رجلينا  
يا بي مشعل لا تكون عبوسي  
يا بي مشعل لا تكوني طماعي

## ◀ عندما تأتي العروس لبيت الزوجية

وتبكر بالصبي وتكثر الخلفة  
وتبكر بالصبي يلعب حوالينا  
وتبكر بالصبي وتكثر الحارة

يا ريتها مباركة على السلف والسلفة  
يا ريتها مباركة علينا  
يا ريتها مباركة على الجار والجاره

## ◀ عند حمام العريس

استنى يا حلاق تايجي عمامو  
استنى يا حلاق تايجي خوالو  
استنى يا حلاق تايجو الاهليه

احلق يا حلاق ومس في كمامو  
احلق يا حلاق ومس بردانو  
احلق يا حلاق بموس الذهب

وبعد، فما حكمنا على هذا الأدب الشعبي المَجْدِي الذي تمثل في الحكاية والتمثيلية والمثل والأغنية؟ إن هذا الأدب يدل على طاقة تعبيرية كبيرة مستلهمة من التراث الذي تبناه مجتمع المجد وانبثق عنه في حياته، ولذلك وجدنا هذا الأدب يتوزع على أجناس أدبية يعرفها تاريخ الأدب العربي، ففي الأدب العربي القصة والمقامة، وهما لون أدبي من جنس الحكاية التي أثبتناها لأهل المجد، وفيه المسرحية التي أقبل عليها أدبنا حديثاً، لكن البعد التمثيلي موجود مع وجود الإنسان أينما حل وأقام، وهذا يتفق مع التمثيلية الموجودة في التراث الأدبي للمجد، وفيه كذلك المثل، والمثل العربي الفصيح ذائع مشهور، ولهذا كان المثل جزءاً من الإنتاج الأدبي لمجتمع المجد. وفي الأدب العربي الموروث الشعر الغنائي الذي ما كان إلا لِيَغْنَى، كما فعلت الجارية التي غنت شعر النابغة الذبياني أمامه لتنبهه على الإقواء الذي وقع في شعره، ولهذا كذلك كانت الأغنية جزءاً من الإنتاج الأدبي الشعبي لهذا المجتمع. أرايت إلى هذا التطابق مع الأجناس الأدبية العربية الموروثة عن

أجدادنا؟ وليس أماننا تفسير لهذا التطابق إلا مسألة الانتماء إلى هذه الثقافة والحضارة، وما دام الانتماء مسئولية فلا مناص للاحق إلا أن يترسم خطى السابق، ولهذا ما كان لأهل المجد أن يخرجوا عن المسار الحضاري الذي خطته لهم ريشة انتمائهم.

## ٦ - الملابس والأزياء وآلات النوم (٣٤) :

الملابس المعروفة عند أهل المجد منها ما يخص الرجال، ومنها ما يخص النساء، ومنها ما يخص الأولاد والبنات: أما ملابس الرجال فمنها (القمباز) الذي كانوا يسمونه (الصُرتية)، والسروال الطويل والحطة والعقال والثوب والعباية والفروة والكفية وهذه تشبه العمامة والوطا أو الصرماية والكندرة. أما الصرتية فكانت قمبازا مقلما، وهي تختلف قليلا عن القمباز الذي يطلق على اللباس الصوفي والذي هو ذو هيئة خاصة لا يلبسها إلا الأغنياء أو الذين يعنون بهيئتهم وترتيبها، وحزام الصرتية من قماشها نفسه أما القمباز فلا بد أن يكون له حزام جلدي فخم، وقد يلبس مع جاكيت أو عباءة، وكان كل رجل يحلم أن يكون له قمباز مرتب حتى إذا حصل عليه انهالت عليه التعليقات، وما عليه هو إلا أن يصبر ويبتسم. ولم يكن أحد يستطيع الظهور أمام الناس، أو المشي في الشارع، أو استقبال الضيوف، أو السفر إلى المدينة، إلا بلبس الصرتية أو القمباز.

وعندما أخذ الناس يلتحقون بالعسكرية في الجيش الأردني والحرس الوطني، وأخذ الطلاب يذهبون إلى المدارس ويفرض عليهم أزياء خاصة، لم يعد أحد يلبس هذا اللباس إلا الذين ليس لهم ارتباط ما بعمل رسمي، وهم عادة كبار السن. وأما السرراويل فلا بد أن تصمم على نحو خاص لتكون واسعة، وله زمة بداخلها حبل من القماش نفسه لربطه وشده من الطرفين على وسط لابس، إلى أن جاء المغيط فحل هذا الحبل، ولا بد أن يلبس السرراويل تحت القمباز. أما حزام القمباز فلا بد أن يكون من الجلد العريض، وله إبريم حديدي صلب. وأما الحطة فهي الكوفية بألوانها السوداء والبيضاء أو الحمراء التي تسمى الشماع، وكان لا يلبس الحطة البيضاء إلا الأغنياء ويسمونها (حطة بوال). وكان يلبس فوق الحطة عقال أسود، وهو على مستويات، فمنه العقال العادي الأسود ومنه العقال المقصّب، وهذا يعتبر فاخرا. ونادرا ما كنت ترى رجلا لا يضع على رأسه حطة وعقالا، وكان إنزال الحطة عن الرأس من رجل آخر يعتبر إهانة كبيرة، وقد يؤدي هذا الفعل إلى مشاجرة حامية.

وأما أزياء النساء فأذكر منها ما يسمونه (الشُّقة)، وهي ثوب طويل أسود من قماش خاص يسمى (الحَبْر). وتُطرز الشُّقة بالحرير الأصلي (دي إم سي). ويكون التطريز بألوان متنوعة وأشكال هندسية بديعة وبعضها كالأشجار أو الورود، ولم تكن نرى فتاة في البيت أو خارجه لا تلبس هذا اللباس، ولم تكن نراها إلا منشغلة بالتطريز سواء أكان ذلك في البيت

وفنائها أم كان عند تسريح الدواب في الجبل. وقد يحصل أن تجد فتاة لا تفعل هذا الفعل فستجد أمها أو أختها تطرزلها، فقد كانت كل فتاة تعد أثوابها ومخداتها وشراشفها المطرزة استعداداً لليوم الموعود، وهو الزواج. ومن الملابس (الغدفة)، وهي قطعة قماش بيضاء ثقيلة مطرزة كذلك، وتضعها المرأة على رأسها عندما تخرج من بيتها، أما إذا استخدمتها في البيت فلا بد من لفها على الرقبة بطريقة خاصة، أو تربطها بحزامها الذي يطوى على وسطها، أو تخفف منها. ثم تطورت الغدفة إلى الشاشية التي هي غطاء للرأس من القماش الخفيف يمكن أن تشف قليلاً عندما تضعها المرأة على جسدها فوق الثوب. ومن ألبسة المرأة (العريقية)، وهي طاقية تضعها المرأة على رأسها، وهي سميكة وقماشها كقماش الطربوش، وقد تكون مطرزة، ويمسك توازنها مع الرأس حبل ناعم يُشد من خلف الأذنين إلى ما تحت الذقن مخافة أن تنحسر عن الرأس، وقد يتدلى على ناصية المرأة من العريقية قطع من الفضة تطلق عليها النساء (مجيدية وجمعها مجيديات)، وقد يتدلى شيء كهذا على جانبي الوجه من تحت الأذنين، وكنت ألاحظ أنها تخلع عند النوم لثقلها وسماكتها، ومما كنت ألاحظه كذلك أن لها رأساً مخروطياً. ومن ألبسة المرأة الحزام الصوفي ذو اللون الزهري الذي كنت أراه مطويًا على وسط المرأة بعرض ١٥ سم ٢٠ سم، وتشدّه على وسطها، وتربطه من الخلف من عند آخر الظهر. ومن الأحزمة النسائية المشهورة، وكانت كل امرأة تتوق إلى اقتناء واحد منه، الحزام التلحمي، وهو يشبه المنديل الواسع، وله شبر على أطرافه، وهو أخف من الحزام الصوفي الزهري الذي وصفته سابقاً، وهو ذو ألوان جذابة يغلب عليها اللون البني الغامق والأحمر والأخضر، وكانت الفتاة إذا أرادت أن تبدو جذابة أمام الناس تلبس هذا الحزام وهي مارة في الشارع، أو في الأعراس. ولم يتسن اقتناء مثل هذا الحزام إلا لنساء مترفات وهن قليلات، فإذا حصلت المرأة الفقيرة حزاماً كهذا ادخرته للمباهاة، ولا تلبسه إلا نادراً وقت المناسبات الخاصة.

أما أزياء الأولاد فلم يكن يزيد على الثوب المنصوري الأبيض العادي، أو السروال المنصوري كذلك. وعندما فرض على طلاب المدارس ألبسة خاصة طغت هذه الألبسة على كل زي آخر. وقد كنت ترى بعض الأولاد يلبس الصرّية المقلّمة (القمباز) ولكن هذا قليل جداً، ولم يكن يحصل على هذه الصرّية إلا المدللون منهم، وكان بعضهم يضع على رأسه طاقية سميكة من الصوف على الرأس. وقد تجد بعضهم يضع حطة وعقالاً ولكن هذا نادر جداً.

أما الفراش وآلات الجلوس والقعود والنوم فهي: الجودل والحاف واليساتك (المخدات). وعندما يجلس الناس لم يكونوا يستخدمون شيئاً من هذه إلا إذا زارهم زائر أو عند النوم، وأما جلوسهم العادي فكان على الأرض. وقد يوضع تحت الفراش حصير من

القش أو بساط من الصوف المقلم بالأحمر والأسود والأبيض تنسجه نساء القرية، وهن يغزلن صوفه على مغزل يدوي بسيط من الخشب، وقد كنا نرى النساء ينصبن مغازلهن أمام البيوت، ويعملن ذلك صباحاً ومساءً دون كلل أو ملل. ولم يكن الفراش يختلف صيفاً أو شتاءً، ولا بد لكل أسرة أن يكون لديها فائض من الجوادل أو الفرشات لضيوف البيت أو لضيوف الجامع، وكذلك فائض من اليساتك واللحافات. ولم يكن عند الناس أسرة أو مقاعد كما يفعلون اليوم، بل كان النوم والقعود على الأرض، وهكذا كان الأمر في الجوامع، وإذا جاء ضيف له مكانة رسمية أو اجتماعية كانوا يضعون تحته جودلين لمزيد من الراحة والتقدير. وكانت اليساتك والفرشات واللحافات تحشى بالصوف الطبيعي، أو بالقطن ذي الفتيلة الطويلة الذي كانوا يجلبونه من الخليل، وتقوم المرأة بتنجيد كل هذه الآلات، وقد تساعدها في هذا العمل جاراتها. وكانت النساء يحرصن على تطريز اليساتك من أطرافها، وقد يطرزن في أوساطها وردة أو عصفورا أو جملة لطيفة.

#### ٧ - تقاليد الأعراس والمآتم والظهور<sup>(٣٥)</sup> :

قد كان اختيار الشاب الذي يريد الزواج عروساً معينة بواحد من أسلوبيين: أن تختار له أمه عروساً لا يعرفها، ويطمئن في هذا الاختيار لأمه، ثم يسلم بهذا الأمر دون نقاش أو جدال، أو أن تقع عينه مرة على فتاة رآها عن بعد أو عن قرب، وربما حدثها حديثاً عابراً، فيعجب بها، ثم يحدث أهله فيها، ثم يكون النصيب في زواجها. وغالباً لا يكون للخطيب شروط يشرطها في خطيبته، ولكنه كان يطمح إلى أن تكون بنت أسرة محترمة وجميلة، وبارعة في الحصيد، ومنجبة وتتقن واجبات الضيف، بل حسبه أنه قرر الزواج فاستجاب أهله لرغبته. ولم تكن فترة الخطوبة تطول إلا إذا كان هناك مانع مالي، ونادراً ما كانت زيارات بين الخطيبين، فإذا كان هذا فلا بد من تحضير شنطة مليئة بالهدايا للعروس، ثم يحمل الخاطب نفسه مصطحباً أمه لزيارة الخطيبة في بيت أهلها تحت جنح الظلام. وفي أثناء الزيارة لا تجلس العروس في الجلسة الأسرية، بل تكون منشغلة بإعداد أطيب الشراب والطعام لتقدم للضيوف الأعداء. ولم تكن تخلو الزيارة من اختلاس النظرات بين العروسين، فتكاد تطير العروس فرحاً لاصطيادها نظرة منه، ثم تذهب تحدث أترابها عن تلك النظرة، وكانت هذه النظرات تغني عن كثير. وقد كانت الفتاة إذا خطبت تمضي جل وقتها وهي تعد نفسها لليوم الموعود، فتبدأ بالتطريز والتحضير حيث تشتري ما يلزمها من الحاجات، وتكثر من زيارة الخياطة لتفصيل الملابس اللازمة. ولم تكن تشتري العروس شيئاً مما تطلبه العرائس هذه الأيام، فمثلاً لم يكن هناك غرفة نوم، وإذا أشيع في البلد أن فلانة طلبت غرفة نوم، فإنها تبقى سيرتها في أفواه الناس حيناً من الدهر، وقد تصبح مضرب المثل في ما طلبت.

وقد يتفق على المهر يوم الخطبة، أو في ما بين أهل العروسين. ولا بد للعريس أن يفِي بذلك المهر قبل الزواج، ولا بد من تعيين يوم يسمى يوم الكسوة، فيذهب أهل العروسين معاً، ويحرص أهل العروس على انتداب واحدة من البلد لها مهارة ممتازة في القماش والبدلات لتذهب معهم في هذا اليوم. ولا بد للعريس من دفع أجرة السيارة، والتوجه إلى دكان مشهور من مدينة الخليل لشراء متطلبات الكسوة، وكان يشتهر بين أهل المجد تاجر يدعى الحاج أسعد شاور (رحمه الله)، فيجدون عنده متطلبات كسوة العروس، ولم يكن بإمكان العريس أو أهله الاعتراض على أي طلب تطلبه المرأة المنتدبة للمساعدة. وبعد إنهاء صفقة الكسوة لا بد أن يدعى جميع من شاركوا في رحلة الكسوة لتناول طعام الغداء في أحد المطاعم، ثم يجهز العريس السيارة للعودة إلى المجد، وعندما تصل السيارة يكون أهل العريس ينتظرون عودتهم إلى البيت لتبدأ المهامة والزغاريد، فإذا كان المبلغ الذي دفع في الكسوة قاصماً للظهر، فغالباً ما يسيطر الغم والهم على العريس وأهله، وإن كان المبلغ معقولاً أو كان الرجل ميسوراً فإنهم يحتفلون بشرب الشاي، ويزورهم الجيران للمباركة والتهنئة، وقد تحدث هذه المباركة رغم صعوبة الوضع، ولكن أهل العريس يحتملون هذا الأمر في نفوسهم.

لم يكن المهر غالباً فقد يصل إلى خمسين ديناراً أو أقل أو أكثر، ولكن هذا لا يهم، بل إن الأهم ما يطلبه والد العروس يوم خروجها من البيت، أو ما يطلبه خال العروس أو عمها من نقود كانوا يسمونها (بَلْصَة). فإذا كانت المطالب النقدية كبيرة فغالباً ما ينتهي العرس إلى شجار وجدال بين الجاهة وأهل العريس من جهة، وبين أهل العروس من جهة أخرى، وإذا كان الطلب خفيفاً فيتقدم الوسطاء للمساومة لتخفيف المطالب، ثم يتفقون على مبالغ محددة. وقد كان بعض الناس لا يطلبون شيئاً، ولكن العريس لا بد أن يحسب الحساب لهذا الأمر، وقد تمر المسألة بيسر وسهولة، وقد لا تمر إلا بصعوبة.

وعندما يقترب يوم العرس الذي لا بد أن تسبقه ليلة الحناء، يأخذ أهل العريس يحضرون أنفسهم لهذه المناسبة الكبيرة، ويشمل التحضير الأمور الآتية: بيت الشعر والطعام ولوازمه والدعوات ودفتر النقود، ولعل الذروة في الحدث كله ساعة إحضار العروس من بيت أهلها.

أما البيت ولوازمه فلا بد من تحضير بيت شعر جيد إن تيسر ذلك، وإن لم يتيسر ذلك فقد كانوا يغطون البيت بأكياس من الخيش كانوا يجلبونها من حوانيت القرية، حيث كان الباعة يحفظونها لبيعها بعد إفراغها من سكرها أو طحينها، وفي ساعة نصب البيت يتنادى الناس للمساعدة في ذلك، فإذا نظرت تلك الساعة إلى هذه العملية ستجد من يدق الأوتاد في الأرض، أو من يربط الحبال ويشدها، أو من يستر جوانب من البيت لم يغطها الرواق الممدود على الأعمدة المنصوبة، أو من يحضر موقد النار، أو من يجلب الحجارة لوضعها على أطراف البيت من الخارج لحفظ الأوتاد من العيب بها أو تكسيرها، أو من يحضر المياه

في براميل ضخمة، وهكذا فإنك ستجد ورشة متعاونة لتحقيق هدف واحد هو إتمام الفرح على أكمل وجه، لأن كل فرد من القرية يشعر أن الفرح فرحه هو. وقد يفكر أهل العريس في إحضار شاعر لتسليية الناس على ربابته، ويقص عليهم قصصا شعبية مثل قصص الزير سالم أو عنتره أو أبي زيد الهلالي، وفي فترة ما كان الشاعر يحضر تطوعاً ثم تحولت العادة إلى أن يُدفع له شيء من المال. وقد يستغرق الاحتفال سبع ليالٍ بتمامها أو أقل من ذلك، وقد سمعت من كبار السن في القرية أن بعض الناس من القرية كان، إذا أراد أن يكون احتفاله مميزاً كان يطيل أيام الاحتفال إلى شهر، ولكنني لم أر ذلك أبداً. وعندما يذيع بين الناس أن هناك عرساً لفلان من الناس يأخذ أهل القرية أو القرى المجاورة، يتوافدون إلى البيت، فإذا حضر الزائر المهني فلا مناص من أن يأتي وفي يده شيء من السكر، قد يكون رطلاً أو نصف رطل أو أكثر من هذا، ثم يوضع في مكان معين من البيت يتناوله منه أهل العريس، ثم يسجل أحدهم أسماء من أحضروا سكرًا، حتى إذا حصلت عند أي منهم مناسبة يبادرون إلى سداد هذا الدين، وتحفظ هذه الورقة في وثائق الأسرة المهمة.

وقبل الغروب بقليل تشعل النار، وتحضر أواني صنع الشاي والقهوة، فما أن يحل أذان المغرب إلا وقد أصبح الشاي والقهوة جاهزين لتقديمهما للوافدين. ثم يبدأ الناس بالتوافد إلى البيت بعد صلاة المغرب، فيأخذ الشباب في تقديم الشاي أو القهوة لكل من حضر، ولا يجوز أن ينسى أحد من تقديم القهوة أو الشاي له، وقد يتابع إتمام هذا الواجب واحد من أهل العريس لئلا ينسى أحد من الوافدين، وقد يكرم أحدهم بتقديمهما له مرتين أو ثلاثا، ولا بد لضبط هذه العملية كلها من مسئول جدير بهذه المهمة، وغالبا ما يكون من أحد المجربين من أهل القرية من أقارب العريس أو من غير الأقارب. وبعد صلاة العشاء بقليل، تبدأ الاحتفالات إما بالدبكة أو الدحية التي تتألف من سرب من الرجال يقفون صفًا واحدًا، ويقف أمامهم ملاعب ماهر، فهم يتقدمون نحوه متميلين مرددين عبارة مثيرة، وهو يرددهم إلى الراء قائلاً لهم: هعي.. هعي، وتستمر العملية حتى يتعب الفريق ثم يستريحون، أو ربابة الشاعر وحكاياته الجذابة أو بتمثيلية البيك، وقد يكون الشاعر أحياناً عكس ما يعلن عنه فلا يكون شاعراً ولا جذاباً، لكن المهم أن الناس سيقولون: والله دار فلان جابوا شاعر، إذا فالحكم على عرس دار فلان إنه ممتاز. وعندما يستريح الشاعر يبدأ احتفال الشباب بما أعدوا، فقد يكون دبكة وأرغولا وأغاني يلعلع بها صوت أحدهم الذي لا يسكت ولا يتوقف، وعيناه تحومان على الحيطان المجاورة إن كان عليها متفرجات من نساء الحارة، فإذا كان الأمر كذلك، ازداد نشاطاً وحماسة وإبداعاً، وعلا صوته أكثر فأكثر. وقد يجمع هذا الجمع عن مشاجرة، أو قد ينتهي بإعداد رغيف من الخبز يشوى في النار التي تجمعت من حطب القهوة والشاي، وكانوا يسمونها (كعكة). وقد يطول سهر الشباب إلى قريب من الصبح، وقد ينامون في البيت مع نفر من الضيوف، أو ينصرف كل واحد إلى بيته.

وبعد انتهاء الليالي المرسومة للاحتفال، يشرع أهل العريس يرتبون البيت لآخر يوم وهو يوم الخميس، لأن عدد المهنتين يزداد، وعندئذ لا بد من زيادة عدد الفرشات، واللحافات، واليساتك لتنضيدها في زاوية من البيت. وفي صباح يوم الجمعة ينهمك الناس في ذبح الذبائح وسلخها وتقطيعها، وإعداد أكياس الأرز، ونصب القدور، وجلب المياه، وتحضير الحطب، ونصب المواقد لطبخ اللحم والأرز، فما أن تصل الساعة إلى العاشرة قبل الظهر يبدأ أهل العريس بدعوة الناس لتناول طعام الغداء. ولم تكن الدعوات مكتوبة بل كانت شفوية، أما من يسكنون خارج القرية فقد كانوا يرسلون إليهم من يدعوهم في مستقرهم، ثم يأخذ الناس في التوافد على البيت من كل حدب وصوب، لتناول طعام الغداء وتنقيط العريس، وقد تستمر العملية حتى عصر الجمعة، ثم ينفض الناس، ويبدأ الشباب بهدم البيت وترتيب الوضع العام للمكان.

ولا بد أن يسبق هذا كله ليلة الحناء، وتكون مساء الخميس، أي ليلة الجمعة، حيث يذهب أهل العريس يطلبون من أهل العروس السماح لهم بالحناء، فإذا استجابوا لذلك، أتت نساء أهل العريس إلى بيت أهل العروس، فيحتفل بالأمر احتفالاً غنائياً، وقد يتطلب الأمر من العروس أن تنتف عانتها لوضع الحناء مكانها، وتحنى كذلك رجالها ويدها، على مرأى من عدد من نساء القرية القريبات أو غير القريبات.

أما جلب العروس إلى بيت العريس فله احتفال خاص كذلك ومراسيم دقيقة، وتبدأ بأخذ جاهة كبيرة من الناس لطلب العروس من ولي أمرها الذي يكون هو وأهله منتظرين قدوم أهل العريس لهذا الأمر، ثم يتكلم كبير الجاهة فيطلب الإذن بأخذ العروس، وهنا يتصدى ولي أمر العروس، فإما أن تمر المسألة ببسر، فيستجيب لهم في طلبهم، وإما أن يطلب مبلغاً من المال قبل إخراج العروس، ويكون ذلك المبلغ لأن العريس قصر في أمر ما، فادخره أب العروس لهذا اليوم، ثم تبدأ الجاهة بتدبير المبلغ الذي طلبه، أو انتهى إليه الحوار معه، أو إلى إلغائه أو تقليصه.

وبعد مرور هذه المرحلة بسلام، تخرج العروس بعد أن ينقظها أهلها ويودعونها، فيصاحب الوداع بكاء من الأهل والزغاريد والمهااة من أهل العريس، ثم يقود العروس والدها أو أخوها، ثم يسلمها إلى كبير الجاهة أو والد العريس، ثم تُركب العروس على جمل أعد لهذه الغاية، ثم تكلف امرأة مرتبة إما أخت العريس أو عمته أو زوجة أخيه بقيادة الجمل، وبينما يمشي الجمل توزع النساء أنفسهن على جماعات على شكل أسطر متتالية، ويعد لهذه الغاية شرافيف كبيرة ومتسعة ومطرزة، لضم كل مجموعة تحت هذا الشرشف، ثم يبدأ بالغناء وراء الجمل، وتلك أسعد لحظة عند الجميع. فإذا سلمت الأمور، ولم تحدث مشاجرات يسير الركب حتى بيت العريس، فتنزل العروس إلى بيتها الذي قد يكون غرفة أو سقيفة أو



زاوية من البيت، فتجلس على كرسي يُجلب لها، ويبدأون الغناء حولها حتى لحظة النقوط، فيأتي أهلها مساء فينقطنونها ويودعونها، ثم يكون دور العريس في النقوط، ومما أذكره أن العريس كان يحضر مجموعة كبيرة من البرايز (والبريزة قطعة نقد أردنية بعشرة قروش)، وعندما يبدأ العريس نقوطه يرفع التل الذي على وجه العروس ثم يبدأ برصع البرايز على ناصيتها، وتكون قريبة من قريباتها تتلقف البرايز بعد أن يرصعها على الجبهة. ثم يبقى جمع من النساء معها حتى وقت الدخلة، حيث يدخر لها وللعريس عشاء جيد ليبدأ حياتهما الزوجية. وقبل مجيء العريس تلح بعض النساء على عدم التحرك من المكان، فعندئذ تقوم إحدى قريبات العريس بطردهن طرداً ملطفاً حتى يتهيأ الجو للعروسين.

أما المآتم فمراسيمها أيسر كثيراً من مراسيم الأعراس، فالمآتم يقتصر على إعداد المكان لاستقبال المعزين، وغالبا ما يكون مكان التعزية هو الجامع. ولا بد من تنضيد قسم منه بالفرشات والمخدات للالتكأ عليها، وهذا لا يكون إلا للوافدين من خارج البلد، ويقتصر الأمر على تقديم القهوة المرة فقط. وبعد أن يوارى الميت الثرى يتسابق الناس على أهل الميت يستأذنونهم في إعداد الطعام لأهل الميت، ولمن جاء من الناس لتعزيتهم، وعادة يتبارى في الاستئذان بإعداد الطعام أصهار الميت أو أخواله أو جيرانه، فإذا أعطي أحدهم الفرصة لإعداد الطعام يبدأ في جمع الخراف أو الجديان، ويعد الطعام ليقدم بعد صلاة الظهر أو عندما ينضج. ويكون إطعام الناس كذلك في الجامع، أو ديوان العشيرة، إذا كان لهم شيء كهذا، ثم يستمر الناس في التعزية أياماً أقلها ثلاثة، وقد تزيد عن هذا الرقم.

وأما الطهور فهو أحد المناسبات المهمة في قرية المجد، وقد يطهر الولد وهو حدث أي عند سن السابعة أو العاشرة، وقد يطهر بعضهم وهو كبير، أي بعد العشرين أو الأربعين، ولكن هذا نادر. وكان يتفق مع أحد المطهرين الذين يأتون إلى القرية من أماكن بعيدة كالقوار أو الخليل، فقد كانوا يتجولون في القرى كالباعة المتجولين، ينادون بأعلى صوتهم: مطهر أولاد... مطهر أولاد، وهو يتجول في أزقة البلد والحارات. فإذا مر هذا المطهر بالبلد نودي الأولاد الذين سيظهرون من الجبل وهم يقومون ببعض الأعمال المنوطة بهم، حتى إذا حضروا أخبروا بالموضوع، فبعضهم قد لا يعجبه الأمر فيهرب، وقد يمكس عنوة، وقد يستسلم بعضهم لهذا الأمر، ثم تجرى له عملية الطهور التي قد تستغرق دقائق في بيت والده، وإن من أخبر من الأولاد بأن الموضوع سهل، وغير مؤلم، يبدأ يحس بغير ما أخبر به بعد حين من الوقت. وبعد إتمام الأمر يأخذ الناس في التدفق على بيت الأهل مهنيين، وقد تقام الولائم فرحا بهذه المناسبة، ولست أنسى حتى هذه اللحظة لذة لحم الحبش البلدي الذي صنع طعاما لنا بعد عملية طهورنا.

## ٨ - الأظعمة والمشروبات (٣٦) :

كان الطعام الأساسي يتألف مما تنتجه أيدي الناس، فالقمح من زراعتهم، والشعير كذلك، والذرة البيضاء، أما البقول كالعدس والحمص والفاصولياء وغيرها فهو كذلك. وكذلك كانت الخضروات والألبان والزيوت والسمن البلدي. أما الخبز فلا بد أن يسبق بعدة مراحل حتى يصبح خبزا، وأول هذه المراحل إخراج أحد أكياس القمح المخزون في مخزن الأسرة، وغالبا ما يكون المخزن كهفا قريبا من الدار أو غرفة من بيت قديم أو جزءا من السقيفة أو تحت بيت الدرج، ثم يغربل بالغربال ثم ينقى الحب من الحجارة أو البذور الأخرى غير المرغوبة، كالشعير والعدس والكرسنة ومن أنواع أخرى، ثم يعبأ ثانية في كيس ليحمل على الحمار أو الجمل أو البغل إلى المطحنة التي غالبا ما كانت في بلدة إزنا، أو بيت عوا، أو ديرالعسل، أو الظاهرية، إذ لم يكن في المجد مطحنة للحبوب في ذلك الزمان.

وبعد جلب الطحين وخرزته في الصُومعة، تصبح مسألة استخراج الطحين من الصومعة وعجنه وتخميره بوضع قطعة من العجين المخمر من عجنة سابقة أمرا متكررا وعاديا. فالخميرة من مستلزمات العجنة المهمة، وإذا لم يكن لدى المرأة قطعة من العجين المخمر فإنها تطلب من جيرانها قطعة خميرة. ولذلك كانت المرأة إذا خرجت إلى الطابون لخبز الخبز أوصتها حماقتها بأن لا تنسى الخميرة، أي: اتركي قطعة من العجين للخميرة. ثم يترك العجين حتى يخمر، ثم يقطع إلى كرات يسهل على الخابزة معالجتها بين يديها لصناعة الأرغفة، ووضعها في الطابون حتى تنضج. وطوال فترة الخبز التي قد تستغرق ساعة أو أقل أو أكثر، وذلك وفق كمية العجين، فإن المرأة تكون منشغلة تماما بهذه العملية، كما أنها تمضي معظم وقتها داخل الطابون أو أنها تروح وتجيء حتى يتم الخبز. ولا بد للمرأة أن تحمل معها طبقا من القش لوضع الخبز الناضج عليه، وعندما تفرغ من الأمر تحمل الطبق المليء بالخبز على رأسها، ماضية إلى البيت حتى يجتمع الناس فيأكلون مجتمعين، فإذا كنت محظوظا تلك الساعة فإنك ستسعد بشم رائحة الخبز اللذيذة من مكان بعيد، وإذا كان أحد الأولاد محظوظا بوجوده في البيت قبل مجيء إخوانه فإن الأم تتناول قطعة من الزبد البلدي، ثم تضعها على وجه الرغيف، فيمسك الولد الرغيف بيديه، ثم يبدأ بقضم الرغيف حسب اتجاه تدفق الزبد المذاب. فإذا وصل إلى وسط الرغيف وجده مرنخا بالزبد اللذيذ، فيستمر في قضم الخبز، والزبد يتمدد على طرفي فمه، وربما سال شيء منه على خده، وربما سال شيء منه على ساعديه حتى يفرغ من تناول هذه الوجبة اللذيذة.

أما العشاء فلا بد أن يكون وفق المواسم. فالأكلة المشهورة في موسم الربيع (مفتلة الخبيزة) ، والعجيب أنك إذا فحصت بيوت القرية في تلك الليلة الخبيزية ستجد أن معظمها

يتناول الخبيزة في ذلك الموسم. وكانت الخبيزة تجلب من الجبال حيث تتفق مجموعات من النساء على الذهاب جماعة إلى تلك المناطق، فيجمعن الخبيزة ورقة ورقة، وينطلقن لهذه المهمة من الصباح، ولا يعدن إلا بعد الظهر، ومع كل واحدة ما جمعت من الخبيزة، ثم تبدأ مرحلة إعداد الصيد الثمين للطبخ على نار الحطب قبل الغروب بقليل. وغالبا ما كانت أكلة الخبيزة فتاً، أي يقسم الخبز إلى قطع صغيرة، ثم توضع هذه القطع في صحن واسع من الخزف يكون مجوفاً، كنا نسميه المصحان، وبعد أن تتشبع قطع الخبز بشوربة الخبيزة، يوضع عليها الليمون والزيت البلدي والشطة، إن وجدت، ثم يبدأ القصف. وقد يكون من أكلات هذا الموسم لبن المخيض والبصل الأخضر، أو شوربة العدس، أو البيبي، وهي طبخ بذور الشعير الخضراء المقشورة باللبن، وما أكثر ما تجد مجموعة من النسوة في هذا الموسم، يجلسن معاً، وهن يفصفصن بذور الشعير الأخضر تحضيرا لطبخة البيبي، وقد تكون الطبخة من لف ورق القرنبيط، أو من الرقاق باللبن أو البندورة، أو اذنين اقطاط، وهذا كله ينتج محلياً. فمثلاً عندما كانت المرأة تحتاج إلى الرقاق كانت تعجن العجين، ثم ترقه بالمرق، ثم تقطعه للرقاق قطعاً طولية كعيدان المعكرونة، ثم تطبخه مع اللبن أو البندورة.

أما أكلات الصيف فغالبا ما كانت من الإنتاج المحلي، كذلك، في هذا الموسم، وكانوا يزرعون في هذا الموسم البندورة والكوسا والقرع والباميا والبطيخ والخيار والفقوس والشمام ودوار الشمس (وكانوا يسمونه عباد الشمس) و الذرة الصفراء والبصل والثوم والحرش. ففي الصيف يطبخون يخني البندورة والكوسا، أو البندورة وحدها، أو البندورة مع الباميا، وقد يكون الغداء كوسا مشوية مع اللبن، وكنا نسمي هذه الأكلة (شوية)، التي يقدح على وجهها الثوم، ويوضع عليها الزيت البلدي أو السمن البلدي. وقد يتناول المرء ما تيسر من الأكل، فقد يكتفي بقطعة خبز مع حثلة، وهي قطعة من لبن الجميد، وقد يأكل خبزا مع قطعة بطيخ أو حبة تين أو قطف عنب. وقد يكون الأكل المحشي مع اللبن أو البندورة، أو بهما معاً، وقد يكون المحشي بالأرز، فإذا كان كذلك، طرنا فرحا لأنه غالبا ما يكون بالجريش أو الفريك. ويندر تماما أن يكون في المحشي لحم، فإذا كان فيه لحم فرح الآكلون فرحا شديداً، وعدوا هذه الأكلة مميزة.

أما أكل اللحم فلم يكن يتسنى لنا تناوله إلا قليلا، أو في مناسبة من المناسبات، فربما في الشهر مرة، وربما في الشهرين، غير أن وجود اللحم مرتبط بوجود الضيف، أو المناسبة كالعيد مثلا، ولذلك كنا نفرح كثيراً لقدم الضيف أو قدوم العيد. وقد كان الصيد، صيد العصافير والشنانير والحمام البري (الرُّقْطِي) مصدراً آخر من مصادر تناول اللحم، وكذلك صيد النيصة والغزلان، وما يذبح اضطراراً من المواشي، كالأغنام والأبقار. وقد

كان الواحد منا، في فصل الصيف، يخرج في الصباح الباكر إلى الجبل، أو كروم التين والعنب، فينصب شراكه (أفاخه) في السهول والوديان، لاصطياد البرارق والجعدات، بعد أن يطاردها من مكان إلى مكان، أو قل من جبل إلى جبل، لعلها تقترب من الشرك المنسوب للصيد تحت شجرة زعرور، أو خروب أو بلوط. وكان الفخ قطعة من حديد لها فم واسع يفتح على عرضه عند نصب الشرك، وله كرز (عود من الحديد الرفيع طوله ١٥ سم) يُشبك بخرزة صغيرة تكون في رأس خيط رفيع مثنى، وتربط في هذا الخيط دودة كنا نجتمعها من نبات يسمى العليق، أو قصب الذريرة البيضاء، ونربطها في قنينة فيها طحين، حتى إذا عزمنا الصيد وجدنا الذخيرة الدودية جاهزة. فإذا أردت ربط الدودة أنزلت الخرزة قليلاً، ثم أدخلت طرف الدودة في الخيط المثنى، ثم رفعت الخرزة إلى فوق فتشدها على الدودة، فتمسك بالخرزة ولا تفلتها، ويصبح للدودة نشاط كبير بعد ربطها بالخرزة، لعلها تحاول الإفلات من هذا القيد الذي قيدت به، ثم يدفن الفخ في التراب، ولا يبقى منه إلا الدودة تروح وتجيء في مكانها، فإذا جاء العصفور فوقف على الشجرة التي نصب تحتها الشرك لم ير إلا الدودة، ثم ينزل إلى الأرض فينظر يمنة ويسرة، فيقف أمام الدودة لينقرها، ونحن، في هذه الحالة، نرقب كل حركة للعصفور، ونكون منشدين إلى الحدث انشداداً يشغلنا عن أي أمر، ثم يهوي على الدودة لينقرها، ثم ينقرها فيفعل الفخ، هكذا كنا نقول، فيغلق فمه على رقبة العصفور أو جناحه أو رجله، ممسكاً به إمساكاً شديداً، ثم يخرج غبار المعركة لندرك أن العصفور قد وقع في الشرك، فنطلق سيقاننا للريح لذبح العصفور قبل أن يموت، ثم نسمي باسم الله، فنفصل الرأس عن الجسد، ثم ننصب الفخ مرة أخرى، وفي مكان بعيد عن الفخ، نجلس بعد أن توقف جسم العصفور عن الحركة، فننتف ريشه، ونفتح بطنه، لإخراج المعدة والمصارين، ثم نربطه على جنبنا الأيمن أو الأيسر استعداداً لجولة أخرى من الصيد. فإذا انتهى وقت الصيد، رجعنا إلى القرية مزهوين فرحين، والعصافير المصطادة مجدلة على خصورنا، ثم يحضر لنا طبق شهى من العصافير مع البندورة لتتغدى أو نتعشى.

أما المشروبات فلم تكن نشرب إلا الماء والشاي واللبن المخيض والحليب وعصير قمر الدين وعصير التمر ومريسة اللبن الجميد والميرمية والجعدة.

ومن أشهر الطبخات المعروفة في هذه القرية:

الششبرك، والكسكسون، والسمبوسك، ورشتاية العدس، والملتوت بالسمن البلدي، أو الزيت البلدي، والمطبق، والزلابية، والمقلي، والدجاج المشوي بالطابون، والبيض المشوي بالطابون، والشعيرية، والمقيفة، والشوية، وحليب اللبا، وفتة اللبن مع الزيت أو السمن البلدي، وفتة شراك مع مرق الدجاج البلدي والسمن البلدي، والمحشي بأنواعه حتى

البطيخ الصغير كان يحشى، والملفوف، وورق العنب، وملولية البلوط، والكعكة في الموقدة، واليخني، ومفتلة الخبيزة، وشورية العدس، والرقاقة بالسماق، أو بالبندورة أو باللبن، والمنسف، وحارق أصبعه، والجريشة بمرق اللحم واللبن، وغالبا ما تستخدم في النذور والمأدبات، وقد تطبخ الجريشة في البيت بالبندورة. ولم نكن نعرف شيئا من الحلويات إلا وضع السكر على المطبق أو الشعيرية وكنا نأكل التمر كثيرا إما حبا وإما شرابا.

## ٩ - الصناعات التقليدية (٣٧) :

لم يكن في المجد صناعة تصدر منتجات إلى الأسواق، ولكن كان فيها صناعات محلية لخدمة حياة الناس، ومن هذه الصناعات:

### ♦ صناعة الطوابين والمواهد والصوامع ومصافي الكسكسون:

هذه جميعا تقوم على صناعتها النساء، ومادتها الأساسية الطين الأحمر (السَّمَقَة الحمراء) والتبن الأبيض. فقد كانت تتفق مجموعة من النساء على يوم معين يجبلن فيه جبلة الطين مع التبن، ثم تأخذ إحداهن لديها مهارة في هذا المجال تشكل هذه الأدوات بيديها بدقة ومهارة وتأنق، حتى يخرج لديك شكل جميل وصلب، ثم تترك حيناً من الوقت حتى تجف، ثم تكون صالحة للاستعمال. أما الطابون فهو للخبز، وأما الموقد فهو لإيقاد النيران خارج البيت، ثم يكون إدخالها إلى البيت، وأما الصوامع فهي لخزن الطحين، وأما مصفاة الكسكسون فطبخه على النار (الخطب).

### ♦ صناعة العصي والعكازات والمحاريث والمذارى والمسبحات:

أما العصي والعكازات فكانت تؤخذ من شجر البلوط أو السويّد، وكان صنع العصا يستغرق يوما كاملا، فيبحث عنها أولا في الأشجار، ثم تنظف وتحمص على النار، حتى تلين ثم توضع تحت حجر ضخم أو صخرة كبيرة أياما، لتستقيم وتنعدل. وأما المحاريث فلا بد أن يعتمد في صناعتها على نجار، ولذلك أذكر أن الرجل كان يأخذ معه الخشب الذي قطعه من شجرة ما ثم يتجه إلى نجار في الخليل، ليصنع له المحراث والمذارى. أما المسابح أو المسبحات فقد كانت تصنع من عجم (أنوية) الزيتون، أو من نبات آخر يسميه أهل المجد العبهر كان ينبت في المجد، ويثمر ثمرا على هيئة كرات بنية اللون وصلبة، وكان لدى الصانع سلك يحمى على النار، ثم يدخله في العجمة أو كرات العبهر، ثم تنظم الحبات المثقبات في خيط فتكون لديه مسبحة جميلة جدا.

### ♦ صناعة اللحافات والفرشات والمخدات:

كان الناس لا يشترون أبدا الفرشات الجاهزة، ولا اللحافات الجاهزة، وكذلك المخدات. فقد كانوا يبتاعون القطن من سوق مدينة الخليل، لصناعة هذه الأشياء وتنجيدها في البيت.

وإذا كانت من الصوف فإنه عندئذ لا داعي لشراء القطن، لأن الصوف يسد مسده بل هو أفخر عند الناس. وكان بعض الناس يبيعون الصوف لأنه كان غالياً، ثم يشترون بدلا منه القطن لأنه أرخص.

#### ♦ صناعة شطانيات التبن والمخالي والأكناف والسجاد:

كانت شطانيات التبن، وهي أكياس ضخمة لتعبئة التبن، وحمله على الجمال. أما المخالي ومفردها (مخلاة) فتصنع من خيوط الصوف المبروم على المغزل اليدوي، وكان لون المخلاة مخططا باللون الأحمر والأسود والأبيض حتى تكون جميلة جذابة، وكانت النساء تغزل هذه الخيوط وتلفها على قطعة من الخشب لحين الاستعمال، وتستعمل المخلاة لجمع عرائيس الذرة البيضاء. أما الكنف فقد كان يستخدم لحفظ الخبز، وكانت كل عروس تحرص على أن تكون المخلاة والكنف من كسوتها.

#### ♦ صناعة الأقداح والأطباق والسلال والقرطلات:

وكانت هذه جميعا تصنع من قش القمح الطويل، وتنسج النساء كذلك، وكم كنا نمضي ساعات في بيدر القمح، ونحن نجمع سيقان القمح لأمهاتنا لصناعة هذه الأدوات، وعندما نحضر هذه السيقان تنقع في الماء وتلون، ثم تنسج باستعمال مخزن وسيقان خاصة من القمح. ومن أشهر هذه الأواني ما كنا نسميه القرطلة، ولا أدري كيف صيغت هذه الكلمة، وما مصدرها، وكنا نستخدمها لجلب التين من الكروم. أما القدح فكان يستخدم لوضع الخبز فيه، ويكون مجوفا قليلا، ويكون الطبقة منبسطة غير مجوفة لوضع صحن الأكل عليه، وأما السلال فلجني البندورة والكوسا.

#### ♦ صناعة الضواية:

وهي قطعة مخروطية الشكل من التنك لها فتحة في رأسها، ولها غطاء مثقوب من وسطه، وكان الناس يحضرون هذه القطعة من التنك من الخليل، ويضعون فيها حبلا قطنيا من القماش يمتد إلى قعرها ويسمى (افتيلة)، ويخرج من فتحة الغطاء، ثم يوضع فيها الكاز، وتترك حيناً من الزمن حتى يتشرب الكاز الحبل المدلى فيها، ثم تولع بعود كبريت فتتير لك المساحة الموجودة. كانت هذه الضواية سيئة جداً، لأنها كانت تخرج سنا أسود يملأ أنوفنا بالسواد، وعندما ننظف أنوفنا بالمرحمة أو بقطعة قماش بيضاء أو بأصابعنا تصبح هذه سوداء، وبقي الحال هكذا حتى وجدت اللامضة ذات الزجاجية المخروطية وتسمى البنورة، ثم اللوكس ذو الهدير القوي والإضاءة الساطعة الناصعة القوية، وقد كان له كيس صغير يربط داخل اللوكس، ثم يحرق، ثم يولع اللوكس فيعطيك إنارة قوية.

## ١٠- الألعاب (٣٨) :

كانت تشيع بين أهل المجد ألعاب كثيرة منها ما يختص بالصبيان ومنها ما يخص الرجال والنساء.

أما ألعاب الصغار والفتيان فهي: البك والغماية وشففت القمر والجاجة والقال وحاكم/جلاد وكرة القدم والحبلّة والرقاية والبنانير ورشرش والسباق.

## ◆ لعبة البك:

ويلعب الصبيان هذه اللعبة في الشتاء عندما تكون الأرض طرية، وآلتها الوحيدة عصا قوية بطول متر أو أقل قليلاً، يضربها اللاعب في الأرض الطرية بحيث تنغرز فيها انغرازاً عمودياً بزواية قائمة، ويتفق اللاعبون على عدد المرات التي يضربها كل لاعب، ويكون الفوز لمن غرزها عمودياً أكثر من غيره. وتحتاج هذه اللعبة إلى ذكاء ومهارة في كيفية مسك العصا وكيفية تسديدها وقوة عضلات.

## ◆ لعبة الغماية:

ويلعبها الصبيان أو البنات أو كلاهما اختلاطاً، وتكون في الليل أو النهار، وقوامها أن يغمض أحد الأولاد عينيه ليختبئ بقية اللاعبين، ثم يبدأ من أغمض عينيه يبحث عنهم واحداً واحداً، وكلما أمسك واحداً جلسه في المكان الذي تنطلق منه التخبئة، فإذا لم يمسك بواحد منهم يكون قد خسر اللعبة. ثم يأتي دور آخر وهكذا.

## ◆ لعبة (شففت القمر) :

وتلعب في الليل على ضوء القمر، وقوامها أن يضع المتلاعب ظهره على ظهر زميله وقوفاً، ثم يحمل أحدهما الآخر على ظهره قائلاً له: شففت القمر! فيقول له الآخر: شففته خذك هالشقلة!!، ثم يفعل الثاني ما فعله به الأول، وهكذا يستمر اللعب على صورة رياضة حتى يتعب أحدهما فتتوقف اللعبة. ويلعب هذه اللعبة الأولاد والبنات.

## ◆ لعبة الجاجة:

وتكون بين اثنين فقط من الأولاد والبنات، وتقوم على جمع كومة من الحجارة، ثم يبدأ صاحب الدور في اللعب برفع حجر بيميناه إلى أعلى الكومة قليلاً، وفي اللحظة نفسها يرفع حجراً من الكومة، ويضعه على جانبها قبل سقوط الحجر الذي رفعه فوق الكومة بيده اليمنى، ويكون مستعداً لالتقاط الحجر الذي رفعه إلى الأعلى بيميناه، وهكذا يستمر اللعب حتى ينقل الكومة كلها، وهذه علامة الفوز. ويتبع ذلك أن يضع المهزوم يده ممدودة على الكومة، فيضربها المنتصر بيده بالعدد الذي يريده. فإذا لم يستطع ذلك فلم يلتقط الحجر الذي رفعه بيميناه فإن اللاعب المقابل يأخذ الدور. وهكذا حتى ينجح أحدهما فيعاقب الآخر.

### ◆ لعبة القال:

وهي لعبة تتكون من خمسة أحجار صغيرة بحجم بعرة الجمل أو حبة التين الصغيرة، ويحرص اللاعب أن تكون أحجاره ذات شكل سداسي، أي كقطعة السكر المسدسة الأضلاع، ثم يبدأ اللاعب برمي القالات على الأرض، ويرفع أحدها عاليا ويأخذ في التقاطها واحدة بعد أخرى، وفي كل مرة يرفع أحدها بيميناه إلى أعلى، وعليه أن يلتقط كل حجر من التي على الأرض قبل أن يسقط الذي رفعه إلى أعلى في يده، فهذا هو الشوط الأول من اللعبة. ثم يكرر اللعب بالتقاط اثنين اثنين من على الأرض، وهذا هو الشوط الثاني. ثم ثلاثة أحجار وواحد، وهذا هو الشوط الثالث. وهكذا تستمر اللعبة حتى يفوز الفائز إذا لم يقع في أي خطأ وعدم التقاطه الحجر الذي قذفه إلى أعلى، أو أن يخفق في التقاط أحد الأحجار التي على الأرض، ثم يأخذ اللاعب الآخر دوره.. وهكذا. وتكون هذه اللعبة للفتيان والفتيات من جنس واحد أو من الجنسين.

### ◆ لعبة الحاكم والجلاد:

إذا اتفق مجموعة من الشباب على لعب هذه اللعبة فإنهم يحضرون أربع ورقات كتب على كل واحدة كلمة معينة من الكلمات الآتية: حاكم، جلاد، مفتش، لص. ثم يقترع على من يبدأ اللعب، فيضع الذي حصل على الدور الأول الأوراق الأربع في يده وهي مطوية بحيث لا يظهر ما كتب فيها، ثم يخبئها ويخضها في يده، ويرمي بها على الأرض، فيلتقط كل واحد ورقة ويخبئها، ولا يظهر أحد ما عنده إلا الذي لديه لفظ: حاكم، فيتنحنح، ويهز جسمه ويبتسم، وهم جميعا قعود، ثم يقول: أين مفتشي؟ فيقول المفتش: أنا المفتش. ثم يقول الحاكم للمفتش: أين اللص؟ وهنا يبدأ المفتش بالتخميس والتسديس ليكتشف اللص!! لأنه إذا أخفق فسيخرب على يده عددا من الضربات، أما إذا عرفه فيحكم الحاكم عليه بعدد من العصي الخفيفة، وينفذ ذلك الجلاد. وهكذا تستمر اللعبة حتى يقرر الجميع التوقف.

### ◆ كرة القدم:

وهي لعبة معروفة كانت تجرى على بيادر القرية لاتساعها وبعدها عن البلد، وكانت الكرة التي يلعب بها مصنوعة من الخرق والقماش الملفوف على هيئة كرة، وكنا نسميها الطجة.

### ◆ الحبلّة:

وهي اللعبة المعروفة بين الفتيات، وذلك بالقفز في الهواء على حبلّة يلوح بها اللاعب من فوق رأسه وتحت قدميه، والفائز فيها هو الذي لا يتعثّر بالحبلّة عند القفز والاستقرار على الأرض، أو الذي يستمر باللعب أطول مدة ممكنة. وقد يلعبها اللاعب منفردا.



## ◆ الرقاية:

وتقوم هذه اللعبة على ربط حبل طويل ومتين بأعلى جذع في شجرة باسقة، وغالباً ما كانت من الخروب أو البلوط أو الزيتون، ثم يقوم المتسلق بالرقاية على الحبل الممتد إلى أعلى، حتى يصل إلى أعلى الشجرة باستخدام يديه ورجليه، ثم ينزل ويكرر الأمر مرات. وقد يربط الحبل على بئر عميقة فتؤدى اللعبة فيها، وهي لعبة خطيرة ومنهكة. ولا يفعل هذه اللعبة إلا الفتيان الأشداء الشجعان.

## ◆ البنانير:

وهي لعبة مادتها الأساسية كرات من الزجاج الأملس، وحفرة صغيرة في الأرض لإسقاط البنانير فيها عن بعد، وحجر صغير يضع اللاعب يده عليه عندما يصوب البنور نحو الحفرة. يبدأ اللاعب بوضع يده على الحجر، بعد أن يحصل على الدور في اللعب بالقرعة، وكانت القرعة بقرش، فيقول القائل للمقترح الآخر: عربي ولا انجليزي، ثم يرمي قطعة النقود على الأرض، فالفائز هو من ظهر الوجه الذي طلبه. يبدأ صاحب الدور فيصوب البنور الذي بيده نحو الحفرة فإذا استقر البنور فيها، استمر في اللعب وأخذ يصوب نحو بنور شريكه في اللعب، فإذا أصابه كسب بنورا منه، وإذا لم يصبه يأخذ زميله الدور، وهكذا يستمر اللعب حتى يتوقفا عنه، إما باختلاف أو مشاجرة أو بغضب، لأن الفائز كما يقولون قسّطه ما عنده من البنانير. وهي تشبه المقامرة لأن البنانير كانت تشتري من الحوانيت، وإذا خسر اللاعب فإنه يشعر بألم قوي، ثم يبدأ يخطط للثأر من الذي قهره في اللعب، ولا يهدأ للخاسر بال حتى يسترد ما خسر، ولا يلعبها إلا الأولاد.

## ◆ لعبة رَشْرَش:

وتكون بين اثنين بحيث يمد كل فريق يديه أمام الآخر، ولا بد أن يحدد من الذي يبدأ اللعب عن طريق الاتفاق أو القرعة، أما صاحب الدور فيظهر كفيه، والآخر يقلب يديه على الظهر، ثم يغافل صاحب الدور الآخر فيضربه بيده على ظهر يد الشريك في اللعب، فإن أصابه استمر دوره وإن لم يصبه أخذ الدور اللاعب الآخر. وهكذا تستمر اللعبة حتى يتفقا على التوقف. وتكون هذه اللعبة بين الأولاد أو بين الجنسين.

## ◆ السباق:

وهي لعبة السباق العادي بين عدد من المتسابقين في مكان واسع سهل، ولا بد لهذه اللعبة من حكم يحكمها حتى يقرر من الفائز، وغالباً ما كانت تجرى هذه اللعبة أيام العطل، أو بعد انتهاء الدوام المدرسي، في بيدر البلد أو سهلها.

وأما ألعاب الكبار فهي ثلاثة أنواع:

◆ النُّقْدَة:

وهي لون من ألوان لعبة الشطرنج، وتقوم على بناء مربع على الأرض ثم عمل حفر صغيرة داخل هذا المربع بحجم 8×8، وتصنع بأصبع اليد على تراب ناعم، ويقوم اللاعبان بوضع كلابهما، كما كانوا يسمونها، من نوعين مختلفين من الحجارة أو البعر والحجارة، أي الحجارة الصغيرة لأحد اللاعبين وبعر غنم جاف للاعب الآخر. ولا بد من تحديد من البادئ باللعب عن طريق القرعة، ثم يبدأ اللعب على طريقة الشطرنج لأن كل واحد يضع كلابه في صفيين أمامه، وتستمر اللعبة حتى يصفى أحدهما كلاب الآخر، وبهذا يصبح الفائز.

◆ الشارات:

وتقوم هذه اللعبة بين فريقين، وقد يكون كل فريق عددا من الرجال، ويقوم كل فريق بنصب ثلاث شارات من الحجارة رقيقة ومستطيلة رأسيا، ويضعون أمامها حجرا صغيرا على شكل رأسي يسمونه ناقوسا، وتكون المسافة بين الفريقين لا تقل عن مائتي متر تقريبا، ويقرر من يبدأ اللعب بالقرعة، ثم يبدأ اللعب برمي الحجارة وتصويبها نحو الناقوس، فإذا أصيب الناقوس استمر لعب الفريق برمي الحجارة وتصويبها نحو بقية الشارات حتى إسقاطها جميعا إن استطاعوا، وإذا لم يفلح صاحب الدور في إسقاط الناقوس فإن الفريق الآخر يأخذ الدور. وهكذا يستمر اللعب حتى يسقط فريق شارات الفريق الآخر فيكون الفائز. وقد كانت هذه اللعبة تجذب معظم شباب القرية فيشاهدونها ويتحمسون لها حماسة منقطعة النظير، وكأن الأمر بين فريقين كرة قدم. وكانت تجرى هذه اللعبة في أماكن جبلية بعيدة عن أنظار الناس وحركتهم لئلا يصاب أحد المارة بحجر من الحجارة التي تتطاير كالقذائف. وغالبا ما كان ينبري لهذه اللعبة رعاة البقر أو رعاة الغنم الأشداء، فإذا ربح أحدهم هذه اللعبة طار صيته في القرية وأخذ كل واحد يتمنى أن يكون من مجموعته في لعبة قادمة.

◆ الشدة:

وهي لعبة الورق المعروفة بـ (الهاند) أو (الباصرة).

١١ - عادات شعبية جبرية (٢٩) :

من العادات الجبرية التي لا يستطيع أحد من أهل المجد الفكك منها، وإلا اعتبره الناس شاذاً أو مخالفا للقوانين الشعبية الصارمة، وأصبح لحمه مباحا للأكلين، وقد يتجرأ

على الله وشريعته ولكنه لا يجروُ أبداً على تجاوز هذه العادات:

#### ◆ زيارة الواجب:

وهي زيارة المريض في المستشفى أو البيت، أو زيارة الغائب العائد بعد طول غياب كعودة السفر أو الحج أو المرض. فإذا دخل أحد الناس المستشفى فلا بد من زيارته هناك، حتى ولو كان في آخر الدنيا، وتكون الزيارة عادة يوم الجمعة. وإذا قدر لك أن تكون صباح يوم الجمعة في المجد ورأيت الناس يتسابقون على ركوب السيارات وعباءات الرجال مطويات على أكتافهم، فاعرف أن هناك مناسبة ما تدعو إلى هذا النفير، وعلى الأغلب أن تكون زيارة مريض في مشفى بالخليل، أو ببيت لحم، أو بالقدس. فإذا خرج المريض من مشفاه معافى أصبحت زيارته في البيت واجبة، وإذا لم يستطع أحد الناس زيارته في المشفى فإنه يأتي إلى بيته مهنئاً وملحاً في الاعتذار، لأنه لم يزره في المشفى. ثم يأخذ الناس في التوافد على بيت المريض مُسَلِّمين ومهنئين، وغالبا ما تكون الزيارة، بدون استئذان، عصراً أو بعد المغرب أو بعد العشاء، ويكون أهل المريض جاهزين لاستقبال الناس، لأنهم يتوقعون زيارتهم. فإذا اجتمع عدد من الرجال انعقد في اللحظة نفسها مجلس قضاء لترتيب واجب إكرام المعافى بغداء أو عشاء أو فطور، ويحاول كل رجل التملص من كونه قاضياً، لأن القاضي لا ينال شرف إعداد الطعام، فإذا اتفقوا على قاض معين أخذ كل واحد مكانه من المجلس، حتى إذا جاء دوره مدّ حجته (هكذا يقولون) أو مرافعته أمام القاضي طالبا حقه في إكرام الضيف. ثم يعين القاضي من سيعد الفطور ومن سيعد الغداء ومن سيعد العشاء، ثم ينطلق الآخرون نحو من خلف عليهم القاضي أدوار الطعام يرجو كل واحد ممن سيعدون الطعام أن يتنازلوا عن إعداد الطعام لمن يرحوهم، فلا يقبل أي منهم ذلك بتاتا. وقد يقبل الرجل المزار أن يعد له الطعام وقد لا يقبل، فإذا قبل كان هذا ديناً عليه، لا بد أن يتأهب لسداده عند حصول أي مناسبة لمن أعد له طعاماً.

#### ◆ العونة:

وتعني عندهم التعاون على إنجاز عمل ما لا يمكن لفرد أن ينجزه وحده في مدة قصيرة. فإذا كان عند أحدهم مناسبة عقد بيت أو دراسة بيدر قمح أو شعير، أو غيرهما، أو تأخر في جمع القش، هب فريق من جيرانه وأقاربه لمساعدته في إتمام أمره. وقد يعلن عن ذلك في ديوان القوم مساء، فيقول المتحدث: في عونة بكرة يا شباب حول كذا وكذا... فيتنادى الشباب لإتمام الأمر إلا من كان عنده ظرف يؤخره عن ذلك فيعتذر. وفي هذه الحالة (العونة) لا بد لصاحب الشأن أن يعد للمعاونين طعاماً طيباً.

### ◆ الطعام في رمضان:

ويسمون تقديم الطعام في رمضان بـ (الخروج) . ويكون ذلك باجتماع الرجال طوال شهر رمضان على إفطار جماعي في الديوان. فعند كل مساء رمضاني، وقبل أذان المغرب بقليل، يحمل كل رب أسرة طعاما أعد لهذا الأمر متجها صوب جامع (ديوان) حارته، ثم يضع الطعام ويجلس بجانبه منتظرا أذان الإفطار، وهكذا يفعل كل مشارك في هذه الجلسة، فإذا نظرت إلى هذه الحلقة الجميلة وهم ينتظرون إعلان النداء، ثم رأيت أصناف الصحن بأطعمتها ولذائدها، ورأيت الحاضرين بعضهم يتمتم بذكر الله وتسبيحه، وبعض آخر يروي روايات الدنيا ومشاعلها، والآخرون منهم من يصغي لأحاديث الرواة، ومنهم من هو شارد الذهن يفكر في هم ركب رأسه، أو في صحن في تلك الزاوية يتمنى أن ينال شيئا منه، سرك اجتماع هؤلاء الناس في الله.

### ◆ واجب طبخة اليوم:

إذا كانت هناك طبخة مميزة أو عادية عند الأسرة، وخاصة إذا كانت لها رائحة تصل إلى الجيران، فلا بد أن تبادر ربة البيت إلى تحضير مجموعة من الصحن، لتملأها من هذه الطبخة قبل أن يأكلوا منها، ثم تنادي أولادها فتطلب من كل واحد أن يمك صحننا، ثم تأمره بإرساله إلى دار فلان أو فلانة من الجيران أو الأقارب.

### ◆ توحيد الطبخة:

كانت نساء كل حارة، أغلب أوقات السنة، يتفقن كل ليلة على نوع الطبخة التي ستعد تلك الليلة. وقد تتحكم المواسم في تحديد نوع الأكلة، فمثلا إذا كان موسم الخبيزة فلا بد أن تجد الحارة كلها منشغلة في إعداد أكلة (مفتلة الخبيزة) . وقد كانوا يفسرون ذلك (برد عيون الأولاد عن أكل الجيران) .

### ◆ إكرام الضيف:

لا يمكن أن يحل ضيف في أي جامع (ديوان) من جوامع المجد إلا يهب الحاضرون في الجامع لإعداد طعام له، ولا يكون إعداد الطعام إلا بعد تشاور ومجلس قضاء، حتى يحكم القاضي من يعد الطعام، وغالبا لا يكون طعام الضيف إلا اللحم والأرز. وافرض أن ضيفا حل، ولم يكن في الجامع إلا شخص واحد، فالأغلب أن يقوم هذا الرجل بواجب الضيف وفق همته أو قدرته، أو توفر الطعام ونوعه. ولا بد أن يهش و يبش الحاضر في وجه الضيف، ولا بد أن يحضر له فراشا يجلس عليه.

### ◆ الصبر والتظاهر بعدم الحاجة:

إذا نزل أحد أهل المجد بقوم وكان جائعاً، فوجدهم يأكلون، ثم دُعي إلى تناول الطعام، فغالبا ما يمتنع عن مشاركتهم في الزاد زاعماً أنه أكل قبل قليل، وإنما كان هذا تعففاً ومخافة اتهامه بالهلع وبالهلפתة، وقد يستجيب إلى المشاركة لأنه لم يحتمل الجوع.

### ◆ إعداد قهوة الجامع:

لا بد من وجود قهوة مُرّة، عند المساء، في كل جامع. وكان الترتيب أن تعدّ القهوة، كل ليلة، أسرة من أسر الجامع. فهذه الأسرة تجلب الحطب، وتوقد النار، وتحمص القهوة وتطحنها بالهاون، ثم تطبخها أو تغليها حتى تكون جاهزة للشرب. وإذا تخلفت إحدى الأسر عن إعداد قهوة الجامع فإن هذا يعد منقصة في حقها، وعندئذ لا بد أن تبادر فتعدها في يوم آخر. وإذا أصرت الأسرة على التهرب من إعداد القهوة فإن هذا يعد تمرداً أو مقاطعة للجامع، فيسعى أحد الناس لاكتشاف الحقيقة ثم إصلاح الأمر حتى تعود المياه إلى مجاريها.

### ◆ الرعي المشترك:

كانت كل حارة تخصص لها منطقة معينة من أراضيها لرعي المواشي، ولم يكن أحد يُمنع من التوجه إلى أي مكان عندما يرعى مواشيه، لكن هذا أصبح عرفاً متفقاً عليه بين الناس، ولهذا كان أبناء العشيرة يتنادون للخروج معاً إلى تلك المنطقة المخصصة للرعي، وكان من عادة القوم أن يتعاونوا لجمع العشب الأخضر في موسم لتجفيفه وخبزه لأيام الصيف.

### ◆ الغيبة والتعليق على الآخرين والحسد:

كان من آفات هذا المجتمع شيوع الغيبة، ولم يكونوا يتناهون عن هذه الرذيلة بل يصغي كل إلى الآخر، وقد يرددون هذه الأخبار التي يسمعونها دون ترو. وكانوا يندون بعضهم نقداً لازعاً، خاصة إذا تصرف أحدهم تصرفاً أو اتخذ لباساً يخالف الذوق المألوف. وقد يكون الواحد فقيراً، فإذا اغتنى غيره فإنه سيكون هدفاً لسهام النقد والحسد.

### ◆ سياج البيت:

كان من عادة الناس إحاطة بيوتهم بسياج من الحطب، وغالبا ما يكون الحطب من أشجار النتش أو العذق أو البلوط والخروب، ولأن البلوط والخروب يفقد أوراقه عندما يجف كان الاقتصار على النتش أكثر من غيره. وكانت النساء تجمع هذا النتش من المواطن التي يوجد فيها، وهي الجبال، ثم يضعنه فوق السياج طبقة فوق أخرى حتى يكون ساتراً. وكان بعض الناس يحرص على غرس زير ماء في هذا السياج، وكانوا يضعون بجانبه قدحا من

الألومنيوم (طاسة) حتى يشرب المضطر، ويغاث الملهوف، وهم يفعلون ذلك حرصا على نيل الأجر من الله.

♦ متفرقات:

ونذكر في ما يأتي جملة من العادات السائدة في هذا المجتمع أكثرها غير جيد وقليل منه المقبول:

- فمن العادات الرديئة: القتل على أتفه الأسباب، فقد يحدث شجار بين اثنين يقود إلى أن يقتل أحدهما الآخر لأن بقرة أحدهما أكلت عود زرع من أرض الآخر، وقد يقدر وقوع حادث زنى، أو لواط، فيتسبب عن ذلك قتل الجاني أو ترحيله عن البلد ليزوق وبال ما فعلت يداه. ومن ذلك المشاجرات على أتفه الأسباب، والرغبة في تقديم الهدايا للمتنفذين الرسميين، والتباهي بإقامة علاقات خاصة معهم، والإيمان بالخرافات والسحر والشعوذة، فإذا التباهي بذلك، والعصبية الدموية القبلية، والإيمان بالخرافات والسحر والشعوذة، فإذا ساءت صحة أحدهم فإن التشخيص السريع المتداول (هذا معمول له عمل أي سحر)؛ ومن ذلك أيضا: عدم وجود مراحيض عند الأكثرية من الناس، وانتشار آفة ضرب النساء إذ يحق للرجل ضرب زوجته إذا رأى أنها تستحق ذلك، وقد يكون ظالماً، وإنما تجرأ على ضربها لأنها امرأة، وقد تحرد عندئذ، أي تذهب إلى بيت أهلها احتجاجاً على فعلته، وقد تحتمل الأمر وتسامح، وما أكثر ما يقود هذا الفعل إلى استمرار الحرد ثم إلى الطلاق، وإذا عرف عن إنسان أنه يشاور زوجته أو يطيعها في بعض الأمور فإنه يصبح مضرب المثل عندهم في الخضوع للنساء، فيقولون عنه: إنه محكوم، كما يصبح مادة للتندر عندهم. ومن أعجب هذه الممارسات الاجتماعية (فص الجامع)، فإذا أحضر أحدهم ولدا له إلى الجامع فأحدث الولد حدثاً فإن على والده عمل بكرج شاي أي إبريق شاي. فإذا حدث هذا من رجل كبير فإن هذا يصبح عارا يلحق به أبد الدهر، وتجد الناس يتداولون الأمر بينهم فيتندرون ويسخرون ويضحكون على الحدث، وقد يشيع بين الناس لقب له بعنوان (دار أبو فص). ومن هذه العادات أن الصلاة والحج للكبار فقط، أما الصغار فلا حاجة بهم إلى أداء هذه الطاعات.

- ومن العادات الجيدة العطف على الغريب والهيبة لمساعدته، ومنها التطيب بالأعشاب فسني لوح من الصبر في الطابون لمداواة وجع الظهر لا يدانيه عندهم أي وصفة طبية، وغلي الميرمية والجعدة دواء لكثير من الأمراض، ومن مظاهر السلوك الطاغى على الفرد المجدي شدة الحياء والخجل. وربما كان هذا مجزيا لمجتمع يقاتم مما تزرع يداه، فكل غذاء له طبيعي مائة بالمائة، ومنها النقاء أو السذاجة وتصديق الآخرين، ومنها الحرص على حفر الآبار، ومنها منع الأولاد من التدخين.

والآن ما تقوينا لهذا المحور الثاني من تراث أهل المجد، وهو محور الملابس وآلات النوم والطعام والصناعات المحلية والألعاب والعادات الاجتماعية؟ أما الملابس فإن من ينعم النظر فيها يجد أنها تحفظ للإنسان جمال مظهره وجماله الخلقى، وتمنح لابسها هيبة وإجلالا، ويكون هذا في ألبسة الرجل وألبسة المرأة، كما أنها تريح الناظر إليها، وهي لا تجسد البدن ولا تشف ولا تدعو إلى الإثارة كما هو الحال في الملابس المتفرجة. ومن المؤكد أن هذه الملابس لها دور كبير في الحفاظ على الهوية الوطنية، وليس عبثا إصرار كثير من القادة على التزيي باللباس الوطني في أي مكان من العالم كما يفعل الهنود مثلا. وأما آلات النوم فلم تكن توضع إلا على الأرض، وكذلك الضيف فإنه يكرم بوضع فراش استقباله على الأرض، ولا يخفى ما في هذا من راحة وصحة وبساطة. وأما الأطعمة فمما يلفت النظر فيها بساطتها وقلة كلفتها، لأنها مما تيسر وجوده في البيت، فلا تعقيد ولا مبالغة في إعدادها أو نوعيتها، وغالبا ما تكون مما تنبت أرض المجد، ومما يحصلون عليه من مواشيهم. وإذا أنعمت النظر في مأكولاتهم فستجد أنها من صنع أيديهم، وهي صحية لا تقود إلى السمنة المؤذية. وأما الصناعات التي ينتجونها فمعظمها يؤخذ من الأرض، ومما يعده الرجل أو المرأة باليدين، بالإضافة إلى فوائدها الصحية. وأما الألعاب التي وصفناها فهي رياضية، وتشجع على الحركة والنشاط، ومما لا شك فيه أنها تساعد على بناء جسم قوي. وأما العادات التي تحدثنا عنها فتدل على الترابط الاجتماعي وقوة نفوذه على تصرفات الإنسان في مجتمع المجد.

وبعد،

فهذا غيض من فيض يمكن أن يقال في هذا المجتمع القروي الصغير، وإنك، إذا أنعمت النظر في تركيبته هذا المجتمع، يمكنك الحكم عليه بأنه مجتمع يأتلف فيه الخير والشر، ولكنه مؤهل أن يغلب خيره على شره أو شره على خيره، وفق القيادة التي تدير دفة حياته. كما أن هذه اللوحات تدل على مجتمع عميق الجذور له ارتباط بالمكان والزمان، ولذلك فهو يستعصي على الذوبان والطمس والاحتواء.

أما بعد، فقد عرضت، في هذا البحث، لوحات أو مذكرات أو أوراقاً أو صفحات من ريف قرية المجد، هذه القرية الجميلة الوداعة التي كانت يوماً ما مسقط رأس الباحث أو منشأ تربيته، ثم تركها حيناً من الدهر مضطراً إلى الغربة عنها إما لدراسة أو عمل. وما زالت النفس تحن إليها، وإلى ربوعها، وهوائها وسمائها، وليلها ونهارها، وشمسها وقمرها، وسهولها وجبالها، وإلى خروبها وسُويدها، وقمحها وشعيرها وذرتها، وبطيخها وشمامها، وتينها ورمانها، وعذقتها وبلوطها، وبيادرها، وإلى كل ما فيها من حجر وشجر وبشر. وما زالت في الأذهان خيالات تتراقص فتصور لي أياماً ذقت فيها الحلو والمر، وذقت فيها الفرح والحزن، ولسعت فيها بالحر والقر، وكان فيها صيد العصافير ومطاردة الشنانير.... وكان... وكان... كان عالماً جميلاً لا ذأ ماتعاً... ما أروع! وما أجمله! وصدق من قال:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيبُ

إن ما عرض في هذا البحث صورة لمقطع من حياة عشناها بحلوها ومرها، لكننا لا يمكن لنا أن ننساها، لأن هذا العيش أو قل ذلك العيش!! الذي نتحدث عنه امتزج بالأرض والثقافة والإنسان، وأصبح يشكل مقطعا أو مداماكا من مقاطع أو مداميك بنياننا النفسي والحضاري والشعوري والتاريخي. ولئن حافظنا على هذا المقطع في الكتاب أو الذاكرة أو الفيلم، ثم أتحنا له الفرصة أن يروى للأبناء والأحفاد والأصدقاء والناس أجمعين، فإن هذا طابو وتوثيق لا يمكن لأي كان أن يمحوه من النفس والذاكرة والتاريخ والمصادقية الإنسانية.

وما دام الوجود الفلسطيني كلاً متكاملًا من جنوبه إلى شماله إلى وسطه، ومن شرقه إلى غربه... من الخليل إلى غزة... من القدس إلى يافا... من نابلس إلى عكا... من أريحا إلى عسقلان... فإن ما يكتب فيه عن أي بقعة من هذه البقاع فكأنما يكتب عن الوطن كله، لأنّ الهَمَّ واحد، والجرح واحد، والماضي واحد، والمستقبل واحد، إن شاء الله، فما الغرابة في هذا عندما نتحدث عن جسد واحد؟ غير أن الكتابة عن بقعة واحدة فقط، وترك البقاع الأخرى تقزيم للمساحة النفسية الفلسطينية التي يجب علينا رفع رأسها للمستقبل، وتسجيلها في نفوس أبنائنا وأولادنا وأحفادنا. إن مثل هذا النكوص يقلل الحصون التي ينبغي أن تُشاد، ويقلل القلاع التي ينبغي أن تبني، لأن التربص بنا ما زال قائماً، فالطابو الحقيقي ليس الورق، وإن كان الورق وسيلة مطلوبة، ولكن الطابو الحقيقي هو ما نذخره في ذكريات هؤلاء الأحفاد والأبناء، لأن المستقبل هو مستقبلهم، ولأن حماية الوطن وتوريث هذه الحماية من



مهماتهم وواجباتهم. فكيف نطلب من شاب أن يحمي قرية له وهو لا يعرفها، ولم يقرأ عنها، ولم يُحدِّث عنها؟ إذا كان هذا فإنه ضرب من الخيال، ولا نلومنا إلا أنفسنا. إن ما يدور الآن هو أننا خسرنا معركة، ولكننا لم نخسر الحرب الفاصلة التي هي قادمة لا محالة ما دام الظلم والإحلال والإقصاء لوجودنا ووجود شعبنا هو المهيمن. ولهذا لا بد من الإعداد الجيد الآن للمستقبل القريب والمستقبل البعيد. فهيا يا شباب هذا الوطن الجريح، أقبلوا على زراعة كل قرية أو خربة أو مدينة، أو أي مكان درج على ثراه مجتمع فلسطيني بالحصون النفسية التاريخية التي لا يمكن لأي قوة في الأرض أن تدخلها أو تخلخل بنيانها.

ليهب كل فرد من أي قرية أو خربة أو مدينة فيسجل طابوها النفسي والفكري والثقافي والأدبي الشعبي، حتى نزرع أرض فلسطين من جديد في نفوس أبنائنا حصونا وقلعا تآبى على كل الغزاة والمحتلين والمستعمرين الذين لم يبقوا بصيص أمل للخلق الإنساني الشريف، والحقوق المشروعة.

ليس كثيرا عليك، أخي الحبيب، أمام زحمة الأشغال اليومية والمتطلبات الحياتية، أن تجلس مع نفسك ساعة أو ساعتين من نهار أو ليل فتسجل ما ترويه لأولادك عن حكايات جدتك وبلوطها المشوي، أو تسجل ما روتته لك أمك عن الأمثال الشعبية التي استقرت في قاموسك اللغوي الشعبي، وأصبحت رافدا من روافد ثقافتك الخاصة والوطنية، أو أن تسجل ما ترويه لأحفادك بعد (... كنا)، وكانت تقول لي الوالدة، أي جدتك أو الجدة أو الجد، إننا كنا نأكل كذا ونشرب كذا ونلبس كذا... إن هذا الذي يأتي في ظلال كانوا وكنا هو الذكريات التي تشكل دوحة نفسية مهمة يستظل بها الأجيال لأنها دوحة تاريخهم النفسي والشعوري والوجودي، وهو مهم أهمية كيان الإنسان ووجوده لأنه التربية التي بنيت على تربتها نفسيته ووجودك.

ما أروع أن نطمح جميعاً إلى بناء أطلسنا النفسي والثقافي والحضاري والشعوري الموثق عندما يدون كل فرد منا عن هذه الأمور التي هي بلسم الوجود الشعبي الجميل! وما أجمل أن يتحد هذا بالجغرافيا والتاريخ والثقافة! عندئذ سيكون كل منا قادرا على تجسيد قلعة قادرة على الصمود والصد لأي مجرم يريد أن يجرب أسلحته الفتاكة في لحومنا ودمائنا وأرواح أبنائنا وزيتوننا وكرومنا. والمعركة لم تنته، لقد كان فيها جولات وجولات، ولكن الحائط النفسي الذي سيتكسر على أسواره كل غاز أو طامع في وجودنا وأرضنا سوف يكون الأمل الواعد للنصر واندهار المعتدين، وهذا ما يمكننا أن نصنعه بأيدينا وتوثيقنا وتسجيلنا وأدبنا الشعبي. إن هذا البحث المتواضع إعلان عن مشروع كبير، أو قل: إنه دعوة

مفتوحة لكل صاحب قلم من أبناء فلسطين، أن يبادر للكتابة عن تراث البقعة التي حضنته، أو حضنت أجداده، حتى تحيا في نفوس الأجيال القادمة، ويتوارثها جيل وراء جيل إلى الأبد بحول الله وقوته.

إن من يدرس الأدب الشعبي الذي درسناه يجد فيه إنسانا عاديا يعرض نفسه على الآخرين بخيره وشره، فهو أدب واقعي يصور لنا حياة هذا الإنسان في تفاعله مع الآخرين ومع نفسه، ويعرض علينا تجاربه وتجارب من شاركه هذه الحياة يأخذ منهم ويعطيهم ثم يصبح هذا العطاء المتبادل منهاجا مشتركا يرضاه جميع الشعب دستورا لحياته ولعلاقاته وتربية أبنائه، وكأنهم يصممون مستقبل المجتمع على نحو معين، ليصبح هذا المنهاج الذي رسموه معا أقوى من القانون والتشريع والمراسيم الجبرية لأنه صدر عنهم، فهم الذين صاغوه واتفقوا عليه وقرروا أن يكون أساسا لخط حياتهم.

وهذا الأدب يدل على أن الإنسان عندما يرخي العنان لسجيته لا تقيده قيود في المعنى والفكر واللغة، فهو يسير بلا قيود. ولو أن كثيرا من هذا الأدب قد حوكم في محكمة البعد الفلسفي الذي انطلق منه ويبنى عليه وجوده وثقافته مجتمعُ المجد، وهو الفكرة الإسلامية لوصم كثير منه بالخروج على الشرع، والخلق والأصول المرعية واللغة التي تخدش الحياء، لكن هذا كله بدافع الحرية والانطلاق العفوي وإطلاق الذات على سجيته الإنسانية؟؟؟

عندما يكتب الكاتب عن الأدب الشعبي في منطقة ما فإنه يحاول أن ينقل أو يصور هذا المجتمع كما هو، بقضه وقضيضه، باعتبار أن هذه تجربة إنسانية حرة منطلقة من كل المعايير المفروضة أو القيود التي تقيدها، وجاءت بكذا وكذا من صنوف الأدب الشعبي. ومن الممكن لأحد أن يحكم على هذا النتاج بالقبح والحسن، وأن يجرب فيه معايير النقد الجاد، على ألا ينسى هذا الناقد أن أي مجتمع إنساني لا يكون كله خيرا ولا يكون كله شرا، حتى في عصور الأنبياء، فقد كان الخير والشر مظهرين من مظاهر الصراع الذي قاد إلى انتصار أحدهما على الآخر. وكذلك فإن الحكم من نتاج هذا المجتمع، فمن هذا المجتمع المجدي الصغير كان الشهيد والعالم والمهندس والمعلم والطبيب وجميع مظاهر الحياة الإيجابية النامية، ومنه غير ذلك انسجاماً مع سنن المجتمعات البشرية عامة.

## الهوامش:

١. مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين ج٩، ص ١٩٤

تعريف موجز لقرية المجد: هي قرية صغيرة من قرى محافظة الخليل، وهي إحدى قرى مدينة دورا التي تزيد على مائة قرية، وتقع في الجنوب الغربي لمدينة دورا، وتبعد عنها حوالي ٢٥ كم تقريبا. ويبلغ عدد سكانها حوالي ٤٠٠٠ نسمة تقريبا. ولم أقف على أي رواية في أي مرجع تفسر سبب تسميتها بهذا الاسم، كما أنني لم أسمع من أهل المجد تفسيراً لذلك. ومن المحتمل أن لهذا الاسم ارتباطاً بمقام مقدس لأحد الصالحين اسمه (مقام الشيخ ماجد) الذي ما زال موجوداً على هيئة بناء صغير ذي قبة، ومما أذكره في طفولتي أن الناس كانوا يحلفون الأيمان المغلظة ببابه. وفي المجد اليوم ثلاث مدارس للذكور والإناث بين ثانوية ومتوسطة، كما يوجد فيها عدد من رياض الأطفال. وتزدهر كل يوم بالبنائات الشاهقة والبيوت الحديثة. وفي المجد حارتان كبيرتان هما الحارة الشمالية الشرقية، ويقطنها عشائر الشحاتيت (دار أبو حسن والزندبي وبزيز وعقودة) ، والمشاركة (دار شديد وأبو عريضة والشعار وعياد) ، والجنادية (الملاح والأطرش) ، ودار أبو شرار، وقد صاهروا السيد حسن حسين الشعار فتزوج أبناؤهم بناته جميعاً، وهم أصلاً من قرية الدوامية، والجوادة (دار أبو جويعد) ، ودار أبو عرقوب، ودار أبو اصبيح، وهم من أم الشقف. وأما الحارة الثانية فهي الحارة الجنوبية الغربية ويقطنها آل عمرو أو عشيرة العمامرة ويتفرع منها أفخاذ (دار عيسى علي ومنهم دار خليل محمد وولده أحمد خليل الذي كان مختاراً وآخرون ودار محمد علي الصغير ومنهم السيد حسن محمود (أبو عيسى) والسيد محمد محمود شقيقه ودار محمد علي الكبير ومنهم دار عبد الحليم ودار سلامة ومنهم بيت محمد سلامة وبيت مرشد سلامة الذين تركوا المجد وسكنوا الخليل منطقة المنشر) والتلابيش (دار ضيف الله ودار بعلط) ودار أولاد محمد ومنهم (دار صالح وأولاد أحمد سالم: محمد أحمد ويوسف أحمد وإخوانهم) . ومن الأسر التي سكنت المجد، ثم رحلت عنها تماماً إلا ما بقي منها بالمصاهرة: دار البستنجي (عبد الفتاح وإبراهيم ومحمد وعبد الوهاب وغيرهم) ، ودار أبوكتة (الدرراويش) والمغربي. ونبغ من أبناء المجد أعداد من الأساتذة والمهندسين والأطباء والعلماء، ومن أبنائها أعداد مغتربة في مختلف بقاع الأرض. وللمجد موقع متوسط من الخطوط الأمامية، فهي تتوسط قرى مثل بيت عوا ودير العسل، والذاهب إلى عدد من القرى جنوب المجد (مثل قرى: دير العسل التحتا والفوقا وبيت الروش التحتا والفوقا والبيرة والبرج ثم إلى الظاهرية) أو شمالها (مثل قرى: سكا وبيت عوا ودير سامت ثم إلى إذنا وترقوميا) لا بد

أن يمر بالمجد. وتشمل جغرافيتها الجبال والوديان والسهول، ويمكن تصورها على النحو الآتي: قرية مرتفعة يحضنها واديان: وادي الطين من الشمال ووادي النجيل من الجنوب ويقسم هذه القرية خط إسفلتي يصنع منها حارتين هما: الحارة الشمالية الشرقية والحارة الجنوبية الغربية، ومناخها معتدل: فصيفها حار قليلا، وشتاؤها متوسط البرودة، ونادرا ما ينزل فيها الثلج.

٢. يُنظر حول الحكاية الشعبية:

نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص ص ٩١ - ٩٩

رشدي الأشهب، الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل، ص ٨١ وما بعدها

محمود النمورة، الفلكلور في الريف الفلسطيني، ص ص ٢٤٨ - ٢٥٧

٣. ياسر الملاح، مجلة التراث والمجتمع، العدد ١٣ / ١٩٨٠، ص ص ٦٦ - ٧١، (جمعية إنعاش الأسرة، البيرة).

٤. انظر: لسان العرب، مادة (مثل)

٥. سورة الفتح، الآية ٢٩

٦. سورة الزخرف، الآية ٥٦

٧. الكتاب المقدس، سفر التكوين ١٦: ١ - ١٨

٨. المرجع السابق نفسه: سفر أيوب ٦: ١٧ وسفر التثنية ٣٧: ٢٨

٩. القاموس العبري المركز (مادة: مثل)

١٠. عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم، ص ص ٢ - ٦

١١. المرجع السابق نفسه ص ٥

١٢. زلهام، الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، ص ٢١

١٣. الأمثال في النثر العربي القديم (مرجع سبق ذكره) ص ص ٢ - ٦

١٤. أبو عبيد القاسم بن سلام، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص ٥

١٥. السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ١ / ٤٨٦

١٦. المرجع السابق نفسه والمكان نفسه.

١٧. انظر: مقدمة مجمع الأمثال للميداني (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)

١٨. المرجع السابق نفسه والمكان نفسه.
١٩. يرد كثيرا في كتاب (كليلة ودمنة) قوله: اضرب لي مثلا... ثم يحكي حكاية...
٢٠. ابن النديم، الفهرست، ص ١٢٣ وغيرها
٢١. القرآن الكريم حيث نجد آيات تضرب للتمثيل والقياس: البقرة ١٧ و الفتح ٢٩ و يس ١٣
٢٢. الكتاب المقدس: نبوءة حزقيال ١٧: ٢
٢٣. المرجع السابق نفسه والمكان نفسه.
٢٤. الأمثال في النثر العربي القديم ص ١١
٢٥. المرجع السابق نفسه ص ١٢
٢٦. المرجع السابق نفسه ص ١٤
٢٧. المرجع السابق نفسه والمكان نفسه.
٢٨. الكتاب المقدس: سفر الأمثال: الفصول ٢ و ٣ و ٥ و ٦.... الخ
٢٩. Dan Ben Amos, Folklore Genres, P. 116.
٣٠. الأمثال في النثر العربي القديم ص ٩
٣١. المرجع السابق نفسه ص ص ٢٦ - ١٢٤ وغيرها
٣٢. الأمثال العربية القديمة ص ص ٢٦ - ٣٥
٣٣. انظر حول الأغاني الشعبية: محمود النمورة (مرجع سبق ذكره) ص ٩٨
٣٤. المرجع السابق نفسه ص ٧٤ وما بعدها
٣٥. المرجع السابق نفسه ص ٩٨ - ١٤٤
٣٦. المرجع السابق نفسه ص ٦١ - ٦٤
٣٧. المرجع السابق نفسه ص ٥٦ -
٣٨. من ذكريات الباحث في قرية المجد
٣٩. من ذكريات الباحث في قرية المجد

## المصادر والمراجع:

١. رشدي الأشهب، الحكايات والأساطير الشعبية في منطقة الخليل، جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٣
٢. رودلف زلهام، الأمثال العربية القديمة، ترجمة د. رمضان عبد التواب، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م
٣. السيوطي، المزهري في علوم اللغة، تحقيق محمد جاد المولى ورفيقه، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.
٤. عبد المجيد عابدين، الأمثال في النثر العربي القديم، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ط ١، ١٩٥٦
٥. علي محمد أبو فخيذة وزميله، الحكاية في المثل الشعبي الفلسطيني، دار الأسوار، عكا، ١٩٩٠
٦. القاسم بن سلام، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق إحسان عباس وزميله، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م
٧. محمود النمورة، الفلكلور في الريف الفلسطيني، مطبعة الأمل، القدس، ١٩٩٨م
٨. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين ج ٩، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٨م
٩. ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
١٠. الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢م
١١. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م
١٢. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
١٣. ياسر الملاح، التركيب اللغوي في الأمثال العربية القديمة، دار الطيب، بيت لحم، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م
١٤. جامعة القدس المفتوحة، التراث الشعبي الفلسطيني: هوية وانتماء، الإشراف والتحرير: د. حسن السلواوي وأ. د. ياسر الملاح، رام الله، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



# الملابس الشعبية للمرأة في محافظة الخليل

د. ناهدة الكسواني



## مقدمة:

يعدُّ الزي خير لسان يعبر عن حال الأمة وعاداتها وتقاليدها وتراثها، ولا نبالغ إذا قلنا إن الأزياء والملابس من أكثر شواهد المأثور الشعبي تعقيداً، إذ تعدُّ من الحاجات والطقوس الممتدة عبر حياة الإنسان التي يستدل بها على كثير من المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويستدل غالباً من خلال لبسها على انتمائه الطبقي ومنزلته الاجتماعية وعمله وجنسه وعمره. كما أن الأزياء الشعبية من أهم الوسائل المستخدمة في الكشف عن تراث الشعوب عبر أجيال مختلفة، وهي إن اختلفت في أشكالها وألوانها فإنما تعبر بذلك عن مراحل تاريخية مختلفة مرت بها الأمة، وسجلت على القماش أفراحها وعاداتها وأساليب حياتها المختلفة.

ولمّا كان الاهتمام بالتراث الشعبي من الأمور الطبيعية لدى معظم الشعوب والحكومات، فإن للاهتمام بتراثنا الشعبي الفلسطيني ميزة خاصة وبعداً إضافياً، بسبب واقع الاحتلال الذي نعاني منه يومياً، وما تقوم به من محاولات انتحال لتراثنا، وتذويب لمقومات شخصيتنا، وفصل لحاضرنا عن ماضينا، بهدف تفريغ الأرض من الوجود الفلسطيني.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الملابس-الأزياء- الشعبية للمرأة في محافظة الخليل، وتنبع أهمية هذا الموضوع كون الخليل تتعرض لهجمة إسرائيلية على تراثها ومحاولة طمس كل ما له علاقة بتراثنا الفلسطيني العريق وتهويده؛ بهدف تهميش الهوية الفلسطينية وإضعافها. وقد تعددت أشكال تهويد التراث الشعبي الفلسطيني منها انتحال الملابس الشعبية والادعاء بأنها ملابس يهودية-إسرائيلية- فالشعب الفلسطيني يتعرض منذ عقود لمحاولة طمسه وتدمير هويته العربية، وكل ما يربطه بالماضي.

ومن هنا يصبح من واجبنا الوطني والقومي الحفاظ على تراثنا الشعبي، وضرورة إبرازه، والتأكيد على التمسك بهويتنا الفلسطيني من خلال الرجوع إلى ملابسنا الشعبية وضرورة لبسها في كل فرصة تسنح لنا. وذلك لأن حفظ التراث واستلهامه عملية يقصد بها الإبقاء على السمات القومية، والحفاظ على الثقافة والشخصية الوطنية الفلسطينية.

ولا أزعم إنني ابتكرت في هذا البحث شيئاً لم يكن معروفاً، وإنما أستطيع أن أقول إنني أضع بين أيدي الباحثين نبذة متواضعة في مجال ما زال يحتاج إلى كثير من الجهد لإيفائه حقه من الدراسة. ولن أتطرق في بحثي إلى ملابس الرجل التراثية، على أن أستكمله مستقبلاً.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في قسمين:

- القسم الأول يمثل تعريف الملابس الشعبية، وأهميتها ووظيفتها.
- القسم الثاني يتناول الملابس الشعبية للمرأة في محافظة الخليل، في الريف وفي المدينة.

## أولاً- الأزياء الشعبية مفهومها وأهميتها:

### مفهومها:

الملابس في اللغة مأخوذة من لبس: اللبُسُ، بالضم: مصدر قولك لبستُ الثوبَ البَسَ، واللبَّسُ، بالفتح: مصدر قولك لبستُ عليه الأمرُ البِسُ خَلَطْتُ. واللبَّاسُ: ما يُلبَسُ، وكذلك الملبَّسُ واللبَّسُ، بالكسر، مثله.

واللبَّوسُ: ما يُلبَسُ؛ واللبَّوسُ: الثياب والسَّلاحُ. ذَكَرَ، فَإِنْ ذَهَبَتْ بِهِ إِلَى الدَّرْعِ أَنْتَتْ. (١) أما لفظة الشعب فهي من الشعب، والشعب القبيلة العظيمة، وقيل الحيُّ العظيم يتشعب من القبيلة، وقيل هو القبيلة نفسها، والجمع شعوب، والشعب أبو القبائل الذي ينسبون إليه أي يجمعهم ويضمهم (٢). والشعب الجماعة الكبيرة ترجع لأب واحد، وهو أوسع من القبيلة والجماعة من الناس تخضع لنظام اجتماعي واحد (٣). وقد تطورت دلالة لفظة الشعب لتشمل الجماعة من الناس الذي يعيشون في رقعة جغرافية ما، وتربطهم روابط معينة منها اللغة والعادات والتقاليد والتراث بكل محتوياته.

أما اصطلاحاً فقد تتبعها كثيرون فقول «الأزياء الشعبية هي كلمة تعني الانتماء إلى بلد ما وعادة ما يوجد زي مختلف لكل منطقة من مناطق البلد الواحد، والأزياء الشعبية فن يبدعه العامة من الناس وتتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل ويطوعها بما يلائم خصائصه وظروف بيئته ويعكس في كثير من سماتها آثار من تاريخ البلد الذي تنشأ فيه.» (٤)

وعرفها آخرون بأنها «الملابس التي تعبر عن هوية جماعة محلية من الناس، وتعبر عن علاقات الفرد مع باقي أفراد الجماعة، وعن موقعه ضمن تلك الجماعة، وإذا شبهنا نظام الملابس باللغة، جاز لنا أن نقول إن الملابس الشعبية هي «اللهجة» المحلية الدارجة للملابس، ذلك أن اللهجة والملابس الشعبية تتصف كل منهما بالمحلية أو الإقليمية، ولكن لكل منهما انتماء ثقافي. وتكون مميزات الملابس الشعبية المحلية ادة ظاهرة بارزة، بحيث تعرّف الآخرين بسهولة على الجماعة الشعبية التي ينتمي مرتديها إليها، وتعرف أفراد الجماعة نفسها أنه ينتمي إليهم. (٥) ويرى بعضهم أن الأزياء الشعبية بعد أن تظهر كسمة من السمات الحضارية للمجتمع وتتطور بين طبقات المجتمع كغيرها من مظاهر التراث الاجتماعي لا تلبث أن تصل إلى حالة الاستقرار والثبات. (٦)

## ٢- نشأتها وأهميتها ووظيفتها:

### نشأتها:

إن الأزياء الشعبية الفلسطينية التي ما زلنا نشاهد أشكالها وألوانها المختلفة والجميلة داخل فلسطين وخارج فلسطين ما هي إلا بقايا أزياء قديمة توارثها الناس جيلاً عن جيل وطائفة عن طائفة، والزي الشعبي الفلسطيني كان معروفاً على أرض فلسطين منذ أقدم الأزمنة وكان التطريز في الماضي يخدم أغراض الطبقات الحاكمة والكهنة والنبلاء والتي كانت ملابسهم تطريز بخيوط الذهب والفضة، وكانت مهنة التطريز بعيدة عن متناول الفئات الشعبية التي كان فوق طاقتها الحصول على خيوط الذهب والفضة وبدلاً من هذه الخيوط كانت تلك الفئات الفقيرة تستعمل الإبرة والخيوط القطنية والحريية لتطريز ثيابها، وترسم موتيفات تعبر عن معتقداتها الشعبية وتقاليدها مع بيئتها.<sup>(٧)</sup>

### ٢- أهميتها ووظيفتها:

يعد الزي الشعبي «جزءاً من التراث وعنواناً له؛ لارتباطه على نحو وثيق بالعبادات والتقاليد والمؤثرات البيئية والاقتصادية والاجتماعية على مرّ الزمن، لذا، كان الزي الشعبي هو الإطار الأكثر جاذبية في عملية التمايز بين الشعوب، ويمثل صورة عن المجتمع والحياة في هذا البلد أو ذلك، ويشكل مرجعاً وطنياً لأهل البلد.»<sup>(٨)</sup>

ولعل من أول المؤثرات التي ساعدت في تشكيل ملامح الزي الشعبي الفلسطيني هي تلك الوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها الأزياء، فهذه الأزياء عبارة عن لغة صامتة تعبر عن جنس لابسها وفنّته الاجتماعية وانتمائه الطبقي ووجهة نظره للحياة، كما أنها تفسر لنا المشاعر الإنسانية الداخلية التي تنمو في نفسه والتي يحاول أن يعبر عنها. فضلاً عن ذلك فإنّ طبيعته الزي وأسلوب زخرفته أو مجرد مظهره البسيط، كل ذلك يعبر عن الظروف المعيشية والموقع الذي يحتله الفرد في المجتمع أو هو تعبير عن وجهة نظر المجتمع في ذلك الشخص.<sup>(٩)</sup>

وهي تنقل لنا معاني رمزية مختبئة وراء الزخارف والتطريز لحياة الإنسان وبيئته»<sup>(١٠)</sup>

ويعدها البعض مرآة لوجوده الإنساني في مكان ما. ويعدّ ملابس الأمة مفتاحاً من مفاتيح شخصيتها، ودليلاً على حضارتها، ولعلّ الملابس هو أول مفتاح لهذه الشخصية وأسبق دليل عليها؛ لأن العين تقع عليه قبل أن تصغي الأذن إلى لغة الأمة، وقبل أن يتفهم العقل ثقافتها وحضارتها»<sup>(١١)</sup>

ويمكننا القول إن الملابس «تحتوي» أو «تجسد» كثيراً من المعاني الثقافية، ويمكنها أن «تتحدث» أي يمكن ترجمتها وفهمها عن طريق معارف خاصة بتلك الثقافة، وتتحول هذه الاستجابات بالتدرج إلى رموز اعتباطية تقليدية كما هو الحال مع اللغة المنطوقة أو المحكية، وبذلك تكون الملابس نظام اتصال أو تبادل معان ووسائل على مستوى الجماعات ذات الثقافة المشتركة، وليس على مستوى الفرد، أو على مستوى بني الإنسان ككل، ويكون نظام الترميز أو الاتصال هذا، جزءاً من المعارف المشتركة، المكتسبة بالتطبيع الاجتماعي، أو «بالوراثة الاجتماعية» بين أفراد الجماعة الواحدة التي يجمع بين أفرادها بُعد واحد أو أكثر كالعرق، والدين، والطبقة، والمهنة... الخ. (١٢)

وعلى ذلك، فإن الملابس - بين أفراد الجماعة ذات الثقافة المشتركة، ولا سيما الجماعة الشعبية المحلية - تساوي نظاماً، وليس مجرد قطع مختلفة، ويكون لدى كل جماعة كهذه قوانين تقرر من يمكن أو يتوقع أو يجب أو يلبس أية قطع، وما مواصفاتها، وفي أية مناسبات تلبس وتحت أية ظروف، وبذلك تكون مواصفات القطع المختلفة وأنواعها، والمجموعات المختلفة منها، نظاماً أو شيفرة يمكن من خلالها إرسال رسائل ومعانٍ مختلفة، فهناك عدد كبير من الصفات للقطعة الواحدة مثل: نوع القماش، ولونه، وملمسه، وسمكه، وتصميم القطعة، وكمية التطريز، وأنماط الزخرفة، وطول القطعة، وحجمها، وغير ذلك من الصفات. وكل قطعة مثل القميص أو الفستان أو السروال أو الحطة أو غيرها يمكن اعتبارها تجمعاً لعدد كبير من هذه الصفات أو الأبعاد، ولكن تجمّع الصفات هذا لا يأتي بالصدفة ولا يكون عفويًا، بل يحكمه منطق معين، ومتطلبات وتوقعات محلية معينة، ومعايير سائدة في المجتمع لكيفية تلاؤم الصفات في القطعة الواحدة وتناسقها، فيمكن أن يلبس الشخص على رأسه كوفية (حطة) أو طاقية أو طربوشاً أو برنيطة أو عمامة، أو قلنسوة) لرجال الدين المسيحيين (، ولكن القطع لا تلبس على أجزاء الجسم المختلفة بشكل عشوائي، بل يكون لها في كل مجتمع أعراف وقوانين لكيفية تناسقها. فمن المقبول في مجتمعنا مثلاً أن يلبس الشخص عمامة أو طربوشاً أو حطة وعقالاً على رأسه، مع «قمباز» وعباءة، على باقي الجسم، لكن أن يلبس «برنيطة» مع قمباز وعباءة فإن ذلك سيظهره غريباً ومضحكاً إن لم يعد جنوناً، وهذه الممارسة لا تأتي بالصدفة، بل يتحكم بها منطق معين يختلف من مجتمع إلى مجتمع، كذلك عندما يجتمع عدد من الأفراد من المجتمع نفسه في مناسبة معينة، فإن من الطبيعي أن تكون ملابس كل منهم متمشية مع تلك المناسبة، وأن يكون هنالك تناسق بين ملابس جميع الحاضرين في تلك المناسبة، فلا يعقل أن يذهب شخص إلى جنازة بملابس السباحة، كما أن منظره يكون مستغرباً أيضاً إذا نزل إلى بركة السباحة وهو يلبس «شروالا» و «قمبازا» وعباءة (١٣)

## ثانياً. الأزياء الشعبية للمرأة في محافظة الخليل:



### مدخل:

لكل شعب زيه الخاص الذي يميزه عن غيره من الشعوب، ويعتز المرء بزیه الشعبي ويتفاخر به، وهذا الزي تراث شعبي تتناقله الأجيال عن بعضها بعضاً حيث يستطيع الفرد معرفة هوية الفرد الآخر من خلال زيه الشعبي الذي يرتديه.

وفلسطين قطر عربي عريق، له تراثه الضارب في أعماق التاريخ، وله أزياءه التي تميزه عن غيره من الأقطار العربية، بالقدر ذاته الذي توحدته معها. ولكل منطقة في فلسطين أزياءها التي توحى بطبيعتها الجغرافية والمناخية، وبشكل عام، فإننا يمكن أن نلاحظ تقارب «الأزياء التراثية لنساء فلسطين في المناطق المختلفة من حيث الشكل والتفصيل، فجميعها ذات أكمام طويلة، ضيقة أو ذات أردان «ردون» يختلف اتساعها من ثوب إلى آخر» (١٤)

ويعد الثوب الفلسطيني بصمة تراثية تتباهى به المرأة الفلسطينية، فهي التي ابتكرته بيديها ليصبح زياً من أجمل الأزياء التراثية. ولعل أهم ما يميز الثوب الفلسطيني التطريز الذي يعد عنصراً أساسياً من عناصره، ويعكس الموهبة والذوق العام.

ونجد أن ثوب المرأة الفلسطينية يمتاز بكثرة الزخارف، ويعود سبب ذلك إلى مؤثرات نفسية وفسولوجية، فضلاً عن مؤثرات اجتماعية عديدة جعلت زي المرأة زياً في غاية الجمال والزخرفة في حين اقتصر زي الرجل على مظهر عادي بسيط، ويمكن أن نفسر ذلك في وجهة نظر المجتمع نحو المرأة، وفي المركز الذي اختاره ذلك المجتمع لجماهير النساء<sup>(١٥)</sup>

ويمكننا القول إن الزي الشعبي للمرأة الفلسطينية ليس واحداً، حتى داخل المنطقة الواحدة، وهذا طبيعي لغنى الثوب بالتطريزات، ولحفظ المرأة ونقلها تطريزات جديدة تتلاءم مع تطورها الذهني والحضاري، ولهذا علاقة أيضاً بالتميز الجغرافي، ففي منطقة رام الله مثلاً وحدها توجد أسماء لأثواب عدة، وكل ثوب يختلف تطريزه عن الآخر، كثوب الخلق والملك والرهباني<sup>(١٦)</sup>. وثياب المسنات من النساء لا تُطرز مثلما تُطرز ثياب الفتيات التي تزخر بالزخرف فيما تتسم ثياب المسنات بالوقار، فالقماشة سميكة ولونها قاتم ووحداتها الزخرفية تميل ألوانها إلى القتامة، فهي ألوان الحشمة التي ينبغي أن يتصف بها المسنون. وأما الفتيات فيعوضن بغنى زخرفة ثيابهن من الامتناع عن التبرج. وثياب العمل لا تزخر مثلما تزخر ثياب الأعياد والمواسم. والثوب الأسود يغلب في الأحران والحداد.<sup>(١٧)</sup>

وللتطريز أماكن على مساحة الثوب، فثمة تطريز ضمن مربع على الصدر يُسمى القبة، وعلى الأكمام ويسمى الزوائد، وعلى الجانبين ويسمى البنايق أو المناجل. ويطرزون أيضاً أسفل الظهر في مساحات مختلفة. وقلماً يطرزون الثوب من أمام، إلا أثواب الزفاف، فيكثرون تطريزها أو يشقون الثوب من أمام، وتلبس العروس تحته شروالاً برتقالي اللون أو أخضر، وثمة قرى يخطون فيها قماشة من المخمل وراء القبة ويطرزونها.

وأهم الوحدات التطريزية التي استخدمت في الزي الفلسطيني هي صورة «النماذج» وخاصة على أزياء مناطق رام الله والرملة ويافا، وبعض المناطق في قطاع غزة، وضواحي الخليل وبئر السبع. وظهر التطريز على شكل زهور وأشجار ومبانٍ وطيور منها، العصافير، الديك الرومي. أما الحيوانات فكان نصيبها قليل في فنون التطريز ما عدا الأسد والحصان، حيث انتشر الأول على الثاني، حيث ظهرت بشكل خرافي على الأزياء وخاصة في منطقة القدس. ومن أهم الوحدات الزخرفية للأزياء الشعبية وتسمى (العروق): والأمشاط، والاحجابات، وسكة الحديد، والدرج، والسلم، والتوفي، وفلقات الصابون، وعين الجمل، وعين البقرة، وقدم الجمل، والسرو، وشجرة الحياة، والنخل العالي، وسعف النخيل، وعناقيد العنب، والتفاح، والسنابل، وشجرة الزيتون، وقوارير الورد، وقدرة الفاكهة، والبندورة، والخبيزة، والزهور، والورد، وخيام الباشا، وشبابيك عكا، وعلب الكبريت، والمكحلية، والحية، والحية

والعريبيد، والعلقة، وشجرة العمدان، والقمر المريش، والنجمة الثمانية، والأقمار، وقمر بيت لحم، والفنانير، والقلايد، والريش، والفاكهة، والحنون، والقرنفل، والهلوى، وقاع الفنجان، ومفتاح الخليل، وطريق حيفا، وطريق التبان، وطريق النبي صالح، وطريق يافا، وطريق القدس، والحمام والديوك.

وتظهر شجرة السرو بشكل حجابات كما هو في أكام «دورا» والأثواب البدوية في النقب وشمال فلسطين. ونجد كذلك شجرة العنب وعناقيدها. ويعدُّ العنب من الأشجار الرئيسية في منطقة الخليل وبعض قرى غزة، وقد ورث أهل الخليل زراعة العنب عن أجدادهم الكنعانيين. وقد اهتمت الفنانات الشعبيات الفلسطينيات بشجرة العنب وعبرن عنها بابتكارات وحدات زخرفية لعناقيد العنب.<sup>(١٨)</sup>

وتميز التطريز بانتشاره على معظم أجزاء الثوب، الصدر، الأكام، الجوانب، الأمام، الخلف. وكان لكل جهة وحداتها الخاصة به فلا يجوز تطريز ما هو على الصدر مثلاً على منطقة الأكام أو الخلف مثلاً، لأن ذلك يخل بشرط أساسي وهو الخروج عن تراث الأجداد في هذا المجال الذي يعود إلى آلاف السنين، وفي الوقت نفسه للمحافظة على التقاليد المتبعة لنقلها إلى الخلف بطريقة صحيحة دون مغالطات فنية قد تفقد الثوب والتطريز عموماً مصداقيته التراثية والفنية.

ولو تتبعنا أسماء هذه الوحدات لوجدنا أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الواقعية للمرأة الفلسطينية، وبالبيئة الفلسطينية، وفي فلسطين خريطة تطريز دقيقة، فجميع القرى تشترك في تطريز بعض القطب وتختلف في وضعها على الثوب. وفي بعض القرى يُكثرون استعمال قطب بعينها فتتخذ كثرتها دليلاً على انتساب الثوب إلى المنطقة. فالقطبتان الشائعتان في قضاء غزة هما القلادة والسروة. وفي رام الله يفضلون قطبة النخلة واللونين الأحمر والأسود. والتطريز متقارب في بيت دجن، ويظهر فيه تتابع الغرز التقليدي. وتمتاز الخليل بقطبة السبعات المتتالية، وتكثر فيها قطبة الشيخ. ويطرزون الثوب من خلفه، على شريحة عريضة في أسفله، وهذا من أثر بدوي يظهر أيضاً في بيسان شمالاً وبيير السبع جنوباً. وثمة غرزة منتشرة بين الجبل والساحل تُسمى الميزان

وتستوحي الأثواب الفلسطينية ألوانها من الطبيعة التي كانت تستخرج من النباتات الطبيعية فاللون الأصفر كان يستخرج من الزعفران، واللون الأزرق من نبات «النيلة» التي كانت تزرع في مدينة أريحا، واللون البني من لحاء الشجر، والأخضر من ورق الشجر، والأحمر من حيوانات «الموركس» الصدفية التي كانت تجلب من ساحل البحر المتوسط، حيث كان يستخرج دم الحيوان ويوضع عليه الملح، ثم يغلى، ويغمس فيه الصوف، أو

الخيوط، من ٥ إلى ٦ ساعات، ثم يجفف ويغزل ويطرز، وتستبدل الآن الصبغة الطبيعية بمواد كيميائية أرخص ثمنًا. (١٩)

أما القماش فكان يصنع من الكتان والقطن الذي كان يزرع في فلسطين، وكان الحرير ينسج من دودة القز التي زرع الفلسطينيون لها شجر التوت خصيصًا. وكان الصوف يجز من الأغنام، ويظهر بعض الاختلاف بين أثواب المناطق الساحلية عن تلك التي كانت ترتديها المرأة في المناطق الجبلية أو الصحراوية.

ولدراسة ثوب ما لا بد من معرفة جغرافية المكان، وزمان صنع الثوب أو خياطته، ومعرفة مدى ثقافة صانعه، التي هي رمز وجزء من الثقافة الشعبية السائدة، لأن المرأة الفلسطينية تمتلك ثقافة متوارثة منذ مئات السنين، تنقلها الأم لابنتها وهكذا، فالمرأة التي ترسم، وتصور على ثوبها، تنقل ما يتناسب مع وعيها وثقافتها وتقاليدها. (٢٠)

## ملابس النساء في مدينة الخليل وقراها:

أولاً- ملابس النساء في الريف وتقسم إلى:

### ◆ الثوب:



المجتمع الريفي هو مجتمع زراعي، لذا نجد أن الزي الريفي مرتبط بالزراعة، وهو الزي السائد في فلسطين، وتختلف تزييناته ما بين منطقة وأخرى لاختلاف البيئة ما بين سهل أو جبل أو ساحل، ولتمايز ولو بسيط بالثقافة السائدة، وهذه الأزياء تتميز بتكرار الأشكال

الهندسية، وبغنى الثوب بالتطريز وتنوعه، وبعض هذه التطريزات تدل على ما في الطبيعة غير المعزولة عن البيئة كالنجمة والزهرة والشجرة، لأن الفولكلور السائد في فلسطين هو فولكلور زراعي مرتبط بحياة الاستقرار، وهذا ناتج عن طبيعة المجتمع الفلسطيني والطبقة



التي كانت تتحكم بالإنتاج. ونجد أن مناطق تزيين الثوب هي أسفله وجانباه وأكمامه وقبته، وهذا نابع من اعتقاد شعبي بأن الأرواح الشريرة يمكن أن تتسلل من الفتحات الموجودة في جسم الإنسان، لذا تضطر المرأة إلى تطريز فتحات ونهايات الثوب، وتطريز الثياب لغة تحكي علاقة الزمان والمكان وذهنية المرأة التي خلقت تعبيراتها المتصلة بتلوينات البيئة وتضاريسها. (٢١)



ومن التطريز الفلسطيني الجميل ما كان يعمل في القرى شمال جنوب الخليل مثل حلحول، وبني نعيم، والظاهرية، ويطا، ودورا والسموع، وهو ثوب الكتان أو القطن الأزرق وبأكمام طويلة وذات نهايات رفيعة، وهو مطرز على معظم

التنورة وعلى الأكمام وعلى الصدر، ويتم التطريز بغرزة الصليب الأحمر غالباً مع لمسات من ألوان أخرى لتعطي ملامح التصميمات، ومعظم الموثيقات مشهورة في البلاد كافة مثل: النجمة العثمانية، ولكن عدداً منها ينتمي بالتحديد لمنطقة الخليل. وربما كانت الجلاية من أكثر الأزياء التي لبستها المرأة الفلسطينية في قرى محافظة الخليل. (٢٢)

ولقد لبست المرأة في قرى الخليل الأثواب الآتية:

- ثوب الجلاية:

وهو منتشر في معظم المناطق الفلسطينية، وخاصة في منطقة الخليل وغزة وبئر السبع. ويتميز باستخدام الفنانه الشعبية لمساحات زخرفية الشكل من قماش الحرير أو الستان مع الوحدات الزخرفية المطرزة على الثوب واستطاعتها الجمع بينهما على مساحة واحدة، وخلق تناسق وانسجام لوني بينهما. وثوب «الجلاية»، يتميز عن غيره بالتطريز الكثيف، وغطاء النجمة الكنعانية، «ورأس الحصان»، و«عرف العنب والزهور» (٢٣)

وهو مصنوع من القماش الكحلي السميك وحبوات وخيوط نسيجه واضحة مما يسهل عملية التطريز عليه، وله فتحة دائرية الشكل يتصل بها فتحة تمتد على الصدر. ويزين



فتحة الرقبة تطريز تم بغرزة التسنين (بالبتين) أما الفتحة التي تمتد على الصدر، فقد زينت بالخيوط الحريرية ذات «البتين» ونفذت بالغرزة الفلاحية الكاملة. وعلى الأكتاف قطع من القماش الحريري أو الستان لونها أحمر نبيتي، وعليه زخارف من النسيج نفسه وهي أشرطة أرضيتها صفراء ومبروزة، ومحصورة بين خطين أسودين وبداخلها زخارف هندسية تمت باللون الأسود والأبيض والنبيتي، وتعرف قطع الستان أو الحرير هذه باسم شعبي هو «البلتاجي». وتثبت قطع الستان على الأكتاف بواسطة غرزة الزكراك أو الحبكة المثلثة، وبخيط حريري نبيتي اللون. (٢٤)

أما صدر الثوب فقد كان يطرز بالخيوط الحريرية، الخالصة، ذات الألوان الجميلة المتناسقة، وتتكون من الأحمر الغامق - البني - الوردى الفاتح - البنفسجي - الأزرق الجنزاري الفاتح اللون. ويزين الصدر بروان حريري نفذ بغرزة الزكراك. وذراعي الثوب من النوع الواسع المعروف باسم الردن أو الردان، وهي قصيرة نوعاً، أي أعلى من قبضة الساعد بقليل، والذراعان لا يوجد عليهما تطريز، بل زينت الفنانة الشعبية الجزء الخارجي لكل ذراع بشريط من القماش الحريري النبيتي اللون، ولا يوجد عليه زخارف، ويمتد على الذراع ابتداءً من الكتف حتى فتحة الذراع. (٢٥)

#### - الملجة (الملقة) :

أشهر الثياب التي لبستها المرأة في قرى الخليل «الملقة»، ويقال إنه منسوب إلى مالمقه «ملقه» في الأندلس لتشابه البيئات وطراز اللباس قديماً وهو من الحرير الموشى بحرير مخالف في اللون والشكل وتأتي الألوان زاهية، وكان أعلى الثياب، ويشترى ويلبس عادة عند النساء الثريات والعرائس عند الزفاف ويتم لباسه في المناسبات الهامة على الأغلب (٢٦) ولون قماشه كحلي، وفتحة الرقبة دائرية، ولها فتحة تمتد على الصدر خيط مثل فتحة كم



القميص، ومحبوكة  
بخيط حريري نفذ  
بغرزة التسنين.  
وذراع ثوب الملقة  
مثل ذراع الجالية  
بدون تطريز، يزينه  
بدل التطريز شريط  
من القماش المزخرف  
بالورود، ويمتد من  
أعلى الكتف حتى  
فتحة الذراع.

أما الأكتاف، فهي مزينة بقطعة من القطيفة السوداء اللون، وعليها زخارف مؤداة بالخیوط المقصبة الصفراء اللون وقد نفذت بالغرزة التحريري. وفتحة الصدر قد زينت بالخیوط الحريرية بواسطة الغرزة الفلاحية النصفية. والصدر مطرز بالحرير «الأصلي» وبوحدات زخرفية يغلب عليها شكل الثمانية، وقد أديت بالخیوط الحريرية وبوساطة الغرزة الفلاحية الكاملة. (٢٧)

وقد انتشرت في منطقة الخليل (يطا) (ملكة أم سيفين)، واستخدم في صناعتها القماش المبرسم، أي مزهر بنفس النسيج، وتعلو القبة قطعة من القطيفة، ثم تأتي القبة وهي تربيعة كبيرة من الهرمز مطرزة بالتحريري وقطبة السبلة والرسمه تمثل الساعات، أما الأردن والذيل فقد خليا من التطريز، واكتفي بالقصب الذي يزين النسيج. (٢٨)

والذي نلاحظه في الأثواب المطرزة قطبة التحريري وجود قطبة السبلة، وهذا يشير إلى اهتمام المجتمع الفلسطيني بزراعة القمح الذي هو عيشه، حتى المرأة كرسست سنبلة القمح في تطريزها، وعلى ثيابها مشيرة بذلك إلى تعلقها بالأرض التي درجت عليها، وأن القبة هي قبة بيت لحم، وقد انتشرت في منطقة الخليل وبعض القرى في منطقة غزة، وذلك يعود للتجار المتجولين الذين كانوا يجولون تلك القرى لبيع القبات المطرزة بأيدي التحميمات (٢٩)

ونجد أن كان يضاف إلى جسم الثوب الذي كانت تلبسه النساء في دورا ويطا ومعظم القرى في منطقة الخليل ما يعرف بالبنيقة، وهي قطعة تضاف لجسم الثوب أو البدن وتكون رفيعة من الأعلى، وتتسع كلما انحدرت إلى أسفل لتعطي الثوب اتساعاً والتطريز يكون على

هذه البنائق أما التطريز فيمثل عرق الشبابييك، السرو، ريش مغلق، وتتصل البنائق مع بعضها بقطبة المناجل. (٣٠)

- النوع الثالث الذي كان سائداً «الشنبر» ويسوده الحرير وينافس الملقه، وقد يكون الأعلى بمقدار ما يطرز عليه من حرير وتلبسه المقتدرات أيضاً، وأكثر ما يظهر الشنبر والملقة في المناسبات والأعياد، وموسم النبي موسى وزفاف العرائس. (٣١)

- ثوب الجنة والنار وثوب أبو قطبة:

من أثواب منطقة الخليل «دورا، السموع، الظاهرية، مغلّس»، أثواب «الورد» و«الجنة



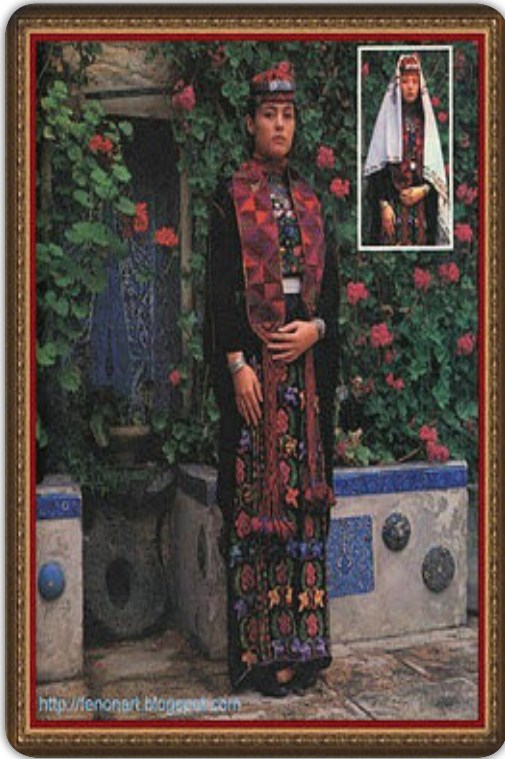
والنار»، و «أبو قطبة». وقد اشتهرت نساء مغلّس بزيهن التقليدي، وهو الثوب الفلاحي المصنوع من قماش الحبر أو الجلجلي، وكانت نساء مغلّس تشترك في زي نساء قضاء الرملة والخليل

والقدس، ونلاحظ أسماء الثياب المشهورة موجودة في القرية، وكانت نساء مغلّس يخترن طرازاً معيناً من الزخارف والألوان والرسومات لتظهر قدرتها على الابتكار والتقليد وخصوصاً لأמהا، أملة بذلك الحفاظ على الزي الجميل الأصيل المطرز بالحرير، ومن أسماء الثياب المشهورة الأخرى التي لبستها النساء في منطقة الخليل الملك والمندوب والأطلس..... الخ. (٣٢)

- ثوب الحبر أو الملس:

هذا الزي الزاهي الألوان يحتوي على ثوب حبر ملس وطاقيه (اعراقية) وكردان وأساور وحزام. ثوب الحبر أو الملس أخذ اسمه من قماشه الناعم الذي هو مصنوع منه القماش خليط مزيج من الحرير والقطن غالباً يكون أسود اللون مطرزاً بقطبة الصليب الفلاحية بألوان الحرير المختلفة بعروق ورد، وعروق الورق على القبة والأمام والخلف، كان الثوب يلبس في بلدة الظاهرية وبعض القرى الأخرى التي حولها مثل السموع (٣٣)

- وهناك ثوب يسمى «القرمندي» ولم يعرف سبب التسمية، ولكنه يوشى أيضاً بالحرير والقز من القماش «التوبييت الأسود»، وفي كل هذه الملابس تبدو المرأة محافظة



محتشمة وغاية في الأناقة، وكان الزنار (شداد) من الحرير ذو اللون الفوشي أو البطيخ.

ولكن اللون يختلف إذا أصيبت العائلة بفقيد، فكان الثوب السائد «ثوب الحداد» من اللون الأسود والحرير من اللون الأخضر والأزرق، وهو قليل العروق «والشداد» من اللون الأزرق والغدفة مغسولة بالنيلة الزرقاء. (٣٤)

#### - الثوب الاخضاري:

ظهر هذا الثوب في قرى منطقة الخليل، وهو شبيه بثوب «الزم أو العروق» الذي لبسته النساء في بعض قرى الرملة. وهو مصنوع من الحرير الأسود، له فتحة رقبة دائرية الشكل، ويزين فتحة الرقبة

الدائرية والصدر تطريز استخدمت فيه الخيوط الحريرية بواسطة غرزة التسنين. وزخارف الصدر تحتوي على وحدات زخرفية متعددة مستمدة من البيئة الفلسطينية. وهي: العصافير،



وقوارير الورد، والأزهار المتعددة. وتتميز زخارف الصدر بقوة التعبير عن فصل الربيع حيث تكون الأرض مخضرة ومزدانة بالزهور المتعددة الألوان. والطيور التي تطير

من شجرة إلى شجرة. (٣٥)

وقد جرى تسابق النساء في التطريز، فربما صنعت إحداهن قبل زواجها خمسة عشر ثوباً كل ثوب يحمل نوعاً خاصاً من التطريز والنوع يسمى «عرق» وله أشكال وألوان نذكر:

منها:

- عرق البط
- عرق الحبش
- عرق الديك
- عرق الطاووس
- عرق القلوب
- عرق السرو
- عرق العريض
- عرق الدالية
- عرق وردتين ووردة
- عرق النعام
- عرق بطن الحية
- عرق الحية المريشة
- عرق التنر
- عرق الحماة وكنتها
- عرق العصافير. (٣٦)

ونستطيع القول بعد استعراضنا للأثواب التي لبستها المرأة الفلسطينية في قرى الخليل إن بعض النساء في بعض القرى - ومنها على سبيل المثال قرية نوبا - كن يرتدين أثواب القماش غير المطرزة، وكانت كبيرات السن يلبسن الثياب المصنوعة من القماش الدرزي، أما الصغيرات فكن يلبسن من قماش المقاطع ذي الألوان الزاهية، فلم تكن تطرز النساء في الماضي سوى ثوب العروس (الجلالية)، وغالباً ما كان لونها أزرق، وتطرز بحبر أحمر، ثم لبست النساء الثوب المطرز بالحبر والمصنوع من قماش التوبييت والحبر، ويتكون هذا الثوب من القبة المربعة على الصدر وباقي البدن المطرز بعروق طويلة ممتدة من وسط الثوب حتى

أسفله، وكان عرض العرق يتراوح ما بين الواحد إلى عشرة السنتمترات، وذلك حسب عمر مرتديه، فصغيرة السن كان عرق ثوبها يتميز بزيادة عرضه وزهاء لون حريره، أما العجوز فكان عرق ثوبها لا



يتجاوز عرضه من واحد إلى سنتمترين اثنين وبألوان قاتمة. ويطلق على العروق أسماء حسب شكلها، مثل عرق الدالية والحمام والبط والوز والحبش والنخلة والحاضر وغيره من الأسماء، وتطرز أيضاً مؤخرة الثوب (الذيال) بعروق تأخذ

شكل مستطيل. وكان للثوب ردانان يربطان خلف الظهر، وتعطي المرأة ذراعيها من الرسغ وحتى الإبط، فتلبس (الزعايبط) ذات الألوان الزاهية والقماش الخفيف، ثم استعيض عن الردانان والزعايبط بالأكمام الطويلة المطرزة بالحرير والمتصلة بالثوب، كما لبست النساء التقصيرة، وهي جاكيت قصيرة مطرزة بالقصب. (٣٧)

وقد تميز الثوب الفلسطيني الخليلي في أرياف الخليل بميزة فريدة من حيث الجودة والتنوع، وخرج تحفة فنية رائعة استساغها الآخرون فلبسوه أو قلدوه. وبالرجوع إلى التراث فقد لبست جداتنا وأمهاتنا الثياب المطرزة بالحرير على قماش التوبيت والحرير الأسود، ووشينه بالحرير المخيط بالإبرة واليد دون تدخل الماكينات في العمل، وهو ثوب يستر جميع الجسم واليدين، وغطين رؤوسهن، بالغطاء الأبيض المسمى «غدفة»، وغالباً ما كانت مطرزة الأطراف. (٣٨)

وقد أدخلت نساء قرى الخليل على أثوابهن أيضاً فن الترقيع أي إضافة قطع من الحرير السوري بأشكال هندسية على الأكمام والقطعة الأمامية من الثوب. كما عرفت بتصاميمها المبتكرة للوسائد. (٣٩)

- لباس الرأس:

■ كانت المرأة في قرى الخليل تغطي رأسها ب «العراقية» وتسمى الشبكة أو العرقية



إذا كانت النقود صفاً واحداً. وتصف من خلف أربع قطع من النقود أكبر حجماً من النقود التي تُصف من أمام. وهي عبارة عن طاقية مطرزة بقطبة الفلاحي، وتزين العراقية بالريالات الفضية ثم يضاف لها الوزري وهذه القطع تشكل

حزاماً فضياً للعراقية، وتثبت العراقية على الرأس بزناق فضي من الجانب الأيمن حتى الجانب الأيسر ماراً بأسفل الذقن

وعند أسفل الذقن تتدلى المحنكة الفضية أو الذهبية وهي عبارة عن ريال ذهبي أو فضي.<sup>(٤٠)</sup> وهناك غطاء آخر للخليل وبلدة بيت جبرين، يدعى طاقية «وقاة الطراهم». وهذه الطاقية القديمة (وقاية الدراهم المهر) مصنوعة من قماش القطن مطرزة بالحريز، ومغطاة بشكل كامل بقطع نقدية عثمانية، والطاقية ذو تركيبة غريبة الشكل حيث ينزل من الخلف قطعة مطرزة مغطاة بالقطع النقدية وودع، وينزل منها دنا ديش، يمتد من جوانب الطاقية سلاسل فضية قصيرة مع تعاليق، وينزل منها أيضاً خرز عقيق مصفوف.<sup>(٤١)</sup>

■ اتخذت النساء الغدفة (الغطفة) غطاء الرأس، وهي من الشاش الثقيل الذي يغطي الرأس ويتدلى حتى أسفل الظهر، وأطرافها مهدبة وعليها بعض التطريزات الحريرية الخفيفة خاصة بمنطقة الخليل (عرق عنب، وعرق شجر سرو، ومربعات أقمار، نجوم، وأشكال أزهار)، وتلبس الصفة تحت الغدفة وهي طاقية مطرزة بالحريز، مشكوك عليها قطع من الريالات والوزريات، وتثبت بزناق وهو حبل فضي تتدلى منه محنكة، وهي ريال فضي أو ذهبي، وكانت الصفة والمحنكة تميز النساء المتزوجات، أما غير المتزوجات فكن يلبسن (وقاة) تحت الغدفة وهي طاقية صغيرة مشكوك بالريالات وتثبتها رفرافة، وهي قطعة من القماش الأبيض يتدلى منها على الجبين ريال يسمونه أبو ريشه أو أبو عامود، موصولة من الخلف بقراميل، وهي قماش أحمر موصول مع جدائل الشعر التي تنتهي بريالات في آخرها،





واتخذت النساء الشمبر غطاء آخر للرأس وكان لونه أسود وأطرافه مطرزة بالحريير الأحمر<sup>(٤٢)</sup>

■ بعض النساء لبسن على رؤوسهن الملاية الحريرية المصنوعة من الحريير الناعم المستورد، وتغطي الرأس مع باقي الجسم، وتلفها النساء من الأمام.<sup>(٤٣)</sup>

وكان من المحظور وضع غطاء الرأس جانباً، ونكش الشعر، فمن المتبع والأصول أن تمشط المرأة شعرها بعد أن ترفقه وتجده، وتقوم بلف الجدايل في مؤخرة الرأس، وتلبس أشكالاً من الطواقي لتحافظ على أن يبقى الشعر منسدلاً، وعدم انتفاخه تحت الخرقه أو الغطاء، وتساهم الوقاة

الشطوة العراقية الطاقية التي توضع تحت الخرقه في تثبيتها على الرأس ويشيع اليوم استعمال الشبكة التي تنسجها المرأة بيدها وتجمع فيها الشعر، كما أنها تساعد على تثبيت الخرقه على الرأس أيضاً.<sup>(٤٤)</sup>

#### - حزام الثوب:

تحزمت النساء في قرى الخليل بحزام صوفي يسمى (قشمير)، ثم بالشملة التي صنعت من قماش حريري، ولها شرشيب من طرفيها. وبعض النساء لبسن السراويل المطرزة بالحريير من الأسفل.



ويتوسط النساء «الشداد» وهو من الصوف، ولونه أشهب يطوى طبقات عدّة ومنه الأزرق للنساء الكبيرات في السن. وبعضهن يتوسطن ما يسمى «بالشملة»: من

قماش الساتان أو الحرير بطية واحدة وعقدة إلى الأمام في الوقت الذي تكون عقدة الشدائد إلى الخلف. (٤٥)

#### - الحلبي:

لبست النساء أشكالاً متعددة من الحلبي، فزينت الواحدة منهن معصميهما بالأساوير الفضية (الحيدري والعزيات)، ويتدلى من جيدها عقد الكردان الذي يتكون من أعمدة فضية تتدلى منها سلاسل مربوط في نهايتها الريالات أو الوزريات وغيرها من قطع العملة العثمانية، وفي وسط الكردان هلالان أحدهما أكبر من الآخر. ولبسن أيضاً على صدورهن (البغمة) وهي قلادة من الوزريات والريالات، ولبسن على ظهورهن البنود وهي أيضاً تتكوّن من الوزريات وقطع العملة الفضية. (٤٦)

وقد لبست النساء أيضاً في منطقة الخليل، وبخاصة (العروس) الكردان المصنوع من الفضة مع القطع النقدية التي تكون على الطاقية، ويحتوي هذا الكردان على قطع نقدية مع تعاليق بسلاسل فضية مركبة على قطعة قماش سوداء وفي وسط الكردان واحد أو أكثر من تعليقة أكبر، مركب عليها أحجار أو زجاج ملون. (٤٧)

#### - الحذاء:

أما حذاء النساء فكان (الوطا) بقاعدة من الكوتشوك، وبأقي جسمه كان من الجلد الطويل ويزم على بطن الرجل. وغالباً ما كانت النساء يمشين حافيات ولا يستعملن الوطا إلا في أوقات الحصيد أو التحطيب، وكانت بعض النساء اللواتي لم يعتدن انتعال الوطا وأردن الأسراع في مشيتهن يخلعنه ويضعنه تحت إبطهن ويسرن حافيات، فانتعال الوطا كن يعدونه معوقاً لهن في مسيرهن. (٤٨)

وأخذت هذه الألبسة بالاختفاء، ولكن يمكن أن نجد في هذه الأيام بعض النساء خاصة الكبيرات في السن ما زلن متمسكات بالملابس التراثية، ونجد في بعض الأحيان أن الفتيات يلبسن الملابس الشعبية في بعض المناسبات خاصة المناسبات الوطنية.

### ثانياً. ملابس المرأة في مدينة الخليل:

كانت تغلب على الملابس التقليدية للمرأة الفلسطينية في المدينة مظاهر التشابه، سواء لدى مقارنتها بين مدينتين مختلفتين، أو بين فئتين اجتماعيتين في المدينة الواحدة. وفيما يأتي نماذج من الثياب التقليدية في المدن التي كانت موجودة منذ مطلع القرن العشرين أو التي انتشرت بعد ذلك.



♦ «الدراعة» في مدينة الخليل هو اسم قطعة اللباس المشابهة للسبلة في مدينة اللد، ولكن الدراعة ما زالت موجودة حتى اليوم لدى بعض النساء المسنات، وقد كانت تعمل من أقمشة متعددة وأفضلها ما كان من الحرير، أما لونها فهو الكحلي أو الأزرق، وتشبه في تفصيلها وهيكلها العام السبلة، عدا أن فتحة الصدر فيها أكثر طولاً، إذ يبلغ طولها حوالي ٣٧ سم، وعلى فتحتي الكمين عند اليدين تطريز بأسنان المنشار، وكذلك يوجد نوع التطريز نفسه (بالإبرة اليدوية)، وشكله (أسنان المنشار) على فتحة الصدر وحفرة الطوق، والبنايق عددها أربعة، اثنتان منها على كل جانب، والبنيقة على شكل شب منحرف. وللدراعة

ديارة بعرض ٣ سنتمترات وتلبس الدراعة فوق الفستان المنزلي. (٤٩)

ولا يكتمل لباس الدراعة دون لباس الرأس، وهو هنا قطعتان: اليمينية وهي منديل من الشاش المشجر. مستطيلة الشكل طولها ١٤٠ سم، وعرضها ٧٠ سم، وتثبت على الرأس من منتصفها، بحيث يتوازن جانبا عرضها من جهتي الرأس إلى الأمام فوق الجبهة، إذا كانت المرأة في داخل البيت، أي أنها لا تغطي الوجه لكن إذا أرادت المرأة الخروج من البيت فتسحبها على وجهها بحيث تغطية مثبتة شعرها وتضع فوقها المنشفة.

والمنشفة قطعة مستطيلة من القماش الأبيض تشبه «الغطوة» ثننى، ويلقط طرفا ضلعها ليكونا متطابقين على شكل مربع أو مستطيل، وبذلك فهي تسد مسد «العقدة» في الغطوة، وتلبس كما تلبس الغطوة وتثبتها المرأة على رأسها بيدها أو بكفتي يديها، وتظهر الدرزة المربعة أو «العقدة» فوق مستوى كعبي المرأة بقليل، تاركة فسحة يمكن رؤية لون الدراعة الأزرق، ويتيح طول المنشفة إمكانية لف جسمها بها، ومسكها بيدها من الداخل تحت ذقنها، أو تحت إبطها في هذين المكانين، أو إنها تتركها سائبة فوق ظهرها دون أن تلف جسمها بها بل تكتفي بتثبيتها فوق رأسها، بأن تمسكها بيديها على صدرها. (٥٠)

#### ◆ الملاية:

تخاط الملاية من مختلف أنواع الأقمشة وألوانها ولكنها غالباً ما تكون من القماش الأبيض للعروس، ومن القماش الملون للصبايا، ومن القماش الأسود لكبار السن، والملاية أحدث من السبلة والدراعة، ويمكن مشاهدتها حتى اليوم في بعض المدن الفلسطينية، وإن كان ذلك نادراً، والملاية بسيطة في تفصيلها وخطاطتها، فهي تتكون من قطعتين متصلتين معاً على النحو الآتي:

- التنورة: قطعة مستطيلة طولها ١٩٠ سم عرضها ٩٠ سم، تثني القطعة من منتصفها طولياً ويلقط عرضها، فتصبح كالكيس مفتوحة من الجهتين، يشكل عرضها ارتفاع التنورة أو طولها من الخصر إلى ما فوق الكاحل.

- الغطوة: قطعة أخرى لمقاسات التنورة نفسها، ولكن تظل مفتوحة لا يخاط طرفها تجمع مع التنورة عند الخصر بخياطتها معاً عدا مسافة ٢ سم من الجهة الأمامية.

وللملاية ثلاثة أربطة، والرباط هو قطعة رفيعة مثنية ومخيطة من القماش بعرض ٢-١ سم، وأحد هذه الأربطة على خصر التنورة تحت طرفها الدائري المثنى ليخفي الرباط الذي هو «تكة» أو «دكة» تشبه «دكة» السروال والرباطان الآخران طول كل منهما ٢٥ سم وهما على الطرف السائب للغطوة تبعد بداية كل منهما عن طرفها بمقدار ٨٠ سم والمسافة المتبقية بينهما هي ٢٥ سم- ٣٠ سم وهي المسافة المتوسطة في طرف الغطوة السائبة.

ويتم بأن تدخل المرأة جسدها في التنورة ثم تربط وسطها بالرباط المزموم على الخصر، ثم ترد الغطوة من الخلف على رأسها، بعد أن تضع على رأسها منديلاً خفيفاً يشبه اليمينية، وقد يكون (مشغولاً بالأويا) ، ثم تربط الغطوة بالرباطين العلويين خلف الرأس وفوق الأذنين، مثبتته المنديل على وجهها ورأسها. وحينما تخرج تدلي المنديل وتمسك بالغطوة تحت الذقن والمنديل الذي تغطي به وجهها كان سميكاً ثم تغير إلى منديل خفيف شفاف يمكن من خلاله رؤية معالم وجه السيدة بعد أن كان سميكاً لا يسمح بذلك. ومثل هذا المنديل الخفيف انتشر في المدن الفلسطينية في العقد الرابع من هذا القرن.<sup>(٥١)</sup>

#### ◆ الكاب:

انتشر الكاب في مختلف المدن الفلسطينية، وحل محل الملابس السابقة مثل السبلة والملاية، حيث أصبح اللباس التقليدي الذي يلبس فوق الفستان الحديث في المدينة، وما زال بالإمكان مشاهدة هذا اللباس في أسواق المدن المختلفة حتى الآن، والكاب يخاط من القماش الأسود، ويتكون هذا النمط من ثلاث قطع هي: الكاب والبرنس والبرقع، كالأنماط السابقة إلا أنه يمكن ملاحظة التغيرات التي حصلت في الكاب، حيث أقصر من الأنماط

السابقة، وإن قطع الرأس الواسعة قد اختفت كما أنها أصبحت أقل سمكاً منها في السابق، وفيما يأتي وصف لأجزاء هذا النمط: (٥٢)

- الكاب: وهو يشبه المعطف الطويل وهو مفتوح من الأمام وهو على شكلين، فإما أن يكون «بردة» أي تُردُّ الجهة اليمنى فوق اليسرى، وتثبت فوقها بزر أو أكثر عند الخصر أو «بدون ردة» وهو ما كان طرفاه الأمامين لا يُردان وإنما يغلقان معاً كالجاكيت الحديث بأزرار عدة فيما بين الخصر ومنتصف الصدر.

ويتكون الكاب من عدد من القطع الطولية تتراوح بين ٥ - ١١ قطعة، لكنها فردية العدد لتكون القطعة الوسطى على الظهر، وكلما كان (الكاب) أكثر حداثة، كلما قلت عدد القطع التي تكونه، فهي في الكاب القديم إحدى عشرة قطعة، واحدة منها تمتد على منتصف طول الظهر حتى منتصف الساقين، وعشر قطع تشكل الجوانب والبدنين الأمامي والخلفي، ولكن قلَّ عدد القطع بعد ذلك فأصبحت خمس قطع، واحدة للظهر وقطعتان للجوانب للصدر، وأطوال هذه القطع متساوية، حيث يمتد طول الكاب من الكتف حتى منتصف الساق، ويتفاوت عرضها حسب عدد هذه القطع؛ إذ يقلُّ أقل عرضها حينما تكون كثيرة العدد، ولكن محيطها من الأسفل يبلغ ١ و ٥ أمتار، مع ملاحظة الفروق البسيطة في حجم الرماة، وللكاب القديم قبة بسيطة هي قطعة من القماش تُثبت على فتحة الطوق، أما الكاب الحديث فلا يخلو من قبة تشبه قبة الجاكيت، لا يقل عرضها عن ١٠ سم، تظهر خلف العنق وحول الصدر، وتتعدد أشكالها في الكاب الحديث، كما أن الكاب قد يثبت به عند الخصر «قيطان» كقيطان السبلة بغرض تثبيته عند اللباس، أو ليفصل الصدر عن الجزء السفلي منه، كما في الأشكال السابقة من اللباس.

وانتشر حديثاً شكل جديد للكاب يسمى «الترواق» ويتكون من ثلاث قطع فقط هي الظهر والردتان الجانبيتان، ولا يشترط فيه أن يكون من القماش الأسود، بل أخذت تنتشر «ترواقات» من مختلف ألوان الأقمشة السادة (ذات اللون الواحد).

- البرنس: هو الشكل الأكثر حداثة للخطوة السابقة وهو قطعة من القماش الأسود الذي يخاط منه الكاب، يُقَصُّ بشكل شبه مخروطي لكن دون أن يكون الرأس مدبباً، وإنما هو مستقيم طوله ٣٠ سم، والطرف السفلي يبدو مستديراً محيطه ١٦٠ سم، وارتفاعه ٨٠ سم وعرضه من الجوانب ٦٠ سم، ويتصل بطرفيه العلويين رباط بعرض ٣ سم وطول ٤٠ سم.

- البرقع: منديل من قماش الحبر الأسود (حريز نباتي شفاف)، وقد يكون من القماش المشجر والقطعة، مستطيلة الشكل أطوالها ٩٠ و ٦٠ سم. يُطوى من منتصفه، ويُلقط ضلعاه المتطابقان عند نهايتهما غرز عدة، لتسهيل تثبيته على الرأس.

يلبس الكاب فوق الفستان ثم يُشدُّ القيطان حول الخصر، ويُعدّد ليثبتته من جهة وليعطيه منظرًا أكثر جمالاً من جهة أخرى، ثم يُوضع البرقع أو المنديل على الرأس بحيث تكون القطبة من الجهة الخلفية وطرفه العلوي يحيط بالرأس على مستوى الجبهة، وتتدلى من الأمام على طبقتين بوجود المنديل من طبقتين على الوجه، يمكن المرأة من رفع الطبقة العليا منه وردها على الرأس إلى الخلف، لتظل طبقة واحدة تمكن المرأة من رؤية ما حولها أن لزم الأمر، وقد تُرد الطبقتان إلى الخلف حينما تكون في البيت أو في مجلس نسائي لا يحضره الرجال، والعادة أن تسدل الطبقات معاً حين تخرج المرأة وتتواجد خارج المنزل، وقد لا يكون المنديل مثبتاً بعروة، وإنما منديل عادي من «الحبر» أو «لجورجيت» على شكل مستطيل يُطوي من منتصفه ويوضع المحور الذي طوي عنده على الجبهة من الأعلى ويلف إلى خلف الرأس ويربط طرفاه فيتكون البرقع من طبقتين، يمكن أن يقلص إلى طبقة واحدة فقط كما بينا من قبل، وفيما بعد أُستعِض عن هذا المنديل ذي الطبقتين بمنديل محرّم خفيف يسمى بمنديل «الموخل» وأطلق عليه أيضاً اسم منديل «البونية» أو «الأبونية» وهو شفاف يظهر منه وجه المرأة، كما لو أنها لم تكن تضعه على وجهها، وكان هذا المنديل الشفاف هو الأكثر انتشاراً بين الصبايا في سنوات العقدين الرابع والخامس. أما البرنس فيوضع على الرأس، ويتهدل على الصدر والظهر بشكل مخروطي أو شبه دائري.

وأخذت هذه الألبسة بالاختفاء، ولكن يمكن أن نجد في هذه الأيام كثيراً من النساء تلبس الكاب والمنديل وحده تلف به رأسها ووجهها بدلاً من البرنس والبرقع معاً وتربط أطرافه من الجهة الخلفية أو الأمامية للعنق، كما أننا يمكن أن نجد الكاب دون غطاء للرأس والوجه، بل تكتفي المرأة بوضع منديل على رأسها كاشفةً وجهها، وتلبسه بعد أن يُطوى أحد قطريه، فيصبح على شكل مثلث وضع عند ضلعه الذي تثني منديل على الجبهة للرأس تاركة بقية المنديل على رأسها وظهرها، ثم تمسك بها وتوازنه، وتربط طرفيه تحت الذقن أو خلف العنق، وهكذا تغطي شعرها ورأسها دون أن تغطي وجهها. (٥٣)

ونستطيع القول إنه كانت تغلب على الملابس التقليدية للمرأة الفلسطينية في المدينة مظاهر التشابه، لكن مظاهر الاختلاف والتنوع أخذت تظهر بوضوح كبير بين ملابس الأجيال المتعاقبة، وبخاصة في العقود الأخيرة. وقد تمثل التغيير في الملابس النسائية في كل من غطاء الرأس ولباس البدن على حد سواء، فغطاء الرأس بما فيه غطاء الوجه كان سميكاً تغير إلى غطاء أقل كثافة، ثم استبدل بغطاء خفيف قبل التخلص منه نهائياً لدى بعض الفئات. أما لباس البدن فقد تعرض للتغيير أيضاً في نوع قماشه ولونه، وكيفية تفصيله وشكل فتحاته وطوله واتساعه، وكل التغييرات فيه كانت تتجه إلى تقليد الفستان الإفرنجي. (٥٤)

وقد شمل التغيير نساء القرية، أيضا خاصة بعد النكبة ممن أجبرن على ترك قراهن، وهذا أدى إلى انقطاع مفاجئ في ارتداء الملابس الشعبية واستبدالها بالملابس الإفرنجية الحديثة. وفي النهاية نستطيع القول إن لكل قرية ومدينة فلسطينية لباساً نسائياً خاصاً يميزها عن القرى والمدن الأخرى، ومع هذا اللباس أو الثوب كماليات تختلف من منطقة إلى منطقة، ورغم هذا التنوع في الملابس، هناك عوامل مشتركة في الملابس تتركز في نوعية القماش وحيآكته، في أنواع الخيطان المستعملة للتطريز، وفي بعض الرسومات وتحويرها في قصّة الثوب وتركيبه. فالرسومات والوحدات المستعملة في التطريز تتشابه، فمثلا هناك رسم شجرة السرو المعروفة في منطقة بيت دجن كسروة طويلة مع قاعدة، أما في رام الله فنرى الشجرة نفسها مصغرة بدون رأس وبدون قاعدة، ونرى الشجرة نفسها على الأثواب في منطقة الخليل ومنطقة بئر السبع ولكن بشكل مختلف. وهناك أيضا نجمة بيت لحم وتسمى القمر في رام الله ورسمه العمار في الخليل.<sup>(٥٥)</sup>

### خاتمة:

واجه التراث الشعبي الفلسطيني كثير من التحديات والمحاولات المستمرة من قبل اليهود لتهويده ومحاولة طمسه، لكن محاولاتهم باءت بالفشل نتيجة وعي شعبنا الفلسطيني، ووقفه في وجه هذه المحاولات.

ونستطيع القول إنه على الرغم من اتصاف الملابس الشعبية بصفات التقليدية و الوراثة والمحلية أو الإقليمية، فذلك لا يعني أن الملابس تبقى على ما هي عليه دون تغيير أو تبدل، بل إن التغيير والتطور المستمرين الدائمين صفتان من صفاتها، وهذا ما لاحظناه في الملابس الشعبية في الخليل، فالיום نرى أن ارتداء الملابس الشعبية يكاد يقتصر على النساء كبيرات السن، وهذا يشمل المدينة والقرية، أما الفتيات فقد سارعن إلى التخلي عن ملابسنا الشعبية لصالح الملابس الأوروبية، أو الفساتين الطويلة للفتيات المحافظات. وفي هذا تخل عن عاداتنا وتقاليدنا، لذا لا بد من وضع خطط تربية تتبناها وزارة التربية والتعليم من أجل غرس قيمة حب التراث الشعبي الفلسطيني، وضرورة التمسك بملابسنا الشعبية التي هي عنوان تراثنا الذي نفتخر به. وكذلك لا بد من تشجيع النساء على لبس الملابس الشعبية في المناسبات الخاصة والعامة حتى نثبت للعالم اعتزازنا بتراثنا وتمسكنا به في وجه الادعاءات الإسرائيلية،

وكما يعلم الجميع، فإن هذه الصناعة التقليدية المتوارثة تتعرض في ظل الاحتلال الصهيوني، إلى استغلال بشع، إذ تقوم دور الأزياء الإسرائيلية باستخدام الأيدي الماهرة الرخيصة للمرأة الفلسطينية في تطريز ملابس خاصة بها، ثم تصدرها إلى الخارج على أنها أزياء إسرائيلية شعبية، فتجني بذلك الأرباح المعنوية والمادية الطائلة.

## الهوامش:

١. ابن منظور. لسان العرب. باب السين فصل اللام. مادة (لبس). بيروت، دار صادر للنشر، ١٩٦٨.
٢. ابن منظور. لسان العرب. باب الباء فصل الشين. مادة (شعب).
٣. مصطفى، ابراهيم وآخرون. المعجم الوسيط. استانبول، دار الدعوة، ١٩٨٩. ص ٤٨٣.
٤. مؤمن، نجوى شكري، وجرجس، سلوى. التراث الشعبي للأزياء في الوطن العربي. القاهرة، عالم الكتب. الطبعة الأولى ٢٠٠٤. ص ٤.
٥. كناعنة، شريف. أنواع الثقافة والفنون الشعبية المادية ونماذج منها. مجلة التراث والمجتمع (٤٨ شتاء ٢٠٠٨ ص ١٨٥).
٦. هارون، عبد السلام. التراث الاسلامي. القاهرة، دار المعارف. ١٩٧٨. ص ٨.
٧. سرحان، نمر، موسوعة الفولكلور الفلسطيني. عمان البيادر الطبعة الثانية ١٩٨٩. ص ٦٥٥.
٨. مؤمن، نجوى شكري، وجرجس، سلوى. التراث الشعبي للأزياء في الوطن العربي. ص ١٢١.
٩. نمر، سرحان. موسوعة الفولكلور الفلسطيني. ص ٦٥٥، ٦٥٦.
١٠. الخادم، سعد. تاريخ الأزياء الشعبية في مصر، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩، ص ٥٥.
١١. مصطفى، فوزية حسين. الأزياء الشعبية للمرأة المصرية في محافظة الجيزة والابتكار منها لأزياء عصرية، رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة حلوان ١٩٧٩، ص ١.
١٢. كناعنة، شريف. أنواع الثقافة والفنون الشعبية المادية ونماذج منها. مجلة التراث والمجتمع (٤٨ شتاء ٢٠٠٨ ص ١٨٨).
١٣. المصدر نفسه. ص ١٨٨، ١٨٩.
١٤. مؤمن، نجوى شكري، وجرجس، سلوى. التراث الشعبي للأزياء في الوطن العربي. ص ١٠٧.
- ١٥.



١٦. مؤسسة القدس للثقافة والتراث. تاريخ التطريز الفلسطيني [http:// www. alqudslna. com/ index. php?action=article&id=1468](http://www.alqudslna.com/index.php?action=article&id=1468)
١٧. المزين، عبد الرحمن. موسوعة التراث الفلسطيني. بيروت، مؤسسة صامد. الطبعة الأولى، ١٩٨١. ص ٦١.
١٨. المصدر نفسه، ص ٦٢ وما بعدها. أنظر أيضاً: مؤسسة القدس للثقافة والتراث. تاريخ التطريز الفلسطيني [http:// www. alqudslana. com/ index. php?action=article&id=1468](http://www.alqudslana.com/index.php?action=article&id=1468)
١٩. خليل، محمد. الزي الفلسطيني.. عراقة التاريخ ونكهة الأرض. [http:// www. alqudslna. com/ index. php?action=article&id=1468](http://www.alqudslna.com/index.php?action=article&id=1468)
٢٠. المصدر نفسه.
٢١. الأزياء الشعبية. مؤسسة القدس للثقافة والتراث.
٢٢. نمر، سرحان. موسوعة الفلكلور الفلسطيني، ص ٦٦٩.
٢٣. المزين، عبد الرحمن. موسوعة التراث الفلسطيني. ص ١٤١.
٢٤. المصدر نفسه. ص ١٤٢.
٢٥. المصدر نفسه، ص ١٤٢.
٢٦. الوحوش، محمد شحدة. لحول- الأرض والشعب. عمان، دار الصباح للنشر. الطبعة الأولى ١٩٩٢. ص ٣٢٣.
٢٧. المزين، عبد الرحمن. موسوعة التراث الفلسطيني. ص ١٤٣.
٢٨. عبد الهادي، تودد. دليل الزي الشعبي الفلسطيني. ١٩٧٤. ص ٣٣.
٢٩. المصدر نفسه. ص ٣٣.
٣٠. المصدر السابق. ص ٣٥.
٣١. الوحوش، محمد شحدة. لحول- الأرض والشعب. ص ٣٢٣.
٣٢. نمر، عباس. كي لا ننسى. من القرى المدمرة... (مجلس) قضاء الخليل. جريدة القدس ٢٩-٥-٢٠١٠

٣٣. أبو عمر، عبد السميع. التراث الشعبي الفلسطيني تطريز وحلي. القدس، مطبعة الشرف. الطبعة الثانية ١٩٨٧. ص ٥٣.
٣٤. الوحوش، محمد شحدة. لحول- الأرض والشعب. ص ٣٢٣.
٣٥. المزين، عبد الرحمن. موسوعة التراث الفلسطيني. ص ١٣٨.
٣٦. الوحوش، محمد شحدة. لحول- الأرض والشعب. ص ٣٢٤.
٣٧. الصقور، جمال. نوبا، اطلالة على الريف الفلسطيني. مركز حمو للطباعة. الطبعة الاولى ١٩٩٩. ص ١٨٩.
٣٨. الوحوش، محمد شحدة. لحول- الأرض والشعب. ص ٣٢٣.
٣٩. قعوار، وداو وآخرون. التطريز الفلسطيني. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الاولى ١٩٩٦. ص ٦٣
٤٠. عبد الهادي، تودد. دليل الزي الشعبي الفلسطيني. ص ٣٤.
٤١. أبو عمر، عبد السميع. التراث الشعبي الفلسطيني تطريز وحلي. ص ٥٠.
٤٢. الصقور، جمال. نوبا، اطلالة على الريف الفلسطيني. ص ١٨٩  
انظر أيضاً:
- أبو عمر، عبد السميع. التراث الشعبي الفلسطيني تطريز وحلي. ص ٤٩.
- عبد الهادي، تودد. دليل الزي الشعبي الفلسطيني. ص ٣٤.
٤٣. الصقور، جمال. نوبا، اطلالة على الريف الفلسطيني. ص ١٨٩، ١٩٠.
٤٤. البطمة، ناديا. الأبعاد النفسية والجمالية والاجتماعية والاقتصادية للثوب الفلسطيني. مجلة التراث والمجتمع. البيرة، جمعية انعاش الأسرة. العدد ٢٢، نيسان ١٩٩٣. ص ٣٢.
٤٥. الوحوش، محمد شحدة. لحول- الأرض والشعب. ص ٣٢٦.
٤٦. الصقور، جمال. نوبا، اطلالة على الريف الفلسطيني. ص ١٩٠.
٤٧. أبو عمر، عبد السميع. التراث الشعبي الفلسطيني تطريز وحلي. ص ٥٣.

٤٨. الصقور، جمال. نوبيا، اطلالة على الريف الفلسطيني. ص ١٩٠.  
انظر أيضاً:
- الوحوش، محمد شحدة. لحول- الأرض والشعب. ص ٣٢٥.
٤٩. كناعنة، شريف وآخرون. الملابس الشعبية الفلسطينية. البيرة، جمعية انعاش الأسرة.  
٩٨٢. ص ١٩٣.
٥٠. المصدر نفسه. ص ١٩٣.
٥١. المصدر نفسه ١٩٤.
٥٢. المصدر نفسه ١٩٤.
٥٣. المصدر نفسه ١٩٤، ١٩٥.
٥٤. المصدر نفسه، ١٩١.
٥٥. جودي، محمد حسن. تاريخ الأزياء الحديث. عمان، دار صفاء للطباعة والنشر. الطبعة الأولى ١٩٩٧. الجزء الثاني. ص ٦١، ٦٣.

## المصادر والمراجع:

١. ابن منظور. لسان العرب. بيروت، دار صادر للنشر، ١٩٦٨.
٢. مصطفى، ابراهيم وآخرون. المعجم الوسيط. استانبول، دار الدعوة، ١٩٨٩.
٣. مؤمن، نجوى شكري، وجرجس، سلوى. التراث الشعبي للأزياء في الوطن العربي. القاهرة، عالم الكتب. الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
٤. كناعنة، شريف. أنواع الثقافة والفنون الشعبية المادية ونماذج منها. مجلة التراث والمجتمع. العدد ٤٨ شتاء ٢٠٠٨.
٥. هارون، عبد السلام. التراث الاسلامي. القاهرة، دار المعارف. ١٩٧٨.
٦. سرحان، نمر. موسوعة الفولكلور الفلسطيني. عمان البيادر الطبعة الثانية ١٩٨٩.
٧. الخادم، سعد. تاريخ الأزياء الشعبية في مصر. دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩.
٨. مصطفى، فوزية حسين. الأزياء الشعبية للمرأة المصرية في محافظة الجيزة والابتكار منها لأزياء عصرية. رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة حلوان ١٩٧٩.
٩. <http://www.alqudsiana.com/index.php?action=article&id=1468>
١٠. المزين، عبد الرحمن. موسوعة التراث الفلسطيني. بيروت، مؤسسة صامد. الطبعة الأولى، ١٩٨١.
١١. الوحوش، محمد شحدة. لحول- الأرض والشعب. عمان، دار الصباح للنشر. الطبعة الأولى ١٩٩٢.
١٢. نمر، عباس. كي لا ننسى. من القرى المدمرة... (مجلس) قضاء الخليل. جريدة القدس ٢٩-٥-٢٠١٠.
١٣. أبو عمر، عبد السميع. التراث الشعبي الفلسطيني تطريز وحلي. القدس، مطبعة الشرف. الطبعة الثانية ١٩٨٧.
١٤. الصقور، جمال. نوبا، إطلالة على الريف الفلسطيني. مركز حمو للطباعة. الطبعة الأولى ١٩٩٩.

١٥. قعوار، وداو وآخرون. التطريز الفلسطيني. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. الطبعة الأولى ١٩٩٦.
١٦. البطمة، ناديا. الأبعاد النفسية والجمالية والاجتماعية والاقتصادية للثوب الفلسطيني. مجلة التراث والمجتمع. البيرة، جمعية إنعاش الأسرة. العدد ٢٢، نيسان ١٩٩٣.
١٧. كناعنة، شريف وآخرون. الملابس الشعبية الفلسطينية. البيرة، جمعية إنعاش الأسرة. ١٩٨٢.
١٨. جودي، محمد حسن. تاريخ الأزياء الحديث. عمان، دار صفاء للطباعة والنشر. الطبعة الأولى ١٩٩٧.

**الزِّيَّ وعادات الأفراح والأتراح  
في رحلة القساطلي**

**أ. إبراهيم مخارزة**

## مقدمة:

مخطوطة «الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية» أو «مرآة فلسطين وسورية» أو «السياحة النعمانية» أو «الرحلة النعمانية» - وجميعها مسميات للمخطوطة نفسها - صاحبها هو: نعمان بن عبده بن يوسف بن نقولا القساطلي (القساطلي، قساطلي، قسطلي) الكبراني الدمشقي. من طائفة المسيحيين الملكيين. المولود سنة ١٨٥٥ / ٥٦ في دمشق والمتوفى بها سنة ١٩٢٠.

وقد كُتِبَ المخطوطة المكونة في سنتي ١٨٧٤ - ١٨٧٥، خلال فترة عمله مع صندوق استكشاف فلسطين؛ والتي حددها (٢) قائلاً: «... كان أول بدايتها يوم سبت في ٢٦ أيلول غربي سنة ٧٤ (٢٦ / ٩ / ١٨٧٤م) حيث خرجت من مدينتي دمشق الشام، قاصداً هذه البلاد عن طريق بيروت». حيث شارك خلال ثلاث سنوات في عمليات المسح الأثري الميداني حتى نهايته سنة ١٨٧٧م، والذي نُفِذَ فيه عمليات مسح واسعة شملت ثلثي مساحة فلسطين الحالية تقريباً. وكان عمله الرسمي هو تثبيت الأسماء العربية جيداً عند ترجمتها للإنكليزية (Native scribe) - وهذا واضح حتى من تشكيله لبعض الأسماء - والإشراف على ترجمتها من قبل الفريق إلى الإنكليزية.

والمخطوطة قسمان، الأول: عن جبل الخليل وهو القسم الأكبر. والثاني: عن بلاد غزة وبعض مواقع تابعة للرملة، وعن مدينة القدس وبعض المواقع التابعة لها من الغرب والشرق والشمال، ثم بعض المواقع التابعة لمدينة نابلس على الطريق بينها وبين القدس، ثم المدينة نفسها.

وكانت المعلومات الأثرية الميدانية، والسكان هم المصدر الأساس لمعلوماته الأثرية وغير الأثرية التي ذكرها. وكان جريئاً في بعض مجالات كتاباته، وسباقاً في أخرى؛ وما كان ذلك ليتم لولا تفاعله مع الناس، حيث روى له، وعاش حالته الحقيقية من حيث: الأمور الاجتماعية؛ والعائلات وتقسيماتها، وعن زيهم وأفراحهم وأتراحهم، والإقتصادية؛ الزراعية والتجارية، والتعليمية وغيرها.

وهي مهمة جداً، خاصة خلال هذا القرن؛ الضعيف في التأريخ المكتوب، والذي أغلبه روايات شفوية. فقد نقل من أفواه السكان، وربما تكون المعلومات من السكان، أو الأدلاء الذين رافقوا الفريق كمرشدين، أو حراس أو عمال معهم، ولم يسمعها أعضاء الفريق.

كتب القساطلي عن زي جبل الخليل، ضمن أمور أخرى من حياة سكان الجبل، ثم كتب عن زيّ سكان مدينة بيت لحم المسلمين والنصارى، ثم عاد إلى مدينة الخليل فكتب عن الزي لسكانها المسلمين، وعن زي الأقلية اليهودية فيها، وعن عادات المسلمين في الأفراح والتهنئات.

ويعد مغادرته جبل الخليل وصل إلى مدينة المجدل، فكتب عن زيّ سكانها المسلمين، ثم غادرها إلى مدينة غزة، فكتب عن زي المسلمين والنصارى في المدينة وعن عادات الزواج لسكانها. وهذه المواقع الخمسة التي كتب عنها ضمن رحلته في جبل الخليل، وبلاد غزة ومدينة القدس ومدينة نابلس.

## أولاً- جبل الخليل:

### ١. الزيّ (البباس) :

تحت عنوان مستقل «بعض أخبار عن جبل الخليل (٣)»، ويقصد قرى الجبل، في الصفحات ٧٦-٧٨، تناول جوانب كثيرة، منها الزيّ (الملابس) ، وعاداتهم في الأفراح والتهنئات.

### فقد وصف ملابس رجال الجبل:

«... إن ملابس سكان هذا الجبل كالعرب تماماً، فإن الرجال يلبسون ثوباً أبيض ذا أردان طويلة وفوقه عباءة، والنساء يلبسن ثوباً أزرق وفوقه عباءة أيضاً زنارية<sup>(٤)</sup> يلبسها في أيام الشتاء ولا يقتنى الرجل منهم غير ثوب واحد وعباءة واحدة وان كان غنياً فيكون عنده ثوبان وعباءة سوداء شغل بلاد غزّة أم مصر والذي ليس بغني فعبايته زرقا أم بيضاء بغداية أم شامية بيضاء مدققة<sup>(٥)</sup> وعندما يغسل ثوبه يتشح بعبائه غير ان المرأة وقت عرسها تقنى ثوبا مقلماً من الشقف السلطانية<sup>(٦)</sup> التي تشغل في الشام وكبرا ايضاً من الخام وسوف ياتي ايضاح ذلك في محله (تنبيه ان بعض المشايخ يلبسون اكبارا وبعضهم قنابيز غير ان الشيخ لا يقنى أكثر من كبر أبيض أو كبرين وقنبازين أو ثلاثة ولا بد أن يكون واحد منهما أبيض ورنار<sup>(٧)</sup> الجميع رجالا ونساء من جلد يعملونه اقشطة وأكثره يرد من الشام، وعلى رؤوسهم يلبسون طربوشاً فرنسائياً له طرة زرقاء، وكل خيط منها في رأسه شرابة صغيرة، ويلفون فوقه كفية كبيرة بغداية، والبعض يلفون شاشية بيضاء كبيرة».

### وعن لباس الرأس عند النساء كتب:

«... والنساء يلبسن طاقية من قماش أزرق لها زناق (زنار)، يربط تحت العنق ويعلق في أطرافه قطعة من العملة، وأكثر ذلك الريال العمود<sup>(٨)</sup> أو ريال أبو شوشة<sup>(٩)</sup>».



### وعن أحذيتهن يقول:

«... وأما النساء فجميعهن حفاة، ولا تلبس الواحدة منهن برجليها شيئاً سوى مداس يوم عرسها، والعزيزة على قلب رجلها تلبس أحياناً مداساً والرجال يوجد كثيرون بينهم يمشون حفاة أيضاً...».

### ويوضح مصدر هذه الأزياء فيذكرها:

«... وواردات هذا الجبل أكثرها شامية فإن العبي التي هي جانب عظيم من كسوتهم ترد لهم منها، وكذلك الكفافي ترد لهم عن طريق الشام، وإن كان بعضها شامية، وبعضها شغل بغداد... وكذلك ملابس نسائهم وأما ما يرد من أوروبا لهم فهو الخام والطرابيش وجميع ذلك يرد لمدينة خليل الرحمن، ومنها يتفرق في القرى».

### ثانياً. مدينة بيت لحم:

تحدث عن حال نسائها ورجالها من المسلمين والنصارى، وعن زيهم صيفاً وشتاءً في الصفحات ٨٦ - ٨٧، فيذكر:

«... أنهم يستخدمون نساءهم كالعبيد ويشترونهم شراءً ولا يلبسون سوى الثوب، وفي أيام الشتاء عباءة زنارية فوقه ويوجد كثيرات منهن بغير أحذية صيفاً وشتاءً وعليهن أن يقمن بأعمال نظير أعمال نساء جبل الخليل الذين تقدم ذكرهن... ومن عادات النساء في هذه البلدة أن يلبسن على رؤوسهن شكلاً من الذهب أو الفضة (إن هذا الشكل لا يسوغ أن تكون من العملة وأكثره يستعمل من الريال الشوشة أو البشلة<sup>(١٠)</sup>)، وهذا الشكل تُصَفُّ أجزاءه متلاصقة بعضها بجانب الآخر وحينما تضعه الحرمة (المرأة) على رأسها يضحى حروفه على رأسها والجميع من عصائب واقفة<sup>(١١)</sup>».

ولعله شعر بأنه لم يصف جيداً، أو لم يسم هذا الشيء باسمه المتعارف عليه، فتدارك الأمر، ووعد بتوضيح صورة له:

«ولا بد من أن نضع صورة لإحدى نسائهم إن منها يقرب كل شي على الفهم أكثر».

### ويتابع متحدثاً عن الموضة الحديثة حينها:

«... ثم إن رجال هذه البلدة قد أخذوا بأن يرتبوا ملابسهم ترتيباً يوافق اصطلاح المدن، ومن عاداتهم أن يلبسوا على رؤوسهم طربوشاً كالذي يلبسه أهالي الخليل، ويلفون فوقه كفية مثلهم».

ويعود ويذكر بمصدر هذه الملابس، والمحلات التي تبيعها:

«... وأكثر واردات هذه البلدة التجارية من أشغال الشام... ويوجد في هذه المدينة نحو خمسة عشر دكاناً لبيع البضائع ودكاكين خلافها لشغل (الكنادر والسرامي) وبيع بعض الأشياء العطرية».

### ثالثاً. مدينة الخليل:

#### ◆ الزيّ (اللباس) :

وبعد ذلك يعود إلى مدينة الخليل في الصفحات ١١٠ - ١١٤، حيث يسرد بعض المهن التي يمارسها أهل المدينة، وبالذات المسلمون. وبالنسبة للعبّي التي يلبسها معظم الرجال، فيؤكد أن صناعة أغلبها محلية وبجودة عالية:

«ثم إنه يوجد في هذه المدينة نحو خمسين نوّلاً ونيّف لنسج العبّيّ الرفيفة وأشغالهم جيدة بهذه الصنعة كالدمشقيين وربما أحسن منها وقد اشترت عندما شاهدت تلك الأنوال لأنني لم أشاهد في كل هذه البلاد سوى نولين في مدينة القدس الشريف لنسج العبّي أيضاً».

ثم يعود فيفصّل في اللباس العام سواء للمسلمين، أم للأقلية اليهودية التي تسكن في المدينة:

«فالمسلمون يبلغون نحو عشرة حمائل أما ملابسهم فاليهود كغيرهم من السكان والمسلمين فيلبس الرجال منهم ثوباً وفوقه أنبازاً<sup>(١٢)</sup> وفوقه عباءة والنساء يلبسون كملايس نساء الشمال غير انهنّ يلبسن فوق ملابسهن ثوبا أسود، ويتقنعن برقعة بيضاء ويضعن مناديلاً على وجوههنّ ويحتجن كثيراً غير أنه في البيوت لا حجاب، عندهن ولم يزلن لأن يلبسن قرص طربوش فضة وعبودية وصغاء<sup>(١٣)</sup>، وما شاكل ذلك من الحلّي الثمينة القديمة».

#### ◆ الأفراح:

#### - الزواج:

تحدث القساطلي عن عادات أهل مدينة الخليل، وبالذات الزواج والظهور، بشكل مفصّل تدل على حضوره هذه المناسبات. فيذكر صفات نساء المدينة، وأن الرجال مجاوزون:

«وأكثر نساء هذه المدينة طوال القامة ومن عادة الرجال أن يتزوجوا من الاثنتين فما فوق ولا تجد بينهم من عنده امرأة واحدة إلا ما ندر».

وعن المهور يذكر: «ومن عاداتهم أن يشتروا النساء شراء كأهالي الجبل والتمن عندهم من الثلاثة آلاف فما فوق بحسب هذه البضاعة ولا يتزوج الانسان بدون أن يدفع الثمن على آخر بارة<sup>(١٤)</sup>».

### وعن فترة الأفرح:

«.... والعرس يقوم عندهم مدة ثمانية أيام؛ أي، من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة».

### ويسرد القساطلي تفاصيل العرس والولائم والنقوطة، فذكر:

«فكل ليلة تقوم الأفرح في بيت العريس النساء لوحدهن والرجال لوحدهم بدون وليمة، وبعد أن يقطعوا جانباً من الليل، ينصرف كل منهم إلى محله مع حرمه، ولا يدخل العريس عندهم إلا يوم الجمعة مساءً. ويوم الزفاف<sup>(١٥)</sup> يذبح العريس الذبايح بحسب قدرته وتقوم الولائم من العصر، فيأتي الناس للطعام وهو الأرز واللحم، وإذا كان آذان<sup>(١٦)</sup> يضعون عنباً بعد العشاء، وبعد أن يتناول الطعام الرجال تتناول النساء بعد أن يكنّ أتين بالعروس من بيت أهلها، ورقصن ما سمحت لهن الفرصة به. ومن بعد الغروب بوقت قليل يذهب العريس محاطاً بقوم من رجال عائلته وخلافهم لإقامة الصلاة في الحرم الشريف وبعد أن تنتهي صلاة العشاء يسير لمحله محاطاً بقوم متقدمين بالسن إلى أن يصل إلى باب بيته فتستلمه النساء ويأخذن بالرقص أمامه وهو بنظره إلى الأرض، وفي الساعة الثالثة أو الرابعة يخلونه مع عروسته، فيجلس هو بزواوية وهي بزواوية أخرى برهة من الزمان، فإن كان العريس يريد أن تكون امرأته دونه لا يتقدم إليها فتتقدم هي، وإن لم يتقدم أحد منهما إلى الآخر تأتي أمه أو خالته أو عمته أو امرأة متقدمة في الأيام من عائلته وتجمعهما معاً وتخرج وأما النساء فيمارسن الضرب على الدريكة والنقارة<sup>(١٧)</sup> ويرقصن وينشدن الأغاني حتى يمضي معظم الليل فينصرفن أو ينصرف بعضهن، وفي ثاني يوم صباحاً يعمل العريس وليمة لأهل العروس وأهله وأصحابه، وبعد مناولة الطعام يفرشون منديلاً بين الرجال في وسط المحفل، فيصير كل واحد منهم يلقي من الدراهم من النصف بشك إلى البشك عدد ٢ كل بقدر استطاعته، ومن يدفع أكثر من ذلك نادر جداً، وكذلك يعملون هذه العملية نفسها بين النساء وأخيراً يجمعون ما يصير التكرم به من الرجال والنساء، ويشترتون للعروس به مساعاً<sup>(١٨)</sup> وبعضه خلافه كأرض أو عقار وما يشبه ذلك وهذا نادر لا يوجد إلا بين الأغنياء كثيراً، وعندما يقبض أبو الفتاة ثمنها يشتري لها ببعضه مساعاً وبعض ملابس ويأخذ الباقي، وقليل من لا يطمع بشيء من ثمن ابنته وعلى العريس بأن يقدم خلعاً لأنفار معلومة يصير الشرط عليها يوم البازار، وعليه أيضاً بأن يكسو بعض نساء عائلته كسوة العرس وهي ملابس خصوصية، ومعلومة عنهم، وكم يجري من الخصومات لأجل عدم قيام

العريس بما أوعد به من الخلع أو ما يجب عليه تقديمه لنساء معلومة من أقاربه، وبعد أن يكمل جميع الدراهم المار ذكرها الذي يسمونه نقوطاً، تنتهي الأفراح، ويذهب كل إنسانٍ لبيته بسلام».

- الطهورات:

ذكر القساطلي في النص السابق أن الطهور يتم بطريقتين:

■ الأولى: أثناء الأعراس: «ومن عاداتهم أن يطهروا يوم زفاف العريس أولاداً من عائلته»<sup>(١٩)</sup>.

■ الثانية: بإقامة فرح مستقل للطهور، منفرد عن العرس، وقد فصل المناسبة بشكل كامل:

«اما الطهورات فتحسب عندهم من الأفراح المعتبرة وخصوصاً إذا جرت لوحدها منفردة عن الأعراس فإن مدة فرح الطهور تختلف بحسب ميل أهل المزمع تطهيره، فهي من اليوم إلى السبعة وأما يوم الطهور فلا يكون إلا يوم الجمعة بعد صلاة الظهر أو قبلها فيأخذون الولد راكباً على فرس مزينة، ولما يصلو إلى قرب الحرم الخليلي، يرفعه أحد أقاربه الشبان بين يديه ويسير به إلى أن يصل ويقف على الدرجة العليا من درجات باب الحرم فيأتي الجراح، ويقطع غلنته، وحينئذ تشتغل الرجال بالترويد والهويرات، وبعد ذلك يسرون به راكباً على فرس إلى البيت وعند وصولهن لهنالك تأخذ النساء في الهيهات والغنا والرقص، الرجال ينصرف كل منهم إلى محله، وإذا كان الطهور قبل الظهر يقدم أهل المطهر في الصباح طعاماً للجمهور، وإن جرى بعده يقدموا عشاءً، وبعده ينصرف الجميع إلى بيوتهم غير أن بعض النساء الأشد قرابة يبقون في البيت مقيمات بأفراح وغناء ورقص، وثاني يوم ينصرفن إلى منازلهن».

- أفراح أخرى:

تحدث القساطلي عن مناسبات فرح أخرى، منها: العودة من العسكرية أو عند الولادة (ذكر):

«ويوجد عندهم بعض أفراح خلاف هذه كالتالي يقيمونها عندما يأتي رجل من العسكرية أو عند الولادة، وما شاكل ذلك فلم نذكرها لعدم سريانها نوع واحد».

◆ الأحزان:

فقد ذكر أنها كأحزان السوريين، ولم يوضحها:

«واما أحزانهم فمثل بقية أحزان السوريين ومن عادة نسائهم لبس أثواب الحداد مدة طويلة عند وفاة عزيز عندهم».

وبعد مغادرة بيت جبرين حد جبل الخليل الغربي، دخلوا بلاد غزة. فتحدث في الصفحات ٢١-٢٢ - القسم الثاني - عن زبيّ أهل المجدل بإيجاز، واعداء العودة لذلك، أما مدينة غزة فقد فصل في الصفحات ٣٠-٣٨، في مواضيعها المختلفة في الصفحات.

#### رابعاً. مدينة المجدل:

##### ♦ الزي وصناعته:

تحدث عن المجدل، مشيداً باجتهادهم، وصنائعهم:

«وأهل هذه البلدة عندهم من الجد والاجتهاد في الأعمال ويوجد بينهم من يحيكون الكتان وهم يستعملون منه أثواباً وعدد الأنوال ينوف عن المائة».

وقارب بين ملابسهم وملابس أهل جبل الخليل، مع فرق بسيط:

«وملابسهم تقارب ملابس سكان جبل الخليل غير أن العمامة بيضاء على الغالب

والشبان يتعممون

بكوفية صغيرة ويلبسون الأنابيب<sup>(٢٠)</sup> والسراويل وأما في الصيف فلا يكونون كذلك، وأما النساء فلبسهن الأثواب السوداء والمخططة من أبيض وأحمر ويتغطون برقعة بيضاء ذات شراريب صغيرة من طرفيها وعوايدهم في الأفراح والولائم وترتيب الزواج سيأتي الكلام فيما يأتي إن شاء الله».

#### خامساً. مدينة غزة:

فصل القساطلي في زي أهل غزة وعاداتهم في الأفراح والأتراح، وإرث النساء، وصناعة الملابس والذهب، سواء للمسلمين أو مجاورهم من النصارى.

##### ♦ اللباس وأسواقه وصناعته:

##### فيذكر أسواق غزة:

«.... وفي غزة سوق به من أنواع البضائع يحتوي على مائة وخمسين دكاناً ونيف... نحو عشرة دكاكين صياغ وفرع آخر يختص بالخياطين وبه نحو ثمانية دكاكين والاثنتين بجانب الجامع».

فيتحدث عن المسلمين، فيذكر أنهم يحرمون الإناث من الإرث، وأغلب نسائهم وبناتهم متحجبة:

«ومن عاداتهم أن يقطعن نصيب الإناث من كل شيء والاحتجاب كثير جداً فإن المرأة

أو البنت

وإن كانت صغيرة تلبس ثوباً أو قميصاً طويلاً من خام أو حرير بحسب الاقتدار يسمونه سبلة<sup>(٢١)</sup> وتضع على وجهها غطاء من حرير أسود من أشغال الشام يسمونه بالششير<sup>(٢٢)</sup> وتلبس في أرجلها صرمة صفراء أو

خفا كالذي كان يلبسه نساء دمشق من نحو أربعة عشر سنة، وبالكاد تجد امراة خارجة للتنزه، وسبب ذلك منعهن عن ذلك من الرجال... وملابس النساء مشتركة بين ملابس سكان المدن والفلاحين، فإن بعضهن يلبس ثوباً غير أنهن يلبسن تحته سروالاً.

أما النصارى، فنساؤهم أجمل وأحسن حالاً، وكذلك الرجال كما يقول:

«ونساء النصارى بوجه العموم أحسن ملابس من نساء المسلمين بوجه العموم وكذلك يقال في الرجال، وقد يوجد كثيرون بين رجال النصارى يلبسون بدلات جوخ وطرابيش مقرنة وبعض المتقدمين في السن لم يزالوا للآن يتعممون بعمامة سوداء كبيرة وملابس من نوع القنباز عريضة لا اسم لها».

أما عمامات المسلمين:

«والمسلمين يتعممون بعمامة بيضاء والشباب بكفية وروح التبرج لحد الان لم يسر بينهم مطلقاً».

ويتحدث عن حارة الشجاعية، الواقعة في شرق المدينة، على مسافة قريبة، ويبدو أن سكانها من الفلاحين والبدو، تختلف ملابسهم عن سكان المدينة نفسها:

«أما حارة الشجاعية فهي قسم كبير من غزة واقع لجهة الشرق منها على بعد خمسة دقائق وأكثر سكانه من الفلاحين وملابسهم ثوباً (للنساء<sup>(٢٣)</sup>) له أردان طويلة كأثواب العرب ويتغطين برقعة بيضاء ويضعون على وجوههم شيئاً كالبرقع عند المصريين غير أن في أسفله حقة من عملة متلاصقة ويتمنطقون بمنطقة

من جلد<sup>(٢٤)</sup>، وبعضهم بقماش أبيض أو أزرق وحالتهم دنية كالفلاحين».

وعن أسواقها:

«ويوجد في هذا الحي سوقاً كبيراً رحباً

به نحو مائة وخمسين دكاناً يباع بها أشياء مختلفة، ومنها نحو عشرين دكاناً للصياغ».

ويعود ويجمع صناعة الملابس الغزية، الأكبر في فلسطين:

«أما مصنوعات غزة فهي الصياغة والعبى فإنه يوجد بها نحو مائتي نول لنسجها...

ويشتغلون بها

ملايا غزلية جميلة مخططة، وكذلك ينسجون الكتان الذي يستعمله بعض الفلاحين أثواباً أما الصياغة والنحاسة فمن مهن النصارى الخصوصية، والنسيج فمهنة للمسلمين، وبها قليل من النصارى».

#### ♦ الأفراح:

#### - الأعراس وترتيبات الزواج:

«إن هذه المدينة ذات عوايد مختلطة بين المدن والفلاحون من جهة الأفراح وأعظم الأفراح عندهم الأعراس والظهورات وبما أننا نريد أن نتكلم عن الأعراس فيجب أن نتكلم أولاً عن عن ترتيب الخطبة، فنقول إنه عندما يريد الإنسان أن يخطب ابنة ليقترن بها تذهب بعض نساء عجائز من أقاربه ويفحصون له عن عروس وكل بيت يدخلونه لا يظهرون مقاصدهم، بل يسترونها تحت خيال النحيل والأكاذيب، وبعد أن يجولوا محلات كثيرة بأيام متتابعة يقر قرارهم على واحد فيخبرون مرسلهم بصفاتهما ومحاسنها، وما شاكل كل ذلك، ويوافقهم على رأيهم بدون أن يرى خطيبته بعينه، وكم يصير مراعاة خواطر بهذا الأمر؛ لأن من عادة النساء أن يرغبن في تنفيق بضاعتهم، ولو على كيفية لا يعقبها راحة، فتغير هذه المعتوهة مسلك لتلك الخرافات، وبالعكس لتتمكن كل منهما من الوصول إلى مقاصدها، قاطعين النظر عما يعقبها من أمور نظير هذه من الأضرار والخصومات والأتعاب والمشاجرات التي تجرى بكثرة في هذه المدينة وخلافها بين الرجال والنساء من قبل هذا الأمر، ويا حبذا لو تخلصوا من حجاب العفاف الموهوم الذي لا يستر غير الروؤس فقط ودخلوا حدايق التمدن الصحيح معرضين عن أوهام كأوهم الرهينة لينجوا من ذلك الديكور المتعب، ودخلوا لجنان الراحة من هذا القبيل وبعد أن يقبل العريس بالأوصاف التي أعدتها له أولئك العجائز، فإن مسيحياً يرسل القس ليطلبها له رسمياً فاذا قبلوا أُل العروس بذلك يقرأوا الشروط<sup>(٢٥)</sup> المقتضية فإذا صار الاتفاق عليها ترسل خطيبة العريس صحبة الخوري، ومن ثم يشرعون في تجهيز الأنية لحلول المدة المتفق عليها، وحينئذ يجرون احتفال الزفاف (وفي كل ذلك لا يستهترون<sup>(٢٦)</sup>) وإذا كانوا مسلمين يتوجه أكرم رجل من أنساب العريس ويطلبون الابنة من أبيها فإذا قبل، يتشارطون على المهر، وبعد ذلك يكتبون الكتاب بواسطة خطيب كالعادة<sup>(٢٧)</sup> الجارية في خلاف، مدن وبعد أن يدفع العريس المهر المعين الذي يكون أحياناً عشرة آلاف شرك<sup>(٢٨)</sup> فما دون يشرع أهل العروس في تجهيزها، أما جهازها فيكون ملابس وصيغة لها، ومن أهل العروس الأغنياء من يزيدون على مهر زوجها بمال منهم يساويه

أو يزيد عنه أو أقل منه بحسب الاقتدار) ، أما الأعراس (فالمسلمين<sup>(٢٩)</sup>) فتقوم عندهم سبعة أيام متوالية قبل العرس، وكل ليلة مساءً يجتمع الرجال في محل، ويقومون بما يطربهم من غناء ولعب، وما شاكل ذلك، وكذلك النساء يعملون مثل ذلك في محل آخر، وهذا جميعه في بيت العريس، وفي اليوم السابع بعد الظهر

يذهب جمع من نساء العريس لياتوا بالعروس، وهم يغنون أغاني بأصوات واطية على الطريق، وحينما يأتون بها بعد ساعتين يفعلون مثل ذلك ومساءً يعمل العريس وليمة، ويدعوا اليها كثيرون فيأكلون ويشربون (إن الطعام غالباً يكون رز ولحم فقط وبعضهم يزيدون ذلك بعض الخضر) يأخذون العريس بزفة، ويدورون به في شوارع المدينة وغالباً يبتدئون بذلك بعد الغروب بساعة ونصف ووراءه أو أمامه طبل يضرب وصوج وناي وبعضهم يعملون في تلك الليلة قعدية ذكر وبعد أن ينتهوا من هذه العملية يأتون به إلى بيته فيدخل على عروسته (ثم من حين يأخذون في زفته يضعون خنجراً طويلاً في زنارة فوق شورة مطرزة، فلما يدخل على عروسته يضربها في عرضه، يقولون بأنه يفعل ذلك لتهابه العروس دائماً

وفي اليوم الثاني؛ أي صباح العرس يعمل العريس وليمة لكل أصدقائه والذين يأتونه بالهدايا، ومن ثم بعد الأكل يفردون شورة، ويضع كل منهم نقوطاً، وبعد انتهاء هذه العملية يجتمعون الجميع، ويسلمونه للعروس، ومن ذلك الوقت ينتهي العرس، غير أن العريس يبقى سبعة أيام شاكل ذلك الخنجر الطويل في منطقتيه».

وعن أعراس النصارى المشابهة لأعراس المسلمين، كتب:

«وأما النصارى فأعراسهم كأعراس الإسلام تقريباً غير أنهم يأتون بالعريس والعروس إلى الكنيسة، وبعد إجراء الفرائض الدينية يذهبون إلى بيت العريس، والنساء لا يسمح لهن بالخروج، أمام الرجال مطلقاً، وإذا خرجت إحداهن يجب أن تأتزرن».

- الطهورات:

يذكر القساطلي عن عادة الطهور في غزة، كما ذكر ذلك عن مدينة الخليل:

«ومن أفراحهم الطهورات أيضاً والعيادات في الطهور عند المسلمين، فابتدأه يكون بالأفراح قبل يوم أو أكثر أو أقل بحسب الإرادة، وعندما يطهرون الطفل يركبونه على فرس مزين، وتأخذ الطبول والصوافير أن تضرب أمامه ووراءه، وهم يجوبون به في شوارع غزة



وأزقتها والنساء بحذائه تغني كما في الأعراس إلى ما قبل الظهر بساعة فحينئذ يصلون لمحله ويطهرونه، وبعد ذلك يبدأون في مناولة الطعام وأحياناً يسير مع زفة الطهور إنساناً يرقص فينقطه الناس، وبعضهم يزينون جملاً ويضعون عليه تمثال امرأة من الشجاعة يركب وراءها رجل يرقصها وأغلب طهوراتهم تصير في الربيع».

وعن تعמיד أبناء النصارى، يذكر:

«أما العمادة فغالبا تصير في أيام الأعياد والآحاد، وبعد الظهر، إذ يعمدون الطفل بالكنيسة ويأتون به إلى البيت وحينئذ يشتغلون بالتدخين وقرب الغروب يضعون العشاء، وهم في الأغنية والأفراح وبعده ينصرف كل لمحله والبعض يعملون سهرة، والبعض لا يعملون عشاء ولا سهرة».

## الهوامش:

١. هذا العمل جزء من بحث قَدّم لنيل درجة الدكتوراة في الآثار لكاتب السطور.
٢. الرحلة، ق ٢، ص ٩٢.
٣. انظر، رسالتنا ص ص ٤٠٤ - ٣٦.
٤. يقصد من جلد، مثل الحزام.
٥. يقصد مزخرفة.
٦. نسميه: الأطلس. وهو مخطط (مقلم) بألوان وزخارف بسيطة.
٧. الحزام.
٨. لعله اراد المحمود: نسبة للسلطان محمود الثاني (١٧٨٥ - ١٨٣٩) م. أو الميدي الذي ضربه نابليون في مصر.
٩. الريال الشوشة: أبو شوشة: ريال نمساوي سكتته ماريا ثريسا إمبراطورة هابسبرج النمساوية التي توفيت عام ١٧٨٠. تظهر صورة الإمبراطورة على الدولار وقد جدلت ضفائرها وربطتها إلى أعلى على هامة الرأس، ومن هنا اتخذ الدولار اسمه الشائع عند العامة «ابو شوشه» أو «الشوشي» (وجمعها «شواشا»). وعلى الوجه الآخر تظهر شارة السلطة النمساوية المتمثلة بالتاج ونسر برأسين، ومن هنا أيضا جاءت الأسماء الأخرى للدولار مثل أبو ريش وأبو طير وأبو راسين. ومن أسمائه الأخرى «أبو نقطه» لأن دبوس التاج الذي تلبسه الإمبراطورة منقوش بتسع نقط. وقد ظل الدولار النمساوي هو = العملة النقدية السائدة في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق ومصر وعموم منطقة الشرق الأوسط لمدة مائتي عام، منذ نهاية القرن السابع عشر، وحتى بداية القرن العشرين، مع ظهور الدول العصرية في المنطقة، منافساً بذلك الدولار الأسباني والمجيدي العثماني لأنه، بخلاف هاتين العملتين، لم تكن قيمته رمزية يمكن أن تنزل بمجرد سحب الغطاء عنه، بل كانت قيمته أساساً في ذاته، أي في ما يحتويه من الفضة، كما لو كان سبيكة من الفضة الخالصة. ويعد الدولار النمساوي من أجمل القطع النقدية، له بريق ولمعان يخطفان البصر، إضافة إلى النقوش الدقيقة والصورة المهيبة للإمبراطورة على الوجه، والتاج النمساوي على الوجه الآخر، مع صورة النسر

برأسيه وجناحيه المفردين. لذا لم تقتصر استخداماته على وظيفته كعملة نقدية، بل لقد استخدمه الصاغة في صناعة الحلي النسائية والرجالية، فزينوا به مقابض الخناجر مثلما صنعوا منه القلادات والعقود والأحزمة، وربما أذابوه ليصنعوا منه أنواعاً أخرى من الحلي والأقراط. ولأن الإمبراطورة التي تزين صورتها الدولار أنجبت ستة عشر طفلاً، فقد لبسته النساء في الشرق كرمز للخصوبة، واعتقاداً منهن أنه يجلب الحظ ويساعدهن على الحمل. ولبسه البعض اعتقاداً منهم بالقوى السحرية للنسر ذي الرأسين الذي تزين صورته الوجه الآخر من الدولار، كما استخدموه كحزب أو حجاب لدرء العين، لأن بريقه الباهر يصرف نظر الحسود إلى الريال، بدلا من لابسسه. واستعمل كثيراً في الحلي البدوية، لأن الفضة أصلب من الذهب وأكثر مقاومة للثني والطعج، لذا فهي أكثر ملاءمة لحياة البدو التي تقوم على الحل والترحال. ولأن الفضة أرخص من الذهب، فإنه من الممكن عمل حلي حجمها أكبر من الحلي الذهبية، مما يعطي مجالاً أرحب لعمل النقوش والزخارف. وإذا استخدم الريال النمساوي كحلية، فإنه عادة يعلق بالمقلوب بحيث يكون رأس الإمبراطورة للأسفل تمشياً مع تعاليم الدين التي تحرم الصور، والبعض يفضل أن يعلقه بحيث يكون الجانب الظاهر هو الجانب الذي تظهر فيه صورة النسرين برأسيه وجناحيه والتاج.

١٠. البشلة: لعله اراد البشلك: وهو كان يساوي ٥ قروش ذهب. لعلها من بشل التركية وتعني خمسة.

١١. هي العرق: كل مضمفور مُصطَف، واحدها عرقَة: وكل شيء مضمفور فهو عرقٌ وعرقَة. والعرق: السطر من الخيل والطير، الواحد منها عرقَة وهو الصف (ابن منظور ١٩٩٢، ج ١٠، ص ص ٢٤٥ - ٤٦). وبلهجتنا: العراقية.

١٢. يقصد قمباز. وهذا من لطيف الكلام: حيث كتبها بلهجة أهل المدينة، فهم يلفظون القاف ألفاً، فمثلاً: قوم: يلفظونها: أوم، قمباز: أنباز، وقيامه: إيامة وهكذا.

١٣. من الصاغة: عمل الذهب.

١٤. البارة: أصغر وحدة نقدية، حيث يساوي القرش ٤٠ بارة. والتمن الذي يقصده الكاتب هو المهر الشرعي فليس الأمر أمر بيع أو شراء كما توحى كلماته وإنما هو مهر وحق للزوجة على زوجها.

١٥. شطب في النص.
١٦. الصحيح الآذان - آذان صلاة العشاء.
١٧. الدريكة والنقارة: انواع طبول، وهي حسب الحجم ووسيلة الضرب عليها سواء بالأيدي او عيدان خشبية أو غيرها
١٨. الصحيح: مصاغ.
١٩. القساطلي، ق ١، ص ١١١.
٢٠. الانابيز: لهجة لطيفة لأهل المدن، والصحيح «القنابيز، جمع قنباز.
٢١. من جذر سبل: والمُسْبَل: الذي يطول ثوبه ويرسله الى الأرض (ابن منظور ١٩٩٢، ج ١١، ص ٣٢١). وسميت بذلك لأنها تغطي الجسم حتى القدمين.
٢٢. الخَمَار. أو البُرْقُع عند البدو.
٢٣. مضافة.
٢٤. الحزام.
٢٥. شطب في النص.
٢٦. الجملة مضافة. ثم أضاف في نهاية الصفحة تعقيباً للإشارة +: بالابنة بشيء مطلقاً وبعد ان تخطب لا يسمح لها بالخروج من البيت مطلقاً.
٢٧. شطب في النص.
٢٨. ربما يقصد غرش.
٢٩. شطب وتصحيح.

## المصادر والمراجع:

١. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري ١٩٩٢:  
لسان العرب (ج ١٠، ١١)، ط ١، دار صادر- بيروت.
٢. القساطلي، نعمان بن عبده بن يوسف بن نقولا الكبراني الدمشقي ١٨٧٤ / ٧٥:  
مخطوطة «الروضة النعمانية في سياحة فلسطين وبعض البلدان الشامية» (٢ق)،  
مكتبة الاسد الوطنية، رقم: ٤٩١٩، ٤٩٢٠، دمشق.
٣. المخارزة، ابراهيم موسى محمد عثمان ٢٠١١:  
آثار جبل الخليل في مخطوطة نعمان القساطلي، المجلد الأول = رسالة دكتوراة غير  
منشورة (جامعة وادي النيل- السودان).

# الأغنية الشعبية في مدينة الخليل

د. سميرة ستوم

## مقدمة:

التراث الشعبي هو أداة اتصال وجداني عند العرب في كل البيئات، وكل العصور، وهو تعبير عن الشعب بكل طبقاته الاجتماعية والثقافية، والتراث الشعبي هو الثقافة أو العناصر الثقافية التي يتلقاها جيل من جيل، أو التي انتقلت من جيل إلى آخر<sup>(١)</sup>. والتراث الشعبي الفلسطيني يعبر عن الشخصية الفلسطينية، إنسانيتها وعروبته وهويتها وانتمائها وثقافتها بالعودة.

وتعد فلسطين من أقدم الدول اهتماماً بالتراث، حيث بدأ الاهتمام به عن طريق الجمعية الفلسطينية الشرعية، وهي أقدم مجلة فولكلورية في العالم صدرت ١٩٢٠م واستمرت في صدورها حتى حزيران ١٩٤٨م، في حين بدأ الاهتمام بالتراث الشعبي في مصر في ثلاثينيات القرن العشرين، وفي الكويت في أوائل الخمسينيات، وفي العراق بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م، وفي سوريا عام ١٩٥٨م، وفي الأردن في الستينيات<sup>(٢)</sup>.

والتراث الأدبي الشعبي يتضمن فروعاً كثيرة منها: الحكاية والأساطير والخرافات والمعتقدات والأغاني الشعبية والأمثال والأقوال والحكم والهتافات والشعارات.

ونظر الفلسطينيون إلى التراث الشعبي بأنه تمسك بالهوية، الوطنية وتمسك بالأرض وعرفوا أن التراث هو اعتراف بالشعب كشعب وهوية ووطن وواقع، يقول توفيق زياد في كتابه: «إننا ننظر إلى الأدب الشعبي من وجهة نظر الحاضر والمستقبل، ففي مسيرتنا نحو الحرية السياسية والاجتماعية، نحن بأمس الحاجة أن نشد ذلك السلاح الأصيل، إنه لازم لنا، لنعقل به نفسيتنا حتى يزدهر كل ما هو خير وطيب فيها»<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا الدراسة تناولت الأغنية الشعبية بشكل يسير، ونرجو من الله التوفيق.

الغناء الشعبي أو الأغنية الشعبية من أهم فنون الأدب الشعبي وأكثرها شيوعاً، مع الحكاية والمثل الشعبي، فالأغنية الشعبية هي تعبير شفوي يمارسه الأفراد والجماعات منذ قديم الزمان إلى أيامنا هذه، ليعبروا عمماً في نفوسهم من معانٍ وعواطف وانفعالات تحدث للإنسان، وتولد لديه ضغطاً انفعالياً دخلياً. فمن خلال الأغنية يخفف من انفعالاته من ناحية، ويوصل أفكاره للآخرين من ناحية أخرى، حيث تتفاعل الأغنية مع المشاعر والأحاسيس الإنسانية.

الأغنية الشعبية هي تعبير عن الجوانب المختلفة منذ ولادة الإنسان إلى مماته سواء أغاني الأفراح أو أغاني الأحزان، وهي تعبير صادق عن وجدان الشعب. ويعرفها الدكتور أحمد مرسي: «الأغنية الشعبية تؤلفها الجماعة الشعبية كلها بشكل عفوي أو تلقائي»<sup>(٤)</sup>.

الأغنية الشعبية هي التي أنشأها الشعب، وعدلها وفق رغباته، ولها ارتباط مادي وعقلي وروحي بالمجتمع، وهي إبداع تلقائي صادر عن فكر أبناء المجتمع الواحد ووجدانهم، ويمارسه المجتمع في إطار عاداته وتقاليده، الأغنية الشعبية تختلف عن غيرها من سائر أشكال التعبير الشعبي في كونها تؤدي عن طريق الكلمة واللحن معاً، لا عن طريق الكلمة وحدها<sup>(٥)</sup>. وتنبثق الأغنية الشعبية عن الأمم من أصل واحد ذي موضوع مشترك يصور البيئة والحالة النفسية، والعادات الملازمة لتلك الشعوب<sup>(٦)</sup>.

والأغنية الشعبية الفلسطينية «هي مقطوعة شعرية شعبية مغناة، مجهولة الأصل، شائعة في المجتمع الفلسطيني، ويشترك في نظمها وأدائها عدد كبير من أبناء الشعب، وتتناقلها الأجيال عن طريق الرواية الشعبية معبرة عن وجدان الشعب<sup>(٧)</sup>. والأغنية الشعبية في أبسط معانيها: هي قصيدة غنائية ملحنة مجهولة النشأة؛ أي أنها نشأت بين عامة الناس في أزمنة ماضية، وما زالت متداولة، حيث إنه غير معروف مؤلفها وملحنها، وهي مقاطع صغيرة يعاد تكرارها مرة بعد مرة.

### خصائص الأغنية الشعبية:

- ◆ الانتشار: معظم الأغاني الشعبية الفلسطينية منتشرة في جميع أنحاء فلسطين.
- ◆ المرونة: الأغنية الشعبية مرنة، وهذا يساعدها على أن تبقى محفورة في ذاكرة الناس تتلاءم مع المتغيرات التي تحدث.
- ◆ الاستمرار أو الدوام: الأغنية الشعبية مستقرة، وتنتقل عبر الأجيال، وإن طرأ تغيير بسيط نتيجة الانتقال الشفاهي.
- ◆ تلتزم الأغنية الشعبية من حيث بنيتها الفنية ببحور الشعر العربية المعروفة، فمثلاً العتابا منطوقة على البحر الوافر، والتحداية على البحر الكامل، والشروقي تنظم على البحر البسيط أو الرجز أو الوافر<sup>(٨)</sup>.

أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الأغنية الشعبية الفلسطينية:

- ◆ الظروف التي عاشها الفلسطيني من ألم وشتات وغربة ومعاناة.
- ◆ أصبحت الأغنية الشعبية شكل من أشكال المقاومة الفلسطينية.
- ◆ سهولة الأغنية الشعبية وعفويتها.
- ◆ تنوعها الفلكلوري وثباتها.

هذه الصفات جعلت الأغنية الشعبية سجلاً حافلاً للأحداث والظواهر البارزة، كما أن الأغنية تفسر الأحداث والظواهر، فتبدو بها العقلية الشعبية في مواقفها إزاء الأحداث.



## مميزات اللحن في الأغنية الشعبية:

وقد وضحت د/ يسري جوهريّة غرنيطة في كتابها «الفنون الشعبية في فلسطين» مميزات اللحن في الأغنية الشعبية بالأمور الآتية:

١. قصر الجمل: إن الجمل الموسيقية في أغلب الأغاني قصيرة جداً، لا تتجاوز مازوراتها الثمانية وتكرر هذه الجمل مراراً وتكراراً، والغريب أن هذا التكرار رغم رتابته يزيد من حلوة اللحن ومرونته، كما يزيد في جذب السامع إليه، «ويرجع التكرار في الأسلوب الفني إلى أن فنون الأدب الشعبي جميعها تركز قواعدها على أغاني العمل، وتلك أنشئت لتوجد اتساقاً بين المراكز الجسمية المتكررة، وما يصاحبها من نغم ولفظ»<sup>(٩)</sup>.

٢. أبعاد اللحن: البعد هو مسافة ما بين الصوتين، أحد الصوتين يكون الحد الأعلى للبعد الآخر والحد الأدنى له.

٣. الطابع المقامي: أغانينا الشعبية مبنية على المقامات العربية.

٤. الجاذبية اللحنية: إن جاذبية اللحن في أغانينا الشعبية تكون غالباً في اتجاه منخفض وتشاطرنا بذلك الشعوب التركية والهنغارية، حيث يتساوى فيها سير اللحن الصعودي والانخفاض.

٥. الزخرفة اللحنية: هي الزوايا والتحسينات التي يستعملها، بل يرتجلها المغني أو العازف الشعبي، وأصبحت هذه الزخرفة اللحنية من مستلزمات الموسيقى العربية حتى الكلاسيكية منها إلى يومنا، وهذا يعطي اللحن مزيداً من الجمال.

٦. الإيقاع: والإيقاع في غالبية أغانينا بسيط لأنه ذو حيوية ومرونة<sup>(١٠)</sup>.

## وظيفة الأغنية الشعبية:

- وظيفة نفسية عاطفية سواء في الأفراح أو الأتراح.
  - وظيفة تربية.
  - وظيفة التأكيد على الهوية الوطنية والانتماء للوطن.
- ويمكننا أن نقسم الأغنية الشعبية وفقاً للوظيفة التي تؤديها إلى الأقسام

الآتية:

- أغاني الطفولة.
- أغاني الأفراح (الخطبة والزواج والختان).

• الأغاني الدينية.

• البكائيات.

• أغاني العمل.

◀ أولاً- أغاني الطفولة:

- ترتبط الأغاني الشعبية الفلسطينية بميلاد الأطفال وبالذات إذا كان الطفل مولوداً لأهله بعد فترة طويلة. والمناسبة الثانية هي ظهور الأطفال، وحفلة الختان تقف النساء متلاصقات، ويبدأ الغناء وتوزع الحلوى ويلبس الأطفال ملابس جديدة تقول:

يا دموع محمد بللت كمه	طهرو يا مطهر وناولوه لأمه
يا دموع محمد بللت راسه	طهرو يا مطهر وناولو لسيده
محمد بعده زغير خلي للربيع	طهرو يا شلبي بالموس الرفيع
يا أمه فرحانه وخواته مبسوطين	طهرو لي محمد بين الحرمين
فضّل له يا بيّه بدلة الكاشف	طهرو لي خليل على القش الناشف

وأيضاً:

مظّي مواسك وخفف إيديك <sup>(١١)</sup>	بالله يا شلبي بالله عليك
إنّ وجعت محمد لأزعل عليك	بالله يا شلبي بالله عليك

- هدهدة الأم أو التتمويمات، وكثيراً ما يحلو للأم أو الجدة أن تهدد طفلها، فتغني له أغاني تناسب عمره مثل:

ريحكن سكر نبات	يا بنات يا بنات
في حضون الغربات	وين نكيل وبين نبات
فتلتين محمد ليش	يا بنات الحويش
ولسرقلكن غويش	لسرقلكن بنية
على بير زمزم نصبوا الخيام	نامي نامي عيني لاتنام

نام نام لأنبحك طير الحمام بضحك عليك يا حمام، عشان محمد حبيبي ينام

◀ ثانياً- أغاني الأفراح والزواج:

الأفراح مناسبة اجتماعية تحتفل بها كل الشعوب، ولكل شعب أغاني خاصة تميزه عن غيره، والشعب الفلسطيني يهتم بالأغنية التي تميزه والخليل مدينة فلسطينية كباقي مدن الضفة الغربية تهتم بالأغنية في أفراحها وأحزانها ولها مراسم واضحة، كباقي المدن الفلسطينية، التي لها عاداتها وتقاليدها في الأفراح.

والعرس الفلسطيني واحد في جوهره من حيث العادات الأصيلة في الحرص على توطيد العلاقة بين العائلتين. والأغاني في الأفراح تنقسم إلى أغاني خاصة بالرجال، وأغاني خاصة بالنساء.

### ◀ أغاني النساء:

العرس في الخليل يبدأ بالطلبة، ثم الاتفاق بين أهل العروس وأهل العريس، وبعد الموافقة تبدأ العروس بالتجهيز ليوم الصمدة ابتداء من عقد القران (الإشهار) والكسوة. تبدأ النساء بالغناء والفرح مرددات أغاني شعبية تغني للعريس وللعروس، وأصلها وصيت أبيها وحسبها ونسبها.

ما أخذناك (فاطمة) ولا انقطعت فينا  
ما أخذناك (فاطمة) ولا قلت بنات

أخذناك بصيت أبوك في البلد زينا  
أخذناك بصيت عمامك في البلد باشات<sup>(١٢)</sup>

في الصمدة «حفل الخطوبة» تغني النساء الخليليات أغاني تهدف إلى الفرحة بالعرس، وغالبية النساء المغنيات من أهل العريس، وتنقسم النساء مجموعتين: مجموعة تغني ومجموعة تردد خلفها:

سبع كناين تعبر عا إمو	إمو يا إمو يخليلوا إمو
عا شهر العسل لحقتني إمو	جابتلي بصل وما باكل بصل
حية بسبع روس تقرصلي إمو	جابتلي فقوس ما باكل فقوس
وفي غرفة نومي لحقتني إمو	جابتلي ثومي وما باكل ثومي

وتغني أم العريس فرحة بزفاف ابنها وكل الناس تهنيها تقول الأغنية:

خالد عريس وكل الناس تغنيو	خالد عريس وكل الناس تغنيو
قومي يا إمو من قلبك زغرتيلوا	قومي يا إمو من قلبك زغرتيلوا
العز عرك والنشامى قدامك	أبو محمد لا توخذ على بالك

وتركز الاغاني الشعبية على صفات العروسين كجمال العروس والعريس وحسبهما ونسبهما ومكانة أهلها في القرية أو المدينة.

ما أخذناك يا فاطمة ولا انقطعت فينا  
ما أخذناك يا سمر ولا قلت بنات

أخذناك بصيت أبوك في البلد زينا  
أخذناك بصيت أعمامك في البلد باشات

وتغني النساء للعروس:

هالمصموودة بِنْتُ شَيْخِ الْعَرَبِ  
مدت الصفرة والمعالق ذهب  
يا صيت أهلها من مصر لَحَلْبُ  
هالمصموودة بِنْتُ شَيْخِ الْعُرْبَانِ  
مدت الصفرة والمعالق ذهبان  
يا صيت أبوها من مصر لِعَمَّانِ (١٣)

هالمصموودة بِنْتُ شَيْخِ الْعَرَبِ  
مدت الصفرة والمعالق ذهب  
يا صيت أهلها من مصر لَحَلْبُ  
هالمصموودة بِنْتُ شَيْخِ الْعُرْبَانِ  
مدت الصفرة والمعالق ذهبان  
يا صيت أبوها من مصر لِعَمَّانِ

ويسبق يوم الفرح احتفالات عند الكسوة والعقد (كتب الكتاب) ، وعند زيارة العروس لأول مرة لبيت العريس. والكسوة تجهيز العروس للعريس، من ملابس وحُلي، ومعروف في مدينة الخليل أن العريس يهدي لكل أرحامه كأخواته وعماته وخالاته أثواباً، ولكل منهن هدية ويشترى للعروس هدايا تحملها النساء يوم الحناء، وتذهب بها إلى بيت العروس وتزغرد إحداهن:

هاهي خلوا المهني يهني  
هاهي وَلِكُ الْحَمْدِ يَا رَبِّي

هاهي، وافتحوا باب الدار  
هاهي، وأنا اليوم فرحانة

ومن أغاني الكسوة:

بياع الشبر باعوا بالباعي  
أبوي جوزني واركن عَزْرَاعِي  
بياع الشبر باعوا بالكيلة  
أبوي جوزني واركن ع العيلة  
يَمَّ الْعَرِيسِ مَبَارِكْ مَا عَمَلْتِي لَهُ  
بدلة جديدة من التاجر قطعتي له  
بعيني شفت الولد طالع من الحسبة  
زغرتي له يامه حامل بدلة الكسوة

وليلة الحناء هي عند معظم أهل فلسطين وتسبق الفرح، وتسبقها ليالي للأطفال، والفرح يكون في مدينة الخليل من ليلة الخميس والجمعة التي تسبق الفرح بليلة واحدة.

وتجري الاحتفالات للرجال والنساء في مكانين منفصلين، يحتفل الرجال بالضافة أو الديوان أو في ساحة واسعة، وتحتفل النساء في بيت العريس باستثناء ليلة الحناء تكون في بيت العروس، وتذهب النساء من أهل العريس وأقاربه إلى بيت العروس.

حَنَّا يَا حَنَّا ورق البنات  
حَنَّا يَا حَنَّا يا ورق السريس  
حَنَّا يَا حَنَّا يا ورق الليمون  
يا محلى الحنَّا عا ايدين البنات  
يا محلى الحنَّا عا ايدين العريس  
يا محلى الحنَّا في ايدين المزيون

وخلال الحنا تحني يد العريس اليمنى

يا محمد يا أبو حطة  
يا محمد يا أبو العقال  
من وين صايد هالبطة  
من وين صايد هالغزال

وهذه الاحتفالات لا تميز المجتمع الخليبي فحسب، بل هي تمثل مناطق فلسطين كلها، تحتفل بالطريقة نفسها وإن كنا اليوم في المدن نفتقد هذه الليالي.

ومدينة خليل الرحمن تعدُّ من أهم مدن فلسطين وأكثرها تدينا، لذلك كانت سهرات الرجال لدى العديد من العائلات، وخاصة المتدينة قاصرة على الموشحات الدينية والأغاني ذات الطابع الديني.

أما في قرى محافظة الخليل، فيلتقي الرجال ويغنون ويدبكون، ويقوم شاعر شعبي بالغناء للحاضرين ويحيي لهم الحفلة بالعديد من القصائد ذات المعاني العميقة بمصاحبة الرماية (١٤)

وتكثر أغاني الحناء فيرددون الأغاني الجميلة على صوت الطبله والتصفيق الحان:

عريسنا يابو بدلة وجرافة  
عروستك من الحارة اللقافة  
عريسنا يابو بدلة بنية  
عروستك من الحارة القبليّة  
عريسنا يابو بدلة كويتية  
عروستك من الحارة الغربية

من الأغاني التي تردد في مدينة الخليل الأغنية السورية «يا مال الشام» وتغنيها النساء فرحا، وهي أغنية سورية مقتبسة تغنيها النساء الخليبيات، وتعد النساء صفات أهل العريس والعروس بأغانٍ جذابة:

إلى حايطها كرم التين  
يا ريت عمرو طويل  
إلى حايطها كرم اللوز  
يا عطشان اشرب قازوز  
والعسل فيها يسيل  
وياريت عمرو طويل

لمين هالدار الكبيرة  
هذه دار أبو محمد  
لمين هالدار الكبيرة  
هذه دار أبو محمد  
لمين هالدار الكبيرة  
هذه دارك يا أبو احسان

ونفرح القلب إلی صار له زمان مكسور  
ونفرح القلب إلی له زمان حزان

يا رب يصير الفرخ ونعلق البنور  
يا رب يصير الفرخ ونعصر الليمون

وتغني النساء لأم العريس وأخواته عندما ينزلن إلى الساحة

أنا محمد يا يمّا اتجوزت  
أنا محمد يا يمّا انا خاطب

رن السيف عالدرج وزغردت  
رن السيف عالدرج وانا هايب  
وأغنية لأخوات العريس:

يا دار أبوهن، مقعد للضيف  
يا دار أبوهن، مقعد للعسكر  
يا دار أبوهن مقعد للحاكم<sup>(١٥)</sup>  
يا مطلع القهوة بطرف رديك  
يا خيولهن واردة على العين  
محمد وأخوته راكبين الخيل  
زغرتيله يا أم محمد يا أصيلة  
من خوف ابنك لتصيبه العين

خوات العريس يلعبن بالسيف  
خوات العريس يلعبن بالخنجر  
خوات العريس يلعبن بالخاتم  
يا خي يا محمد خيلي مع خيلك  
يا خيولهن واردة على العين  
محمد وأخوته راكبين الخيل  
زغرتيلي يا أمه يا أصيلة  
من خوف ابنك لتصيبه العين

وتتنوع أشكال الأغنية من الدلعونا والميجانا وظريف الطول.. الخ، وتتناولها النساء، والرجال وخاصة الدلعونا وظريف الطول.

#### ◀ الدلعونا:

من أشهر الأغاني الفلسطينية وأكثرها انتشاراً، والمجتمع الخليي هو جزء من الكل الفلسطيني سواء في القرية أم في المدينة. والدلعونا تتغنى بها كل المستويات المجتمعية، وتعبر عن حبهم لوطنهم وتعرض لمشكلاتهم السياسية والاجتماعية، ويغنيها كل من الرجال والنساء على السواء، وتصاحب أغاني الدلعونا الدبكة الشعبية والربابة والمجوز أو الناي عند الرجال، والطبلة والدبكة عند النساء.

والدبكة هي حركات راقصة تقدم على نغمات الدلعونا، والدلعونا تقوم على الأرجل، ويمكن أن تغني جماعة أو فرادى، بحيث يؤديها رجل أو امرأة يعرف برهافة الحس والقدرة على الارتجال، والدلعونا ربما اشتقت من الدلع الذي يرافق الدبكة، والدلعونة سهلة بسيطة، قصيرة المقاطع، فهي سهلة الحفظ والتردد بمهارة واثقان.

على دلعونا على دلعونا	نسّم يا هوا الغربي الحنونا
على دلعونا على دلعونا	راحوا الحبايب ما ودعونا
على دلعونا يا حابيبنا	بطلنا نوحذ من قرايبنا
والله ما خونك يا نور عنيا	لو حرزوني حزوز الليمونا

على دلعونا وعلى دلعونا	والدلعونا تعبر عن المواقف السياسية والاجتماعية بطريقة مرتجلة، جميلة
على دلعونا وروحي عا كفي	زيتون بلادي زهر الليمونا
نزلوا الدبكة ولفوا الحطات	فدا الخليل ويافا والضفة
	وأدوا التحية لعرفات

#### ◀ ظريف الطول:

ومن الأغاني التي تتناولها المرأة في القرية والمدينة في محافظة الخليل، وعلى مستوى المدن الفلسطينية «يا ظريف الطول» وترافقها الطبلية، ويرافقها الشباب بالمجوز، وتنظم أغاني ظريف الطول على بحر الرمل:

يا ظريف الطول وقف تاقولك	رايح عا الغربية وبلادك أحسنك
خايف يا محبوب تروح وتتملك	وتعاشر الغير وتنساني أنا
يا ظريف الطول يا حلو انت	يا عقد اللولو على صدر البنت
يا ظريف الطول وين رايح تروح	جرحت قلبي وعمت الجروح
يا ظريف الطول يا حلو يا مربع	يا نازله للبير وأحسب للطلوع

وأغنية على الرباعية تغنى لتدل على عصبية الأحزاب، وبخاصة القيسية واليمينية، فأكثر القرى وأكبر العائلات الفلسطينية تنتمي إلى أحد هذين الحزبين، وكان مفعول هذه الأحزاب قوياً<sup>(١٦)</sup>

على الرباعية عالرابعة	الرايا البيضاء للخليبية
اسندوا البارود عا باب العمود	واطلع يا ابو محمد بعزوة قوية
اسندوا السلاح على المراح	واطلع يا محمود بعزوة قوية

والترويدة: تغنى للعروس في بيت أهلها ليلة الحنا «ويقولها الرجال فقط» عند حالات حمام العريس (١٧)

الترويدة هي لون غنائي عربي قديم ينتشر بين الناس في المدينة والقرية. والنساء تردد الترويدة أثناء الزفاف، والترويدة تسير على بحر الرجز، ولا تلتزم بقافية واحدة وتعنى

يا رويدتنا يا هيه	يا رويدتنا يا ميا
قد خيِّتْنا يا هيه	قد خيِّتْنا نحبك
في السما غيمةً يا هيه	في السما غيمةً وسيلة
حنَّاك مرطب يا هيه	حنَّاك مرطب يا ملك
يا الله تانخطب يا هيه (١٨)	يا الله تانخطب يا ملك
يا رويدتنا يا هي	يا رويدتنا يا سمر
مثل خويتنا يا هي	مثل خويتنا نحبك
من حويرتنا يا هي	من حويرتنا رحلت
لحويرتهم يا هي (١٩)	لحويرتهم نزلت

ياميمتى عريسانزل الزفة جوعان وديت له ميتين وزه محمرة

ياكل ويطعم جملة العرسان

ياميمتى عريسانزل الزفة عريان وديت له ميتين بدله مفصلة

يلبس ويلبس جملة العرسان

أغاني خاصة بالعروس التي تتزوج غريبة خارج الأقارب وخارج البلد:

إذا تزوجت الفتاة غريبة تبدأ بالعتاب على الوالد بأغاني جميلة:

قولوا لأبوي الله يخلي أولاده	استعجل علي وأطلعني من بلاده
قولوا لأبوي الله يكثر خيره	استعجل علي وأطلعني لغيره
قولوا لأبوي الله يكثر ماله	استعجل علي وأطلعني من عياله

وأغاني العروس التي تتزوج غريبة تعاتب فيها أبيها عند تزويجها لغريب.

وتتمنى له كثرة الخير وكثرة المال وحفظ الأولاد والعيال، وهذه الأغنية تعكس حال المرأة في المجتمع الخليلي التي تلغي نفسها في سبيل إرضاء ولي أمرها:

يا أهل الغريبة طلوا على غريبتكم وإن قصرت خيلكم عوض الله عليكم



شعور الألم لفراق البنات، وهو وجع تشعر به الأم والصديقات، وتعب النساء عن هذا الشعور بالغناء تقول:

يا ريتنا ودّعناكي قبل ما نروح  
يا ريتنا ودّعناكي قبل يومين  
يا ريتنا ودّعناكي من زمان  
وأنا العزيزة أنام بين العيلة  
وأنا العزيزة أنام بين اخواتي  
وأقول لأهل الغريبة لاشافكوا الخير  
وأقول الغريبة لاشافكوا سرور  
هذا أبوي غربني من دون خياتي

يا رفيقتنا يا عايشة يا روح الروح  
يا رفيقتنا يا عايشة يا عين العين  
يا رفيقتنا يا عايشة يا عال العال  
يا ريت أبوي يحلف عليّ الليلة  
يا ريت أبوي يحلف عليّ أباتي  
والله لكتب سلامي على جناح الطير  
والله لكتب سلامي على جناح عصفور  
وأرسلتك محرمة تطريز ديّاتي

وأنا جاي الليلة أودعكوا يا ستي وسيدي  
من ليلة الحنا رايح على بعيدي  
ياحبابي حين ترحلوا حملوا بالليل  
تطلع عليكم الشمس تبكي عليكم العين<sup>(٢٠)</sup>

#### ◀ المهاهاة:

هي من الأغاني الخاصة بالنساء، وهي فن زجلي خاص بالنساء، يصدر من امرأة متخصصة وتتكون المهاهاة من:

- ثلاثة أجزاء وهي صرخة تتصدر بداية كل شطر من الأشطر الأربعة فتقال (آه) في شمال فلسطين أو (أويها) في جنوبها (أهيها) ويقول سعود الأسدي أنها تبدأ بمقاطع للتنبيه (هي، آه، يها، .. الخ)

أصل الكلمة (هاهت) بمعنى توجعت وشكت، والتأوه يكون بإخراج كمية من هواء الرئتين ويحدث الأمر ذاته في المهاهاة.

- الجزء الثاني: نظام البيت، يتوزع النص على أربعة أشطر، يتكون كل بيت من صدر وعجز.

ومضمون المهاهاة يتنوع ويشمل الفرح والافتخار بالأهل والوالد من الأصل الطيب، أيضاً تعدد محاسن العريس والعروس ومدحه وحب الناس لهم.

- تنتهي المهاهاة بالزغروته أو الزغردة بدلولولي.<sup>(٢١)</sup>

والزغردة في اللغة هي «هديل الابل في جوفه» وأصبحت مرادفة للصوت الذي تطلقه المرأة معبرة عن فرحها بعد المهااة وتكون باطلاق كمية من الهواء عبر الشفتين بحيث يتقطع اندفاعه بطرف اللسان بذبذبات سريعة، ويحرك اللسان إما بتوقيع منظم بطرفه بحركة عمودية على حافة الشفا العليا مع بقاء الفم مفتوحا، إما بتوقيع منتظم بطرف اللسان بحركات أفقية وذبذبات بين ملتقى الشفتين (٢٢)

أها يا ريتا مبروكة  
أها يا سبع بركات  
أها يا ما بارك محمد  
أها على جبل عرفات  
لـولـولـولـوي

وتعد المهااة والزغردة مهمة في الفرح الخليي حيث تدخل السرور والبهجة إلى نفوس الناس والعائلة كما تنطلق المرأة الخليية متحررة من قيود وتقاليد، تقول عندما يرفع العريس الطرحة ويكشف عن وجه العروس:

ها هي يا جلجي عل جلجي  
ها هي يا بنت الكرام بتبجلي  
ها هي والسيف حد جبينها  
ها هي والبيت منها بيرهجي

والزغاريد تصف العروس وتعدد ملامحها الأصيلة وحسبها ونسبها عندما يذهبون بها إلى بيت العريس:

ها هي خذوها يا دار أبو محمد خذوها  
ها هي خذوها وانتو الكسبانين  
ها هي هذه بنت أبو توفيق  
ها هي تنيهدي للسلاطين  
ها هي يا عروس يا ملكة  
ها هي يا لولو في شبكة  
ها هي يسعد البيت اللي رباكي  
ها هي ويطرح لعريسك البركة

كما تتم الزغاريد للعريس:

ها هي ارفع عينك وانظرها  
ها هي يا شوف ما حمرها وما أخضرها  
ها هي ياكل المال اللي حطيتوا  
ها هي ما بيسوي راس اصبعها

أيضا مهااة مفاخرة بالأهل:

ها هي ارفعى راسك ولا تبالي  
ها هي يا واركي ميتين خيالي  
ها هي وراكي ابوكي وعمامك  
ها هي يهدوا الجبل لو كان عالي  
ها هي ما يشربوا إلا من بابها

والزغاريد لكل المناسبات وهي دلالة على الفرحة التي تعبر عنها المرأة الفلسطينية  
◀ أغاني الرجال:

وتبدأ سهرة الرجال بالدبكة والغناء الشعبي التي يرددونه على صوت التصفيق  
والأيدي، وأشهر هذه الأغنيات العتابا والميجنا والأوف.

◀ العتابا:

هي الأغنية الشعبية المفضلة في فلسطين، ولاسيما في ريفها وقراها وقد يطلق عليها  
كلمة «عتابا» وحدها أو كلمة «ميجانا» وحدها، أو الكلمتان معا، أو كلمة أوف وحدها، أما  
من أين جات هذه الأسماء فنقول:

- العتابا: تسمية لعلها مأخوذة من العتاب، خاصة وأن العتاب يمثل مكانة بارزة  
في موضوعاتها (٢٣)

- الميجنا: وهي اللازمة التي ترددها الجماعة قبل غناء البيت الواحد وبعده من  
العتابا، ولعل هذه التسمية مشتقة من المجون الذي يتطلب مشاركة جماعية لعلها منحوتة  
من عبارة «يامن جنى» خطاباً للحبيبة التي ردت قلب حبيبها فأصابته وجنت عليه، لأنها  
لم تجد له بالوصول، بل تركته معلقاً في عذاب الوجد والهيام (٢٣)

ويلتزم موال الميجنا ببحر الرجز (مستفعلن - مستفعلن - مستفعلن)

الأوف: هو صوت هذه الكلمة ممدّاً منظماً بقدر ما يسمح به نفس المغني، وفي العادة  
يبدأ مغني العتابا بهذا الصوت، ثم يعيده بعد بيت الشعر الاول، ويعود فيكرره مرة أخرى  
فور انتهائه من بيت الشعر الثاني الذي هو نهاية بيت العتابا.

ومن الواضح أن وظيفة هذا «الأوف» تمكين المغني من أن يجلو حنجرته، ويلفت نظر  
الجمهور للغناء وبيت العتابا مكوّن من بيتين من البحر الوافر. (٢٤)

مساء الخير مسيكم جميعكم      وقبّل لي أياديكم جميعكم

ب... / ب.. / ب..      ب... / ب.. / ب..

مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن      مفاعلتن / مفاعلتن / فعولن

ويصطف الرجال صفيين ويقول الأول:

مسيك بالخير مسي عا أبو صالح  
رجال طيب وفي ميزان العقل راجح

يرد الصف الثاني:

مسيك بالخير مسي عا أبو محمود  
رجال طيب وفي بيت الكرم معمود

ومن غناء العتابا والميجانا:

موال العتابا ما بحطلك مذلة والشكوى لغير الله مذلة  
الوبش اللي نجح والسبع ذلا وفرخ البوم تصطاد العقاب

وهذه الأبيات توضح الحزن والهم عندما الوبش يتمكن من الصقر الطائر، وهي صورة جميلة واضحة

سقونا كاس حنظل كاس تفريق علينا قدر المولى بتفريق  
ويوم فراقهم حر ونشاف ريق عجاج وما حدا ودع حدا

بيت العتابا يتألف من أربعة أشطر تنتهي الثلاثة الأولى منها بالنغم الموسيقى نفسه (وحرف الروى والقافية، وينفرد السطر الرابع بنهاية موسيقية مختلفة)

- ظريف الطول: أيضا من أغاني الرجال وسبق الحديث عنها

- لحن عل اليادي اليادي

ويغنيه الرجال والنساء

ع اليادي اليادي اليادي يا أبو العبيدية  
يا جوخ لفصلك للحو صدريّة  
لا اطلع عا راس الجبل وأصبح أنادي  
وأقول يا مرحبا نسم هوا بلادي

يوم الزفاف:

في يوم الزفاف يجتمع أهل القرية وأصدقائها وفي المدينة أيضا يجتمع الأهل والأصدقاء احتفالاً بالزفاف لإعداد طعام الغداء، وتتصف محافظة الخليل بإكرام الضيوف وإطعامهم.

وقبل الظهر يقوم الشبان بمساعدة العريس على الاستحمام بالغناء والفرح ولبس الملابس الجديدة، ويغني الشباب خلال الاستحمام والهرج، تقول الاغنية:

طلع الزين من الحمام  
ورشوا العطر عليه  
كنت عزب داير مجنون  
حبّل الزين وجاب غلام  
صار يقولي يابابا  
مديت ايدي على الجيبة  
وهكذا .....  
لقيت الجيبة منفوشة

وبعد ذلك وفي آخر النهار يذهب أهل العريس بموكب من الرجال والنساء في زفة لإحضار العروس، وعند الوصول إلى بيت العروس تبدأ النساء بالغناء:

أربع خواتم في إيدها  
والخير منكو يجيبها  
أربع خواتم في إصبعها  
والخير منكو يتبعها

وتغني النساء للنسب الجديد، والنسب يربط بين العائلتين برباط الحسب والنسب:

نسايب نسايب ديروا بالكوا لينا  
ما دورنا عا الزين عا الأصل حطينا  
نسايب نسايب ديروا بالكوا ليه  
ما دورنا عا الزين دورنا عا الأصيلة

ومن أغاني ما قبل طلعة العروس:

في القنية يا زارعين الورد في القنية، فتح يا ميمتي يمّه  
ع العلية يامطلع العرايس ع العلية يا ميمتي يمّه  
في القناني يا زارعين الورد في القناني يا ميمتي يمّه  
ع العلالي يا مطّلع العرايس ع العلالي يا ميمتي يمّه  
في الحاكرة يا زارعين الورد في الحاكرة يا ميمتي يمّه  
الوسادة يا نايمين الليل ع الوسادة يا ميمتي يمّه

وعندما تخرج العروس بمساعدة أبيها وأخيها أو عمها أو خالها تغني النساء، ويشكر أهل العريس والد العروس وأقاربها:

يخلف علي «أبو محمد»  
طلبنا النسب منه  
يخلف عليكو كثر الله خيركوا  
يخلف علي أبو محمد  
طلبنا النسب منه  
يخلف عليه خالفين  
أعطانا بناته الثنتين  
لفينا البلد ما لقينا غيركوا  
يخلف عليه في الأول  
أعطانا غزال مصور

وتغني النساء طالبة من العروس الخروج والذهاب إلى بيت العريس:

واحنا حطينا حقوق أبوكي وخالك  
واحنا حطينا حقوق أبوكي وعمك  
واحنا حطينا حقوق أبوكي من مرة

قومي اطلعي قومي اطلعي من حالك  
قومي اطلعي قومي اطلعي ويش همك  
قومي اطلعي قومي اطلعي لا والله

وتغني النساء لأهل العروس:

طولك جريد النخل يا ام العيون الملاح  
وأهلك عزوة قوية نقالة السلاح  
طولك جريد النخل يا ام العيون السود  
وأهلك عزوة قوية نقالة بارود<sup>(٢٥)</sup>  
محمد شمعة مظوية بين البساتين  
أهلك سبوعة والعبي بكيفك  
أهلك سبوعة في البلد عسكر<sup>(٢٦)</sup>

قومي اطلبي يا مريم يا موشحة بسلاح  
وأهلك عزوة قوية نقالة السلاح  
قومي اطلعي يا مريم يا موشحة ببارود  
وأهلك عزوة قوية نقالة بارود  
صلين على النبي يا مريم صلين  
يا خليلية وارقصي بسيفك  
يا خليلية وارقصي بخنجر

هذه أغاني توضح شجاعة أهل العروس وفروسيتهم وعزوتها القوية وصفاتها الجميلة:

وخلال الزقة تغني النساء أيضا:

شدوا الرحال اليوم على الجزيرة  
عروستك يا محمد حلوة وأميرة

على الجزيرة على الجزيرة  
حلوة وأميرة حلوة وأميرة

وعند الوصول إلى بيت العريس تبارك النساء لأهل العريس، ويتمنين للعروسين الإنجاب وأن تبكر بصبي

وتبكري بصبي يلعب حوالينا  
وتبكري بصبي وتكثري الخلفة  
وتبكري بصبي وتعمري دياره

ريتك مباركة علينا يا زينا  
ريتك مباركة عا السلف والسلفة  
ريتك مباركة عا الجار والجاره

وتبدأ جلوة العروس وتبدأ بأغاني جميلة (اليوم تغير الحال وأصبحت الأغاني الحديثة تطفى على الجلوة) ومن الأغاني التي كانت تُغنى:

وارمي حملك على الله.. وأنا والقاعد  
وارمي حملك على الله وأنا الشيال<sup>(٢٧)</sup>

قال العريس يا ياما... الدهر بيعود  
قال العريس يا ياما... الدهر ميال

وتزغرد النساء:

ها هي يا ريتها مبروكة      ها هي يا سبع بركات  
ها هي كما بارك محمد      ها هي على جبل عرفات

لولولولي

◀ البكائيات:

تلحق الأغاني الشعبية ما تردده النساء على الميت في حالات الوفاة عند البكاء على عزيز مات.

وتتناول البكائيات كل ما يحيط بالموت من مظاهر، مصورة تأثير الموت على الآخرين وآلام الموت، وما يترتب عليه من فراق للأحباء وخراب للبيوت.

والبكائيات تصاغ بأسلوب مباشر ارتجالي خالٍ من التعقيد.

وتجري البكائيات على شكل حوار بين القائل والميت، وهذا النوع من المناجاة تتجلى بلاغة البكائيات لأنه يحمل إلينا مذاقاً تراجيدياً، وتجري البكائيات على نظام الدوبيت و«المربع»<sup>(٢٨)</sup>.

ونلاحظ مدى خصوصية الصورة في البكائيات وبساطتها الشديدة التي تنبع من صدق التعبير، وعمق الإحساس بمأساة الموت.

وتهتم البكائيات بكثير من الصور التي تصور اليتيم وحال اليتامى وفقد الأب والأم والأخ والأخت والصغير والكبير وصورتها تصويراً يعج بالمرارة والألم «والتعبيرات التي تدل على الحزن والألم والبكاء والتفجع باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من طبيعة البكائية ذاتها، والمناسبة التي تتردد فيها»<sup>(٢٩)</sup> ومحافظة الخليل جزء من المجتمع الفلسطيني الذي تجتمع فيه النساء في مثل هذه المناسبة ويشاركن في ترديد المراثي الشعبية الدارجة في المجتمع وتأتي هذه الترديدات في قوالب موسيقية منتظمة من الشعر الشعبي الذي يقطر حزناً وحسرة لفقد المتوفين (المأثورات الشعبية/ جامعة القدس المفتوحة ط ٢٠٠٠ ص ٧٧).

طلت البارودة والسبع ما طل      يا بوز البارودة من الندى مبتل  
طلت البارودة والسبع ما جاش      يا بوز البارودة من الندى مرتش  
يا شجرة بالدار حاميك أسد      وتكسرت الغصون من كثر الحسد  
ع اليوم يا أبو الصغر لو صبرت شوية      بيت اصغارك والزمن طويل

تبكي على راعي البيت وأبو الأسرة الذي يترك أطفاله وهم وحدهم

- بكاء الأم:

البيت بيت أمي عرفته  
وإن كانت أمي في الديار  
هاتي طاستك والمشط في إيدي  
وسكنته وغشمت عا الدار  
عبرته وقتشنا الأسرار  
ترى اليوم حمام الصبايا (٣٠)

- بكاء الأخ بالزفرات والدموع:

وراك يا خي لاحوم سليب  
هب الهوى شرقي وغربي  
كله من الله يا حراير  
وأخلي ثوبي جنبي سرايب  
لا تفتحوا علي جروح قلبي  
والمكتوب على العين صاير (٣١)

أما في حالة الاستشهاد، فنجد كل حر غيور على وطنه يردد أغاني الشهادة والبطولة فبدلاً من البكاء والندب والحداد تغنى الأغاني التي تدل على الفرحة باستشهاد الشهيد وتحمل في طياتها الفخر والتحدي والكبرياء.

زغردي يا ام الجدايل زغردي  
وزيني فخر الأصايل بالودع  
وازرعني الحنا على الصدر الندي  
واربطني العصابة على كل الوع  
زغردي يا ام الجدايل زغردي

\*\*\*

دونك الزيتون ع سفح الجبل (٢٣)  
لوحني وسط المنايا وارصدي  
دروب النشاما اليوم جايبك البطل

\*\*\*

سبل عيونو ومد إيدو يحنولوا  
خصروا رقيق وبالاعلام لفونوا (٣٣)

فالمآسي التي خلفتها جرائم العدو الصهيوني تدمي القلوب وتوجع النفوس، ولكن لابد من رباطة الجأش والصمود والقوة.

وكثير من الفلسطينيين بكوا الديار المهجورة التي تركوها قصراً وظلماً، ولم يبق لهم سوى الذكريات المؤلمة.



لَطْلِيكَ يَا دَار بَعْدَ الشَّيْدِ بِالْحَنَّا  
لِيشَ أَحْنَا هَجْرْنَا وَغَيْرْنَا اتَوْطَن

يَا دَار يَا دَار لَوْ عَدْنَا كَمَا كُنَّا  
لَا يَبْلَدُنَا يَمَّا الْغَيْمِ الْأَحْمَرِ

وتبكي النساء الأب الحنون وبعده عن عياله ودفنه ووضع البلاطة عليه:

وَلَا سَدُّوا الْبَلَاطَةَ عَلَى عَزِيزِ الرُّوحِ  
وَلَا سَدُّوا الْبَلَاطَةَ عَلَى وَحِيدِ الدَّارِ

وَأَنَا إِنْ جَارَ لِي لِأَكْتَبْلَهُ عَلَى اللُّوْحِ  
وَأَنَا إِنْ جَارَ لِي لِأَكْتَبْلَهُ فِي النَّهَارِ

خيمت فوق المدينة  
بحر طوفان السفينة  
موجات الدمع الحزينة<sup>(٣٤)</sup>

راية السواد الحزينة  
نار حزني ما طفاها  
يا حبايب شاركوني

صورة جميلة وبكائيات تنبض بالأصالة والعراقة مجهولة المؤلف منتشرة بين أبناء  
وبنات محافظة الخليل.

- وأما البكائيات ممن تتزوج غريبة فهي أيضا تنبض بالألم والحزن على فراق  
الأهل:

هِيَ يَم تَوَدُّعُ رَفِيقَاتِي  
يَا حَبَايِبَ لَا تَسَافِرُوا تَتَوَكَّلُوا مِنْهُ  
سَرِيتَ الصَّبْحِ مَا وَدَعْتَشْ رَفِيقَاتِي  
وَأَنَا الْعَزِيزَةَ أَنْامُ وَسَطَ الْعَيْلَةِ  
وَأَنَا الْعَزِيزَةَ أَنْامُ وَسَطَ إِخْوَاتِي.  
يَا أَهْلَ الْغَرِيبَةِ يَدُوسُوا بِالسَّنَةِ فَرَاشِي  
يَا أَهْلَ الْغَرِيبَةِ مَرُوا بِالسَّنَةِ مَرَّةً  
يَا أَهْلَ الْغَرِيبَةِ يَزُورُوا بِالسَّنَةِ خَطْمَةً<sup>(٣٥)</sup>

قَوْمِي يَمَّا هِيَ لِي مَخْدَاتِي  
يَا حَبَايِبَ لَا تَسَافِرُوا وَالتَّيْنِ عَلَى أُمِّهِ  
يَمَّا يَا يَمَّا حَشِيلِي مَخْدَاتِي  
يَا رَيْتَ ابُوي يَحْلِفُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ  
يَا رَيْتَ أَبُوي يَحْلِفُ عَلَيَّ أَبَاتِي  
إِنْ كُنَّكَ غَرِيبَةَ هَيْلِي مَعَ الدَّمْعِ طَاسَةً  
إِنْ كُنَّكَ غَرِيبَةَ هَيْلِي مِنَ الدَّمْعِ جَرَهُ  
أَنْ كُنَّكَ غَرِيبَةَ هَيْلِي مِنَ الدَّمْعِ حَقَّةً

#### ◀ الأغانى الدينية:

الأغانى الدينية هي أغاني ذات طابع ديني تقال في مواسم الحجاج والمولد النبوي

دراسة السنة الهجرية

ترانيم الحجاج

الله أعطاهم

حجج بيت الله

وهي تغني لمن يذهب إلى الديار الحجازية لأداء فريضة الحج، والأغانى الدينية

ترتبط بالأحترام الكبير والحب الكثير لبیت الله الحرام وزيارة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -

يا زائر النبي و وصفة حجارة  
يا زائر النبي و وصفة القبة  
يا زائر النبي خذوني بمحاملكم لا إني حديد ولا بولاد يثقلكم  
إلا خفيف الحمل واريد المشي معكم  
وأیضا من أغاني الحجاج:

صفي شجر خوخ، يا طريق الحجاج، صفي شجر خوخ  
من البرد والدوخة، خوفي على الحجاج، من البرد والدوخة  
كوني هنية يا طريق الحجاج، كوني هنية  
عشبة طرية تحت رجلين الحجاج، عشبة طرية  
وعند عودة الحجاج يغنى لهم هذه الأغنية الجميلة:

أجا المبشر لباب الدار وأعطوا المبشر ذهب وريال  
واجبا المبشر لببشرنا وأعطينا المبشر أساورنا

وايضا إحياء المولد النبوي والإحتفالات الدينية التي تقام في مناسبات مثل ميلاد طفل أو شفاء مريض ويقرأ المولد تيمناً بالشفاء ومن المدائح التي تغنى في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -

امينة في امانها  
تجلت وانجلت حقا  
تجلت ليلة الاثنين  
محمد حد السبطين  
تجلت ليلة الخميس  
يا أهل العلم والتدريس  
تجلت ليلة الجمعة  
محمد باهي الطلعة  
تجلت في قبا وردي  
وحملت بالنبي العربي  
وتجلت في قبا أصفر  
وحملت بالنبي الأزهر  
مليحة في معانيها  
سألت الله يهينها  
وحملت بالنبي الزين  
قد شرف أراضيها  
وحملت بالنبي الانيس  
قد شرف اراضيها  
وجملت بالنبي سرعة  
قد شرف أراضيها  
وفاح المسك والندي  
محمد خير من فيها  
وفاح المسك والعنبر  
سألت الله يهينها

وأخيراً:

وفي نهاية المطاف هذا، فيض من الأغاني الشعبية التي عالجت الواقع الفلسطيني، كما عبرت أفضل تعبير عن الهوية الفلسطينية والأغاني الشعبية هي إحدى الوسائل المهمّة التي يحافظ بها المجتمع على ثقافته واستقرارها بما تغرسه في نفوس الافراد من قيم ومثاليات.

والأغاني الشعبية هي تعبير عن لواعج النفس وفيها مجال لتنفيس الانسان عن نفسه سواء في الأفراح أم في الأحزان.

## الهوامش:

١. فوزي الغتيل، الفلوكلور ما هو؟، دار النهضة العربية للنشر، العباسية القاهرة ١٩٧٧ ص ٧٦.
٢. عبد اللطيف البرغوثي سلسلة الأدب الشعبي، مركز الوثائق والأبحاث، جامعة بيرزيت آذار ١٩٨٦م.
٣. توفيق زياد/ صور من الأدب الشعبي الفلسطيني، مطبعة أرحمون، عكا ط ٢ ١٩٧٩، ص ١٦
٤. أحمد مرسي، الأغنية الشعبية مدخل إلى دراستها، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣، ص ٢٦.
٥. نبيلة إبراهيم، اشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب القاهرة أغسطس ١٩٨٣، ط ٣، ص ٢٣٧
٦. الموسوعة الفلسطينية، الجزء الأول، ط ١، ١٩٨٤، ص ٢٦٨
٧. حسين سليم العطاوي، الأغنية الشعبية الفلسطينية، موقع إنترنت
٨. احمد رشدي صالح، الأدب الشعبي، الطبعة الثانية ١٩٥٥، مكتبة النهضة المصرية، ٩ شارع عدلي، القاهرة ص ٢٠٩.
٩. يسري جهرية عرنيطة، الفنون الشعبية في فلسطين، الطبعة الثانية، عمان ١٩٨٨ ص ٤٢، ٤٠.
١٠. د. إدريس جرادات، الأغنية الشعبية النسائية في فلسطين، صحيفة ومنتديات العروبة موقع إنترنت.
١١. محمد أحمد الأسطة، الأغنية الشعبية الفلسطينية، صادر بيت الشهر/ رام الله ٢٠٠٨ موقع إنترنت.
١٢. غادة سميح الشريف، ما يقال في الأفراح والأتراح في محافظة الخليل دراسة ميدانية. [www.falestiny.com](http://www.falestiny.com)
١٣. د. أدريس جرادات، الأغنية الشعبية النسائية، فلسطين، مرجع سابق.
١٤. غادة سميح الشريف، ما يقال في الأفراح والأتراح، مرجع سابق.
١٥. د. إدريس جرادات، الأغنية الشعبية النسائية في فلسطين.

١٦. الموسوعة الفلسطينية ط ص ٢٧٢، ٢٧٣ مرجع سابق
١٧. فؤاد ابراهيم عباس، فنون القول في الموروث الشعبي الفلسطيني، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ ص ٧٣ دار النشر مؤسسة العروبة/ مصر
١٨. المأثورات الشعبية، جامعة القدس المفتوحة ٢٠٠٠، مطبعة بيت المقدس ص ٧٢.
١٩. د. ادريس جرادات، الأغنية الشعبية النسائية في فلسطين.
٢٠. ملتقى الواحة الثقافي + www.rabital.net
٢١. المرجع السابق نفسه
٢٢. عبد اللطيف البرغوثي، سلسلة الأدب الشعبي الفلسطيني، مرجع سابق ص ٥٩
٢٣. المرجع السابق ص ٦٠
٢٤. المرجع السابق ص ٦٠
٢٥. د. ادريس جرادات، الأغنية الشعبية النسائية في فلسطين
٢٦. المرجع السابق
٢٧. المرجع السابق
٢٨. أحمد رشدي صالح - الأدب الشعبي ط ١٩٩٧ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ١٦٨
٢٩. أحمد مرسي، الأغنية الشعبية مدخل الى دراستها ص ١٦٨ مرجع سابق
٣٠. ادريس جرادات - الأغنية الشعبية النسائية في فلسطين - مرجع سابق
٣١. غادة سميح الشريف، ما يقال في الأفراح والأتراح في محافظة الخليل، مرجع سابق.
٣٢. الأغاني الشعبية الفلسطينية، موسوعة ميسرة للصغار، اصدار مجلة الحياة/ ١٩٩٧، ص ٤٨
٣٣. المرجع السابق نفسه ص ٤٩
٣٤. د. ادريس جرادات، الأغنية الشعبية مرجع سابق.
٣٥. د. ادريس جرادات - التناويح والبكائيات في الأغنية الشعبية الفلسطينية مركز سنابل - سعد الخليل ٢٠١٠ ورقة عمل مقدمة الى مؤتمر الأغنية الشعبية في بيت لحم موقع انترنت.

# ثوب المرأة الريفية الفلسطينية تكنولوجيا محلية وهوية وطنية

د. إدريس محمد صقر جرادات

## ملخص:

سعت الدراسة إلى العمل على تحقيق ما يأتي:

١. العمل على إحياء جانب مهم من التراث الفلسطيني، وهو المطرقات و الأزياء الشعبية التراثية، لتنميتها والمحافظة عليها.
٢. العمل على تقليل حجم المعاناة التي يتعرض لها أرباب الصناعات الشعبية في ظل اكتساح السوق بالبضائع المستوردة.
٣. تقديم معلومات تخدم أصحاب القرار في اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة الإنتاجية والخطط المستقبلية بإظهار قيمة الأزياء الشعبية ونشرها وتسويقها عالمياً، بما ينسجم مع الأهداف المتوخاة في خلق الشخصية الفلسطينية المؤمنة بأهدافها، وإيجادها.
٤. العمل على الارتقاء بالمرحلة القادمة إلى مستوى التحدي المطلوب، للوصول إلى مجتمع قادر على تلبية احتياجاته، بالاستفادة من موارده الأولية في تنمية الصناعات الشعبية وإحيائها.
٥. إبراز البعدين التراثي والحضاري للصناعات التقليدية والمطرقات والأزياء الشعبية التي تعبر عن تاريخ الشعب الفلسطيني وثقافته، حيث تجسد الوجود الفلسطيني على أرضه.
٦. الصناعات الشعبية هي صناعات صديقة البيئة، وموجهة للسياحة والمجتمع المحلي.
٧. فضح ممارسات الجانب الإسرائيلي في سرقة المنتجات والمقتنيات التراثية الفلسطينية وانتحالها وتزويرها.

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي الذي يسير وفق الخطوات الآتية:

١. الجانب الوصفي لواقع الصناعات الشعبية من المطرقات والأزياء التقليدية.
٢. التوصل إلى استراتيجيات وإجراءات لتفعيل إحياء الصناعات الشعبية وتنشيطها.
٣. المنهج المكتبي بالرجوع إلى الكتب والمجلات وما كتب عن الصناعات المنقرضة خاصة.

استخدمت الدراسة الملاحظة المقصودة المباشرة وغير المباشرة، وذلك لتجميع الخبرات حول ما نشاهده أو نسمع عنه أو نعايشه، وذلك للتعرف إلى واقع الصناعات الشعبية التي كان أو ما زال يمارسها الأباء والأجداد، والمقابلة المباشرة مع أرباب الصناعات والحرف الشعبية والمهن التقليدية.

## مقدمة:

تعتبر الأزياء الشعبية الفلسطينية عن هوية ذاتية للمرأة الفلسطينية من خلال اختيار نوع القماش والألوان والقطب، تعبر عن شخصيتها وهمومها وفرحها وعمرها ومكانتها الاجتماعية، حيث يعكس التطريز المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة.

عملية التطريز عملية جماعية تعاونية إبداعية، تحتاج إلى مهارة ودقة وقدرات ذكائية ومهارات عالية،

وتحضر المرأة ابنتها، وتهيئها لبيت الزوجية، بعد عمر عشرة سنوات، وتدريبها على التطريز وأعمال البيت

كما تحضر العروس نفسها بالبدا بتطريز الثوب وتجهيزات العرس من مطرقات ووسائد ومخدرات في سن مبكرة.

تعرضت المطرقات والأزياء الشعبية إلى تزوير من الجانب الإسرائيلي وانتحال، وتم عرضها في محافل دولية على أنها مطرقات إسرائيلية، ونشرت زوجة موشي ديان - زوجة وزير الحرب الإسرائيلية - في الانسيكلوبيديا الانجليزية، صورة لها وهي ترتدي ثوب عرب التعامرة على أنه ثوب إسرائيلي، كما أن زي مضيفات شركة الطيران الإسرائيلية - العال - ثوب المدرقة الفلسطيني وتم تزوير الكوفية الفلسطينية على شكل نجمة داود وبلون العلم الإسرائيلي.

الثوب الفلسطيني له قيمة ودلالة اجتماعية ووظيفية واقتصادية وتربوية وجمالية ويعبر عن ذوق وأناقة واهتمام الفتاة الفلسطينية بهذا النمط من التطريز.



## مشكلة الدراسة:

اكتسب الباحث من الحياة الاجتماعية التي عاشها، ومن خلال دراسته لمساق علم النفس الصناعي في مرحلة البكالوريوس ومعايشة جو الريف، ومشاهدته لأرباب الصناعات الشعبية علاقات وثيقة، الأمر الذي مهد السبيل لمتابعة الصناعات الشعبية، ورصد ملاحظات كان يحس بها أو يسجلها.

أمام هذا الوضع، وجد أن هناك حاجة ماسة لدراسة هذا النمط من التراث الشعبي، وعليه يمكن الإشارة إلى ما يأتي:

◆ هناك تساؤل واضح حول فعالية ممارسة الصناعات الشعبية في ظل عصر العولمة.

◆ هناك شعور يسود أن القائمين على صناعة القرار في الدوائر الحكومية الرسمية لا تعطي الأزياء الشعبية الاهتمام الكافي.

◆ تضرر العديد من أرباب الصناعات وجمعيات التطريز فيما يتعلق بتسويق منتجاتهم.

◆ تناقص عدد الحرفيين العاملين في الصناعات الشعبية- المطرقات اليدوية- .

◆ تلاشي بعض الحرف الشعبية، وذلك لعدم قدرتها على منافسة البضائع المستوردة.

◆ تدني وانعدام التخطيط الفعلي والواقعي لدعم الصناعات، وتدني الحاجة للصناعات التقليدية لارتفاع التكلفة.

◆ مصادرة هوية الأزياء الشعبية وفقدانها لروحها التراثية، حيث تسوق عبر التجار الإسرائيليين على أنها صناعة إسرائيلية.

◆ تعد المطرقات اليدوية والثوب الفلاحي الزي الرسمي لمضيفات شركة الطيران الإسرائيلية- العال.

## أسئلة الدراسة:

- ما واقع الأزياء الشعبية في فلسطين المتعلقة بثوب المرأة الريفية؟
- ما المفردات والمصطلحات المرتبطة بالثوب والزي الشعبي والمطرقات الشعبية؟
- ما دور المهتمين بالتراث بالمحافظة على هوية الأزياء الشعبية من عمليات التشويه والانقراض والانتحال؟

## حدود الدراسة:

يُحدّد البحث، وإمكانية تعميم نتائجه في ضوء المحددات الآتية:

١. الحدود الموضوعية: ويتضمن ممارسة الصناعات الشعبية وإجراءاتها من مطرقات وأزياء شعبية.
٢. الحدود البشرية: يطبق البحث على أرباب الصناعات- المطرقات في منطقة القدس والريف المقدسي والقرى القريبة من قضاء بيت لحم ورام الله والخليل.
٣. الحدود الزمنية: جمع الصناعات الشعبية في الفترة من أيار ٢٠٠٩، إلى حزيران ٢٠١٢م.
٤. الحدود المكانية: يطبق البحث في منطقة القدس والريف المقدسي والقرى القريبة من قضاء بيت لحم ورام الله والخليل.

## أهداف الدراسة:

- ◆ العمل على إحياء جانب مهم من التراث الفلسطيني وهو الصناعات الشعبية لتنميتها، والمحافظة عليها من مطرقات وأزياء شعبية.
- ◆ العمل على تقليل حجم المعاناة التي يتعرض لها أرباب الصناعات الشعبية في ظل اكتساح السوق بالبضائع المستوردة.
- ◆ تقديم معلومات تخدم أصحاب القرار في اتخاذ خطوات إيجابية في رسم السياسة الإنتاجية والخطط المستقبلية بإظهار الصناعات الشعبية ونشرها وتسويقها عالمياً، بما ينسجم مع الأهداف المتوخاة في خلق الشخصية الفلسطينية المؤمنة بأهدافها وإيجادها.
- ◆ العمل على الارتقاء بالمرحلة القادمة إلى مستوى التحدي المطلوب للوصول إلى مجتمع قادر على تلبية احتياجاته بالاستفادة من موارده الأولية في تنمية الصناعات الشعبية وإحيائها.
- ◆ إبراز البعدين التراثي والحضاري للصناعات الشعبية التي تعبر عن تاريخ الشعب وثقافته وهويته وانتمائه التي تجسدت على أرضه آلاف السنين.
- ◆ الصناعات الشعبية هي صناعات صديقة البيئة وموجهة للسياحة والمجتمع المحلي.
- ◆ فضح ممارسات الجانب الإسرائيلي وتعريتها في عمليات التشويه والسرقة والاتصال للصناعات الشعبية.

## أهمية الدراسة:

١. تُعدُّ هذه الدراسة من الدراسات والبحوث القليلة والنادرة في فلسطين التي تتناول هذا الموضوع.
  ٢. يرجى أن تعطي هذه الدراسة إضافة علمية إلى المكتبة المحلية، والتي هي بحاجة إلى مثل هذا النوع من الدراسات.
  ٣. استفادة المعنيين وصناع القرار من هذا البحث وتطبيقاته.
  ٤. إبراز العلاقة الوطيدة بين العمل التقليدي والفن، لأنه يعبر عما تتضمنه البيئة من تغيرات ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية.
  ٥. هذه الصناعات واجهت تقلبات الزمان، وتغيرات الظروف، ووقفت صامدة في وجه الغزاة، وقاومت الانقراض، وكان لها دور أساسي في نشر الثقافة، وكذلك في تشغيل الأيدي العاملة.
- هذه العوامل مجتمعة تعطي أهمية للدراسة.

## مصطلحات الدراسة:

- ◀ **الصناعة:** من صنع يصنع صنعا، الشيء: عمله: صنع الشيء: حسنه بالصناعة، حوله من مادة خام إلى سلعة مصنوعة جاهزة للاستعمال. الصناعة عمل الصانع.
- ◀ **الصناعة:** جمع صنائع وصناعات: العلم الحاصل بمزاولة العمل
- ◀ **الصانع:** جمع صناع: من يعمل بيده أو بالآلة.
- ◀ **المصنع:** جمع مصانع: دار الصناعة. (د. عبد اللطيف البرغوثي - صفحة ١٧١).
- ◀ **الصناعة الحرفية - الحرف الصناعية:** «كل نشاط في مجال الإنتاج أو الصيانة، ويعتمد على المهارات اليدوية وتستخدم الآلة فيه بشكل بسيط، وتكون المنتجات في هذا المجال غير نمطية.» (د. علي صالح النجادة، واقع الصناعات والحرف التقليدية في دولة الكويت،)
- ◀ **الصناعة الحرفية:** تعتمد على الأيدي البشرية في تحويل الموارد الطبيعية بأبسط الوسائل وبمهارات إنسانية عالية وفنية وإبداعية.
- ◀ **التطريز:** إضافة خيوط إلى القماش بوساطة الإبرة بطريق الغرز أو التثبيت لرسم الشكل المطلوب وإخراجه كلوحة فنية أو زخرفية.

## منهج الدراسة وإجراءاتها:

- ♦ تتبع الدراسة المنهج الوصفي الذي يسير وفق الخطوات الآتية:
  - الجانب الوصفي لواقع الأزياء الشعبية والمطرزات .
  - التوصل إلى استراتيجيات وإجراءات لتفعيل إحياء الصناعات الشعبية وتنشيطها.
- ♦ المنهج المكتبي بالرجوع إلى الكتب والمجلات، وما كتب عن الصناعات المنقرضة منها.

## أدوات الدراسة:

- ♦ الملاحظة المقصودة المباشرة ، وغير المباشرة وذلك لتجميع الخبرات حول ما نشاهده أو نسمع عنه أو معاشته، وذلك للتعرف إلى واقع المطرزات الشعبية التي مارسها، الآباء والأجداد.
- ♦ المقابلة المباشرة مع أرباب الصناعات والحرف الشعبية والباحثين والمهتمين وأصحاب المتاحف.
- اعتمد الباحث جوانب محددة لملاحظة أرباب الصناعات الشعبية وممارستها من حيث:

- المواد الخام.
- الأدوات المستخدمة.
- خطوات التنفيذ- مراحل التصنيع- الإجراءات.
- زمان ممارستها- الوقت- .
- المكان.
- الاستعمال.
- الصانع.
- منطقة الانتشار.

ملحوظة: تمت مشاهدة الصناعات الشعبية- فيما يتعلق بالأزياء الشعبية والمطرزات في مناطق الخليل وبيت لحم ورام الله.

## مصادر الدراسة:

- ◆ الرسائل العلمية والبحوث المتوافرة.
- ◆ الندوات وورش العمل المتعلقة بالموضوع.
- ◆ شبكة الإنترنت.
- ◆ الكتب والدوريات والمراجع المتخصصة.
- ◆ أرشيف ومكتبة مركز التراث في جمعية إنعاش الأسرة في البيرة.
- ◆ أرشيف ومكتبة مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في سعير.
- ◆ المشاهدات العينية.
- ◆ المقابلات الشخصية.
- ◆ الزيارات الميدانية.

## الأدب التربوي والدراسات السابقة

### ◀ مشروع تطوير الحرف التقليدية في فلسطين/ وزارة الثقافة ٢٠٠٨م

هدف المشروع إلى تنمية المؤسسات العاملة في مجال تطوير الصناعات والحرف التقليدية وشمل الصناعات القشية والفخار والمطرزات من خلال عقد ورشات عمل متخصصة بدعم من اليونسكو، لإعادة إحياء هذه الصناعات والمحافظة عليها من الانقراض، وأن تكون رديفاً للسياحة. (مشروع حماية وتطوير الحرف والصناعات التقليدية - وزارة الثقافة الفلسطينية ٢٠٠٨م).

### ◀ الحرف التقليدية الفلسطينية/ مؤسسة التبادل الثقافي - رام الله ٢٠٠٨م

أشارت الدراسة إلى أن للحرف اليدوية التقليدية دوراً مهماً في التنمية الاقتصادية للبلاد، والحفاظ على البيئة الفلسطينية من التلوث الصناعي.

تعتمد الحرف التقليدية على المواد الطبيعية المنتجة محلياً، والمتوافرة بكثرة سواء الطين، أو جلود الحيوانات وأصوافها، أو القش وأغصان الأشجار المختلفة، ولكن تعاني الحرف التقليدية من منافسة السلع الرخيصة، وعدم توافر جدوى اقتصادية لكثير من الصناعات التقليدية. أنظر ثائر العطارى وعادل يحيى: الحرف اليدوية التقليدية الفلسطينية - المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، رام الله ٢٠٠٨م.

## ◀ فن التطريز الفلسطيني - ٢٠٠٤م

صدر دليل فن التطريز الفلسطيني عن جمعية إنعاش الأسرة في كتاب تناول فيه الباحثان نبيل عناني وسليمان منصور نبذة عن التطريز الفلسطيني وعناصره ووحداته والعروق والقطب والألوان الأقمشة المستعملة والخيوط. (نبيل عناني وسليمان منصور: فن التطريز الفلسطيني).

### تعليق على الإطار النظري والدراسات السابقة:

استخلاصاً من الدراسات السابقة والإطار النظري للدراسة الذي أولته الاهتمام، والذي يعدُّ حقلاً واسعاً، فقد توصل البحث إلى مجموعة من المؤثرات الآتية:

١. أن الصناعات الشعبية وممارستها ترتبط بالبعدين الحضاري والتراثي للشعب الفلسطيني.

٢. الحرمان من المكاسب المادية الفعلية في حال تصدير المنتجات للخارج حيث يقوم التجار الإسرائيليون ببيعها على أنها منتجات إسرائيلية.

٣. الصناعة الشعبية تعتمد الوراثة في العائلة، وأخذت بعض العائلات اسمها منها: الخياط، والخران، والقزاق، ودروزه، والفاخوري، والبرازعي، والسكافي، وأبو قدح، وأبوسل، وأبو قبعه، وأبو قش، ...

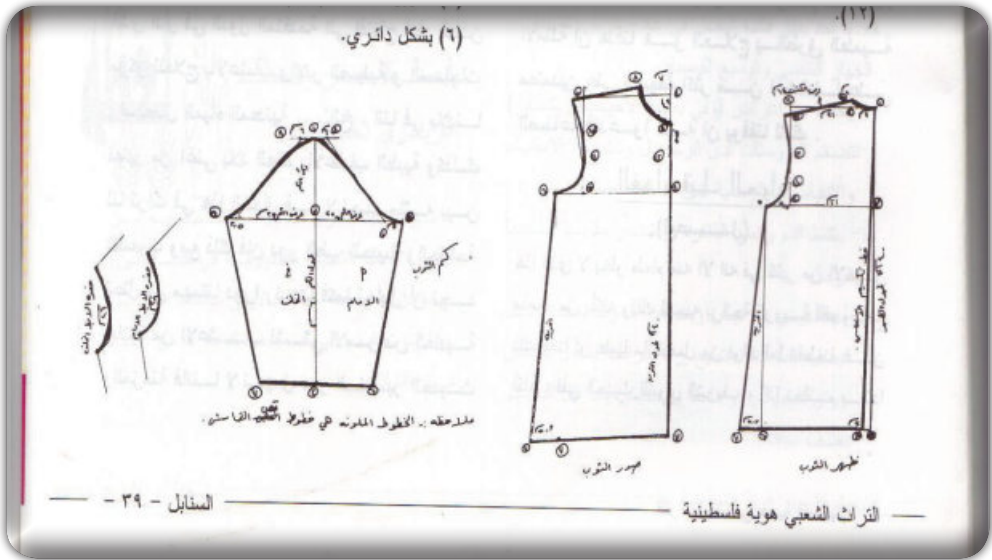
### عرض النتائج ومناقشتها:

وللإجابة على السؤال المتعلق بمراحل عملية التصنيع للثوب والمطرزات الشعبية على النحو الآتي:



### ◆ المرحلة الأولى- مرحلة التخطيط والتحضير:

- تتفق النسوة من ذوات الخبرة الطويلة على عمل نقلة أو رسمة أو شكل محدد بما يناسب الذوق العام أو المناسبة، والظرف المحيط بما يعكس الذوق العام والأصالة.
- تحضير القماش والطبب والماركة من نوع ديبك نحبر، وسموكي، واسرتش- وسرج-، ومخل،
- وستان، وشفون، و جورجيت.
- تفصيل الثوب وقصه عند الخياطة.



- طلب البدوة أو النقلة من عند الخياطة، أو من إحدى النسوة التي أعجبتها تطريزها.

### ◆ المرحلة الثانية- عملية البدوة:

- تبدأ غالبا بالاستعانة بخياطة ماهرة كي تعمل البدوة، ثم تقليد الشكل والرسمة المطلوبة بعدد الحبات، ونوع النثرة والغرزة.

### ◆ المرحلة الثالثة: عملية التطريز

- بإضافة خيوط إلى القماش عن طريق غرزها وتثبيتها على سطح القماش بتشكيل زخارف محددة مسبقا.

### ◆ المرحلة الرابعة: عملية الختم والحبكة:

- في نهاية عملية التطريز تحبكه جيدا بغرزة محكمة.



## أجزاء الثوب ومكوناته:

- ◆ أولاً: الكم ويقسم إلى:
  - الردان: طرفي الكم يُربطان معا ويوضعان خلف الرأس.
  - الطالعي: الكم الطويل أو الثلثي
  - الزمة: أسورة الكم
- ◆ ثانياً: البدن ويكون على النحو الآتي:
  - الجزء الأمامي، ويكون بطول الشخص لغاية الرمانة.
  - الجزء الخلفي، ويكون بطول المرأة لغاية الرمانة.
- ◆ ثالثاً: القبة وتكون بعرض الصدر وتقسم إلى:
  - فتحة القبة على شكل حرف V باللغة الإنجليزية.
  - قد تكون فتحة القبة على شكل أسورة - دائرية.

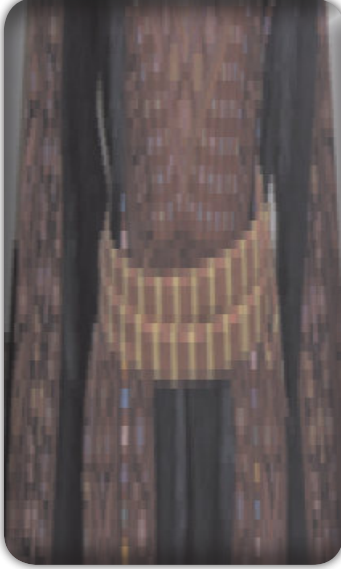




- الرباط لربط فتحة القبة.
- يأخذ شكل التطريز الطبيعية أو الأفعى أو طائر العنقاء، عليه اللونان الأحمر والأخضر اللذان يعبران عن الخصوبة والحب.
- الزناق: لربط طرفي فتحة القبة.
- الظباجة: لتزيين الرباط.
- ♦ رابعا: العَبّ: يتضمن جيبتين للقَبَّة: جيبة من اليمين وأخرى من الشمال.
- ♦ خامسا: البنايق: عروق مطرزة بطول من الشاكلة ولغاية الرمانة من عرق إلى ثلاثة عروق وأحيانا يكون التطريز مكثفا ويسمى دلس.
- ♦ سادسا: المقفى: خلفية الثوب من العرق الأيمن إلى العرق الأسفل.



- الذيال: ثني طرف أسفل القماش وحبكه بالصنارة أو طرقة بالماكينه.  
♦ سابعاً: الحزام والشداد أو القشاط.

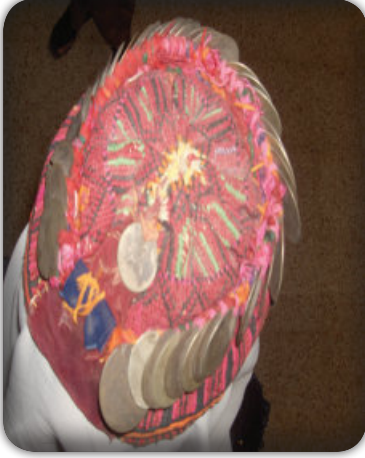


♦ ثامن: الغدفة أو الشطفة غطاء الرأس.



♦ تاسعا: التقصيرة: جاكيت قصير مطرز دلس يلبس فوق الثوب.

♦ عاشرا: الشال، والطاقيّة، والصفة، أو الوقاة: مطرزة بالحرير محفوفة بالريالات والعشاري والوزريات الفضية أو الدنانير والليرات الذهبية، وتحتها لفائف الشعر المطرزة بالحرير، وفي نهايتها الذوائب أو القيطان للربط.  
أما الوقاة المطرزة أيضا تلبسها البنت المخطوبة، ومربوط في مقدمتها عند الجبين ريال واحد من الفضة والمعروف بريال أبو عامود.



♦ أحد عشر: الشنبر: غطاء للرأس مصنوع من الحرير الأسود الناعم، وله شرايبش ملونة تلبسه المرأة ذات الجاه والمال.



### مدلولات التطريز:

١. تزيين الفتحات لرد الأرواح الشريرة، لأن الاعتقاد الشعبي الدارج أن الأرواح الشريرة تدخل من الفتحات إلى الجسم.
٢. المبالغة في التطريز بديل للتبرج وإظهار المحاسن وتعويض عن الماكياج.
٣. بعد النكبة والنكسة تغير هدف التطريز لتجسيد البعد الوطني والعودة، والمدن والقرى المهدامة وحق العودة وسفينة العودة وخريطة فلسطين التي تعبر عن حرصها الشديد على المدافعة عن هويتها وأرضها وتاريخها وشعبها من خلال المحافظة على تطريز الأمهات والجدات.
٤. الزي الريفي مرتبط بالأعمال الزراعية ويعكس الزمان والمكان والجغرافيا.





- أنواع الغرزة: اللف، والمنجل، رأس السهم، والدرج - الدرجه، والشلالة.
- ارتبط اسم الثوب ببعض المناطق والمناسبات، وما يميزه من شكل أو تطريز أو نوع القماش كالثوب المجدلاوي والتلحمي والإخضاري - الخليل - والجلالية والمدركة والمرقوم وثوب الحداد وثوب الفرحة وثوب الفتاة المتزوجة والعزباء والمتوفى زوجها.

### منظومة القيم والوظائف التي تؤديها عملية التطريز والمطرزات:



## القيمة الجمالية:

- الرغبة في التغيير والتجديد.
- التعبير عن الحيوية والإثارة والنشاط.
- اختيار الألوان والتصاميم.
- ◆ **القيمة الاجتماعية:**
- التعبير عن الغنى، والجاه، والمركز الاجتماعي، والمكانة.
- التعبير عن العلاقات الاجتماعية بين الحماة والكنة، بين الأقارب، بين الجيران وفئات المجتمع الأخرى.
- التعبير عن حالة التشرد والتشتت التي مر بها الشعب الفلسطيني.
- التعبير عن الانتماء السياسي والنضالي من خلال الألوان وزخرفة التطريز.
- ◆ **الوظيفة النفسية والانفعالية:**
- التعبير عن الانفعالات وخلجات النفس.
- إثارة جو المرح والفرح أو الكآبة والترح.
- ◆ **الترف والرفاهية بكثافة التطريز.**
- ◆ **ترسيخ القيم والمعارف:**
- التعبير عن المعتقدات الشعبية من خلال رسومات الحجب والظواهر الفلكية.
- الخصوبة والنمو والتطور.
- العنوسة والعزوبية والطلاق والزواج والصغيرة والكبيرة.
- ◆ **الإبداع والابتكار:**
- الدقة والمهارة في الرسم واختيار الألوان والشكل الهندسي.
- صقل القدرات الإدراكية العالية.

## مكونات البناء الأساسي للزخارف والتطريز:



◆ العناصر الزخرفية: الخط والمثلث والمربع والمعين.

◆ الوحدات الزخرفية: السرو والنجمة والقمر والحجاب والقرص والعلق والجنب والطيور.

◆ العروق:

- السناسل وعرضه من ١ - ٥ حبات، وله عدة أسماء منها: الحبة، وحبة وحبة، وحبة فوق حبة، وحبة حبتين ثلاث.



- المناجل: عرق طويل على شكل شريط تستعمل قطبة اللف في تشكيلها وأحيانا لزخرفة الثياب من الجوانب.

◆ المناجل: سم يطلق على ثوب عروقه رفيعة بعرض واحد سنتيمتر.

## أنواع القماش المستخدم في تطريز الثوب:

- ◆ قماش الجوز: كان يصنَّع محليا في المجدل قبل النكبة.
- ◆ الرهباني: الرومي من القطن وهو أبيض وأسود.
- ◆ المجدلاوي: ومنه أبو ميتين كحلي مقلّم بخطوط ليلكية، وبلتاجي مقلّم بحواشي خضراء وحمراء، وجلجلي أزرق مقلّم بخطوط زهرية.
- ◆ الهرمزي: الملك - من الحرير والقطن أحمر أو مقلّم بالأحمر.
- ◆ الخضاري: جنة ونار - من القطن والحرير، حواشي خضراء وحمراء - ثوب منطقة الخليل.

◆ دوبيت: توبيت - قطني خشن.

◆ كرماندا: لملايس العمل.

◆ المخمل: من الحرير والقطن، وله وبر قصير وكثيف.

◆ الحبر: قطن يخالطه الحرير.

◆ الشاش: قطني رقيق.

◆ دخلت أقمشة مستوردة منها التريكس، وديولين، والسترتش، وتريفيرا، وترجال. (لمزيد من المعلومات أنظر كتاب فن التطريز الفلسطيني لنبيل عناني وسليمان منصور من إصدارات جمعية إنعاش الأسرة ٢٠٠٤ م.)

## أنواع الخيوط المستخدمة:

■ خيوط الحرير من شرانق دودة القز، ومنها الصادق، أو الصادق، ومنها الكذاب الذي يتغير لونه بفعل الماء والشمس، ويكون على شكل طبة دائرية أو شلة أو ماسورة بشكل اسطواني.

■ الخيوط القطنية.

■ المقصب.

■ الكرار.



## أسماء العروق:

- تحمل العروق أسماء متنوعة منها أسماء الحيوانات: الوز، البط، الأسد، الطيور الحسان، الجمل، الأفعى وأسماء النباتات، والزهور، والورود، وأسماء المقامات، والرموز الدينية، وأسماء الطبيعة، والظواهر الفلكية.

## تعبيرات الوحدات الزخرفية:

- من تعبيرات الوحدات الزخرفية: نبات الأشجار، والأزهار، والطيور، والحيوانات، والبرتقال، والعنب، والزيتون، وسنابل القمح، والنخيل.

## الأدوات المستخدمة في تطريز الثوب:

- الإبرة: قضيب معدني مدبب الرأس، وله عين في ذيله لوضع الخيط فيها.
- الميبرة: أكبر حجماً للخیوط السمیكة.
- المسلة: أكبر حجماً من الميبرة للحبكة.
- الطارة: إطار دائري لتثبيت القماش في خياط الماكينة.
- المرّد: غطاء معدني للإصبع لحمايته من وخزة الإبرة، ولدفع الإبرة في القماش.
- المقص والمشروط.

## وحدات القياس المستخدمة في عملية التطريز:

- الباع: : طول الثوب يقاس بالباع على القول الدارج «باعها ذراعها».
- الشبر
- الفتر
- قبضة اليد
- الإصبع - القيراط
- حجم الرأس.

## طريقة صنع وتجهيز الثوب الفلاحي - ثوب المرأة الريفية:

### زِيَّ المرأة الريفية- الثوب الفلاحي:



#### • المواد الخام:

- القماش الذي كان يصنع قبل عام ١٩٤٨ م محلياً بوساطة الأنوال اليدوية، وتمتاز بالسماكة، ومنها الرهباني والمجدلاوي والهرمزي والدوبيت والمخمل والشاش، وحل محلها الأقمشة المستوردة بمسميات مختلفة.
- الخيوط: قبل عام ١٩٤٨ م من الخيوط الحريرية التي تصنع من شرانق دودة القز أو حرير مستورد طيب أو مواسير.

#### • الأدوات:

- الإبرة، مبرد الإصبع، الطارة الخشبية، النماذج الزخرفية والتصاميم «النقله».

#### • المكان: البيت.

- الزمان: فصل الصيف ومواسم الأفراح.

#### • طريقة وإجراءات العمل، وخطوات التصنيع:

- اختيار نوع القماش ونوع الخيوط.
- اختيار التصميم المناسب، وتحديد الشكل الهندسي من نقطة- حبة- أو خط أو مربع أو مثلث أو متوازي الأضلاع.

- اختيار القطبة والشكل الناتج عن غرز الخيوط في القماش.
- عمل إطار يحدد الشكل الخارجي.
- التطريز بوساطة الماركة: نوع من القماش المنسوج بخيوط رفيعة متباعدة عن بعضها بعضاً، وتشكل فيما بينها مربعات واضحة.
- غرز الإبرة في العيون وسحب الخيط حسب الشكل المحدد.
- التوصل لوحداث زخرفية من نفنوف أو سرو أو نخل أو نجمة أو قمر أو حجاب أو عنب أو طيور.
- تحديد شكل العرق من سناسل أو مناجل أو لف أو قصب أو طارة.
- الصانع: المرأة.

أصبحت الفتاة المتعلمة تنظر إلى الملابس المطرزة على أنها موضة قديمة ومتخلفة، ولكن في عهد الاحتلال كان هناك وعي بضرورة العودة إلى الموروثات الوطنية، خاصة المطرزات، والتي تعد من الرموز الوطنية المهمة.

• منطقة الانتشار: جميع فلسطين ما عدا المنطقة الممتدة من جنوب نابلس، وحتى جنوب الناصرة، لانشغال المرأة في الأعمال الزراعية، أما في المدن الرئيسية فانتشرت الأزياء ذات الصبغة التركية الخالية من التطريز والمغالية في المحافظة.

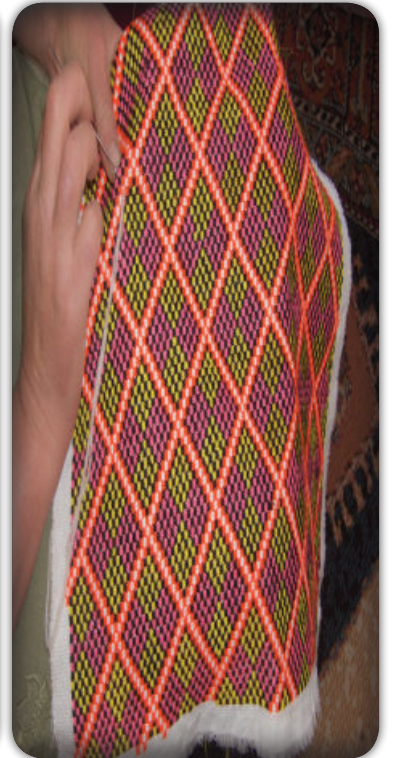
تستعمل المطرزات اليدوية اليوم على الفساتين الحديثة والبلورات، واللفحات، وأكياس الدخان والقداحة والبلفون، وبيوت النظارات، ومنافض السجائر، والأحذية، والشنط، والبراويز.

- لبست المرأة الدُرّاعة البيضاء ثم السوداء والكاب والبرنس والجورجيت الشفاف، كما ظهرت به نساء مسلسل باب الحارة السوري.
- «ارتبط اسم الكنعانيين بصناعة الأقمشة والمنسوجات الأرجوانية».

## ثوب الطارِق التطريز بالماكينة:

- المواد الخام: الأقمشة باختلاف مسمياتها، الخيوط الملونة، القصب
- الأدوات: الطارة، الماكينة
- المكان: البيت أو المشغل.
- الزمان: فصل الصيف ومواسم الأفراح.

- طريقة العمل وخطوات التصنيع:
  - رسم الشكل والتصميم على القماش.
  - الدرز فوق الخطوط المرسومة.
  - تثبيت إطاري القماش المعد للتطريز بين إطاري الطارة.
  - تثبيت خيوط القصب بالإبرة اليدوية ويدور الخيط الرقيق بالماكينة حول محيط خيط القصب، ويتم غرزه في القماش.
  - غرز خيط الماكينة في منتصف خيط القصب.
- الاستعمال: للزي واللبس.
- الصانع: المرأة - الخياطة - .
- تطور التطريز اليوم بوساطة الكمبيوتر، وأدخل أصحاب المشاغل تصاميم وزخارف عن طريق الكمبيوتر.



## تزوير الثوب الفلسطيني والكوفية الفلسطينية: المطرزات والأزياء الشعبية:



١. ارتبط ارتداء الكوفية والعقال بالثورة في ثورة ١٩٣٦م، وفرض الثوار لبسها على سكان المدن الذين يرتدون الطربوش للتمويه على الإنجليز، وتحاول إسرائيل باستمرار تزوير الكوفية ونشرها باللون الأزرق على شكل نجمة داود وتوزيعها في الدول الأوروبية والأمريكية على أنها كوفية إسرائيلية، ومكتوب على اطرفها باللغة الانجليزية Tel Aviv وتبديل مربعاتها المعينية السوداء بنجم سداسية زرقاء. («أنظر مجلة الزيزفونة: الكوفية الفلسطينية، العدد الثامن شباط ٢٠٠٩م صفحة ١٢»).

٢. كما نُشرت صورة لزوجة موشي ديان الإسرائيلية وهي ترتدي ثوب منطقة عرب  
التعامرة في الانسيكلوبيديا الإنجليزية على أنه ثوب إسرائيلي (أنظر مجلة السنابل، العدد  
الأول ١٩٩٧م صفحة ٤٧).

٣. الزي الرسمي لمضيفات شركة الطيران الإسرائيلية- العال- الثوب الفلسطيني.

٤. بيع المنتجات التراثية الفلسطينية، على أنها منتجات إسرائيلية.

٥. أشار المستشرق «فيليب حتي في كتابه تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان إلى «أن  
الشعب اليهودي شعب رعوي بلا حضارة، ولكن حينما يستعمرون أمة ينتحلون تراثها  
وينسبونه إليهم.

٦. الزائر لمنطقة أريحا- البحر الميت يشاهد بأمر عينه المعروضات التراثية تباع  
تحت العلم الإسرائيلي.

◀ وللإجابة على السؤال الثالث ما مدى ودور المهتمين بالتراث بالمحافظة  
على هوية الصناعات من عمليات التشويه والانقراض والانتحال كانت على  
النحو التالي:

■ جمع وتوثيق المواد العينية التراثية والمقتنيات في متحف شعبي أو الاحتفاظ بها  
في البيت.

■ إجراء دراسات وكتابة المقالات حول التراث وأهميته ونشرها في الصحف  
والمجلات المحلية والعربية والعالمية.

■ المشاركة في المعارض المحلية والعربية وتحفيز طلبة الجامعات والمؤسسات  
بإقامتها بشكل دوري.

■ التوعية عن طريق البرامج الإذاعية والتلفزيونية بأهمية المحافظة على المقتنيات  
التراثية.

■ إصدار مجلات متخصصة في التراث كمجلتي التراث والمجتمع التي تصدر عن  
مركز أبحاث التراث في جمعية إنعاش الأسرة في البيرة ومجلة السنابل التي تصدر عن  
مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في سعير.

■ تأسيس مراكز بحوث ومراكز ثقافية وجمعيات وأندية متخصصة في التراث  
الشعبي.

- عقد الندوات وورش العمل والأيام الدراسية حول التراث الشعبي.
- تقديم دراسات وأوراق عمل متخصصة في المؤتمرات المحلية والدولية.
- هذا المؤتمر وغيره يعتبر بصمة نوعية في الإشارة إلى التراث وأهميته الذي يعبر عن هوية هذا الشعب.
- تكريم الباحثين في التراث الشعبي وتحفيزهم بنشر إنتاجهم الأدبي والفني.

## النتائج والتوصيات:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج وعليه يمكن الإشارة إلى النتائج الآتية:

١. الصناعات التراثية والحرف الشعبية والتقليدية ذات بعد عائلي وأسري ، تجسد الهوية الوطنية والوجود الفلسطيني.
٢. الصناعات الشعبية والحرف التقليدية صديقة للبيئة وموادها الأولية والمواد الخام متوافرة في البيئة المحلية.
٣. تعمل على تلبية احتياجات الأسرة بطرق فنية مبتكرة ، تجسد الأزياء والمطرزات الشعبية الأفكار الفنية العملية المستوحاة من التراث الشعبي.
٤. تعطي مجالاً لتنمية المهارات من تركيب وتحليل وترابط في الملمس والشكل واللون وتعبر عن المجال التعبيري الذاتي الإبداعي.
٥. تسمح بدخول الجوانب التقنية وتطبيقها بما يتناسب مع روح العصر ومتطلبات، وتتطلب تراكم الخبرات وتفاعلها بطرق إبداعية.
٦. تتطلب التخطيط المسبق من حيث الشكل واللون والملمس والاستعمال وتعمل على تعميق الثقة في المجتمع وتعزيزها باعتباره عنصر منتج وفعال.
٧. ارتبط بها أمثال شعبية وقصص وحكايات وأغان وأهازيج شعبية تعبر بعفوية عن الحالة الفلسطينية.
٨. تتعرض بعض الصناعات الشعبية والأزياء والمطرزات الفلسطينية إلى التحريف والتهويد.

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإنها توصي بما يأتي:

١. دعم الصناعات الشعبية والحرف التقليدية ماليا وتمويلها من خلال تأسيس صندوق خاص لذلك تشرف عليه الوزارات المعنية كالسياحة والثقافة والتجارة والصناعة.
٢. تنظيم ورشات عمل وتدريب ومشاغل خياطة لأصحاب الصناعات الحرفية التقليدية لإدخال تحسينات تكنولوجية عليها.
٣. عقد ندوات وأيام دراسية لتوعية الجيل والنشء بأهمية الصناعات التراثية وتعزيز الاهتمام بها.
٤. وضع خطة تسويقية للمنتجات المحلية ومنحها التسهيلات الضرورية.
٥. تبني الوزارات المعنية مع القطاع الخاص إنشاء قرية حرفية سياحية أو شعبية تضم الصناعات التقليدية.
٦. تنظيم وعمل معارض للأزياء الشعبية والمطرزات والحرف التقليدية بالتنسيق مع الدول العربية والأجنبية بشكل دوري للترويج للمنتجات المحلية.
٧. العمل على تطوير المشاريع الصغيرة بمنحها القروض والمنح المالية.
٨. ختم الصناعات الشعبية بشعار خاص منعا للتزوير.
٩. تنمية العلاقة وتعزيزها بالمجتمع المحلي وتعزيزها بخلق قنوات اتصال فعالة.
١٠. وضع خطة إعلامية للترويج للصناعات الشعبية والمطرزات والأزياء والحرف الشعبية من خلال مواقع الكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت.



## المصادر المراجع :

١. Khalil Nemary: Art and Harmony in Palestinian Embroidery- jerusalem- Can Zaman 2011
٢. -- عبد الرحمن المزين: موسوعة التراث الفلسطيني: الازياء الشعبية الفلسطينية، طبعة اولى منشورات ٣- مؤسسة صامد بيروت ١٩٨١م.
- ٣.
٤. عمر حمدان: العمارة الشعبية في فلسطين، ط ١، مركز التراث الشعبي - جمعية إنعاش الأسرة ١٩٩٦م.
٥. نبيل عناني وسليمان منصور: دليل فن التطريز الفلسطيني، مركز التراث الشعبي - جمعية إنعاش الأسرة.
٦. شكري عراف: الأرض والإنسان والجهد- دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا، ط٢، الجليل للتجليد- مطبعة أخوان- ترشيحا، ١٩٩٣م.
٧. د. عبد اللطيف البرغوثي: القاموس العربي الشعبي الفلسطيني، الجزء الثاني، جمعية إنعاش الأسرة- البيرة ١٩٩٣م- صفحة ١٧١.
٨. د. علي صالح النجادة، واقع الصناعات والحرف التقليدية في دولة الكويت، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الصناعات التقليدية في الوطن العربي- الرباط- ١٧- ١٩ / ٩ / ٢٠٠٥م).
٩. ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الصناعات التقليدية في القاهرة المنعقد في الفترة ١١- ١٤ / ٩ / ٢٠٠٠م
- ×× «ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الصناعات التقليدية في الوطن العربي المنعقد في الرياض في الفترة الواقعة بين ١٧- ١٩ / ٩ / ٢٠٠٥م»
١٠. ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الصناعات التقليدية في الوطن العربي المنعقد في فاس- المغرب العربي- في الفترة ١٧- ١٩ / ٩ / ٢٠٠٧م
١١. الدليل الصناعي في محافظة الخليل الصادر عن الغرفة التجارية الصناعية سنة (١٩٩٥-١٩٩٦م)
١٢. د. ناجي عبد الجبار وعدله غوشه: دليل متحف التراث الشعبي في جمعية إنعاش الأسرة- البيرة

١٣. د. شكري عراف- الحرير- من مصادر الاقتصاد الفلسطيني- الطبعة الأولى- بتاريخ كانون ثاني ١٩٩٧، ص ٣٠٤-٣١١ (مقتبس).
١٤. د. محمود علي عطا الله: وثائق الطوائف الحرفية في القدس في القرن السابع عشر الميلادي من خلال سجلات محكمة القدس الشرعية، الجزء الأول، مركز التوثيق والمخطوطات، جامعة النجاح الوطنية، طبعة أولى (١٩٩١م).
١٥. ....، مشروع حماية وتطوير الحرف والصناعات التقليدية- وزارة الثقافة الفلسطينية ٢٠٠٨م.
١٦. ثائر العطاري وعادل يحيى: الحرف اليدوية التقليدية الفلسطينية- المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، رام الله ٢٠٠٨م.
١٧. مجلة السنابل التراثية العدد الأول ١٩٩٧م: زوجة موشي ديان جمعن نماذج من الزي الشعبي.
- من الزي القومي: ثوب عرب التعامرة، مجلة السنابل العدد ١١ شباط آذار نيسان ٢٠٠٠م.
١٨. عبد العزيز أبو هدبا: أزيائنا الشعبية هويتنا المطرزة، مجلة التراث والمجتمع، العدد ٢٨ تموز ١٩٩٦م.
١٩. عبد العزيز أبو هدبا: دور المرأة في حفظ التراث الثقافي، مجلة التراث والمجتمع، العدد ٣٤ تشرين ثاني ١٩٩٩م.
٢٠. ثوب العيرة مسترد: اليهود سرقوا البلاد وتراث الأجداد وشردوا العباد: مجلة السنابل العدد ١٠ تشرين ثاني وكانون أول وثاني ١٩٩٩ / ٢٠٠٠م.
٢١. ماري مسلم قمصية: التطريز في التراث الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع العدد ٢٤ تموز ١٩٩٤م.
٢٢. د. خلقي خنفر: الزي واحتفالات الزواج عند العرب المسلمين، مجلة التراث والمجتمع العدد ٢٥ كانون الثاني ١٩٩٥م.
٢٣. من أزيائنا الشعبية: مجلة السنابل العدد الثامن ١٩٩٨م. معلمة تصميم أزياء- ميسر زيدان الدويك- الخليل
- أعداد ١- ١٢ من مجلة السنابل التراثية التي تصدر عن مركز السنابل للتراث الشعبي.
- أعداد ١- ٤٠ من مجلة التراث والمجتمع التي تصدر عن مركز التراث الشعبي في جمعية إنعاش الأسرة- البيرة.

## المراجع الحية:

١. مقابلات مع الباحثين والمهتمين وأرباب الصناعات الشعبية وأصحاب أو موظفي المتاحف التراثية.
٢. د. شريف كناعنه: ٥ / ٤ / ٢٠٠٩م الباحث المحرر المسؤول لمجلة التراث والمجتمع في جمعية إنعاش الأسرة - البيره.
٣. عبد العزيز أبو هدبا: ٢٣ / ٢ / ٢٠٠٩م و ٥ / ٤ / ٢٠٠٩م الباحث في جمعية إنعاش الأسرة - البيرة «من مواليد دير أبان القرية المدمرة في العام ١٩٤٨ قضاء القدس» قبل وفاته رحمه الله.
٤. نادر جلال التميمي: رئيس اتحاد الصناعات التقليدية والحرفية في فلسطين ومدير مصنع خزف التميمي - الخليل - ٢٢ / ٢ / ٢٠٠٩م.
٥. بدر الداعور: رئيس اتحاد الحرف والصناعات التقليدية في الخليل ١ / ٥ / ٢٠١١م وصاحب مشغل حرف يدوية.
٦. الحاجه خضره جرادات - أم محمد - سكير ١٠ / ١٠ / ٢٠١١م.
٧. مجموعة نسوة رغبين بعدم ذكر اسمهن لاعتبارات اجتماعية.
٨. أرشيف مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي - سكير الخليل
٩. الزيارات الميدانية.
١٠. المقابلات الشخصية.
١١. نانسي سبيتان - معلمة تصميم أزياء - حلحول - ١٠ / ١ / ٢٠١١م.

## مواقع الكترونية من شبكة الانترنت:

1. <http://www.3nzh.com/vb/t62117.html>
2. [http://zmediat.com/magazine/index.php?option=com\\_content&view=article&id=226%3A2011-09-09-13-52-02&Itemid=36](http://zmediat.com/magazine/index.php?option=com_content&view=article&id=226%3A2011-09-09-13-52-02&Itemid=36)
3. <http://majdah.maktoob.com/vb/majdah166606/>
4. <http://boshra2009.3arabiyate.net/t942-topic>
5. <http://palshabab.com/ar/news.php?maa=View&id=3060>
6. <http://www.scribd.com/doc/12716554/elaph-Article-about-Palestinian-Trditional-Costumes-Map>
7. <http://chams02.maktoobblog.com/>
8. <http://fateh83.webgoo.us/t14-topic>

٩. الصور التراثية من أرشيف مركز السنابل للدراسات والتراث الشعبي في سعيير الخليل ومعظمها بعدسة د. إدريس جرادات.

## الملاحق:

### ملحق التطريز للأزياء الشعبية في المثل الشعبي

- ◆ فتلة المعدلة ذراع
- ◆ فتلة الهبلّة باع
- ◆ فتلتها شبرين وقعدتها مترين
- ◆ المعدلة أم الديار غالية زي البهار
- ◆ من وفرت ما جاعت ومن دبّرت ما عريت
- ◆ صنعة في اليد أمان من الفقر
- ◆ العز يليق بصحابه
- ◆ الممارس غلب الفارس
- ◆ الإسكافي حافي والحايك عريان
- ◆ صاحب الصنعة مالك قلعة
- ◆ اللي يطلع من ثوبه يعرى
- ◆ اللي يربط بقبتو حبل بيلاقي ألف مين يشدو
- ◆ بي فصل للبرغوت قميص

## ملحق التطريز في الأغاني الشعبية:

- ◆ عباتي عباتي يا ابو جودت عباتي
- ◆ لألبسها وأتغاوى بين العدواتي
- ◆ دق الغالي على ذوالي
- ◆ يا ذيال ثوبي من قصب
- ◆ على ديني وايماني
- ◆ نسايبنا عز النسب
- ◆ دق الغالي على ذوالي
- ◆ يا ذيال ثوبي من حرير
- ◆ على ديني وايماني
- ◆ نسايبنا من بيت كبير
- ◆ قالت بهيرة يا ثوبي نشرته
- ◆ والحمد لله محمد اتجوز
- ◆ ويا نذري كملته
- ◆ قالت بهيرة يا ثوبي مديته
- ◆ والحمد لله محمد اتجوز
- ◆ ويا نذري وفيته
- ◆ يا معدّله روجي وتعالى
- ◆ يا معدّله حالك وحالي
- ◆ يا معدله يا أم الديار
- ◆ يا غاليه زي البهار- من البداعة أم محمد جرادات- سعيير ٤ / ٩ / ٢٠١١ م.

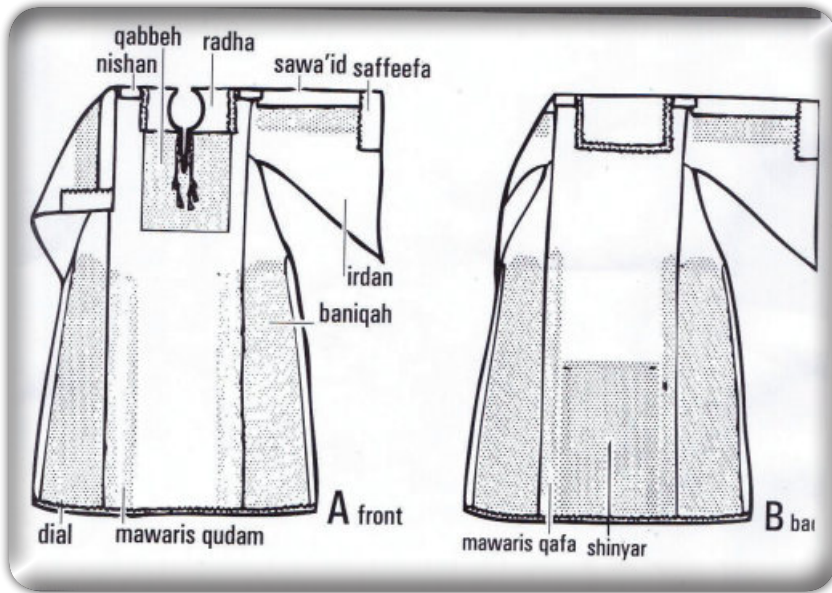
## بدون تعليق

### زوجة موشي ديان جمعت نماذج من الزي الفلسطيني

عملت زوجة موشي ديان ومنذ بداية الاحتلال على جمع الأزياء الشعبية الفلسطينية بوسائل شتى من المدن والقرى الفلسطينية بهدف انتحال هذا الزي ونسبه الى الجانب الاسرائيلي، وكما يحاول الجانب الاسرائيلي في بعض المناسبات اظهار فتياتهم بلباس فلسطيني تقليدي، كما تم انتحال ثوب منطقة بيت لحم ونشره في الانسيكلوبيديا العالمية على أنه زي شعبي اسرائيلي وهذه محاولة ضمن خطة استراتيجية مبرمجة لتفريغ الشعب من محتواه الوطني واقتلاعه من جذوره

مجلة السنابل العدد الأول وانظر. [http:// palshabab. com/ ar/ news.](http://palshabab.com/ar/news.php?maa=View&id=3060)

[php?maa=View&id=3060](http://palshabab.com/ar/news.php?maa=View&id=3060)



من القرى المدمرة بيت تيف  
قرية (السماعة) قضاء الخليل  
تراث وتاريخ

الشيخ / عباس نمر



## مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى إعطاء صورة واضحة عن تراث بلدة السماعنة (بيت نتيف قضاء الخليل) وتاريخها.

وبلدة بيت نتيف تعاقبت عليها الحضارات منذ الكنعانيين مروراً بالرومان، حيث كانت من ضمن أفضية فلسطين الأحد عشر وهي: القدس وأريحا وعمواس واللد ويافا وبيننا وتل جزر وبيت صور وجفنة وعقربه وبيت نتيف التي كان يطلق عليها اسم (بلا)، وجاء الإسلام حيث حررها كبار الصحابة من الروم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين، وليس هناك من ينكر موقعة أجنادين الشهيرة، ويكفي فخراً أن هذه البلدة وجاراتها قرى: عجور وزكريا وبيت عطاب وبيت جمال وصوريف مع قرية تل الصافي هي أراضي موقعة أجنادين، وحظيت بقدوم خالد بن الوليد سيف الله المسلول على رأس جيش من الصحابة الأجلاء رضي الله عنهم ينشروا النور الذي أنزله الله على محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

إن بيت نتيف قرية عريقة صاحبة تاريخ وتراث، مثلها مثل المدن والقرى الفلسطينية، نعم لقد أرادوا لهذا الوطن أن يمحي من التاريخ أو تزور حقيقته، فيلبس غير ثوبه، لكنه حي ثابت وضارب بجذوره في أعماق التاريخ بأرومته الخالدة التي تفصح عنها بطبيعتها.

بيت نتيف البلدة الطيب أهلها أحتلت مع ما احتل من فلسطين عام النكبة ١٩٤٨م، واليوم تحدثكم هذه البلدة عن نفسها بصوت دافئ حنون يبدد ظلمة الواقع، ويحرك الدم المجمد في العروق، صانعة من الرواية الشفوية والمخطوطة عواطف وأحاسيس في زمن تبيست فيه عواطف الآخرين، ونسوا أن الإنسان الفلسطيني ابن بيئته، التي تلازمه متعلقاتها، وترافقه؛ لأنه يعيش الأصالة فهي مغروسة في وجدانه وفي ذاكرته التي هي منبع تراثه وتاريخه، ولا شيء أخطر على الإنسان من أن يكون جاهلاً بالتاريخ وماضيه، وبخاصة نحن أبناء هذا الوطن، وها هم الأعداء يحاولون طمس تاريخنا وتراثنا وحضارتنا وهويتنا.

## التسمية:

تقول الرواية الشفوية أن اسم ((بيت نتيف)) «بفتح النون» هو الاسم الموروث عن الآباء والأجداد، واشتهرت قريتنا منذ العهد العثماني باسم قرية السماعنة، مع بقاء الاسم بيت نتيف، وتعرفها القرى المجاورة، وقرى شمال غرب الخليل باسم قرية السماعنة، وسألت كثيرين عن هذا الاسم، ولم أصل إلى شيء، أما في الوثائق القديمة الموجودة، وبخاصة العثمانية فتثبت أن اسمها بيت نتيف، وكذلك وثائق الانتداب البريطاني.

وفي الأزمان الغابرة كان يطلق على بيت نتيف اسم ((بيت لتيفا أو لطيفا))، وفي عهد هيرودس الأدومي زمن الرومان كانت بيت نتيف من ضمن أفضية فلسطين الأحد عشر وهي: بيت المقدس، بيت صور، أريحا، عمواس، تل جزر، اللد، جفنة، عقربة، يافا، يبناء، وأخيراً بيت نتيف التي كان يطلق عليها اسم ((بلا)).

## الموقع والحدود:

تقع بلدة بيت نتيف في الشمال الغربي من قضاء الخليل، وهي على بعد ٢١ كيلومتراً من مدينة الخيل و ٢١ كيلومتراً من بيت لحم وعلى بعد ٢٧ كيلومتراً من القدس الشريف في الجهة الجنوبية الغربية، وتتوسط بيت نتيف بأراضيها الشاسعة مجموعة من القرى، فمن الشمال تحدها قرى: من قضاء القدس. وهي بيت عتاب وجراش ودير أبان وبيت جمال ومن الغرب قرية زكريا ومن الجنوب قرى عجور وكفر أم برج وصوريف، ومن الشرق قرية عرار قضاء القدس.

وأهالي بيت نتيف يرفضون هذه الحدود ولا سيما من جهة الشرق، فقالوا إن حدود بيت نتيف تصل وادي فوكين والجعبة، وتقول الرواية الشفوية عن الحدود: أراد الإنجليز ترسيم الحدود ونحن أهالي بيت نتيف نرفض هذا الترسيم.

## المساحة:

ذكر في كتاب الدباغ والموسوعة الفلسطينية وخريطة فلسطين أن مساحة بيت نتيف عام ١٩٤٥م بلغت ((٤٤٥٨٧)) دونماً، ولكن أهالي القرية ومنهم عبد المجيد علقم «ابو سليم» وعبد الرسول أبو حماد لا يتفقون حول ما ورد عن مساحة بلدتهم، وأكد الجميع أن مساحة البرية أكثر من ذلك بكثير وهذه الحدود والمساحة من وضع الانتداب البريطاني.

## السكان والحمائل:

جاء في الأرشيف العثماني أول إحصاء سكاني دقيق ومتوافر للقرية أن عدد سكان بيت نتيف بلغ في عام ١٥٩٦م (٥٢٠) نسمة، وفي عام ١٨٩٠م قدر عدد سكان بيت نتيف (٥٠٠) نسمة، وفي عام ١٩٠٠م قدر عددهم ٧٠٠، نسمة وتقول الرواية الشفوية أن أهالي القرية في نهاية الدولة العثمانية بلغ عددهم حوالي ١٠٠٠ نسمة، وفي إحصاء عام ١٩٢٢م الذي قام به الانتداب البريطاني بلغ عدد سكان بيت نتيف ١١١٢ نسمة وازداد عددهم عام ١٩٣١م، بمن فيهم سكان خربة أم الروس التابعة للقرية إلى ١٦٤٩ نسمة مقسمين إلى ٨١٩ ذكراً، و٨٣٠ أنثى، لهم ٣٢٩ بيتاً، وفي عام ١٩٤٥م ارتفع العدد إلى ٢١٥٠ نسمة، وفي عام النكبة قدر عددهم بـ ٢٥٠٠ نسمة كانوا موزعين إلى الحمائل والعائلات التالية:

علقم، أخميس، أبو سرور، أبو نحلة، الدبس، أبو عودة، أبو حماد، حمد الله، أبو محمد، رومي، بشير، أبو حذوة، الكردي، بدوان، عبد القادر، عسلي، أبو جاجة، أبو مسلم، أبو حلاوة، أبو طربوش، أبو شعيرة، منصور، أبو راشد، سيد احمد، الأشرم، أبو الشربي، اعمر، الصوري، أبو غانم، الغروز، أبو عجور، أبو شخية، مطلق، الأسمر، أبو عياش، عقل، الحسنية، خشرم، كعوش، العمري، أبو ريالة، طزع، أبو صباح، نسيم، دعسان، أبو رز، قصول، تركي، او كيت، مسلط، نانوس، وهذه الحمائل والعائلات تسكن في حارتين: الفوقا والتحتا ويطلق على كل هذه العائلات اسم عائلات الجمارنة والكفرية والمشايخ.

## مخاتير القرية:

كان في الغالب في بيت نتيف مختاران واحد للحارة الفوقا والآخر للحارة التحتا، ولقد تسلمت وشخصيات عدة من عائلات مختلفة مهمة المختر في البلدة، وكان مركز المختار مهماً، ومهامه كثيرة منها: الرسمية والشعبية، بالإضافة إلى الإصلاح بين الناس، وكان بيته كان مجمعاً وملتقى لرجال البلدة.

ومن مخاتير القرية الذين كانوا في عهد الانتداب: يوسف اخميس، علي محمد علقم، عليان أبو حلاوة، عبد الهادي منصور، عبد ربه حسن أبو شعيرة، وكان أحمد عبد الحافظ اخميس و محمد عبد الهادي منصور مخاتير بالوكالة، و وظيفة مختار موجودة في بيت نتيف منذ العهد العثماني.

## الساحات أو الدواوين:

المضافة أو الديوان يطلق عليها اسم ساحة بيت نتيف، وهي من الأمكنة التي يتواجد

فيها الرجال بصورة دائمة، وفي الماضي كانت في بيت نثيف ساحتان الأولى في الحارة الفوقا والثانية في الحارة التحتا، وهما ملك البلد، ولهذه الساحات دور في اجتماع العائلات والحمائل وقت السهر والسمر، وهي مأوى للضيف وعابر السبيل، وفي الساحة حكايات شعبية متوارثة حسب التقاليد في إكرام الضيف وبيت نثيف في إكرام الضيف، وهذه الصفة من صفات الريف الفلسطيني، والساحة تقام فيها الأفراح والأفراح والضيافة والعشائري، وفي رمضان يجتمع فيها الرجال وقت الإفطار، ويكون الإفطار في رمضان بشكل دائم في الساحات والمساجد، ومع بداية الأربعينيات كثرت الساحات لكبر القرية وتوسّع البناء.

## المساجد:

يوجد في بيت نثيف ثلاثة مساجد هي:

- مسجد الشيخ إبراهيم.
- مسجد الأربعين.
- مسجد الشيخ أبو مهدي.

وتقام في هذه المساجد صلاة الجماعة والعيدين، وكان في البلدة عدد من العلماء الأزهريين، يقومون بتعليم أهالي بيت نثيف الأمور التي تتعلق بالشرع الحنيف من فقه وعبادات وتعليم القرآن والحديث والقراءة والكتابة. ومن هؤلاء العلماء:

- الشيخ محمد عبد الحميد مطلق
- الشيخ عبد ربه أبو شعيرة
- الشيخ صافي أبو جاجة
- الشيخ حسن دهنون

وكانت لهؤلاء العلماء كلمة مسموعة في بيت نثيف والقرى المجاورة، ويرجع إليهم الناس في كثير من أمورهم الدينية والدنيوية.

## المقامات والمقابر:

في بيت نثيف يوجد عدد من المقامات المهمة عرفنا منها:

- ◆ مقام أبو فاطمة وهو شمال البلد ومبني من الحجر، ومساحته تقدر بأكثر من ثلاثين متراً في خربة زانوع.

- ◆ مقام النبي يونس وهو إلى الشمال الغربي للبلد ومبني من الحجر.
  - ◆ مقام الصالحي وهو في الجهة الغربية بانحراف قليل إلى الجنوب من القرية، ومبني من الحجر.
  - ◆ مقام أبو هلال وهو في الجهة الجنوبية من البلدة، ومبني من الحجر ومساحته تقدر بـ (5×5) وعليه قبة صغيرة.
  - ◆ مقام الشيخ غازي ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية من القرية بالقرب من قرية أم الروس، ومساحته 50 م وله قبة كبيرة.
  - ◆ مقام أبو رمانة ويقع بالقرب من مقبرة البلد، ومساحته صغيرة تقدر بخمسة عشر متراً.
  - ◆ مقام الشيخ احمد ويقع في الجهة الشرقية من القرية وهو بناء صغير غير معقود.
  - ◆ مقام الشيخ سعد ويقع في الجهة الشرقية بانحراف إلى الشمال قليلاً مبني من الحجر، ومساحته لا تزيد عن عشرين متراً.
- وتوجد في بيت نتيف مقبرتان لدفن الموتى ويطلق عليهما اسم: مقبرة أبو رمانة ومساحتها أكثر من عشرين دونماً، ومقبرة المشايخ ومساحتها تقدر بعشرة دونمات.

### المدرسة وصفوف الكتاب:

تأسست مدرسة بيت نتيف في بداية العشرينيات، وقبلها كانت صفوف الكتاب منتشرة في البلدة وبخاصة، في الساحات وكان هناك في العهد العثماني عدد من أبناء البلدة الذين تخرجوا في الأزهر الشريف في مصر عام 1933م بنيت المدرسة الثانية في القرية، وكانت هذه المدرسة واسعة، ولها ملعب وفيها مكتبة وعرفنا من مدرسيها.

- ◆ الشيخ مصباح الشريف.
- ◆ الأستاذ أمين قطينة.
- ◆ الأستاذ أبو رشاد السنجلأوي.
- ◆ الأستاذ عمر قطيط.
- ◆ الأستاذ طاهر الحموري.
- ◆ الأستاذ محمد محمود العزة.
- ◆ مدير المدرسة الأستاذ عمر العناني.

## الحياة الاقتصادية:

كان أهالي بيت نتيف يعتمدون كلياً على الزراعة وتربية المواشي بالدرجة الأولى، وذلك لخصوبة أرضهم، وهم يملكون أراضي واسعة، ونجد أن جميع عائلات بيت نتيف كانت مالكة للأرض، ولكن تتفاوت الملكية من عائلة إلى أخرى، والرواية الشفوية: تقول أن كل أهالي بيت نتيف كانوا يقومون بالأعمال الزراعية.

وقد اتسمت الزراعة في بيت نتيف بالتركيز على الزراعة البعلية، والحبوب هي لب الإنتاج الزراعي، ويأتي في مقدمتها القمح والشعير والعدس والحمص والفلو.. الخ، وهذه الزراعة الشتوية، وأما الزراعة الصيفية فهي، الذرة والسّمسم بالإضافة إلى المقاثي البعلية التي هي (مونة) للبيت مثل الفقوس والخيار والبندورة والبامية والكوسا.. الخ، واهتم أهالي بيت نتيف بزراعة الأشجار المثمرة مثل اللوزيات والزيتون والتين والصبر والعنب.

## المياه:

اعتمدت بيت نتيف في الغالب على المياه المجمّعة في الشتاء لاستعمالها للشرب وغيرها، وميسور الحال منهم يحفر بئرهم قبل بناء البيت، ومع هذا توجد في البلدة بئر كبيرة يطلق عليها اسم عين بئر الصفصاف، وهو بئر مياهه غزيرة جداً، والبلده فيها أكثر من عشرين بئراً، وكانت تفي حاجة بيت نتيف وزيادة، وماؤها دائم، والقرى المجاورة كانت تستعين بمائها في حالة وجود جفاف في البلاد مثل: زكريا وعجور وصوريف، ومن الآبار والعيون في البلدة:

◆ بئر شهلة

◆ العين البيضة أو الكذابة

◆ حفير عين المالحة

◆ حفير بيت فصل

◆ بئر هقش

◆ بئر الطويل

◆ بئر الزاغ.

## اسماء الوديان:

لسعة أراضي بيت نتيف وجد فيها وديان كثيرة ومن هذه الوديان: واد الصنع، واد انجيل، واد الصمت، واد بولس، واد السغاف، واد العين، واد عامر، واد حسين، واد المصر، واد النهير، واد قنية، واد النهير.

## سهول بيت نتيف:

اشتهرت البلدة بالسهول الكبيرة ومن أسماء هذه السهول: سهل مرج الغزال، سهل واد بولس، سهل المنازل، سهل انجيل، سهل الوسايا التحتا، سهل الوسايا الفوقا واليوم موجود فيها محطة الأقمار الصناعية، سهل مرج العين، سهل واد الصمت، سهل واد المصر، سهل جور العين الفوقا وسهل جور العين التحتا و سهل حمادة.

## الثروة الحيوانية:

بقدر اهتمام أهالي بيت نتيف بالزراعة، اهتموا بالثروة الحيوانية مثل الغنم، وكانت البلدة تشتهر بكثرة قطعان الغنم، إضافة إلى الأبقار والجمال والبغال والحمير والخيول الأصيلة، فاستعملوها كوسائط نقل ولحراثة الأرض، ولم يخل بيت واحد من هذه الحيوانات، وكان في القرية عدد من العجالات (مفرد عجال) وهي قطع البقر وكل عجال له راع، وبالنسبة للرعي والمراعي كانت أراضي البلدة، بعد الحصاد تموج موجاً بقطعان الغنم والأبقار، وبخاصة من منطقة بئر السبع.

كما اهتم الأهالي بتربية الطيور، مثل الحمام والدجاج، واهتم بعضهم بتربية النحل، وكل بيت يوجد فيه طابون.

## الدكاكين:

كانت دور البلدة واسعة الانتشار مع بداية الأربعينيات، وكان يوجد فيها أكثر من خمسين دكاناً للبقالات والخضراوات واللحوم والملابس والحلاقة حيث بلغ عدد الحلاقين ستة، وبعض النجارين والحدادين والخياطين، وكان في القرية بابور طحين (مطحنة قمح) ، وكان أصحاب هذه الدكاكين يشترون بضاعتهم من اسواق الرملة والخليل والقدس وبيت لحم، وأهالي بيت نتيف كانوا يسوقون إنتاجهم إلى تلك المدن نفسها.

## المواصلات:

ترتبط بلدة بيت نتيف بشارع معبد يصل بين الخليل ويافا ولها طرق عدة تصل البلدة بالقرى المجاورة، وبعد افتتاح شركة باصات العرقوب تحسنت أوضاع المواصلات إلى حد كبير وكان ينطلق يومياً من بيت نتيف إلى القدس الشريف باصان محمّلان بالركاب، ويوجد لأهالي البلدة عدد من الشاحنات.

## الأدوات الزراعية والحصاد والدراس:

المحراث البلدي المصنوع من الخشب، الفأس، الطوريه، الكريك، القزمة (فأس كبير)، المنجل (السحيلية)، القالوش، اللوح، الشاعوب، الدكران، المذراه، أدوات التقليم مثل: البلطة، القدوم، المنشار، المقص.

## أسماء الأراضي:

- حاكوره، مارس، خلّه، دبّه، مراح، كرم، بستان، مِقثاة، جدر، قاطع، شِعْب، مارس (موارس).
- الشعب والخله: قطعة أرض سهلة بين جبلين والواد في نصفها.
- القاطع: الذي يفصل بين الأرض والأخرى وخصوصاً بين الأرض الكبيرة والصغيرة.
- المارس: قطعة أرض منبسطة مساحتها من دونم إلى ثلاث.
- المعناة: قسم من أراضي المارس.
- المِقثاة: وهي أرض مخصصة للزراعة البعلية مثل الكوسا والبندورة والفقوس والزيلاء... الخ.
- المِراح: قطعة واسعة وسهلة.
- الخلّة: قطعة أرض بين تلتين.
- الدبّة: قطعة أرض سهل مرتفعة قليلاً.

## بيت نتيف خربها وآثارها:

من المتعارف عليه عند علماء الآثار أن بيت نتيف هي بلدة كان يطلق عليها في العهد الروماني اسم «بيت لطيفا»، ومنه حُرّف اسمها الحالي إلى بيت نتيف.



وهذه البلدة مشهورة بخربها الأثرية، وعثرت دائرة الآثار في العام ١٩٣٤م بإشراف الدكتور الفلسطيني ديمتري برامكي داخل بئرين قديمتين على تماثيل صغيرة يرجع تاريخها إلى القرن الثالث الميلادي، وعلم أنه في مسطح البلدة موقع أثري يحتوي على أساسات ومدافن وصهاريج وأرض مرصوفة بالفسيفساء وفي أراضي بيت نثيف عدد لا بأس به من الخرب منها:

#### ◆ خربة أم الروس الشمالية

يطلق عليها اسم خربة أم الروس الشاميّة أو الشمالية، وترتفع حوالي ٥٠٠ متر عن سطح البحر. وهذه الخربة ملك عشيرة الجمارنة، واستشهد فيها القائد حمد جابر (أبو الوليد) عام ١٩٣٦م، ووجدت في هذه الخربة بقايا أرض مرصوفة بالفسيفساء وأبنية مهدمة وتكثر في هذه الخربة الكهوف والمغاور.

#### ◆ خربة أم الروس الجنوبية

ترتفع هذه الخربة عن سطح البحر حوالي ٤٥٧ متراً، وتحتوي على أنقاض جدران لبيوت قديمة، وهي ملك لعائلة اخميس وكانت هذه الخربة مسكونة من قبل هذه العائلة.

#### ◆ خربة أم الجاج

خربة صغيرة شرق البلدة تكثر فيها المغاور، ووجدت فيها آثار قديمة رومانية.

#### ◆ خربة ملكتها

تقع هذه الخربة في الجنوب الشرقي لموقع البلدة، وهي ملك عشيرة الجمارنة، فيها عدد من المغاور، وقد عثر في عهد الانتداب البريطاني في هذه الخربة على آثار رومانية، خاصة معصرة الزيتون، وبيوت مهدمة وصهاريج، وفيها عدد من المغاور.

#### ◆ خربة أيكا

عثر في هذه الخربة على صهريج وحجر طاحون وجدران متهدمة.

#### ◆ خربة بتيقة

تقع هذه الخربة إلى الشرق من القرية، وأرضها مشهورة بزراعة الصبر وهي ملك عشيرة الجمارنة، فيها عدد من المغاور.

#### ◆ خربة الظاهي

شرق بيت نثيف توجد فيها آثار رومانية وعدد من المغاور، وهي ملك عشيرة الجمارنة.

### ◆ خربة اسم الله

هي إلى الشرق من البلدة أيضاً وملك لعشيرة الجمارنة، فيها آثار رومانية وعدد من المغاور.

### أسماء بعض الخرب:

وها هي أسماء بعض الخرب المعروفة عند أهالي بيت نتيف:

خربة سعد، خربة الأسد، خربة جرفة، خربة شويكة، خربة كيافة، خربة بيت فيصل، خربة الشيخ مذكور، خربة طف أم طونس، خربة بد البنات.

### ◆ خربة النبي بولس:

تقع هذه الخربة في الشمال الغربي من القرية وترتفع ٣٠٠ متر عن سطح البحر، فيها «مبان مهدمة وأساسات، وبركة، وإلى الجنوب بقايا كنيسة مُقام فوقها قبة و«عقود».

لعل «دير بولس» الذي ذكره صاحب معجم البلدان بقوله: «بنواحي الرملة: نزله الفضل عند ابن إسماعيل بن صالح بن علي بن عبد الله بن علي بن العباس وقال فيه شعراً لم يسمه فيه، أوله:

عليك سلام الله يا دير من فتى  
ولا زال جو السماكين وابل  
بمهجته شوق إليك طويل  
عليك، لكي تروي ثراك هطول

كان ذلك الدير يقوم على هذه الخربة، خربة النبي بولس.

و «بولس» معناه «الصغير»، وأشهر من عرف بهذا الاسم «بولس» من حوارى المسيح عليه السلام، ولد في طرسوس في ولاية «أضنه» التركية، ولاقى كثيراً من الاضطهاد في سبيل نشر الدعوة المسيحية، وقتل في رومية سنة ٦٧ أو ٦٨ م.

### ◆ خربة البرج:

تقع إلى الشرق من بيت نتيف فيها: «برج وعتبة باب عليا منقوشة، وصهريج، وأساسات جدران، وبقايا معصرة بقائمتين». وبجانب خربة البرج تقع «خربة التبانة» الآتي ذكرها.

### ◆ خربة اليرموك:

بظاهر «خربة النبي بولس» الجنوبي وتحتوي على: جدران ساقطة وأساسات، وتل أنقاض، وصهاريج، ومغاور، كانت تقوم عليها بلدة «يرموث» بمعنى علو، في الكنعانية. وفي العهد الروماني حرف اسمها إلى *Termucha*، تقع على بعد ثمانية أميال إلى الشمال الشرقي من بيت جبرين.

## ♦ خربة العبد:

تقع إلى الشمال من بيت نتيف، ترتفع ٤٢٣ متراً عن سطح البحر، فيها: مبان متهدمة، وأكوام حجارة، وصهاريج، وقطع معمارية، وفي جوارها خربتان: «التركمان» و«دير أبو علي» على ارتفاع ٥٠٠ متر عن سطح البحر.

## ♦ خربة جداريا:

تقع في جنوب القرية، فيها: «أساسات، وصهاريج منقورة في الصخر، ومعصرة زيت مع قوائمها» كانت تقوم عليها «جديرة»، بمعنى جدار وسور، الكنعانية وهي ملك عشيرة الجمارنة.

## ♦ خربة الشيخ غازي:

تقع هذه الخربة إلى الجنوب الشرقي من بيت نتيف، فيها: «مقام عليه قبة مخروطية الشكل، وبلدة مهدمة وشوارع، وبقايا أبنية، ومغوار، وصهاريج، ومعصرة، ونحت في الصخور».

## ♦ خربة التبانة:

تقع في شرق بيت نتيف وفيها: «جدران وأساسات بناء فيه غرف مستطيلة» وما زالت الآثار ظاهرة حتى اليوم.

## ♦ خربة غرابية:

في الجنوب الشرقي من بيت نتيف، بها «أساسات، وأكوام من الحجارة الساقطة، ومدافن وصهاريج منقورة في الصخر».

## ♦ خربة أم الذياب:

تقع في ظاهر بيت نتيف الشمالي، ترتفع ٤١٥ متراً عن سطح البحر، فيها «أساسات، وأكوام حجارة، وصهاريج منقورة في الصخر».

## ♦ خربة زنوع:

في شمال القرية، تحتوي على «موقع ممتد مع بقايا أبنية، وصهريج، ومغاور، وقطع أعمدة، وعتبة باب عليا منقوشة، ومعصرة منحوتة في الصخور، وطرق قديمة تؤدي إلى خربة عليا وبيت نتيف». كانت تقوم على هذه الخربة بلدة «زانوح» بمعنى أكمة بالكنعانية.

## الأزياء الشعبية:

من المتعارف عليه أن أبناء الريف «القرى» الفلسطيني لهم لباسهم المميز والخاص بهم، فقد كان للنساء أيضاً لباس خاص بهن، وفي العادة فإن ابن الريف لباسه بسيط، وقليل الكلفة، خاصة أن الكل يعمل من أجل لقمة العيش في الريف وخاصة الزراعة، حيث إن أبناء بيت نتيف فلاحون بكل معنى الكلمة، فهم يمتلكون من الأرض ما يكفيهم للزراعة، ويعيشون على محصولاتها ويقول الحاج عبد الحميد علي محمد علقم (أبو سليم): إن الحياة في بلدنا كانت تتسم بالبساطة، والكل منا يعمل من قلب ورب وكانت الأرض بتعطي من قلب ورب، واللباس الشعبي في بيت نتيف هو الموروث هو الطراز الفلسطيني الكنعاني وهو الذي ظل سائداً منذ القدم حتى عام النكبة ١٩٤٨ م.

ولأهمية الأزياء الشعبية التقينا الحاج عبد المجيد علقم أبو سليم وزوجه الحاجة عفيفة أم سليم وزوجة أخيه عيسى علقم الحاجة دلال أم محمد، وكذلك الأستاذة سيرين عز الدين علقم التي اجتهدت في البحث عن الأزياء الشعبية للنساء عند أهالي بيت نتيف.

## أزياء الرجال:

يشترك أبناء بيت نتيف في أزيائهم الشعبية مع غالبية أبناء فلسطين، وبخاصة الرجال، وقد كانت أهم تلك الأزياء: الكبر أو القمباز يلبسه عامة أبناء القرية والقليل من أبناء القرية كان لباسهم الثوب «الدشداش» واللباس الداخلي هو السروال الأبيض الواسع الفضفاض، ويربط على وسط الجسم «بدكة» والقميص القطني الأبيض من دون قبة والفانيل أو الجرزي المصنوعة من القطن أو الصوف، وفي العادة يلبس فوق الديماية أو القمباز، الفروة المصنوعة من جلد الخروف الصغير أو العباءة المستوردة من مصر والشام، وأحياناً تلبس العباءة فوق الفروة في المجالس والدواوين وبخاصة أيام الشتاء ولكبار السن، أيضاً يلبسون الساكو (الصاكو) أو الكبود الذي يصل طوله حتى الركبة.

أما الشباب فكان لباسهم فوق القمباز الجاكيث أو الفروة.

وكان حزام الوسط في بيت نتيف لكبار السن يسمى شملة، وهي مصنوعة من القماش الغباني ذي الألوان المخصصة لحزام الوسط، وعرض الشملة ما بين عشرة إلى عشرين سنتيمتراً، أما الشباب والرجال دون سن الأربعين فكان حزام الوسط يطلق عليه اسم «قشاط»، وهو مصنوع من الجلد، وعرضه يقارب خمسة سنتيمترات أو أكثر قليلاً، وأحذية الرجال كانت مصنوعة من الجلد، ومن أسماء الأحذية: القندرة والصرمايه والبسطار والبلغة والمداس... الخ.

## غطاء الرأس عند الرجال:

كان غطاء الرأس عند غالبية ابناء بيت نتيف قبل الانتداب الكفّية أو الغبانية، وصغار السن لهم الطاقية المنسوجة من الصوف في الغالب، وفي عهد الانتداب انتشر لباس الحطة والعقال المصنوع من الصوف المرعز والحطة في الشتوية من الصوف، والحطة البوال، والقطن تلبس في الصيف.

## الأزياء الشعبية عند النساء:

اشتهرت نساء بيت نتيف بزيهن التقليدي وهو الثوب الفلاحي المصنوع من قماش الحبر أو التوبيت أو المنيل أو الجلجلي، وكل امرأة منهن كانت تختار طرازاً معيناً من الزخارف والألوان والرسوم الحريرية، مظهرة قدرتها على الابتكار أو التقليد لأمتها، أملة بذلك المحافظة على استمرار هذا الزي الجميل الأصيل جيلاً بعد جيل، إلا أن الجيل الجديد تغاضى عن ذلك، ولم يعد يرى ذلك الثوب الجميل إلا على كبيرات السن من نساء هذه البلدة، ومن أنواع الثياب: كان الملكة والجلالية والثوب العادي والخضاري... الخ.

أما حزام الوسط الذي كانت تلبسه المرأة على وسطها فكان عبارة عن قماش مقلم لماع ذي ألوان عديدة، مخصصة للحزام، وأحياناً تلبس المرأة زناراً من الصوف المزركش أو العادي، وكان غطاء الرأس عند النساء عبارة عن قطعة قماش مربعة يطلق عليها اسم «خرقة أو شاشة، أو غدفة»، وتكون قطعة القماش هذه من الحجم الكبير بالإضافة إلى الملاية، وهي خرقة مصنوعة من الصوف تلبس في الشتاء، ولبست نساء بيت نتيف الشنبر الأسود المصنوع في سوريا.

وكانت نساء بيت نتيف بعد الزواج يلبسن فوق رؤوسهن الطاقية العالية، وهذا الزي الشبيه لزي النساء في بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور، وتحت الخرقة أو الغدفة، الوقاة أو ما يسمى بالعراقية، وهكذا كان زي أهالي بيت نتيف، وهو مشابه للأزياء الفلسطينية الأخرى على تنوعها وتعدد قراها وبلدانها، والأصل في ذلك كله في فلسطين العناية بالحشمة والوقار وجمال المظهر والزينة في وقت واحد.

## الأمثال الشعبية:

### أمثال الأقارب:

- الأقربون أولى بالمعروف.
- أهلك ولا تهلك.

- عمر الدم ما بيصير ميه.
- أهلك إن مضغوك ما بيبلعوك.
- الدم بيحن.
- ما بيحمل همك إلا يلّي من دمك.
- ما بيحن على العود إلا قشره.

### أمثال الضيافة:

- الضيف أسير المحلي.
- بيجي الضيف وبيجي رزقه معاه.
- الضيف ضيف الرحمن.
- أكل إثنين بكفي ثلاثة.
- بيت الضيق بيوسع ميت صديق.
- لاقيني ولا تغديني.
- أكله وانحسبت عليك كل وبلق عينيك.

### أمثال في الصحة:

- المعدة بيت الداء.
- كل شيء مع العافية مليح.
- البرد أساس كل عله.
- الدفا عفا.
- الجزر بيقوي النظر.
- كل زيت وانطح الحيط.
- أكل الرجال على قد فعالها.

### أمثال في الصبر:

- الصبر مفتاح الفرج.
- إن الله مع الصابرين.

- من صبر ظفر.
- ما بعد الصبر إلا الفرج.
- شو صبرك على المر، قال اللي أمر منه.
- ربك قال: بشتر الصابرين.
- صبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك.

### أمثال عامة:

- الأقربون أولى باللي ما له عتيق ما له جديد.
- حبل الكذب قصير.
- مفيش دخان بدون نار.
- أهل السماح ملاح.
- البعد جفا.
- لا تشرب من بير وترمي فيه حجر.
- إلی يلاعب البس يصبر على خراميشه.

### أمثال خاصة بالشهور:

- كانون فحل الشتاء.
- كانون أسمه معاه.
- شباط الخباط، بشبط وبخبط وريحة الصيف فيه.
- آذار أبو الزلازل والأمطار.
- آذار ساعة شمس وساعة أمطار.
- نيسان أمطاره بتحني الإنسان.
- نيسان شهرا خمسان: (خميس البيض، وخميس النبات، وخميس الفوات).
- أيار شهر الدفا وشهر العفا.
- حزيران هر الحصاد.
- في تموز بيستوي الكوز.

- آب اللهب.
- في آب أقطف العنب ولا تهاب.
- أيلول ذيله مبلول.
- في أيلول بدور الزيت في الزيتون.
- أيام الزيت أصبحت أمسيت.
- في تشرين بيخرب العنب والتين.
- في تشرين بغبر التين.
- ما بين تشرين أول وتشرين ثاني صيف ثاني.
- ما في أنقى من قمر تشرين ولا أظلم من عتمة كانون.
- في كانون كن في بيتك وكثر حطبك وزيتك.

## بيت نتيف قبل أربعمئة عام:

لدى زيارتي إلى مكتبة جمعية إنعاش الأسرة من أجل البحث عن تاريخ بلدة بيت نتيف التقيت الأستاذ القدير عبد العزيز أبوهدبا رئيس مركز التراث الشعبي الفلسطيني في الجمعية الذي أخبرني بأنه قرأ في كتاب (تاريخ فلسطين في القرن السادس عشر) تأليف الدكتور كمال عبد الفتاح وولف هوترت «أن بيت نتيف كانت في عام ١٥٩٦ / ١٥٩٧ م تابعة للواء القدس، وعدد عائلاتها التي دفعت الضرائب (١٠٤) عائلات، وبما أن تقدير كل عائلة خمسة أفراد يكون عدد أهالي بيت نتيف (٥٢٠) نسمة، وجاء في الكتاب نفسه إن أراضي بيت نتيف كانت مشتهرة بزراعة الحنطة والشعير والزيتون والفواكهة، كما اهتم أهالي البلدة بتربية الماعز.

أما بخصوص الضرائب التي دفعت للحكومة في عام ١٥٩٦ / ١٥٩٧ م فهي كما يأتي:

الحنطة (القمح) قيمة الضريبة (٥٠٠٠) أوقجة، وضريبة الشعير (٣٣٢٠) أوقجة، والزيتون والفواكه (٢٥٠٠) أوقجة، ورسوم الزواج (٥٠٠) أوقجة، والأوقجة عملة عثمانية مصنوعة من الفضة، وذات قيمة عالية في ذلك الوقت ولها قيمتها الشرائية.



## بيت نتيف في نهاية الدولة العثمانية:

أدرجت الحكومة العثمانية أهمية بيت نتيف والموقع الذي تحتله بين القرى المجاورة، فأقامت فيها مجلساً بلدياً ومركزاً للبريد والشرطة، وكانت الرسائل الحكومية الخاصة القادمة من الباب العالي في الأستانة (اسطنبول) تمر عبر القدس إلى بيت نتيف، ثم إلى القرى المجاورة، وكان رئيس بلدية بيت نتيف في نهاية العهد العثماني، وقبل الانتداب هو عبد الفتاح أحمد خميس، والأعضاء: محمد عبد الحي مطلق، وحسن إبراهيم أبو سرور، وعبد الحميد أبو طربوش، وعلي محمد علقم، وعبد الهادي أبو منصور، والحياة الاقتصادية كانت مزدهرة فيها ويقدر اهتمام أهل البلدة بالزراعة اهتموا بالثروة الحيوانية، وبخاصة الأغنام وكانوا يسوقون محاصيلهم ومنتجاتهم في أسواق القدس والخليل وبيت لحم والرملة.

## إحدى قرى العرقوب:

من المعروف أنه في جميع أنحاء فلسطين كانت المدن والقرى مقسمة إلى مناطق ومسميات موروثية منذ الفتح الصلاحي لفلسطين، وفي منطقة القدس كانت هذه الأسماء مشهورة مثل بني مالك وبني حسن وبني زيد والوادية والعرقوب وبني عمير وكانت منطقة العرقوب تقع في الجنوب الغربي لمدينة القدس وقرى العرقوب هي: دير أبان، بيت عطاب، بيت نتيف، كسلا، صرعا، عقور، اشوع، عرتوف، زكريا، ارطاس، الخضر، حوسان، القبو، نحالين، وادي فوكين، كفر سوم، الجعبة، راس أبو عمار، السفلى، علار، دير الشيخ، دير الهوى، جراش، بيت جمال، وفي الرواية الشفوية لأهالي بيت نتيف وبيت عطاب يضيفون إلى هذه الأسماء بيت جالا لكن الأستاذ عبد العزيز أبو هدبا يؤكد أن بيت جالا كانت تابعة لمنطقة بني حسن.

## بيت نتيف - والانتداب:

عرف عن أهالي بيت نتيف حماستهم ومشاركتهم وتفاعلهم مع ما كان يدور من أحداث في فلسطين، فكانوا من الذين شاركوا في التصدي للانتداب البريطاني والهجوم على قوافله ومشاركة القرى في معاركها.

## ثورة وإضراب ١٩٣٦:

كانت أراضي بيت نتيف وإضراب (١٩٣٦) ملقياً الثوار، وكان لهم دور في مقارعة الانتداب الأمر الذي أوقعهم تحت ظلم الانتداب بممارساته القمعية على الأهالي واقتحام

البيوت، وبالرغم من ذلك ظهر في بيت نتيف العديد من أبنائها الثوار الذين كانت مهمتهم ضرب القوافل العسكرية على الطرق الرئيسية، بالإضافة إلى تعطيل سكة الحديد خارج الحدود القرية بمشاركة الثوار من القرى المجاورة.

وكان هؤلاء الثوار يتخذون من الجبال بيوتاً لهم ومركزاً لانطلاقتهم وقدر عدد هؤلاء الثوار الموزعين في خرب بيت نتيف بـ (٢٠٠) ثائر، ومن أبناء بيت نتيف التي كانت نقطة التقاء بين الثوار وعقد اجتماعاتهم، عرفنا منهم: جميل اخميس و محمد جبريل بشير، وحميدة خليل الرومي، وعلي نعمان، وعبودة منصور، و محمد عيسى اخميس، واعتقل كثير من أبناء بيت نتيف عرفنا منهم: محمد سليمان أبو عودة، محمد العمري، علي محمد علقم، عبد القادر أبو محمد الجمارنة، محمد أبو محمد السياج، عبد الفتاح جبر، راغب التايه، عدوان صالح بدوان، عبد القادر حسن أبو شعيرة وأخاه ذيب، محمود حميدة، وكان هؤلاء الثوار معتقلين في معسكر جيش الانتداب البريطاني بالقرب من قرية عرار، وقال أحد الرواة إنني زرت معسكر عرار، وقد كنت طفلاً صغيراً، وكان المعتقل يضم الكثير من الثوار من بلدنا والقرى المجاورة، وكان الأهالي يزودون أبناءهم بالقطين والتمر والزبيب والزيتون والبيض والحلويات، وقال الراوي: إن الخيم كانت محوطة بالأسلاك الشائكة والحراسة المشددة من كل جانب.

وتقول الرواية الشفوية أيضاً أن قوات الانتداب البريطاني كانت عندما تحاصر البلدة، وتمنع التجول، وتطالب الجميع بالخروج من بيوتهم، وكانوا يجمعون أهالي البلدة في «جدارية» موقع يطلق عليه اسم «المشاهد»، أيضاً وهو في البلدة، وبعد ذلك يدخل جيش الانتداب إلى البيوت، ويفرغ أكياس الخزين من قمح وشعير وذرة وفول وعدس وسمسم وحمص وقطين وتمر وبندورة ناشفة والجبنه واللبن والكشك (لبن الجميد) والزبدة، ويأتون بالكاز ويضعونه فوق هذه كله، ثم يأتون بالطحين ويوضع فوق الكاز، وقال أحد الرواة: إنني شاهدتهم وهم يحملون اللحم المعلقة عند اللحم، ويضعونها على الكاز المسكوب على الأرض.

## لماذا عمليات التطويق والتفتيش؟

أجمعت الرواية الشفوية من أهالي بيت نتيف أن خرب البلدة وجبالها كانت ملجأً للثوار والقيادة أحياناً، وبعد أن سجلت الثورة انتصارات كبيرة في لحول وصوريف وبيت لحم والدهيشة والخضر، قام جيش الانتداب بأعمال تخريب واسعة النطاق القرى التي ساندت وساعدت الثوار.

## القائد أبو الوليد:

القائد أبو الوليد أحمد جابر من بيت عطاب سجن عشر سنوات في معتقلات الانتداب البريطاني، وعند خروجه من السجن بداية عام ١٩٣٩م التحق رأساً بصفوف الثوار، وأصبح قائد فصيل المنطقة، وعندما علم جيش الانتداب لم يستطع صبراً على ذلك لقوته وحب الثوار له، فجدد طائراته لضرب كل شبر في المنطقة التي لجأ إليها، وهي خربة أم الروس الشمالية (الشامية)، وهي إحدى الخرب المسكونة في بيت نتيف، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على القدرة والشجاعة التي كان يتمتع بها ذلك القائد الفلسطيني، الذي استشهد في خربة أم الروس بعد أن استلم القيادة بقنابل الحقد البريطاني، ولم يكتفِ الانتداب بذلك، بل راح يفتش على جثمان الشهيد ليتأكد من الخلاص منه، إلا أن والدته كانت قد زرعت على قبره أشتالاً من البندورة مموهة على جنود الانتداب الظالم فعادت بخفي حنين، وكثير من أبطال الثورة زاروا بلدة بيت نتيف عرفنا منهم: عبد القادر الحسيني، سعيد العاص أحد أركان الثورة وإبراهيم أبو دية وعبد الله أبو دية من صوريف، وعيسى أبو قدوم من عرب التعامرة، وأبو الخير من عارورة وجابر أبو طبيخ من خربة اللوز ومحمد مصطفى من عين كارم ورشيد هنية من الدوايمة وعبد الله مشعل من شرفات وقائد الثورة في منطقة الخليل: عبد الحليم الجولاني، والشيخ عبد الحفيظ أبو الفيالات من مؤسسي الثورة في الخليل، وسليمان عوامة من الدوايمة، وعيسى البطاط وهاشم الدويك وعبد الأشهب وشكري زيتون وآخرون.

ومن شهداء بيت نتيف عام ١٩٣٦ م: محمد جاد الله أبو سرور، وأحمد جاد الله أبو سرور، استشهدا على خط سكة الحديد في أراضي دير أبان.

## بيت نتيف عام ١٩٤٨:

بعد كل ما تقدم من حديث حول بيت نتيف وأحداث ١٩٣٦ - ١٩٣٩ م، نقف الآن على حقائق الرواية الشفوية ودور أهالي البلدة في الدفاع عنها، وما عرف عنهم ممارستهم ومشاركتهم وتفاعلهم مع القضية، وبدأت مشاركتهم كغيرهم من القرى المجاورة بالاشتراك في الأحداث، وبخاصة في المواقع التالية مع أبناء القرى المجاورة.

معارك باب الواد واغتنام سيارة شحن أخذت تالي بيت نتيف وسائقها أحمد علي علقم، وكذلك معارك تل الصافي واستشهد هناك عبد الحفيظ عبد القادر أبو جاجة، وشارك أهالي البلدة في الدفاع عن القسطل ودير ياسين وعين كارم وبيت محسير وصرعة، ومعركة الدهيشة وغنموا سيارة استخدمت للمناضلين، وكان سائقها إلى البلدة

المرحوم عبد المجيد يوسف اخميس، وبقيت سيارة لا سائق لها، وشاركوا في معركة دير أبان وعصيون عندما بدأت المعارك في مدينة يافا قام فصيل من ثوار البلدة بالتوجه إليها وشارك في المعارك هناك.

هؤلاء هم أهالي بيت نتيف كانوا دائماً يقدمون العون في سبيل الدفاع عن الوطن، وذلك بالعتاد الذي توافر لديهم، والذي جاءوا به عن طريق الحدود المصرية الليبية، والذي قام بشرائه كل من علي علقم وعبد ربه أبو شعيرة ومحمد عبد الحميد مطلق وأحمد عبد الحافظ اخميس، وكان معهم شاب أعيد من الحدود المصرية اسمه عيسى علي علقم وتقدر قطع السلاح التي جاءت من مصر بأكثر من ٢٠٠ قطعه غير العتاد والذخيرة وثمانها كان من أموالهم الخاصة ولم يتلقوا أية مساعدة من جهات أخرى، وقد استخدمت هذه الأسلحة في جميع المعارك التي شارك فيها شبان القرية و مناضلوها، ومن المعروف أن بيت نتيف لم يتسرب لليهود منها ذرة تراب.

## بلد أل ٣٥:

يطلق اليهود على بيت نتيف بلد الـ ٣٥ أثر المعركة التي حدثت في منطقة ظهر الحجة، وهي أرض مشتركة بين صورييف وبيت نتيف، وتقول الرواية الإسرائيلية عن هذه المعركة: قررت القيادة الإسرائيلية في القدس إرسال تعزيزات إلى عتصيون من ٣٥ شخصاً نصفهم من احتياطي البلماخ، ونصفهم الآخر من أفراد قوة الحراسة وفي ١٥ / ١ / ١٩٤٨ م وعند حلول المساء، خرجت هذه القوة من بيت هكيرم إلى عرتوف بقيادة داني ماس، وفي عرتوف جرى تفحص السلاح والعتاد ووزع سلاح إضافي، واتضح أن هذه القوة تفتقر إلى جهاز لاسلكي، وأشار قائد عرتوف وعدد من المدافعين عن المكان بتأجيل انطلاقهم إلى الليلة المقبلة، لأنه من المحتمل بسبب الوقت المتأخر ألا تصل إلى منطقة الخليل إلا في ساعات الصباح الباكر فتتكشف للعدو، لكن القائد داني ماس أصر على رأيه في الوصول إلي الغوش في الليلة ذاتها مهما يكن الأمر.

في الساعة أل ١١ ليلاً سرنا مشياً على الأقدام على شكل مجموعات، روى لنا زميل لنا كان أرسل في منتصف الطريق لإعادة مريض إلى القدس، ومن حين إلى آخر يصدر تنبيهاً لالتزام الصمت، وكان السير سهلاً ممتعاً في ظلام دامس وعرجنا بالقرب من الطريق الذي يصعد إلي بيت جمال على الينبوع لنشرب الماء، ثم عسكرنا في أحد الوديان، ثم عدنا فصعدنا لنعود فننزل إلى واد آخر في اتجاه الجنوب.

كانت هذه الشهادة الأخيرة بشأن فصيلة أل ٣٥ واعتماداً على أخبار مختلفة جمعت فيما بعد من عرب، ويمكن الافتراض انه بالقرب من قرية صورييف اكتشف العرب فصيل

الـ ٣٥، فاستنفروا مئات المقاتلين من القرى العربية المجاورة ودارت معركة يائسة في الطريق بين صوريّف والجبعة قتل فيها جميع رجال الفيصل.

وبلغ في ١٧ / ١ الضابط البريطاني هاميش دوغان الذي كان مسؤولاً عن قضاء الخليل، القضاء على فصيلة الـ ٣٥ فأحضر في اليوم التالي في قافلة عسكرية لحمل جثث الـ ٣٥ إلى كفار عتصيون ودفنوا في قبر جماعي في المكان، وخلف فقدان الفصيل انقباضاً شديداً في نفوس المقاتلين اليهود.

وجاء في كتاب وليد الخالدي، كي لا ننسى، يعرف تاريخ الهاغاناة، بيت نتيف بأنها «قرية الذين قتلوا إلـ ٣٥ إشارة إلى طابور البلماخ».

### رواية أهالي بيت نتيف:

تفيد الرواية الشفوية أن قوة من اليهود شاهدها رعاة الغنم في أراضي بيت نتيف متجهة إلى الشرق أعلمت أهالي بيت نتيف والقرى المجاورة فهبّ الجميع وحاصروهم في منطقة ظهر الحجة، في منطقة مشتركة بين صوريّف وبيت نتيف، واستمرت المعركة من الفجر حتى غروب الشمس، وتمكن الثوار من التغلب على القوة الإسرائيلية فأبادوها عن بكرة أبيها، ولاقى أربعة من المناضلين حتفهم في هذه المعركة منهم: ابن بيت نتيف المرحوم عبد المجيد عيسى اخميس وجرح كثير من أبناء البلدة.

### قدوم الجيش المصري:

وقعت بيت نتيف حسب خطة دخول الجيوش العربية فلسطين، ضمن منطقة الجيش المصري، وكانت معهم أيضاً قوة من الجيش الأردني وقوة من المتطوعين المصريين، وشاركت هؤلاء قوات من الجهاد المقدس بقيادة المرحوم إبراهيم أبو دية، وغيره من قادة القرى المجاورة والقادة المحليين، كل مسؤول عن قريته، ومن بيت نتيف كان كل من: عيسى علي علقم وعبد الحافظ عبد الهادي منصور.

### الرواية المكتوبة عن نشاط ثوار بيت نتيف:

لا أريد التحدث كثيراً عن همة ونشاط الثوار من أهالي بيت نتيف لكنني سأنقل إليكم ما كتبه ابن دير أبان الأستاذ عبد العزيز أبو هدبا في كتابه القيم «قرية دير أبان دراسة التراث والمجتمع»، وخصوصاً في الفصل الأخير:

ونتيجة لما سبق أصبح الخط الفاصل بين العرب واليهود سكة الحديد المتجهة إلى القدس، ولم تتوقف الاشتباكات بين اليهود من جهة والمقاتلين من قرى دير أبان وبيت

نتيف وزكريا وغيرها من القرى، وكذلك رجال الجهاد المقدس ومجموعة من المتطوعين المصريين، وبعض جنود الجيش المصري من جهة أخرى، ليدخل القتال مرحلة طويلة من المواجهة الصعبة استمرت من ١٤ / ٧ / ١٩٤٨ م حتى ١٨ / ١٠ / ١٩٤٨ م، حين انهار خط الدفاع العربي أمام عدو يفوقه عدداً وعدة.

### سقوط بيت نتيف:

تقول الرواية الإسرائيلية أن بلدة بيت نتيف سقطت في إطار عملية «ههار» الجبل وذلك في ٢٢ / ١٠ / ١٩٤٨ م، حيث واصلت الكتيبة الرابعة للواء هاريئيل تقدمها صوب الشرق والجنوب، وبعد مقاومة في الجنوب احتلت بيت نتيف، قرية الذين قتلوا الـ ٣٥، وبذلك أغلقت طريق بيت لحم عجور بيت جبرين، شريان المواصلات المهم بالنسبة إلى نظام القوات المصرية في هذا القطاع.

### أما رواية أهل القرية فتقول:

لقد صمد المقاتلون أكثر من خمسة أشهر وهم مرابطون على سكة الحديد وقبلها كانوا مرابطين في مستعمرة عرتوف التي احتلوها قبل شهرين، وبعدها اشتدت ضربات اليهود لدير أبان خصوصاً على خط المواجهة وعلى القرية ذاتها بمدافع ثقيلة ورشاشات بعيدة المدى في ساعات الليل، وتحت وطأة هذا القصف الشديد كانت عملية اختراق والتفاف على استحكامات أهل القرية وانسحاب الجيش المصري ومقاتلي القرى المجاورة وانسحب كثير من هؤلاء إلى بيت نتيف، وبعد يومين قام اليهود بضرب القرية بالمدفعية الثقيلة والرشاشات بعيدة المدى مدة ٢٤ ساعة وشعر أهل البلدة بخطر يدهمهم فقرروا الخروج منها وفور دخول القرية، قام اليهود بتدميرها رأساً حرقاً على مقتل الـ ٣٥، ولم ينج إلا بيت أصبح مركزاً للقيادة اليهودية وفي عام ١٩٦٢ م دمر هذا البيت وهو ملك علي علقم.

وهكذا هُجّر أهالي بيت نتيف من بلدتهم وهم لا يعلمون شيئاً عن غدهم، شرقاً وجنوباً إلى الخليل وبيت لحم تاركين وراءهم الأرض أعز ما يملكون.

وعرفنا من شهداء بيت نتيف خلال حرب ١٩٤٨ م: عبد المجيد عيسى اخميس، عبد الحفيظ أبو جاجة، عبد الرحمن أبو حماد، محمد حماد أبو سرور، محمد عبد القادر أبو سرور، احمد رشاد منصور، محمود أبو محمد، ذيب أبو طريوش، احمد العمري، عبد العزيز اعمر، احمد حسين أبو حميدة، إبراهيم عبد الرحمن بركات، عبد القادر محمد أبو شيخة وشقيقته بالإضافة إلى كثير من الجرحى.

## البلدة اليوم:

لدى السؤال عن بيت نتيف اليوم أصحاب الرواية الشفوية قالوا:

أراضي بيت نتيف شاسعة وكبيرة مقام عليها أربع مستعمرات هي: نتيف هلا مد، ونفي ميخائيل، وروغليت وافيعزيز، وفوق أراضيها محطة الأقمار الصناعية، ومكان البلدة المسكونة بيوت مهدمة وأكوام من الحجارة لأن بيوت القرية في الغالب كانت من الحجارة، وكذلك بقايا من الشبابيك والأبواب وبعض واجهات البيوت وقد شبت فوقها الأعشاب والحشائش والنباتات البرية، وبقايا من أشجار الزيتون واللوز والصبر والعنب موجودة هنا وهناك، وتشاهد أيضاً العديد من أشجار الخروب الكبيرة.

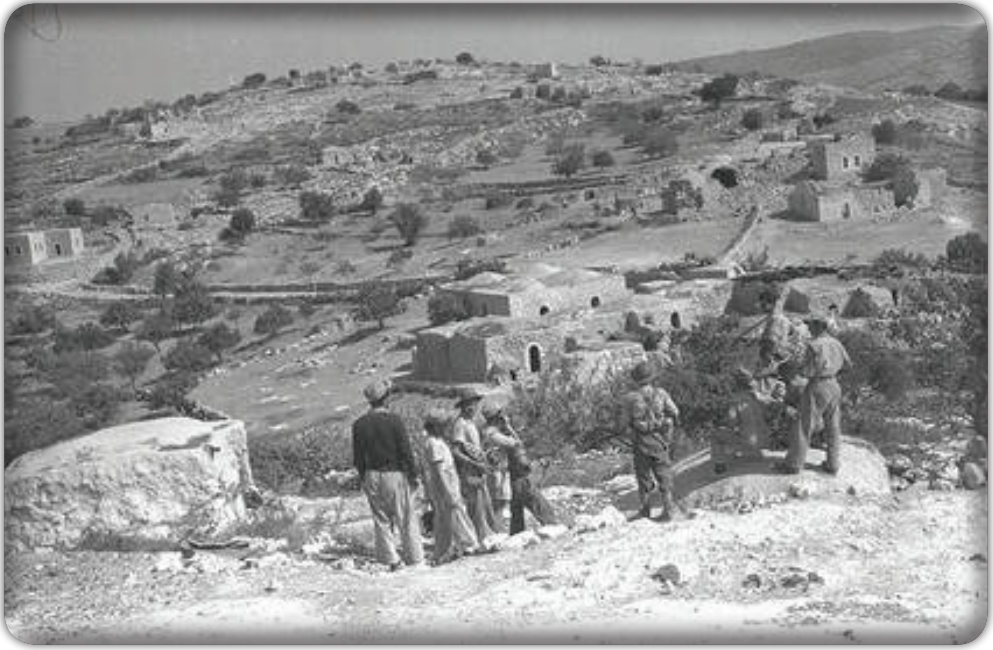
## أهالي بيت نتيف اليوم:

بعد تدمير بيت نتيف وتهجير أهلها الذين أصبحوا غارقين في الحيرة وأفكارهم مشتتة نتيجة لما حل بهم وأصابهم، موزعين في البقية الباقية من الوطن الغالي في مخيمات وقرى الخليل والقدس وبيت لحم والأردن، يعيشون على أمل العودة إلى بلدتهم الحبيبة بيت نتيف إن شاء الله.

## وأخيراً

إن ما قدمناه في هذه الدراسة المتواضعة لا يفي بيت نتيف وأهلها حقهم، ونأمل من أهلنا في بيت نتيف أن يجمعوا تاريخ هذه البلدة وتراثها لإكمال النقص واستدراك ما غاب عنا ليدون في كتاب نفيس، وكل الشكر لأهالي بيت نتيف أصحاب الرواية الشفوية، وأخص بالذكر الحاج عبد المجيد محمد علي علقم «أبو سليم».

صورة نادرة للقرية المغتصبة بعد إحتلالها.  
تبين الصورة بعض معالم القرية قبل تدميرها وبعد تطهيرها عرقياً، ١٩٤٨



منظر عام لموقع القرية كما يبدو الناظر إليه من جهة الجنوب  
(حزيران، يونيو ١٩٩٠) بيت نتيف





الخليل- قرية بين نتيف- صورة نادرة للقرية بعد إحتلالها  
أُخذت أثناء تعرضها للتدمير في تشرين أول عام ١٩٤٨م



التقطت هذه الصورة في تاريخ ١٩٩٩/٥/١٠م ويظهر فيها الحاج عبد المجيد على علقم  
الذي يجلس عند ركام منزل العائلة في قريتنا الحبيبة بيت نتيف



**دور الصناعات التقليدية (المنزلية)  
في تعزيز الاقتصاد الأسري قديماً وحديثاً  
في محافظة الخليل**

**د. شاهر حجة**

## ملخص:

تهدف الدراسة إلى التعرف إلى أنواع الصناعات التقليدية الغذائية في محافظة الخليل ومتطلبات انتشارها، والمشكلات التي تواجه هذا النوع من الصناعات، ولتحقيق هدف الدراسة، استخدم الباحث المنهج الوصفي، حيث اعتمد على المصادر والمراجع المنشورة بهذا الخصوص، إضافة إلى استخدام المقابلات، وذلك بهدف الحصول على البيانات والمعلومات اللازمة للإجابة عن أسئلة الدراسة وهي:

- ما أنواع الصناعات التقليدية الغذائية المنتشرة في محافظة الخليل؟
- ما المشكلات التي تواجه هذا النوع من الصناعات؟
- ما التطورات التي حصلت على تلك الصناعات؟
- ما دور الصناعات التقليدية (المنزلية) الغذائية في تعزيز الاقتصاد الأسري للأسرة الفلسطينية؟

- ما دور المرأة والرجل في الصناعات التقليدية الغذائية في محافظة الخليل؟

وقد توصل الباحث إلى أبرز النتائج الآتية:

1. إن الصناعات التقليدية الأكثر رواجاً:
- هي الصناعات الغذائية التقليدية المتعلقة بالإنتاج النباتي والحيواني (تصنيع الألبان) وهي الأكثر انتشاراً في قرى محافظة الخليل وبلداتها.
2. تواجه الصناعات التقليدية في محافظة الخليل مشكلات التسويق وإحجام الناس عنها بسبب توافر صناعة حديثة تلبى الغرض حلت محلها، إضافة إلى تكلفتها العالية في بعض الأحيان، وهذا لا يلبي طموح المستهلك.
3. طرأت تطورات متعددة على الصناعات التقليدية من حيث طريقة التصنيع، وتوافر الأدوات وطرق التعليب والحفظ.
4. تبين أن الصناعات التقليدية المنزلية ذات مردود اقتصادي في بعدين. البعد الأول، ويتعلق بتوفير متطلبات الأسرة، وهذا يخفف من الأعباء الاقتصادية على الأسرة

كونها هي المنتجة وبتكاليف زهيدة. أما البعد الثاني فيتعلق بالتسويق. وهذا يتم في حدود ضيقة توفر دخلاً مادياً لكثير من الأسر، حيث إن غالبية الأسر في محافظة الخليل مازالت تستخدم هذا النوع من الصناعة التقليدية لحل كثير من مشكلات التسويق الزراعي وتوفير متطلبات الأسرة المادية.

٥. تبين أن للمرأة دوراً مميزاً وكبيراً في البيت، فهي الساعد الأيمن للرجل، ولم تكن مجرد منتجة للبنين والبنات، بل كان دورها يتعدى ذلك بكثير، فهي شريكة حياة الرجل، وكان لها دور كبير في المشاركة في توفير متطلبات الأسرة (كانت المرأة آخر من ينام وأول من يستيقظ).

وفي الختام أشار الباحث إلى جملة من التوصيات:

١. ضرورة الاهتمام بهذا النوع من الصناعات التقليدية وتوثيقها ووضع برامج دعم واسناد لها.
٢. الرفع من مستوى التصنيع باستخدام المعدات والادوات الحديثة.
٣. إقامة معارض لهذا النوع من الصناعات.
٤. الاهتمام بالعمل التعاوني النسوي في مناطق محافظة الخليل.

## مقدمة:

استفاد سكان إقليم محافظة الخليل من ثمار الأشجار وصنعوها لحين الحاجة إليها، فقد صنع من العنب الدبس والملين والتطالي والزبيب، وكذلك جفف التين وصنع منه ثمرة التين المجفف، كذلك صنع من الحليب اللبن الرائب، وصنع من هذا لبن جامد كما صنع السمن من الزبدة، وأستخرج الزيت من ثمار الزيتون بوساطة المعاصر التي ما زالت تدار بوساطة الدواب، ولم يبطل استعمالها إلا منذ سنة ١٩٧٠ حينما دخلت الآلات الحديثة، وحلت محل الآلات القديمة، كما أنهم يصنعون الشعيرية من دقيق القمح ورب البندورة من حبوب البندورة، كما أن البعض يجففها تحت حرارة الشمس والبعض الآخر يبقئها طازجة بوضعها في أوانٍ زجاجية بعد أن تُغلق إغلاقاً محكماً وتعقّم، كما أنهم يصنعون المخلات العديدة مثل: الخيار والفقوس واللفت والباذنجان وغيرها.

وهي تمثل أبسط الصناعات، حيث تشمل معالجة الخامات الزراعية كالخضار والفواكه لإنتاج المواد الغذائية المصنعة، أو بغرض الحصول على خامات صناعية منها. تهتم مصانع الأغذية أول ما تهتم به هو كيفية الحصول على الخامات الزراعية، وتكلفة نقلها إلى المصانع حيث لا تتساوي جميع الخامات في تكلفة نقلها، لأنها توجد على مسافات غير متساوية من المصنع، حيث توجد في أماكن متفرقة من المحافظة، ففي فصلي الصيف والخريف تكثر الخضار والفواكه في إقليم محافظة الخليل، وتشهد أسعارها انخفاضاً حاداً لكثرة الإنتاج أولاً والمنافسة الاسرائيلية ثانياً، أما في أيام الشتاء فتندعم هذه الخضار والفواكه في الإقليم تقريباً، فكان لا بد من تصنيعها لاستعمالها وقت الحاجة. فكانت ربة البيت آنذاك تقوم مقام المصنع بعمل المرببات والتطالي والمخللات وعمل اللبن الجامد، وغير ذلك ممّا يحتاجه البيت.

ومنذ قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، استهدفت التوجهات التنموية حلّ مجموعة من المشكلات الاساسية في الاقتصاد الفلسطيني، وتبرز في المقدمة مشكلة البطالة وضرورة توفير فرص عمل تضمن ارتفاعاً في المستوى المعيشي للشعب الفلسطيني في ظل امكانيات مادية محدودة، وقد شددت هذه التوجهات على تنمية المشاريع الصغيرة وتطويرها، التي من شأنها تحقيق فرص تشغيلية أكبر برأسمال أقل.

وتصنف الصناعات التقليدية في فلسطين إلى حوالي سبع عشرة حرفة منها الخزف - الزجاج اليدوي التقليدي - الفخار - التطريز اليدوي - البسط والسجاد اليدوي - منتجات خشب الزيتون - الصدف - الخيزران - القش - الشمع - الفسيفساء وغيرها.

يتميز قطاع التصنيع الغذائي غير المنظم بعدد من السمات والميزات التي ساعدت على بقائه واستمراره، بل نموه وزيادة فعالياته وتفرعاته، ومن أهم هذه الميزات كبر حجم الشريحة الاجتماعية المستندة في معيشتها على فعاليات هذا القطاع، واستيعابه لنسبة كبيرة من العمالة في وضع اقتصادي تزداد فيه نسبة البطالة، وتستمر نسب الفقر ومؤشراته في ارتفاع، حيث بلغ عدد الفقراء مع نهاية العام ٢٠٠٥ حوالي ١,٣ مليون منهم حوالي ٨٢٥ ألف مواطن ضمن دائرة الفقر المدقع (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ٢٠٠٦)، كما تتميز منتجات هذا القطاع بانخفاض أسعارها عن المنتجات المثيلة من القطاع المنظم، أو عن التوجه للمأكولات الحديثة أو وجبات المطاعم.

وكغيره من القطاعات غير المنظمة، يعاني قطاع التصنيع الغذائي غير المنظم من التهميش، والإهمال المرافق للفكرة الخاطئة الموجودة لدى الكثيرين، ومنهم ذوي العلاقة والقرار في القطاع العام عن هذا القطاع كظاهرة طفيلية أو سرطان اقتصادي يجب القضاء عليه واستئصاله، مبررين ذلك بعلاقة منتجاته المباشرة بصحة المستهلك وسلامته. لذلك كان لابد لهذه الدراسة أن تبين مدى خطورة هذا المفهوم وخطئه من خلال توضيح الحجم والتأثير والتفاعلات الاقتصادية لهذا القطاع، ومدى مساهمته في تحقيق الأمن الغذائي الفلسطيني وارتباطه بالعادات الغذائية التقليدية والمتوارثة للشعب الفلسطيني.

تعد صناعة الأغذية واحدة من أقدم الصناعات في محافظة الخليل، وهي تؤدي دوراً محورياً في الاقتصاد الفلسطيني. هذا بالإضافة إلى دورها في توفير العديد من المواد الغذائية، فقد ساهمت الصناعات الغذائية بشكل ملحوظ في تحقيق الأمن الغذائي الفلسطيني، وبشكل أكثر تحديداً تنتج مصانع الأغذية الفلسطينية أكثر من مائة نوع من السلع الأساسية بما فيها منتجات الخبز، واللحوم، والألبان، والزيت، والحلويات، والمشروبات الخفيفة، والعصائر.

وتتضمن الأصناف الرئيسية من الأغذية التي تصنع في محافظة الخليل ما يأتي:

- ◆ السكاكر والحلويات.
- ◆ منتجات الحليب الألبان: بما فيها الحليب، والجبن التقليدي، واللبننة.
- ◆ المشروبات الخفيفة: وتتضمن الشراب المركز للاستهلاك المحلي فقط.
- ◆ الوجبات الخفيفة: كرقائق البطاطا، والكعك، والوجبات الأخرى.
- ◆ المعكرونة ومنتجات الحبوب الأخرى مثل المفتول والفريكة.

- ◆ الأغذية المعلبة: منتجات البندورة، والحمص والبقول والزيتون والمخللات.
- ◆ الزيوت والسمن: في الغالب زيت الزيتون للاستهلاك المحلي.
- ◆ صناعة الأعلاف الحيوانية.

حسب الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني تتكون الصناعات الغذائية من ١٧ فرعاً تبعاً للمقاييس العالمية للتصنيف الصناعي للسلع. ويوجد في الأراضي الفلسطينية ١٨٢٩ منشأة تعمل في الصناعات الغذائية، والتي تمثل ١٤,٤٪ من إجمالي المصانع القائمة حسب إحصاء ٢٠٠٤ (مركز الإحصاء الفلسطيني ٢٠٠٤).

### مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتناول هذه الدراسة واحداً من أبرز القطاعات الاقتصادية في تحقيق الأمن الاقتصادي للأسرة الفلسطينية ألا هو الصناعات التقليدية الغذائية وهي تسعى للإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: «ما دور الصناعات التقليدية (المنزلية) الغذائية في تعزيز الاقتصاد الأسري في محافظة الخليل؟»

وللإجابة عن سؤال الدراسة الرئيس ينبغي أولاً الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما الصناعات التقليدية الغذائية المنتشرة في محافظة الخليل؟
- ما المشكلات التي تواجه هذا النوع من الصناعات؟
- ما التطورات التي حصلت على تلك الصناعات؟
- ما دور الصناعات التقليدية الغذائية في تعزيز الاقتصاد الأسري؟
- ما دور المرأة و الرجل في الصناعات التقليدية الغذائية في محافظة الخليل؟

### أهداف الدراسة:

تأتي هذه الدراسة بهدف التعرف إلى حجم هذا القطاع وسماته وبنيته التركيبية من جهة، وتحليل مشكلاته وإمكانات تنميته من خلال تأطيره وتقنيته بهدف تنظيمه مع المحافظة على خصوصيته المتمثلة بتقليديته وتراثية منتجاته من جهة ثانية. وللوصول إلى نظرة شاملة عن هذا القطاع، كان لا بد من تحقيق الأهداف الآتية من خلال هذه الدراسة:

- ◆ التعرف إلى واقع قطاع الصناعات الغذائية في محافظة الخليل، ومدى مساهمتها في تعزيز الاقتصاد الأسري.

♦ دراسة المعوقات والتحديات والعراقيل التي تواجه هذه الصناعات التقليدية الغذائية في محافظة الخليل.

♦ التعرف إلى دور المرأة والرجل في الصناعات التقليدية الغذائية في محافظة الخليل.

♦ العمل على وضع سياسات وتوصيات للتغلب على مشكلات هذه الصناعة.

## منهجية الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع البيانات وتحليلها للحصول على إجابات محددة الأسئلة من خلال:

♦ مراجعة الأدبيات السابقة في هذا المجال، وذلك بالرغم من قلة الدراسات المتخصصة في هذا المجال.

♦ تحليل البيانات الأولية التي جمعت لصالح الدراسة، والتي حصل عليها الباحث من قاعدة بيانات القطاع الغير المنظم في الأراضي الفلسطينية الواقع والآفاق، والتي أعدها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني مع معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، إضافة إلى بيانات الجهاز وإحصاءاته المتعلقة بالموضوع.

♦ إجراء المقابلات مع الأشخاص والمؤسسات من ذوي العلاقة في محافظة الخليل.

♦ تنظيم زيارات ومشاهدات ميدانية لبعض مواقع الإنتاج، والتي تمت بناء على مقابلات شفهية موجهة، وليس بناء على استبانات مسبقة الإعداد، لاختلاف طبيعة هذه الأعمال، وتعدد مجالات عملها.

## حدود الدراسة:

تمت هذه الدراسة في الحدود الآتية:

١. الحدود الجغرافية: اقتصرت الدراسة على الصناعات التقليدية الغذائية في محافظة الخليل.

٢. الحدود الزمانية: تمت هذه الدراسة خلال الفترة (حزيران - أيلول) للعام ٢٠١١.

٣. الحدود والمفاهيم: اقتصرت على الصناعات التقليدية الغذائية فقط.



## مصطلحات الدراسة:

### ◀ الصناعات التقليدية:

هي نتاج حضاري لآلاف السنين من التفاعل الحي بين المجتمعات المحلية بما تحمله من رؤى وقيم حضارية، وبين بيئتها الطبيعية، وبينها وبين المجتمعات الأخرى، وهي مكون أصيل للذاكرة الحضارية- خاصة في شقها التقني- ورصيد ومخزون للخبرات الحياتية والإمكانات الإنتاجية الذاتية المتاحة داخل كل مجتمع محلي<sup>(١)</sup>.

### ◀ الاقتصاد الأسري:

الاقتصاد المنزلي هو اقتصاد ربة البيت لإدارة شؤون المنزل، من تقويم الحاجات الضرورية لاستهلاك أهل المنزل، ومقدار المصروفات اللازمة خلال وقت معلوم، وتوفير حاجات ومتطلبات المنزل في حدود الزمن والموارد المتاحة لربة البيت، وعموماً يشمل الاقتصاد المنزلي تدريب الأطفال على حسن الاستهلاك وعدم التبذير، في الملابس والمأكل.

ويندرج ضمن مفهوم الاقتصاد المنزلي مفهوم ميزانية العائلة الاستهلاكية، ( Fa-ily Budget )، وهي عبارة عن التوازن بين الدخل النقدي والعينية للعائلة، ومصروفاتها مع بيان مصادر الدخل، وبنود المصروفات بالتفصيل، وميزانية العائلة ذات أهمية بالغة، فهي تساعد إلى حد كبير في التحقق بدقة من مستوى معيشة الأفراد، وتعطي الأساس لكل نوع من أنواع حسابات التخطيط<sup>(٢)</sup>.

## الإجابة عن أسئلة الدراسة ومناقشتها:

### • إجابة السؤال الأول:

#### ما الصناعات التقليدية الغذائية المنتشرة في محافظة الخليل؟

للإجابة عن هذا السؤال حُصرت أبرز الصناعات التقليدية الغذائية المنزلية في محافظة الخليل وفقاً لكل منطقة من المحافظة حسب ما حصل عليها الباحث الجدول (١) من خلال المقابلات المصممة والجدول الآتي (١) يبين ذلك.

## الجدول (١)

### الصناعات التقليدية في محافظة الخليل

الرقم	مجال الصناعة التقليدية	الصناعة التقليدية	المناطق الأكثر شهرة
١	الصناعة الزراعية التقليدية		
٢	١ - الإنتاج النباتي	<p>(١) المخلاتات (خيار، فقوس، زهر، لفت)</p> <p>(٢) الزيتون الأخضر ((الرصيص))، الزيتون المشرح</p> <p>الزيتون غير المدقوق، مكدوس الزيتون، الزيتون الأسود.</p> <p>(٣) الزيت.</p> <p>(٤) صناعة المربي.</p> <p>(٥) عصير البندورة.</p> <p>(٦) الزبيب.</p> <p>(٧) الدبس.</p> <p>(٨) الملين.</p> <p>(٩) القطين.</p> <p>(١٠) العصائر.</p> <p>(١١) التجفيف والتنشيف (ورق العنب (الدوالي)).</p> <p>(١٢) تجفيف الخضر (البصل، الملوخية، البامية، البندورة).</p>	<p>(١) الخليل، دورا، حلحول.</p> <p>(٢) الخليل / صوريّف / دورا.</p> <p>(٣) دورا، الخليل، صوريّف / حلحول (٤) بيت أمر،</p> <p>حلحول، الخليل، سعير، دورا، إزنا، خاراس).</p> <p>(٥) الخليل، دورا، حلحول، بيت أمر، ترقوميا.</p> <p>(٦) حلحول / بيت أمر.</p> <p>(٧) دورا، حلحول، بيت أمر، سعير.</p> <p>(٨) بيت أمر، حلحول، دورا، الخليل.</p> <p>(٩) بيت أمر، حلحول.</p> <p>(١٠) الخليل، بيت أمر، حلحول، صوريّف.</p> <p>(١١) حلحول، بيت أمر.</p> <p>(١٢) بيت أولا، حلحول، الشيوخ، بيت كاحل، سعير.</p>
٣	٢ - الإنتاج الحيواني	(١) اللبنة.	حلحول، الخليل، دورا، السموع، يطا.
		(٢) كرات اللبنة بالزيت.	حلحول، الخليل، السموع.
		(٣) الجبن الأبيض.	السموع، يطا، الظاهرية، بني نعيم، حلحول، بيت أمر.
		(٤) الجبن المغلي.	السموع، بيت أمر، بني نعيم، الخليل، يطا.
		(٥) اللبن البلدي المجفف (الجميد).	الظاهرية، السموع، يطا، دورا.
		(٦) السمن البلدي.	السموع، دورا، الظاهرية، يطا بني نعيم.
		(٧) العسل.	دورا، الخليل، بني نعيم.

- تبين من تحليل الجدول أعلاه أن جميع الصناعات التقليدية الغذائية (المنزلية) موجوده في جميع مدن محافظة الخليل وقرائها بصورة متفاوتة بسبب التنوع الزراعي. وبعد القيام بتحليل الجدول تبين أن معظم الصناعات التقليدية (المنزلية) من الانتاج النباتي، مثل: المخللات، المربي، الزبيب، الدبس، الملبن تتركز في قرى وسط محافظة الخليل وشمالها، بسبب طبيعة الأراضي وكميات الأمطار.
- تبين أن معظم الانتاج الحيواني مثل: الجبن الأبيض، اللبن البلدي، السمن البلدي، يتركز أكثر الانتاج في منطقة جنوب ووسط محافظة الخليل، بسبب مناطق يغلب عليها الطابع الرعوي.
- تتميز الصناعات التقليدية المنزلية بأنها تعتمد على مواد أولية، لا تدخل فيها التعقيدات العلمية التي تتطلب معالجات كيميائية، وتعتمد على الانتاج المحلي، وعلى القوى البدنية للمزارع أكثر من الآلات، وتتأثر هذه الصناعات بنفسية المزارعين و أذواقهم. ومن خلال المقابلات تبين أن هناك اعتزازاً كبيراً بما ينتجه المزارع.

#### • الإجابة عن سؤال الدراسة الثاني:

#### ما المشكلات التي تواجه هذا النوع من الصناعات؟

تتركز أهم المشكلات التي تواجه هذا القطاع في:

#### ١. ارتفاع تكاليف المواد الأساسية:

يعتمد الاقتصاد الفلسطيني بشكل كبير على الاقتصاد الاسرائيلي، ويظهر هذا جلياً في أنماط الإنتاج بصورة عامة، وإنتاج الصناعات التقليدية الغذائية بصورة خاصة في الخدمات القائمة وفي الترتيبات التجارية، ولا يسيطر الاحتلال على حدود الأراضي الفلسطينية وتقسيمها إلى منطقة A, B, C, ويعوقون الحركة فقط، بل أنهم في وضع يمكنهم من التأثير على الصادرات والواردات وامدادات الكهرباء والمياه والمحروقات إلى السكان الفلسطينيين، وعلى مجريات حياتهم كافة، مما يساعد في ارتفاع تكاليف الانتاج، وتكاليف المواد الاساسية.

#### ٢. التسويق:

تعدُّ مشكلة التسويق من أهم المشكلات التي يواجهها قطاع الصناعات التقليدية (المنزلية) في محافظة الخليل، ويعود ذلك إلى ضيق السوق الداخلية، وضعف الطلب المحلي على هذه المنتجات وعدم توافر مراكز تسويقية محلية متخصصة، وعدم وجود خبرة كافية لدى المنتجين في مجال الصناعات التقليدية في الامام بإجراءات الإعلام والترويج وأساليبهما.

### ٣. الجودة:

تعاني معظم منتجات الصناعات التقليدية في محافظة الخليل من عدم توافر عوامل الجودة في الإنتاج والتغليف، وكذلك العرض، مما يضعف قدرتها التنافسية أمام المنتجات المستوردة، وعلى سبيل المثال تتعرض منتجات الألبان والعسل والمربي المحلي إلى منافسة شديدة من المنتجات المستوردة بسبب جودتها العالية وانخفاض أسعارها نظراً لانخفاض تكاليف الانتاج في تلك البلدان.

### ٤. توافر البدائل:

تبين من سلوك المستهلكين في محافظة الخليل ميلهم نحو كل ما هو اجنبي، وهذا يعكس امرين مهمين:

الأول: رواج السلع الغذائية الاجنبية أكثر من الانتاج المحلي، أما الامر الثاني: فيتمثل بعدم ثقة المستهلك المحلي بالمنتجات المحلية لعدم جودتها، أو بسبب غلائها.

### ٥. قلة تدريب الجيل الحالي وتأهيله.

### ٦. عدم وجود معايير لتسعير المنتجات الغذائية الاسرية.

٧. عدم اهتمام المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية بتكريس كثير من الصناعات على اعتبار أنها تمثل احد مقومات التراث والهوية الفلسطينية.

### ٨. التغير في الأنماط الاستهلاكية للأسرة:

### أما اليوم فماذا حدث؟

لا شك في أن لتطور وسائل الاتصال والمواصلات أثراً كبيراً في دخول كثير من الطرق الجديدة لإعداد الطعام فضلاً عن تحسن حالة السكان الاقتصادية، فأصبحت طريقة اعداد الطعام في الصين او امريكا تعرض على شاشة التلفاز، ويشاهدها كل سكان الأرض ومن رغب في تطبيق ما شاهده، فان له ذلك، ونظراً لهذه العوامل وعوامل أخرى مثل: تدريس فن الطهي في المدارس، ووجود مصانع أغذية، كل هذا ساهم في وجود أطعمة جديدة في محافظة الخليل وقراها، وربما تكون هذه الموائد تطويراً للموائد القديمة، أو جديدة، مما أدى إلى تغير في الأنماط الاستهلاكية.

### • الإجابة عن السؤال الثالث:

### ما التطورات التي حصلت على تلك الصناعات؟

## ١. التغيير في التراكيب:

ولمحافظة الخليل شهرة لاتبارى في الصناعات التقليدية (المنزلية) ، ومنذ أيام الكنعانيين العرب، ومع مرور الزمن وتقدم الحضارة، دخلت الآلة لتحل محل الانسان في مثل هذه الصناعة حيث بدأت هذه الصناعة في الازدهار

وتعاني هذه الصناعات التقليدية مثل ما تعانيه بقية الصناعات الأخرى في الخليل من الضرائب الباهظة والمنافسة الاسرائيلية المدعومة والمنظمة الهادفة إلى تحطيم الاقتصاد الفلسطيني.

## ٢. استخدام أدوات غير تقليدية.

٣. زيادة الوعي لدى المزارعين بموضوع الجودة (المحاضرات عن طريق اللجان الزراعية) .

٤. ضمان صحة وسلامة المنتج بشكل أكبر (بسبب النشرات والارشادات) .

٥. انحسار بعض الصناعات وتراجعها.

• الإجابة على سؤال الدراسة الرابع:

## ما دور الصناعات التقليدية في تعزيز الاقتصاد الأسري؟

١. مصدر أساسي للأمن الغذائي للأسرة:

لا يمكن تجاهل أهمية الصناعات التقليدية المنزلية في محافظة الخليل ومساهمتها ودورها في تحقيق الأمن الغذائي، وخاصة لمحدودي الدخل، حيث يضم هذا القطاع فئات واسعة من المجتمع تعمل عادة مع معظم أفراد الأسرة الفلسطينية لتوفير مصدر دخل لكامل الأسرة من خلال هذا النشاط، وعادة ما تشارك النساء بشكل كبير فيه، سواء في عمليات التصنيع أم في عمليات إنتاج المواد الخام وتحضيرها كما هو الحال في منتجات الألبان التقليدية.

٢. توفير مبالغ مالية تساهم في توفير التعليم والصحة (متطلبات الأسرة) .

٣. الحفاظ على هوية الأسرة الفلسطينية وثقافتها وتراثها.

٤. تبادل المنفعة/ تبادل سلع مقابل سلع.

٥. قلة تكاليف الإنتاج مقابل المصنوعات الحديثة مما يوفر على كاهل الأسرة مبالغ كبيرة.

• الإجابة على سؤال الدراسة الخامس:

ما دور المرأة والرجل في الصناعات التقليدية في محافظة الخليل؟

للمرأة دور مميز في البيت، فهي الساعد الأيمن للرجل، ولم تكن مجرد منتجة للبنين والبنات، بل كان دورها يتعدى ذلك بكثير، فهي شريكة حياة الرجل. كانت المرأة آخر من ينام وأول من يستيقظ، فعند بزوغ الفجر كانت تنهض من فراشها وتحلب أغنامها وأبقارها، ثم تخبز العجين في الطابون لتطعم عائلتها، ولتزود بها الرعيان والعمال قبل خروجهم من البيت. وبعد ذلك تذهب إلى البئر وتحضر الماء في «قربتها» أو «عسليتها» وتقوم بتنظيف بيتها. وبعد ذلك قد تلحق بالحراثين أو الحصادين وهي تحمل معها الخبز والسمن واللبن، وتشاركهم في بعض الأعمال كما تقوم بتشجيعهم.

وسوف استعرض معكم بعض أنواع الأطعمة التي كان يأكلها سكان محافظة الخليل وقراها خلال عصر الأتراك والانتداب البريطاني والعهد والأردني وفي ظل الاحتلال الاسرائيلي، وربما الكثير منها ما زال يطبخ ليومنا هذا، ولكن قبل الدخول في الحديث عن هذا الموضوع يجب أن نشير إلى أن الظروف الاقتصادية الصعبة والفقر المدقع الذي مرت به قرانا في محافظة الخليل، جعل الناس يستعملون حتى بعض الأعشاب مثل الخبيزة ولسان الثور والقوص والمرار في غذائهم، وفي كثير من المرات تأكل العائلة من الطعام نفسه لأكثر من أسبوع أو أشهر عدة فمثلا: في موسم القيقظ يأكل العنب طوال الموسم كغذاء رئيس، وبعد أن ينتهي العنب يؤكل (الدبس و العنب طبيخ والزبيب والملبن) - مواد غذائية معدة من العنب - في الفصول الأخرى حتى يأتي موسم العنب في السنة الثانية، حيث لا يوجد خيار آخر بسبب حالة الفقر.

ونقدم فيما يأتي أبرز الأعمال التي كانت المرأة الريفية تقوم بها قبل نكبة عام ١٩٤٨.

١. الخبز، الغريبة، الطحن، الطابون

٢. جلب الماء بالقربة والجرة

لم يكن لدى المرأة الريفية آنذاك ثلاجة ولاغسالة ولا مساحيق تنظيف، وغالبا لم يكن يتوافر لديها الصابون، وكثيرا ما كانت تستعين بحجر صغير تضرب به الملابس بخفة «تدق» لتخلصها من الأوساخ العالقة بها. وكانت تصنع الجرة التي تحفظ فيها الماء في بيتها من طين من نوع خاص، وتجففها ثم تشويها بالنار.

٣. العناية بالدواجن، «الخم» و «القن»

كانت المرأة تربي الدجاج في «الخم» الذي يبني بجوار جدران البيت أو في «القن» الذي يصنع من الطين لفصل الشتاء أو من أغصان الأشجار لفصل الصيف. وكانت المرأة تستفيد من الدجاج والحمام والديك الرومي «الحبش» وذلك لتوفير حاجة العائلة والضيوف من اللحوم والبيض.

#### ٤. العناية بالأنعام وتصنيع الحليب (الشكوة)

كانت المرأة تعتني بأنعامها وتستفيد من لحومها وألبانها لأسرتها وفي أطباق الطعام الشهى لضيوفها، كما كانت تستعمل شعرها وصوفها في المنسوجات المختلفة، وروثها «زبلا» للطابون. وكما أسلفنا تستخدم «الشكوة» الجلدية في خض الحليب واستخراج الزبدة منه، وذلك بتعليق الشكوة على «ركابة» ذات ثلاثة أرجل خشبية.

#### ٥. الطبخ والأكلات الشعبية:

كانت المرأة الفلسطينية تعتمد على الأرض ومنتجاتها، والأنعام التي ترعى فيها، وذلك لتغذية عائلتها. ولم يكن يتوفر للغالبية العظمى بآبور «ابريموس»، انما كانت تطبخ الطبخ على النار على منصب خاص، أو على ثلاثة حجارة يسمى الواحد منها «لديّة» وجمعها «لدايا».

#### ٦. الطبخ والأكلات الشعبية:

كان الفلاح يتغذى بكثير من النباتات البرية مثل: القريص والمرار ومسلّة العجوز والبريد والجلثون والسّيسعة والدرهمة وبرطع الجمل والشحيم والبيلبوس والجزر البري والزعرور والقيقب والحويرنة والحميضة والكعوب ولسان الثور وكذلك «الفقع» (الفطر).

كانت الأسرة تعتمد في حياتها على منتجاتها من أرضها وأشجارها ونباتاتها و دواجنها، ونقدم فيما يأتي بعض الأكلات الشعبية التي انقرضت أو كادت تنقرض وهي:

- أ. الجريشة.
- ب. الرقاقة.
- ت. ذنين قطاط (ششبرك).
- ث. المفتوتة.
- ج. السمبوسك.
- ح. الملتوت.
- خ. المطبق.
- د. المقلّي.
- ذ. حرق إصبع.
- ر. كراديش الذرة.

ز. المدقوقة.

س. الخبيزة.

ش. المقلية.

ص. المفتلة.

ض. الشختورة.

٣- المقيمة.

ومن الأكلات الشعبية الأخرى اليخنية، الشوية، مثومة، الفريكة، الفت.

٦- تأثيث المنزل:

أ. الصومعة.

ب. القوطية.

ت. مسقط الفرشات «السدة».

ث. القور.

ج. الرف وجورة الإبريق.

٧- نسيج الصوف:

أ. السجاد والمزاود.

ب. بيوت الشعر.

ت. الفردة.

ث. المخلاة.

ج. الكنف.

ح. الحذل.

الخرج.

المشمر.

٨- نسيج القش:

أ. الطبق.

ب. القدح.



ت. القبة.

ث. القوطة.

٩- أ. عصر الزيت:

كانت المرأة تقوم بعصر الزيت في حفرة من الصخر الأملس باستخدام صخرة كبيرة تسمى الججل. وغالباً ما كانت تتعاون امرأتان في دفع الحجر لسحق حبوب الزيتون.

## النتائج والتوصيات:

انطلاقاً مما سبق يمكننا أن نقرر: إنه لا يمكن التحرك للنهوض بقطاع الصناعات التقليدية غير المنظم دون تحرك جماعي على المستوى الوطني للجهات والمؤسسات ذات العلاقة كافة. ومن ثم البدء بإيجاد الأطر، وآليات التحرك الجماعي المنسق بين الأطراف كافة مستندة إلى استراتيجية وطنية للنهوض بهذا القطاع، والتوجه به نحو التنظيم والتحول من مهن وحرف متناثرة إلى صناعات صغيرة منظمة قابلة للنمو والتطور، لكي تساهم في تحقيق الأمن الغذائي الفلسطيني، وتساهم بدور فاعل في البناء الاقتصادي الفلسطيني.

هذا التحرك يجب أن يأخذ بعين الاعتبار النقاط الرئيسية الآتية:

١. توفير المعلومات والبيانات الكاملة عن هذا القطاع بتفرعاته المختلفة.
٢. إيجاد الأطر والاتحادات والنقابات لأصحاب هذه الحرف والصناعات الغذائية.
٣. توفير البيئة القانونية والتشريعية المرجعية الملائمة للتنمية والرقابة والمتابعة ضمن منظور حماية المستهلك.
٤. تطوير نظام رقابي مدرب ومؤهل للمتابعة والرقابة والتفتيش.
٥. إيجاد مركز أو مؤسسة متخصصة للتدريب والتأهيل، وتوفير التكنولوجيا والمعرفة لتوفير التدريب والاستشارات الفنية على المستويات كافة.
٦. إيجاد البنى التسويقية الملائمة من خلال التنسيق مع الأطر والاتحادات، وذلك بالتنسيق مع الهيئات أو الجهات الوطنية ذات العلاقة.
٧. العمل على تجنيد التمويل اللازم من خلال التنسيق مع الجهات الدولية والمنظمات غير الحكومية.
٨. التركيز على الجمعيات التعاونية في هذا المجال (الجمعيات النسوية).

## الهوامش:

1. <http://www.biblioislam.net/ar/Elibrary/FullText.aspx?tblid=2&id=22874>
2. [http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF\\_%D9%85%D9%86%D8%B2%D9%84%D9%8A](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D8%AF_%D9%85%D9%86%D8%B2%D9%84%D9%8A)

## المصادر والمراجع:

١. الصندوق السعودي للتنمية - إدارة البحوث والدراسات الاقتصادية - التقرير السنوي ١٤١٦ / ١٤١٧ هـ (١٩٩٦) - مرامر للطباعة الإلكترونية - الرياض.
٢. دور القطاع الخاص في الامن الغذائي العربي، جريدة آفاق تجارية، جعفر رسول
٣. دور القطاعين العام والخاص في تحقيق الامن الغذائي.
٤. نماذج من الزراعة الفلسطينية / سلسلة النشرات التنموية (١٠) / مركز العمل التنموي معاً / اعداد جورج كرزوم / آيار ١٩٩٧.
٥. دائرة الاحصاء المركزية الفلسطينية / مسح انفاق واستهلاك الأسرة / ١٩٩٥ - ١٩٩٧.
٦. الجغرافيا الاقليمية لمحافظة الخليل / تأليف عبد الحافظ عواد / ١٩٩٧.
٧. الفلكور في الريف الفلسطيني / تأليف محمود النمورة / ١٩٩٨.
٨. دورا وقراها / تأليف وليد العميرة / ١٩٨٤.
٩. الطريق المنير إلى تاريخ سعير: ١٩٨٧ - جامعة الخليل - مركز البحث العلمي - محمد اقطيش مصطفى عواد، ادريس جرادات.
١٠. قرية سعير: دراسة ميدانية / مركز أبحاث رابطة الجامعيين ١٩٨٧ / المؤلف موسى جرادات.
١١. قرية بني نعيم / رابطة الجامعيين / الخليل / ١٩٨٧ - اعداد: تيسير مسودي، سليمان مناصرة.
١٢. الخليل القديمة / سحر مدينة وعمارة تاريخية / المحرر: نظمي الجعبة / لجنة إعمار الخليل ٢٠٠٨.
١٣. لحول بين الماضي والحاضر / رابطة الجامعيين - ١٩٩٣ / محمد أبو ريان.

## المواقع الإلكترونية:

1. [http:// colleges. ksu. edu. sa/ FoodsAndAgriculture/ ARC/ Documents/ P170. pdf](http://colleges.ksu.edu.sa/FoodsAndAgriculture/ARC/Documents/P170.pdf)
٢. مجلة بال توريد، ٢٠٠٤
3. [http:// www. biblioislam. net/ ar/ Elibrary/ FullText. aspx?tblid=2&id=22874](http://www.biblioislam.net/ar/Elibrary/FullText.aspx?tblid=2&id=22874)
4. [http:// ar. wikipedia. org/ wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki)
5. [http:// www. pal- econ. org/ Newsite/ sites/ default/ files/ Executive%20 Summary. pdf](http://www.pal-econ.org/Newsite/sites/default/files/Executive%20Summary.pdf)
6. [http:// www. palecon. org/ Newsite/ sites/ default/ files](http://www.palecon.org/Newsite/sites/default/files)
7. [http:// www. wafainfo. ps/ atemplate. aspx?id=3088](http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3088)

## الملاحق

### ملحق رقم (١)

#### مقابلة في مزرعة نموذجية:

بعد زيارتي الطويلة لابي الحارث الذي يبلغ من العمر ٥٢ عاماً، عرجت إلى بلدة بيت أمر لزيارة مزرعته، وتعد هذه المزرعة بحق مزرعة نموذجية متكاملة. إذ ليس فقط ان لعائلة أبي الحارث اكتفاء ذاتياً في جميع أصناف الخضار والفاكهة واللحوم الحمراء والبيضاء والبيض والحليب البلديين والخبز، صيفا وشتاء، بل إنها تسوق ايضاً بعض الفائض لتحصيل مزيد من الدخل لتغطية مصاريف البيت غير الغذائية (خاصة التعليم والعلاج الطبي). وكما تقول أم الحارث «حرام على الفلاح الحقيقي أن يشتري شيئاً من السوق».

وعلى مساحة حوالي ستة وعشرين دونماً خضراء تجد تنوعاً كبيراً في المحاصيل الشتوية: الفجل، الفول الحمص، البازلاء، البصل، الثوم، القرنبيط، الملفوف، الزهرة، الخس، السبانخ، البطاطا، العدس، القمح فضلاً عن الكرسة والشعير للحيوانات. ناهيك عن بساتين وبيارات الزيتون واللوزيات (اللوز والخوخ الابيض والاحمر والمشمش) والكرز والتفاح. كما أن عائلة أبي الحارث تزرع في الصيف الخيار والبندورة والفاصوليا (الأرضية والمعرشة) والباميا واللوبيا والفلفل والبازنجان والكوسا واليقطين والفقوس.

وفي سياق تعليقه على المزارعين الذين تحولوا إلى الزراعة الأحادية يقول أبو الحارث: «المزارعون الذين يكتفون بزراعة نوع أو نوعين من المحاصيل يبقون معلقين في الهواء لأنهم يعيشون تحت رحمة الظروف والطقس والسوق، فإذا لم يساعدهم الطقس على الزراعة او انضرب السوق فانهم سيدمرون. أما نحن فلا يهمنا ماذا يحدث في السوق أو إذا تضرر صنفان أو أكثر من المحاصيل، فإن المحاصيل الأخرى تعوضنا».

والجدير ذكره أن في مزرعة أبي الحارث توجد بركة لتجميع مياه الينابيع والشتاء سعتها حوالي ٣٥٠٠٠ م<sup>٣</sup> فضلاً عن بركة أخرى أصغر ويثر ماء للاستخدام المنزلي ولسقاية الحيوانات.

الزراعة هنا معظمها من البذور البلدية، كما أن التسميد فقط باستخدام السماد البلدي، أي زبل الغنم والدجاج والحمام بعد تخميره مع الماء. وآلات الحراثة هي البغلة والفأس ” لأنها أفضل من التراكثور الذي يقتلع جذور الأشجار أكثر من اللزوم ويترك مساحات بين الأشجار بدون حراثة“ كما يقول أبو الحارث الذي تابع يقول:

«كما أننا لا نحتاج للتراكثور لأن الزراعة عندنا متواصلة طوال السنة، وقطع الأرض التي يجب حراستها تكون صغيرة بحيث تزرع الأرض مرة أخرى». أما الثروة الحيوانية في مزرعة أبي الحارث عبارة عن حوالي ٤٠٠ دجاجة وعشرين زوج حمام وبعض النعاج والماعز وطعامها فقط عن علف المزرعة (الكرسنة والشعير وغيره). وبعكس لحوم الحيوانات التي تأكل الأعلاف الاصطناعية، والتي تخلو من النكهة، ورائحتها سرعان ما تتلاشى، فإن «نكهة لحوم الحيوانات التي تأكل العلف البلدي مميزة ورائحتها تدوم لفترة طويلة، وهي صحية أكثر»، كما تؤكد أم الحارث بحماس. وبخصوص أمراض النبات والحيوان تقول أم الحارث بأنها قليلة جداً لأنها وزوجها يقدمان «خدمة جيدة ومخلصة للأرض والمحاصيل والحيوانات».

وكما الحال لدى عائلة أبي الحارث تقوم أيضاً بحفظ وتخزين وتحليل أصناف كثيرة من خضار المزرعة، فضلاً عن تصنيع الحلوى والمرببات من تشكيلة الفاكهة الغنية.

## استنتاجات:

أهم الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها من المقابلات السابقة ما يأتي:

- أولاً: يعتمد بعض المزارعين في بيت أمر اعتماداً كلياً على الموارد المحلية المتوافرة على مستوى المنزل، أو القرية كالأرض والمياه، فضلاً عن المخلفات المختلفة التي يعاد تدويرها واستخدامها.
- ثانياً: لا يوجد تقريباً تبعية للمدخلات والمستلزمات الزراعية من خارج الوحدات الإنتاجية (لدى المزارعين الذين تم زيارتهم).
- ثالثاً: هنالك درجة عالية من الاعتماد على الذات والاستقلال الاقتصادي الزراعي والغذائي.
- رابعاً: المزارعون الذين لديهم تنوعاً زراعياً يتمتعون باستقرار اقتصادي واضح.

## ملحق رقم (٢)

### إنفاق الأسرة في محافظة الخليل

♦ بلغ متوسط إنفاق الأسرة الشهري في الأراضي الفلسطينية (٥٩٢) ديناراً، منها (٢٢٩) ديناراً على الطعام.

♦ بلغ متوسط إنفاق الأسرة الشهري في محافظات الضفة الغربية (٦٢٨) ديناراً، منها (٢٤٣) ديناراً على الطعام.

♦ بلغ متوسط إنفاق الأسرة الشهري على مستوى التجمع السكاني في الأراضي الفلسطينية:

- مدينة (٦٣٥) ديناراً، منها (٢٣٦) ديناراً على الطعام.

- قرية (٥٨٩) ديناراً، منها (٢٣٣) ديناراً على الطعام.

- مخيم لاجئين (٤٨٨) ديناراً، منها (٢٠٠) ديناراً على الطعام.

♦ بلغ متوسط إنفاق الأسرة الشهري في الأراضي الفلسطينية (٣٩) ديناراً على المسكن، (٦٤) ديناراً على وسائل النقل والاتصالات، (٥٠) ديناراً على الكساء، (٣٩) ديناراً على التجهيزات المنزلية، (٢١) ديناراً على الرعاية الطبية، (٣٩) ديناراً على التعليم والثقافة، (٧٣) ديناراً على سلع أخرى «زكاة، هدايا، ضرائب..... الخ، (١٣) ديناراً على العناية الشخصية، و (٢٦) ديناراً على التبغ والسجائر.

### استهلاك الأسرة في محافظة الخليل:

♦ بلغ متوسط استهلاك الأسرة الشهري في الأراضي الفلسطينية (٦٣٧) ديناراً، منها (٢٣٩) ديناراً على الطعام.

♦ بلغ متوسط استهلاك الأسرة الشهري في محافظات الضفة الغربية (٦٧٥) ديناراً، منها (٢٥٦) ديناراً على الطعام.

♦ بلغ متوسط استهلاك الأسرة الشهري على مستوى التجمع السكاني في الأراضي الفلسطينية:

- مدينة (٦٨٠) ديناراً، منها (٢٤٠) ديناراً على الطعام.

- قرية (٦٣٩) ديناراً، منها (٢٥١) ديناراً على الطعام.
- مخيم لاجئين (٥١٩) ديناراً، منها (٢٠٢) ديناراً على الطعام.
- ♦ بلغ متوسط استهلاك الشهري في الأراضي الفلسطينية (١٢٥) ديناراً على المسكن، (٦٤) ديناراً على وسائل النقل والاتصالات، (٥٠) ديناراً على الكساء، (٣٩) ديناراً على التجهيزات المنزلية، (٢١) ديناراً على الرعاية الطبية، (٣٩) ديناراً على التعليم والثقافة، (١٣) ديناراً على العناية الشخصية، (٢٦) ديناراً على التبغ والسجائر و (٢١) ديناراً على السلع الأخرى.
- ♦ بلغ متوسط استهلاك الأسرة الشهري من مجموعات الطعام في الأراضي الفلسطينية (٤٣) ديناراً على الخبز والحبوب، (٥٦) ديناراً على اللحوم والدواجن، (٤) دنانير على الأسماك ومنتجات البحر، (٢٠) ديناراً على الألبان ومنتجات الألبان والبيض، (١٠) دنانير على الزيوت والدهون، (٢٢) ديناراً على الفواكه والمكسرات، (٣٠) ديناراً على الخضراوات والبقوليات والدرنيات، (١٤) ديناراً على السكر والمنتجات السكرية، (٢١) ديناراً أطعمة أخرى، (١٠) دنانير وجبات جاهزة من المطعم و (١٠) دنانير على مجموعات الطعام المنتجة ذاتياً.

## الجدول (٢)

متوسط استهلاك الأسرة الشهري بالدينار في محافظة الخليل حسب مجموعات الاستهلاك والمحافظة

المحافظة / الخليل	مجموعات السلع والخدمات
٦٧٤	عدد أسر العينة
٧,٤	متوسط حجم الأسرة
٢٣٨,٢٦	الانفاق النقدي على مجموعات الطعام
٤٦,٤١	الخبز والحبوب
٦٥,٣٨	اللحوم والدواجن
٣,٨٤	الاسماك ومنتجات البحر
١٨,٦٠	الالبان ومنتجات الالبان والبيض
١١,٣٥	الزيوت والدهون
١٩,٥٥	الفواكه والمكسرات



المحافظة/ الخليل	مجموعات السلع والخدمات
٣٢,٨١	الخضراوات والبقوليات والدرنبات
١٤,٥٥	السكر والمنتجات السكرية
٨,٨٧	المشروبات غير الكحولية
٩,٠٢	الملح والتوابل وأطعمة أخرى
٧,٨٨	وجبات جاهزة من خارج المنزل/ داخل المطعم
١٢,٥٥	مجموعات الطعام المنتجة ذاتياً
٢٥٠,٨١	الاستهلاك الكلي من الطعام
٢٨٤,٣٦	الاتفاق النقدي على غير الطعام
٤٩,٣٩	الملابس والاحذية
٣٢,٩٥	المسكن
٢٥,٧٦	الاثاث والاواني المنزلية

### الجدول (٣)

متوسط استهلاك الاسرة الشهري بالدينار في محافظة الخليل حسب مجموعات الاستهلاك والمحافظة.

المحافظة الخليل	مجموعات السلع والخدمات
٦٧٤	عدد أسر العينة/ متوسط حجم الأسرة
٧,٤	
٧,٣٥	لوازم واعمال منزلية
٢٦,٨١	الرعاية الطبية
٦٣,٢٦	وسائل النقل والمواصلات
١٥,٨٥	التعليم
٩,٠٤	النشاطات الترفيهية والثقافية
١٢,٨٨	العناية الشخصية
٢٤,٦٨	التبغ والسجاير
١٦,٣٩	الانفاق على سلع وخدمات أخرى غير الطعام
٦٣,٥٥	السلع والخدمات المنتجة ذاتياً من غير الطعام

المحافظة الخليل	مجموعات السلع والخدمات
١,٩٦	أخرى من غير الطعام
٦١,٥٩	الايجار المقدر
٣٤٧,٩١	الاستهلاك الكلي من غير الطعام
٥٩٨,٧٢	الاستهلاك الكلي
١٢,٥٥	الانتاج الذاتي من الطعام
٦٣,٥٥	الانتاج الذاتي من غير الطعام
١٣,٦٩	التحويلات النقدية المدفوعة
٠,٩٦	الضرائب
١٢,٩٣	نفقات غير استهلاكية أخرى
٥٥٠,٢٠	الانفاق النقدي الكلي

### ملحق (٣)

#### الصناعات التقليدية القديمة في محافظة الخليل

##### ◆ الصناعات التقليدية القديمة:

كان معظم سكان محافظة الخليل أقرب إلى البداوة منهم إلى الحضارة، وخاصة سكان الهامش وبرىة الخليل. حيث لم تكن هناك كهرباء ولا تمديدات مائية داخل ريف الإقليم، وكان السكان فقراء يعانون من شظف العيش، فإذا جادت السماء بالمطر عاش الناس في بحبوحة وسعة من العيش، وإذا انحبس المطر أصبح الناس يعانون من قسوة الحياة وضيق ذات اليد، إذ لم يكن لهم مورد آخر سوى أراضيهم أو مواشيهم أو كليهما معاً، فكانوا إما يعملون مزارعين في الأرض، أو رعاة مع الأغنام والمواشي.

وفي الوقت الحاضر تحتل الصناعات التقليدية الفلسطينية مكانة خاصة بين فروع الصناعة في فلسطين، نظراً للبعدين التراثي والاقتصادي اللذين تحملهما هذه الصناعة، فهي من جهة تعبر عن تاريخ وثقافة الشعب الفلسطيني، حيث تجسد الوجود الفلسطيني على أرضه عبر حضارات متواصلة، كما تشكل هذه الصناعات مصدراً حقيقياً لتنمية الدخل الوطني إذا ما أُستغلت وطُورت بالشكل المطلوب، ففلسطين لم تحظ بوافر من الثروات الطبيعية الثمينة كالذهب والبترو، إلا أن كونها مهذاً للديانات السماوية، وعلى أرضها نمت وترعرعت العديد من الحضارات التي تركت آثارها حتى يومنا هذا، جعلها قبلة للسياح والحجاج على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم.

##### ◆ الصناعات الحديثة:

تمثل التنمية الصناعية عنصراً مهماً من عناصر التطور في أية دولة من الدول، وقد ازدادت أهمية الصناعة في العصر الحالي، وخاصة بالنسبة للدول النامية التي تعمل جاهدة لتعويض ما فاتها وتقليص الفجوة الكبيرة بينها وبين الدول المتطورة. إذ إنها تعلق آمالاً كبيرة في إنهاء تخلفها المزمّن، ومن ثم اللحاق بركب المدينة المعاصر.

وللصناعة أيضاً أهمية خاصة بالنسبة لسكان إقليم محافظة الخليل، حيث إن معركة الإنتاج تعد التحدي الحقيقي لقياس قدرة هذا الإنسان العربي الفلسطيني على إثبات وجوده على أرضه ضد المؤامرات للوصول إلى بناء الدولة الحديثة التي لا يمكن أن تقوم إلا على أساس اقتصادي صناعي متعدد الجوانب يفي بالاحتياجات الأساسية للأمة، ويمكنها من أن تؤدي دورها الفعال، وتؤدي رسالتها الخالدة اتجاه الإنسانية.

# توصيات المؤتمر

اختتمت عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة القدس المفتوحة، يوم الثلاثاء وفق ٢٨-٢٩ / ١١ / ٢٠١٢، مؤتمرها الذي عقدته تحت رعاية الرئيس محمود عباس في مدينة الخليل بعنوان: ” التراث الشعبي الفلسطيني الثالث في محافظة خليل الرحمن هوية وانتماء“، بالدعوة إلى إيجاد سجل وطني للتراث الفلسطيني وإخراجه إلى حيز التنفيذ، وذلك بمشاركة الباحثين والمؤسسات المجتمعية والحكومية، وأوصى المؤتمر بضرورة رفع قضايا على الحكومة الإسرائيلية بصفتها حكومة احتلال، لإقدامها على سرقة التراث وطمسه وتحريفه وتزييفه وذلك لاسترجاع ما سرقتة إسرائيل من خلال حفرياتها في المواقع الوطنية منذ عام ١٩٤٨.

كما أوصى المشاركون في ختام أعمال المؤتمر الذي استمر على مدار يومين، وعقد في قاعة إسعاد الطفولة، وفي مبنى ”القدس المفتوحة“، بالعمل على إدخال التراث الشعبي في المناهج المدرسية كمقرر يدرس في المدارس والجامعات الوطنية، من أجل غرس قيمة حب التراث الشعبي، وضرورة التمسك به ليبقى هوية هذا الشعب ويعزز الانتماء إلى الوطن.

وتمنى المشاركون في المؤتمر على جامعة القدس المفتوحة -باعتبارها رائدة في الحفاظ على التراث الشعبي الفلسطيني- أن تبادر إلى تأسيس مركز بحثي للتراث الشعبي يقوم بأرشفة الأغنية الوطنية التقليدية، وأرشفة تاريخ الشعب الفلسطيني وتراثه.

وطالب المشاركون بتعزيز القيم الثقافية في المناسبات الوطنية والإسلامية والأعياد الوطنية والرسمية والعمل على ترويج السياحة الثقافية، من خلال وكالات السياحة المحلية والعالمية، وهذا منوط بالمؤسسات الحكومية وغير الحكومية.

كما دعا المشاركون إلى جمع التراث الشفوي الفلسطيني والعمل على نشره في الدوريات والمجلات والصحف المختلفة، سواء أكان ذلك الأغاني كأغاني الأفراح والأتراح والختان والمولد النبوية وغيرها، أم القصص والحكايات الشعبية والأساطير أو غير ذلك من التراث الشفوي ليتسنى للجميع الاطلاع عليه وقراءته والاهتمام والتمسك به.

وشدد المشاركون على أهمية إيجاد معارض ومتاحف لجمع التراث المادي منه والمعنوي للحفاظ عليه، والعمل على فتح أبواب تلك المعارض والمتاحف للجميع حتى يتمكن أبناء المجتمع صغارا وكباراً من الاطلاع عليه، والتعرف إلى أنواعه وأصوله.

ودعا المؤتمر إلى غرس القيم وتعزيز العادات والتقاليد المرتبطة بالتراث الشعبي في المناسبات المختلفة في نفوس أبناء المجتمع من أجل الحفاظ عليها واتباعها وعدم استبدالها بما توصلت إليه التكنولوجيا المعاصرة والصناعات المتطورة، بل يبقى الحفاظ عليها واتباعها يسير جنباً إلى جنب مع التطور الحضاري والصناعي والتكنولوجي المعاصر.

وشدد المشاركون على ضرورة الاهتمام بالقرى المدمرة وتوثيق تراثها وإحيائه بالفعل والممارسة من قبل أبنائها حتى تبقى حية في الأذهان، ودعوا إلى الاهتمام بالصناعات التقليدية والمطرزات والأزياء الشعبية والمأكولات ودعمها، وإبراز البعدين التراثي والحضاري تجسيدا لوجود الشعب الفلسطيني على أرض آباءه وأجداده..

وأكد المشاركون على أهمية تخصيص حلقات وبرامج إذاعية وتلفزيونية وصفحات في الصحف والمجلات للحديث عن التراث، والعمل على إنتاج أفلام وثائقية توضح جوانب مختلفة من التراث، وبخاصة ما يقال في المناسبات المختلفة كالأفراح وغيرها.

ولفت المشاركون في المؤتمر، إلى أهمية العمل على إيجاد جهة رسمية حكومية تتبنى المحافظة على التراث بطريقة رسمية ولها صلاحياتها، على أن تتعاون في ذلك مع مؤسسات المجتمع المدني، والمهتمين بالتراث كافة.

وفي ختام التوصيات، شدد المشاركون على ضرورة الاستمرار في عقد المؤتمرات والندوات التي تهتم بالتراث كما فعلت جامعة القدس المفتوحة، التي عقدت مؤتمرين سابقين عن التراث الوطني، وهي متواصلة في عقد المؤتمرات في السنوات القادمة في محافظات الوطن كي تأخذ كل محافظة حقلها من الاهتمام بالتراث الشعبي.

أثنى المشاركون في المؤتمر على الجهد الذي تبذله عمادة البحث العلمي في جامعة القدس المفتوحة لإصدار موسوعة التراث الشعبي الفلسطيني التي صدر منها عددان، وتمنوا أن تواصل الجامعة تحقيق هذا الهدف واستكمالها حتى يكون لدى الشعب الفلسطيني موسوعة شاملة لصنوف التراث الشعبي وأنماطه في أرجاء الوطن كافة، وتمنوا على الجامعة أن تواصل جهودها المبدعة في هذا الصدد.



بدعم من

جامعة القدس المفتوحة  
مؤتمر التراث الشعبي الفلسطيني الثالث  
في محافظة خليل الرحمن  
هوية وانتماء  
البرنامج الأكاديمي للمؤتمر



عريف المؤتمر: د. يوسف ذياب عواد

التسجيل: ٩:٣٠ - ٩:٠٠

الافتتاح: ٩:٣٠ - ١٠:٢٠

- تلاوة من الذكر الحكيم.
  - السلام الوطني وقراءة الفاتحة على أرواح الشهداء.
  - كلمة مدير منطقة الخليل التعليمية د. نعمان عمرو.
  - كلمة رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر أ.د. حسن السلواي.
  - كلمة مجموعة الاتصالات الفلسطينية.
  - كلمة رئيس جامعة القدس المفتوحة أ.د. يونس عمرو.
  - كلمة سيادة الرئيس محمود عباس - أبو مازن يلقيها نيابة عنه د. حسين الأعرج/ رئيس ديوان الرئاسة.
- الجلسة الافتتاحية: ١٠:٢٠-١٠:٤٠

عنوان المحاضرة	المحدث الرئيس
الجزور التاريخية للتراث الشعبي في الخليل	أ.د. يونس عمرو

الجلسة الأولى: ١٠:٤٠-١١:١٠

رئيس الجلسة: د. محمد فرحات

التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة خليل الرحمن (قيم وأصالة وانتماء)

عنوان البحث	الباحث
القيم التربوية في المثل الشعبي في محافظة خليل الرحمن	د. رجاء العسيلي + د. تيسير أبو ساكور
من القيم الإنسانية المتأصلة في مدينة الخليل من خلال استقراء الأقاليم الشعبية	د. حسين أحمد الدراويش
أثر المسجد الإبراهيمي الشريف في التراث الشعبي في الخليل	أ. محمد ذياب أبو صالح
الزيتون في الميثولوجيا الشعبية الفلسطينية: منطقة الخليل نموذجا	د. طالب الصوافي
طرق ووسائل حماية التراث الثقافي في محافظة الخليل (من خلال المواثيق الدولية والمؤسسات المجتمعية)	د. شامخ علاونة + أ. مصطفى الجبور

استراحة: ١٢:٢٥-١٢:١٠

الجلسة الثانية: ١٢:٢٥-٢:٠٠

رئيس الجلسة: د. يوسف أبو هاشم

التراث الشعبي الفلسطيني وتجلياته في محافظة خليل الرحمن

عنوان البحث	الباحث
لوحات من التراث والأدب الشعبيين في قرية المجد	أ.د. ياسر الملاح
الملابس الشعبية للمرأة في الخليل	د. ناهدة الكسواني
الأغنية الشعبية في مدينة الخليل	د. سميرة ستوم
ثوب المرأة الريفية في منطقة الخليل	د. إدريس جرادات
من القرى المدمرة قرية بيت نتيف (السماعنة) قضاء الخليل - صفحات من تاريخها وتراثها الشعبي	الشيخ/ عباس نمر
دور الصناعات التقليدية في محافظة الخليل في تعزيز الاقتصاد الأسري قديما وحديثا	د. شاهر حجة

توصيات المؤتمر: ٢:٠٠-٢:١٠

تناول الغداء: ٢:١٠-٣:٠٠



تراث صريح  
دولة قادمة



بدعم من

جامعة القدس المفتوحة



مهرجان الفن الشعبي الفلسطيني الثالث  
في محافظة خليل الرحمن  
ومعرض التراث الفني

برنامج المهرجان

عريف المهرجان: أ. عبد القادر الدراويش

افتتاح المهرجان	
١١:٣٠ - ١١:٠٠	التسجيل ومشاهدة معروضات المعرض الفني والتراثي
١١:١٥ - ١١:٠٠	افتتاح المهرجان

فعاليات المهرجان	
١١:٤٠ - ١١:١٥	أغنية تراثية مع العود / نائل أبو حلتم
١٢:٠٠ - ١١:٤٠	فرقة مجد النجوم للدبكة الشعبية
١٢:٢٠ - ١٢:٠٠	فرقة نادي شباب السموع الرياضي للدبكة الشعبية / السموع
١٢:٤٠ - ١٢:٢٠	أغنية وطنية تراثية ملتزمة / دانيا يوسف مسيف
١٣:٠٠ - ١٢:٤٠	فرقة شعلة الجنوب للدبكة الشعبية / بني نعيم
١٣:٢٠ - ١٣:٠٠	فرقة نادي شباب بيت أمر / بيت أمر
١٣:٤٠ - ١٣:٢٠	فرقة صوريف للدبكة الشعبية / صوريف
١٤:١٠ - ١٣:٤٠	فقرة غنائية تراثية ملتزمة / وليد عابد
١٤:٤٠ - ١٤:١٠	تكريم المشاركين







